PDF Compressor Free Version

المركز الوطني للدراسات والبحث

في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

النضال السياسي والجمعوي للوطنيين الجزائريين بالمشرق العربي خلال الفترة 1910 - 1954 م

سلسلة المشاريع الوطنية للبحث

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

المركز الوطني للدراسات والبحث

في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954

النضال السياسي والجمعوي للوطنيين الجزائريين بالمشرق العربي خلال الفترة 1910 - 1954 م

رئيس المشروع

أ.د. حوتية محمد

الأعضاء

د. خير الدين شترة

د. محمد دبوب

أ.خي عبد الله

سلسلة المشاريع الوطنية للبحث

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

تصدير بقلم معالي الوزير

السيد الطيب زيتوني

إنّه لمن دواعي الفخر والاعتزاز، أن أدبّج هذه السلسلة الجديدة من المشاريع الوطنية للبحث، ضمن منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، والتي تميّزت كسابقاتها بمادة علمية قيّمة ودراسات فكرية مفيدة وأبحاث رصينة ستساهم في إثراء المكتبة الوطنية، وتفتح آفاق أرحب في مسعى الإحاطة بالتاريخ الوطني.

إنّ مسألة كتابة التاريخ الوطني ستظل تحتل حيزا متزايدا من اهتمام الدولة، وقد أصبحت منذ سنوات عديدة على رأس الأولويات التي تخصّها ببرامج مختلفة وبتسخير كافة الإمكانيات والظروف لتوثيق المعارف التاريخية وتنويع أوعية نقلها ضمانا للتواصل بين الأجيال لصون وديعة الشهداء الأبرار وحفظ أمانتهم.

وفي هذا الإطار، ووعيًا بالأهمية الحيوية التي يكتسيها التاريخ في حياة الأمم والشعوب، باشرت وزارة المجاهدين بتعليمات سامية من

PDF Compressor Free Version

فخامة رئيس الجمهورية، المجاهد عبد العزيز بوتفليقة، تشجيع الباحثين والمؤرخين والأساتذة الجامعيين للقيام بدراسات وأبحاث حول تاريخ المقاومة والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ومنها الدراسات التي تدخل ضمن إطار سلسلة المشاريع الوطنية للبحث.

وباعتبار أن كتابة تاريخنا الوطني يجب أن تكون مواكبة معنى ومبنى لنضالات الشعب الجزائري وتضحياته الجسام في سبيل الحرية والانعتاق، وهي مهمّة حسّاسة تنطوي على أبعاد استراتيجية وسيادية تهدف إلى تنقية الكتابات التاريخية من رواسب المدرسة الكولونيالية ومضامينها المشوهة، فكتابة التاريخ كما قال فخامة رئيس الجمهورية المجاهد عبد العزيز بوتفليقة "أمر جاد.. وذلك لأهميته فلابد أن تُتعهّدَ هذه الكتابة بما تستلزم من جدّ وخبرة علمية حتى يصبح لنا تاريخ لا غبار عليه، يضيء طريقنا نحو المستقبل، ويذكّرنا دائما بماضينا لكي نستخلص منه العبر والدروس فننتقي الصالح والمفيد".

إنّ نشر المعرفة التاريخية رسالة عظيمة وغاية نبيلة أنيطت بمؤسسة المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، رسالة تتطلب تظافر جهود الجميع من وصاية وإدارة المؤسسة وباحثين وأساتذة مختصين لبلوغ المرام وهي جهود في الحقيقة

PDF Compressor Free Version

نراها تتعزّز وتتجسد من يوم لآخر من خلال إصدار هذه السلسلة الجديدة من المشاريع الوطنية للبحث التي تناولت في طياتها قضايا تاريخية عديدة تمّت معالجتها من طرف باحثين من مختلف جامعات الوطن يُشهد لهم بالكفاءة والتقيّد الصارم بالمنهجية العلمية التي حرصنا لأن تكون هي مرتكز هذه الأعمال لإفادة أجيالنا بالمعرفة التاريخية الحقيقية حول رصيد أمتّها ومآثر شعبها الذي زكّى تاريخه بتضحيات عظيمة في الأنفس والنفائس.

وبمناسبة صدور هذه السلسلة الجديدة من المشاريع الوطنية للبحث، لا يسعني إلاّ أن أثمن كلّ المبادرات والمجهودات التي تقوم بها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لمرافقتنا في مواصلة إنجاز البحوث والدراسات حول تاريخنا الوطني، بما من شأنه تعميق الشعور بالاعتزاز بركائز هويتنا الوطنية وتحصينها، والشكر موصول إلى كل الباحثين والمؤرخين الذين ساهموا في هذه المشاريع وأثني على جهودهم الهادفة لتدوين وتوثيق إسهامات الشعب الجزائري عبر التاريخ وتدوين مورثنا التاريخي والثقافي.

وفقنا الله جميعا لما فيه خير الجزائر وعزّتها وكرامتها.

وزير الـمجاهدين الطيب زيتوني

PDF Compressor Free Version

تقديم بقلم مدير المركز

التاريخ هو الأمم وحضارتها والشعوب وثقافتها، وهو أيضا معرفة الماضي لتقويم الحاضر وبتقويم الحاضر نبني المستقبل.

بهذه الرؤى والمعنى السامي للتاريخ دأب المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 منذ تأسيسه على إيلاء الأولوية الكاملة لمشروع الحفاظ على الذاكرة الوطنية ضمن استراتيجية متكاملة تعمل في آن واحد على استغلال الأوعية والوسائل التكنولوجية في عملية الحفاظ والتبليغ للذاكرة التاريخية وفي نفس الوقت استغلال المادة الخام والوثائق الأرشيفية كانت أو شهادات حيّة في تدوين التاريخ الوطني بمنهجية علمية أكاديمية لاسيما ما تعلق بالمقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة التحرير المظفرة.

في هذا السياق يتشرّف المركز الوطني بإصدار المجموعة الثانية من مشاريع البحث المنجزة في إطار البرنامج الوطني للبحث العلمي، والتي كان له شرف تأطيرها والسهر على إنجازها.

وإذا كان المركز يصبو من خلال إصدار هذه السلسلة العلمية إثراء المكتبة التاريخية وبث الوعي الوطني بترسيخ قيم أول نوفمبر في

PDF Compressor Free Version

وجدان أبناء الوطن ليعتزوا بماضيهم المجيد، فإنه يسعى أيضا إلى تحفيز الأساتذة الجامعيين والباحثين الجزائريين وتدعيمهم من أجل سبر أغوار تاريخنا الوطني وإعادة صياغته بمنهجية علمية وموضوعية تتماشى والرؤى الفكرية الحديثة.

وبهذه المناسبة، لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى **معالي وزير المجاهدين السيد الطيب زيتوني** على رعايته الكريمة لهذا المشروع وكذا وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والأساتذة الباحثين على ما قدموه من مجهودات جبارة من أجل إنجاح هذا المشروع العلمي الوطني.

أ. جـمال الـديــن ميـعادي

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

مقدمـــــة:

1. الإطار العام للموضوع:

إن من العلامات البارزة في الهجرة الجزائرية، أنها لم تقتصر على شريحة معينة من المجتمع لكنها تميّزت بالتنوع، وإن شكّل العمال العاديون والفلاحون النصيب الأكبر إلا أن الهجرة شملت كذلك رجل السياسة والفنان والأديب والطالب والتاجر والفقيه وإن اختلف هؤلاء في مجالات أنشطتهم الحياتية والمهنية إلا أنهم كانوا وحدة لا تتجزأ أمام قمع السلطات الفرنسية وجبروتها، وفي الحروب عادة ما تنتفي الفوارق الاجتماعية والوظيفية، ويصبح الدفاع عن الوطن هو القاسم المشترك بين أبناء الشعب الواحد.

وكثيرون أولئك الرجال النخبة العظماء في التاريخ الذين هاجروا من بلد إلى آخر وا نتُزعوا من الوطن إلى قلوبهم انتزاعاً لينتشروا في أقطار الأرض أو نفروا في الدنيا ليؤدوا رسالة العلم والجهاد ولم تحل المشقة بينهم وبين عزيمة وإرادة ثابتة، ولم تقف الصعاب في وجوههم حائلاً دون الهدف الذي يرمون إليه، يهاجر الرجل في سبيل كسب المعرفة والتفقّه في الدين، ويهاجر فراراً بعقيدته وحريته وكرامته، وقد افتقدهم في وطنه، فأراد لصوته أن يتردد في المعمورة دفاعاً عنه، ويهاجر طلباً للرزق والمال وقد ضاقت به السبل فلم يجد منجاه من الفقر والعوز إلا طريق الهجرة،

PDF Compressor Free Version

وأسمى الهجرات وأرقاها تلك التي ترمي إلى كسب العلم والرسوخ في علوم الدين، والإطلاع على أحوال الأمم وأخبارهم وحياتهم الاجتماعية، والاستفادة من حضارتهم ورقيِّهم ودعوتهم إلى الهدى بلسان صدق وفعل منَزَّهٍ عن الهوى.

لقد تعلمنا من بعض الدراسات والكتابات أن الجزائر لم يكن لها ثقافة –أو هكذا فهمنا مما تعلمناه- فلعمري أنه لمن السخافة بمكان أن يجول بخلدهم هذا، والكل يعلم أن الجزائر كانت آهلة منذ عهد سحيق، وأن أهلها قد كان لهم اتصال دائم بغيرهم في الشرق وفي الغرب، ولا نتصور منطقيا أن شعبَا من الشعوب بقي منكمشاً في معزل عن الأحداث التاريخية والتيارات الحضارية التي تلم بغيره ولاسيما بجيرانه، ويخبرنا التاريخ بأن الجزائري مجبول على حب العلم، فقد قام بالرحلات في سبيل اقتنائه وقد استقبل الداخلين من الأجانب بصدر رحب، وهذا الاتصال بالغير في الداخل وفي الخارج كان عنصراً حاسماً في تطويره، وتمكنه من الوصول إلى الحياة الأفضل مع تمسكه طبعاً بشخصيته التي لم تعرف البتّة مسخاً ولا ذوباناً، وبذلك شارك الشعب الجزائري بنخبته المتنوِّرة في بناء صرح الحضارة الإنسانية.

إنه لمن المؤسف حقاً أن نلاحظ ما اكتنف نضالات تلك الثلة من العلماء المهاجرين من نسيان، والحال أننا مدينون لهم نظراً لإسهاماتهم

PDF Compressor Free Version

الكثيرة والمتنوعة في شتى المناحي الثقافية والسياسية والاجتماعية. وإن من يتصوَّر أن بلادنا بكل ما أُوتيت من حماس وبسالة وإيمان بالمستقبل هي ناتجة عن نوع من التولُّد الذاتي الخارق للعادة، وأنها لا تدين بأي شيء تقريباً لأولئك الرواد المميزين الذين طالما كافحوا وتعذَّبوا لإعطائها المظهر الذي هي عليه الآن، وتمكينها من استغلال طاقاتها الكامنة وغير المستخدمة، في سبيل ما كان يحدوهم من مثل أعلى طوال حياتهم، إن من يتصوّر ذلك قد أنكر بصورة لا تغتفر، ما قام به أسلافنا من عمل بنّاء ومثمر، ومن دون أن نذهب إلى حد اقتراح نظام تقديس الأجداد في بلادنا كما هو الشأن في الصين، إلا أننا لا نكون مغالين إذا ما رجونا من شبابنا المستجيب إلى نداء الواجب والضمير، أن يخلّد كما ينبغي ذكرى الرجال البارزين أو العاملين الذين قدّموا أجلّ الخدمات إلى الجزائر وإلى غيرها من الأقطار التي احتضنتهم في غربتهم، وهذا بالضبط ما نرمي إليه.

لقد جسّدت هذه الثلّة من العلماء المتنورين وإلى حد كبير المقاومة الثقافية للاستعمار وشكّلوا إحدى الدعائم والركائز الأساسية لهذه المقاومة التي حاولوا من خلالها الدفاع عن ذاتيتهم وأصولهم الإسلامية والتصدي إلى كل المشاريع والمحاولات الاستعمارية الرامية إلى

PDF Compressor Free Version

تقويض المقوّمات والثوابت الحضارية للبلاد وتطويق وتهميش ثقافتها العربية وإضعاف الشخصية الجزائرية لتأهيلها في البوتقة الفرنسية.

ولا ريب أن نوعية الشخصيات والأسر التي غادرت الجزائر أثناء تلك المراحل الأولى للاحتلال كانت في الغالب على مستوى من الرقي والمنزلة، ويكفي أن نستحضر أسماء وسيّر بعض تلك الشخصيات والأسر المهاجرة ونتعرف على شيء مما قُدِّر لهم أن يُنجزوه في ديار مغتربَهم وما ظفروا به من اعتبار حيثما حلوا، لندرك حجم الخسارة التي مُني بها الوطن نتيجة ظاهرة الهجرة التي عرفها يومذاك، فلا نستغرب إذا ما رأينا العلماء يُفتون بعدم جواز هجرة العلماء مخافة أن يلحق الضرر بالناس حين يفتقدون التأطير الفقهي والشرعي.

فقد أفتى الشيخ "علي بن الحفاف" بعدم جواز هجرة العالم إلا عند الضرورة: «بقاء العالم للناس خير له من انتقاله لنفسه»، لقد كانت الجزائر قبل الاحتلال تتوفر على احتياط مهم من الكفاءات المعرفية، فعلى الرغم مما يُقال عن أحوال المسلمين عامة خلال نهاية القرن(19)م وما قبله فإن الجزائر كانت تتوفر على احتياط هام من الكفاءات مما يدل على أن العطاء الثقافي في الوطن لم يكن شحيحًا ولا عقيمًا، وإنما على العكس من ذلك كان عطاءَ مثمرًا؛ بدليل أن الزمر من حملة العلم والذين غادروا الوطن في تلك المراحل كانت زمرًا مهمة من حيث النوعية

PDF Compressor Free Version
والكفاءة، وأنها أثبتت مستواها ببروزها في البيئات حيث حلّت واكتسبت الشأن والمكانة.

إن هجرة العالم لا تعني هجرة فرد أو أسرة إنما هجرة مكتبة تضم نفائس المعرفة إلى موطن الهجرة، وكانت ظروف اجتماعية وسياسية وعلمية ودينية دفعت كثيراً من علماء الجزائر إلى الهجرة، وكانت في مقدمة الظروف الاجتماعية: عدم وجود مدن علمية زاهرة، فمدينة الجزائر وهي العاصمة آنذاك كانت معدومة النشاط العلمي، وقد وصفها الرحالة العبدري بقوله: «وقد دخلتها سائلاً عن عالم يكشف الكربة، أو أديبٍ يُؤنس الغُربة فكأنني أسأل عن الأبلق العقوق أو أحاول تحصيل بيض النوق».

لقد عرف قطرنا الجزائريّ عبر القرون أعلامًا أفذاذا في مختلف العلوم، سطّر التّاريخ أسماءهم وصدح بها في كلّ أصقاع الأرض من فجر التّاريخ إلى اليوم، والنّاظر لصفحات التّاريخ يعلم علم اليقين أنّ قطرنا قد أسهم إسهامًا موفوراً في إثراء الثّقافة الإنسانيّة عمومًا، والعربية الإسلاميّة خصوصًا، فهذه كتب التّراجم والسّير ودواوين التّاريخ والأدب غاصّة بأخبارهم، يعرفها كلّ من سبر كتب القوم، وها أنا أذكر من كل قطر من أقطار هذا البلد الحبيب -شمالاً وجنوباً، شرقًا وغرباً- واحدًا من هؤلاء الأفذاذ عبر القرون فمنهم: العلاّمة أبو بكر بن حماد التّيهرتي ت

PDF Compressor Free Version

(296هـ/908م) ومحمّد بن الحسين الطّبني ت(394هـ/1114م)، والعلاّمة ابن رشيق المسيلي ت(463 هـ/1071م)، ويوسف بن إبراهيم السّدراتي الورجلاني ت(570هـ/1175م)، وعلي بن عبد الله بن ناشر الوهراني ت(615هـ/1219م) ، ومحمد بن أحمد المعروف بابن مرزوق التّلمساني ت(781هـ/ 1379م)، والعلامة ابن قنفذ القسنطيني ت(809هـ/1406م)، وعبد الرّحمن الأخضري البسكري ت(953هـ /1546م)، وامحمد بن أبي محمد الملقّب بعالم توات الأدراري ت(1008هـ/1599م)، وعبد المالك البوني ت(1139هـ /1726م)، ومحمد أمزيان بن علي الحدّاد الصّدّوقي البجائي ت(1290هـ /1873م)، وحمدان الونّيسي القسنطيني ت(1330هـ/1912م)، وغيرهم كثير... .

إن هذه الدراسة تتبنى إشكالية كبيرة عنوانها: محاولة إنصاف الأدباء والمفكرين السياسيين المُنتمين إلى أصول جزائرية ممن أجبروا على الهجرة والإقامة في المغترب سواءَ إقامة دائمة أو عابرة، ثم أملى عليهم الضمير المشاركة في الحياة الفكرية والسياسية في الأقطار التي هاجروا إليها فتوّلد عن ذلك النشاط تراث زاخر بالإنتاج والعلاقات، وبحكم وضعيتهم هذه فإن الباحثين ومؤلفي موسوعات التراجم في بلدان مغتربهم دأبوا على تغليب البحث في العناصر الأصلية انتماءَ ولم يروا في إقامة وإنتاج هؤلاء الجزائريين بالنشأة ما يُبّرر إقحامهم ضمن دراساتهم

PDF Compressor Free Version

المتعلقة بالبيئة المحلية، كما لم يظفر هؤلاء المجهولين أيضًا باهتمام الباحثين الجزائريين لأنهم أيضًا لاحظوا ارتباط هذا الإنتاج بالبلد الذي عاشوا فيه وامتزجوا بأهله واعتبروا فكرهم وتراثهم انعكاسًا لأحداث ذلك البلد لذا آثروا الاستغناء عن دراسة تراثهم...فراح إنتاج هؤلاء المفكرين في غياهب النسيان والتجاهل.

والجواب لا يتأتى إلاّ بالنظر في تاريخنا المجيد نظرة تبصّر وتحقيق، وحينئذ سنتأكد من أنّ رعيلاً من العلماء المجاهدين، وعلى رأسهم مهاجري المشرق العربي الذين نذروا أنفسهم، وأوقاتهم وجهودهم من أجل أن لا يظفر أعداء العلم والإيمان والإنسانية جمعاء ببغيتهم، واستطاعوا أن يورّثوا القيم التي ورثوها، عن أسلافهم لمن جاء بعدهم،

لقد كان الشرق كما جسَده المثقف الجزائري في أذهان المواطنين مهد الحضارة وحرم العروبة ومهبط الوحي ومن ثمة فهو حلم الخلاص، وطريق الوحدة الشاملة وكان التقاء المشاعر العربية على قضية واحدة في العصور التي ساد فيها الجمود واستولى فيها الأجانب على مقاليد الأمة العربية هو المظهر البارز للعروبة التي عاشت في كيان أمتنا جذوة وهاجة رغم المكائد والاستعمار والحواجز، وقد وقف كثير من الكتاب والأدباء الجزائريين يدعون الشعب، ويوجهون الشباب إلى الشرق لينهل من عمقه ويقتدي بزعمائه ويحفظ تراثه وهم إذ يرسمون هذا الاتجاه لا

PDF Compressor Free Version

يعنون بالشرق مصطلحه الجغرافي أو السياسي وإنما كانوا يقصدون الشرق في مفهومه العربي أو القومي، وذلك في مقابل اتجاه آخر حاول الاستعمار أن يعزى به طبقة من شباب الجزائر المثقفين... اتجاه غربي[1] يؤمن بالغرب في حضارته وماديته، ويعمل للغرب في يومه وغده، وبالتالي كان هذا الاتجاه يرمي إلى فصل الجزائر عن كيان الأمة العربية، وقد تصدى له أكثر من شاعر وأديب جزائري- كما رأينا- يُحذرون الشباب أن يقع في الأحبولة، أو يغتر بما في أسلوب هذا الاتجاه من بريق وخداع.

ومن جهة أخرى فقد حاولنا بمناسبة الحديث عن الشخصية الجزائرية استحضار البعض من الأسباب الظاهرة والخفية لتبلور هذه الشخصية وكذا محاولة الخروج بجملة النتائج والتأثيرات التي انعكست بها على الوسط الجزائري وإن نحن لم نصل إلى استيفاء جميع المعلومات عن هذا الموضوع فلعله من الممكن أن يكون عملنا المتواضع منيرا سبيل من سيأتي بعدنا لمعالجته بشكل أعمق.

1 - A.N.T, Série M.N, C15, Dossier3, N.P78, D.Ex 1915 «listes des étudiants Zitouniens sympathisant de la turque à surveiller par les contrôleurs civiles pendant les vacances d'été».

PDF Compressor Free Version

2. دوافع العمل وأهدافه:

تهدف هذه الدراسة من شموليتها وتطرّقها المدقق إلى جوانب الموضوع المدروس، كتدقيقنا وإحاطتنا التاريخية بمواضيع (الهجرة، البعثات العلمية، والأوضاع السياسية والثقافية في المشرق وتطور أدوار الجزائريين بالمهجر)، إلى توسيع المساحة التاريخية التي أعطيت لكثير من المفاهيم والشخصيات وإلى:

- إعادة الاعتبار لبعض الشخصيات الجزائرية التي قادت الحركة السياسية والتربوية والتعليمية والإصلاحية خارج قائمة الأسماء التي اعتدنا الحديث عنها من دون غمط حق الجميع.
- إعطاء مساحة أكبر لطبيعة الأدوار التي قام بها المهاجرون داخل المحيط التعليمي والصحفي والسياسي والثقافي والاجتماعي والجمعوي في كل من الجزائر والوطن العربي وهو ما يبرر إلى حد ما التوسّع في جوانب هذا الموضوع.
- محاولة الكشف عن عمق الاتجاه العربي الإسلامي والإنساني لدى الجزائريين الأوائل واستكمال الصورة العاكسة الحقيقية لما جمع بينهم وبين إخوانهم في المغرب العربي خصوصاً والعالم العربي عموماً من دماء ونضال إبان هذه الفترة.

PDF Compressor Free Version

- محاولة إثارة بعض التصورات أو إعطاء نظرة أخرى غير التي انطبعت في أذهاننا جرّاء التكريس التيَولوجي الهادف إلى أن الجزائر حقل لتجارب الغير بدءاً باليسار ونهاية باليمين، وأنها لم تكن لتنهض وتنفض الغبار عن نفسها وعن تراثها من دون تأثير شرقي منبَه أو وخز غربي موقظ!!

- ومما لا شك فيه أننا نطمح كغيرنا إلى التحري والبحث ومعرفة الحقائق التاريخية وإنه آن الأوان لدراسة تاريخ الجزائر من كل جوانبه الحضارية، والتخلي عن التاريخ الفئوي الانتقائي الذي يخضع لهوى الإيديولوجيات والتوجّهات، وبالتالي فإن هذا الموضوع بغير تلك النظرة حتماً سيَوحي بدراسة المساهمة الجزائرية في تطور البني الفكرية والسياسية والاجتماعية لأقطار في المشرق العربي.

3. الإشكالية:

إن كتابة تاريخ حركة الهجرة الجزائرية برمّتها يعتبر مهمّة طموحة للغاية، إذ أن الأمر يتعلق بشبه "تاريخ شامل"، وهذا يقتضي أيضاً كتابة التاريخ السياسي والفكري والثقافي والاجتماعي لكل الأقطار التي مارسوا فيها أنشطتهم ولربما يضاف إليها كتابة تاريخ شامل لمنطقة المغرب العربي، هذا الأخير الذي كان يجسّد في أغلب الأحيان الإطار العام لعملية الإسهام السياسي والجمعوي بين النخب المهاجرة، وهذا ما يدفعنا

PDF Compressor Free Version

مضطرين إلى الحديث عن موضوع الهجرة (دوافعها- مظاهرها- آثارها)، لأن نشاط هؤلاء الوطنيين هو في الأخير نشاط جزائري مهجري بعيداً عن الديار، وهو ما يستلزم التطرق للنشاط المهجري الجزائري عموماً والطلابي والحزبي والنقابي....على الخصوص، في منطقة العالم العربي، وهذا طبعاً عبر مراحل تاريخية ثلاث اعتمدناها كنظام تحقيبي للنشاط المهجري الجزائري (قبيل الحرب العالمية الأولى- ما بين الحربين- بعد الحرب العالمية الثانية).

وهذا يقتضي أيضا كتابة تاريخ الجمعيات الثقافية والحركات الفكرية والأدبية والروحية والطلابية والتيارات الشعبية، وباختصار يتعلق الأمر في مثل هذه الحالة بأن نتابع على محاور متعددة في نفس الوقت مسارات وحركات تسلسل جميع المهَجرين الجزائريين ضمن حركات التحرير الوطني بكمالها.

فهذا الموضوع يستمد أهميته ضمن تاريخ حركية الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية فلابد إذن من طرح تساؤلات جمّة تتعلق بجوانب مهمة في مسيرة هذه الحركة. فهل هناك تواصل حقيقي بين النخب الوطنية بالداخل والخارج؟ وإن حدث هذا التواصل فما هي طبيعته وخصوصياته؟ وما هي أهم دوافعه؟ وإن كانت لهذا التواصل المفترض ملامح وآثار، فما هي مظاهره السياسية والعسكرية والثقافية

PDF Compressor Free Version

والاجتماعية والجمعوية؟ وإذا كان النشاط السياسي والجمعوي في المشرق هو تجسيد مصغّر لنشاط الجزائريين في المهجر، فكيف كانت هذه الهجرات عموماً؟ ما دوافعها ومظاهرها؟ وكيف تجلّت إسهامات وأنشطة هؤلاء المهاجرين في الواقع السياسي والثقافي والنقابي والصحفي والجمعوي... في الأقطار التي هاجروا إليها ؟.

4. منهج الدراسة:

لدراسة هذا الموضوع وظّفنا المنهج التاريخي الذي يهتم بتتبّع الأحداث وتقديم وصف شامل ودقيق عنها، ويعطيها سياقا زمنيا يربط السابق باللاحق والمنهج التحليلي الذي يهتم بالبحث عن الأسباب وطلب التفسيرات ودراسة العوامل المؤثرة ومجالات التأثير، فالمنهج التاريخي التحليلي بأصوله وقواعده هو المنهج الذي يعتمد على رصد الأحداث التاريخية، ثم تحليلا موضوعيًا من أجل الوصول إلى معرفة أسبابها، وفهم التيارات التي أثّرت فيها والعوامل التي وجّهتها في الاتجاه الذي سارت فيه، وذلك بقصد الخروج بنتائج محددة تلقي الأضواء الكافية على الأحداث التي وقعت خلال مرحلة الدراسة كي تتضح لنا على حقيقتها.

كما أن دراسة بعض المضامين بالطريقة الإحصائية يمكن أن يساعد على رصد الأفكار والكشف عن اتجاهات خاصة عند دراسة وثائق

PDF Compressor Free Version

الحركة الوطنية والطلابية والإدارية، فالموضوع المبحوث يفرض منهجه، ونظرًا لتشعّب مفردات الدراسة بين ماض انقضى –من خلال المتابعة التاريخية- وحاضر قائم- بتفحّص مشكلات قائمة.. وهو ما يفسّر حرصنا على تبني منهج علمي دينامي مركب متعدد الأهداف والمهام هو المنهج الوصفي التاريخي التحليلي الاستقرائي لأجل امتلاك نظرة علمية حقيقية حول ماهية المهاجر الجزائري ومشكلاته وأنشطته...، وبالرغم من هذا الطرح المنهجي للموضوع فإن الكتابة التاريخية لا تخلو من المزالق ولذلك يصعب علينا كتابة تاريخ الجزائر المعاصر لأن الفترة تعرّضت لامتحانات وشخصياتها إلى هزات كما أن البعد الزمني عنصر أساسي في تفهّم المرحلة التاريخية.

5. **الدراسات والمعارف السابقة للموضوع:**

على الرغم من الأهمية التاريخية لموضوع الهجرة والمهاجرين الجزائريين فإن هذا الموضوع لم يحظ بالدرس والبحث من قبل الباحثين، وبما أن "الإستريوغرافيا" الحديثة تركز على دور الأشخاص في صنع التاريخ داخل التنظيمات والأحزاب والهياكل، لذلك يكون التركيز علي المذكرات والتراجم الذاتية والخطب والمراسلات والوثائق الشخصية، وعلى الرغم من قلتها، فإنها قد تمثل مادة رئيسية سنستند إليها في إنجاز هذه الدراسة بعد محتوى خزائن الأرشيفات المذكورة والشهادات الحية.

PDF Compressor Free Version

ومن المعارف العامة التي تناولت بعض فصول الموضوع نجد الصحف والدوريات الصادرة بكل من الجزائر والخارج والتي احتضنت أقلام المهاجرين الجزائريين ومحاولاتهم فالجرائد والمجلات وحتى النشريات الخاصة تُعد بمثابة المادة الخام ويمكن تكييفها منهجياً لتعطي المزيد من الإجابات والاستفسارات، كما سنعتمد على عديد المؤلفات التي تعد من المراجع المهمة لتاريخ الهجرة الجزائرية وأدوار المهاجرين وهذه المراجع يمكن تصنيفها إلى صنفين: مراجع لها أهميتها من حيث ارتباطها بالموضوع مثل كتب كل من: الجابري (محمد الصالح)، (التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، رحلات جزائرية، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس)- وحمادي (الساحلي)، فصول في التاريخ والحضارة، والخالدي (سهيل)، الإشعاع المغربي في المشرق ودور الجالية الجزائرية في الشام، وزوزو (عبد الحميد)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية، وبن قينة (عمر)، [صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة]، وهلال (عمار)، [الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية]، وهناك أيضا مؤلفات أبو القاسم سعد الله، كالحركة الوطنية الجزائرية، وتاريخ الجزائر الثقافي، وتجارب في الأدب والرحلة)، ولكن عيب هذه المؤلفات بالنسبة لدراستنا أنها جاءت شديدة الاختصار بالنظر

PDF Compressor Free Version

لدقة الموضوع وشموليته وأهمية هذه الدراسات تبدو في اعتمادنا إلى حد كبير على رصانة البحث وموضوعيته، ناهيك عن سلسلة كتب التراجم لصاحبها محمد عباس والتي تعد مصدرا ثميناً كرواد الوطنية، والإندماجيون الجدد، وفرسان الحرية، ومن الدراسات الأجنبية نجد كتابات كل من:

Bardin (pierre), Algériens et Tunisiens dans l'empire ottoman de (1948-1914-Benjamin (stora), Ils venaient d'Algérie l'Immigration Algérienne en France - Bruno (Etienne), les étudiants algériens en lutte, - Guy (Perville), les étudiants Algériens de Université française(1880-1962 - Haroun (Ali), Ma 7ème Wilaya la guerre du F.L.N en France , Bach- Hmba(A), le peuple Algero- Tunisien et la France, Rager (j-j), les Musulmans Algeriene en France et dans les pays Islamique- Servier 'A), le péril de l'Avenir le Nationalisme (en Egypte- en Tunisie- en Algérie

وفي نفس السياق تقريبا يمكن تحديد التصنيف الثاني من هذه المراجع التي ضمت مؤلفات ذات أهمية ثانوية تكميلية لموضوع الدراسة على شاكلة بعض المقالات لـ: حمادى (الساحلي)، والرويسي (يوسف)،

PDF Compressor Free Version

والتميمي (ع الجليل) وزوزو (عبد الحميد)، وبارنير (أندره)، "" الخ، وأغنينا البحث وتوسّعنا فيه بإطلاعنا على بعض الرسائل والأطروحات الجامعية مثل: بلقاسم (محمد)، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، خير الدين (شترة) إسهامات جزائرية في الحياة السياسية الفكرية التونسية، طرشون (نادية) الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام ، الماجري (عبد الكريم)، دور ومساهمة المغاربة في الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي قبل ح ع I ، وقد وفرت لنا كل هذه المصادر والمراجع معلومات متنوعة غطّت بعض جوانب موضوع بحثنا، وساعدتنا بالتالي على صياغته في خمسة فصول.

6. خطة الموضوع:

يتكون هذا المشروع من خمسة فصول ومقدمة وخاتمة وملاحق وفهارس. يتناول الفصل الأول الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي للجزائر «1900 – 1954»م تعرضنا فيه إلى أهم السّمات الأساسية للعصر الذي جاءت في سياقه حركة الهجرة الجزائرية نحو المشرق وهو أواخر القرن 19م/ 13هـ والنصف الأول من القرن20م/ 14هـ حيث تعرضنا إلى الحياة العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والتعليمية في الجزائر مبرزين أهم الأحداث السياسية، والتغيرات الاجتماعية والحضارية التي مسّت المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة منهين هذا الفصل بالتعرض

PDF Compressor Free Version
إلى خصوصية العلاقة بين الجزائر وبين المشرق العربي، وتحدثنا عن بواعث الصلة بين المشرق والجزائر، من دوافع الحضارية، وتاريخية ودوافع ذاتية كطلب العلم والصحافة والنهضة المشرقية وتأثير التيارات الفكرية، أما المبحث الثاني فقد عالجت فيه قضية الهجرات العلمية للجزائريين باتجاه المشرق العربي (مفهوم الهجرة ودوافعها عند الجزائريين- الرحلة العلمية.....).

أما في الفصل الثاني فقد تناولنا بالبحث حركة الهجرة الجزائرية عموماً، وإلى المشرق العربي خصوصاً وخلفياتها، مع تحليل بعض العوامل التي أدّت بعدد كبير من أبناء البلد إلى مغادرة الجزائر، كما يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كانت فكرة الهجرة ظاهرة عادية لا تتعدى البحث عن مصادر للرزق والعيش الآمن؟ أم أن هناك دوافع أخرى لها جذور عميقة وأسباب غير ظاهرة لنا؟ وكان بإمكاننا أن لا نربط هجرة الجزائريين إلى المشرق وغيره من البلدان بالموضوع الذي نعالجه، وأن نخصّص له دراسة مستقلة عن هذا الموضوع، ولكن لما كان للمهاجرين الجزائريين من مبادرات حسنة وأدوار مشهودة في الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية... الخ، شكلت في مرحلة زمنية دعماً قوياً للوطنيين المهاجرين، وسنداً عظيماً في أنشطتهم المتنوعة التي سنفصّل فيها في الفصول اللاحقة، ومن خلال مباحثه سنلحظ في كل مرة أن موضوع الهجرة

PDF Compressor Free Version

والمهاجرين يتكرر معنا مع كل إسهام أو أداء سياسي وجمعوي، ولهذه الأسباب وغيرها ارتأينا ربط موضوع الهجرة بالموضوع المدروس، كون الهجرة تمثل الإطار العام الذي تحرّك ونشِط من خلاله وبناءً عليه الوطنيون الجزائريون بالمهجر، وهو ما اضطرنا إلى إضافة فصل آخر (الفصل الثالث)، نناقش فيه تطور الهجرة الجزائرية وموقف السلطات الاستعمارية من الهجرة والمهاجرين، ومظاهر الهجرة الجزائرية ومصير إسهامات الوطنيين الجزائريين في الوسط المشرقي، بالإضافة إلى طرق موضوع آثار وانعكاسات أدوار النخبة المهاجرة في الحياة الجزائرية

أما في الفصلين «الرابع، والخامس» فقد جسّدنا فيهم المظاهر السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية التي شاركت في صناعتها العناصر الجزائرية بالمشرق والمغرب خلال الفترة المدروسة والتي تجلّت بشكل أوضح عقب نهاية الحرب العالمية الأولى والتي شكّلت خطاً فاصلاً بينها وبين ما سبقها من إسهامات نظراً لمتغيرات عميقة مسّت وكيّفت البيئة محل النشا ط، معتمدين على تحقيب تاريخي نراه مناسباً لمثل هذا النوع من الدراسات (ما قبل الحرب العالمية الثانية- ما بين الحربين- ما بعد الحرب العالمية الثانية) وضمن مباحث هذه الفصول سنعمد إلى توزيع النشاط بحسب مكانه (دول المشرق العربي).

PDF Compressor Free Version

ويمكن القول في الأخير أن ظاهرة الهجرة ظلت الدعامة القوية التي تشد الشعوب إلى بعضها بعضًا برغم تقلب العلاقات السياسية في بعض الفترات، فالقرابة وصلة الرحم كانتا في كل الظروف تتجاوزان الخلافات السياسية ونقاط الحدود، لقد تركز اهتمامنا على دراسة موضوع الهجرة لاقتناعنا بما لها من أهمية في الترابط التاريخي بين الشعوب، وخلق نسيج اجتماعي من شأنه تدعيم وتجذير أواصر القرابة وربط جسور التقارب والتعاون المشترك، والكشف من ثمة عن عمق الروابط التاريخية التي جمعت بين شعوب شقيقة تقاسمت المحن والنضالات ضد الاستعمار الأجنبي.

إن هذه الدراسة لا تدعي الشمول ولا الكمال على اعتبار أن الكمال يُنشد ولا يُدرك، ولكنها محاولة بذلنا فيها أقصى جهد، وقد تكون منطلقًا وحافزًا للعديد من الدراسات والبحوث التي تناول جوانب أخرى من هذا الموضوع.

وكان بإمكاننا أن لا نربط هجرة الجزائريين إلى المشرق وغيره من البلدان غير المشرقية بالموضوع الذي نعالجه وأن نخصص له دراسة مستقلة.. ولكن لما كان للمهاجرين الجزائريين في المشرق والمغرب من مبادرات حسنة متكاملة وأدوار مشهودة في الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية... شكَّلت في مرحلة زمنية سابقة دعمًا

PDF Compressor Free Version

قوياً للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية فيما بعد. ومسندًا عظيمًا في أنشطتهم المتنوعة.

وفي الأخير نرجو من الله التوفيق والعون وهو أهل لذلك. والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم لا رياء فيه ولا مراء.

PDF Compressor Free Version

الفصل الأول

الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي للجزائر "1900-1954"

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

تمهيد:

عرفت الجزائر الاستعمار الأوربي الحديث في وقت مبكر، بالمقارنة مع الدول الأخرى التي تعرضت للموجة الاستعمارية الأوروبية، خاصة الدول المجاورة لها وكانت الجزائر محل أطماع الكثير من الدول الأوربية التي تنافست من أجل الظفر بها، لكن في الأخير استطاعت فرنسا أن تنفرد بها.

جاء الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، انعكاسًا لظهور الحركة الاستعمارية منذ القرن التاسع عشر ولاحقًا، فقد تصاحب الاستعمار الحديث مع نهوض وتطور الثورة الصناعية التي قادت بعض الدول الأوربية ومنها فرنسا إلى سياسة التوسع والحماية، ويُقر أنصار الاستعمار أو منتقدوه، بأن الجوانب الاقتصادية وعلى الأخص (الربح) هي الحوافز الرئيسية للحركة الاستعمارية[1].

وفي الواقع؛ أن البورجوازية الحاكمة هي التي قادت إلى التوسع والاستعمار في القرن التاسع عشر وما بعده، فقد تضافرت مصالح المصارف الكبرى والصناعات الجائعة إلى المواد الأولية والأسواق مع الدعوة إلى الاعتزاز القومي والتعصّب أحيانًا، وهكذا فالاستعمار الحديث

1- فاضل(حسن)، التاريخ الأوروبي الحديث (1815-1939)، الموصل: مطابع دار الكتب، 1982م، ص. ص. 143-145

PDF Compressor Free Version

اقترن بصورة وثيقة بتطور الرأسمالية الغربية وقد تستّر هذا الاستعمار وراء واجهات سياسية وعسكرية وإستراتيجية وحضارية ودينية للسيطرة على الشعوب، وعليه لم يكن الاستعمار الفرنسي للجزائر يمثل حالة منعزلة في حد ذاتها، ولكنه تمّ في مناخ دولي تميّز منذ قرون سبقت القرن التاسع عشر باتساع رقعة الاستعمار الأوربي في كامل آسيا وإفريقيا فضلاً عن أمريكا اللاتينية[1]، ولهذه الأسباب كان الاحتلال الفرنسي للجزائر.

1. الوضع السياسي للجزائر «1898 – 1971»م:

جاءت الحملة الفرنسية في وقت كان حكم الداي في الجزائر يعاني من وضع أمني غير مستقر نتيجة لتمرد بعض القبائل الداخلية بزعامة رجال الطريقة الدرقاوية التي أرهقت نظام الحكم[2]، كذلك كانت الدولة الجزائرية تعاني من وضع اقتصادي مزعزع زاده اضطراباً الحصار البحري الفرنسي (1827-1830)[3].

فبعد حصار بحري دام ثلاث سنوات فرضه الفرنسيون على الجزائر لإضعافها ولجسّ نبض الدولة العثمانية والدول الأوربية ومعرفة

1- إبراهيمي (عبد الحميد)، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، بيروت: م.د.و.ج، 1996م.

2 - Ageron (CH.R), Histoire de l'Algérie contemporaine (que –sais –je ?) Paris, P.U.F.1977, P.8

3 - Mahsas (A), Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie., Paris: Ed, L'Harmattan, 1979, P.26

PDF Compressor Free Version

مواقفها المختلفة من احتلالهم للجزائر، جهّزوا حملةً ضخمة انطلقت من ميناء طولون الفرنسي يوم 25ماي1830م، يقودها الجنرال ديبورمون[1] Debormont ونزلت بميناء سيدي فرج[2] يوم 14جوان 1830م[3].

وبسبب ضعف الجيش الجزائري وقلة إمكانياته، وفي غياب خطة دفاعية لصدِّ الهجوم الفرنسي استولى الفرنسيون على ميناء سيدي فرج، وانتصروا على القوات الجزائرية في معركة اسطاوالي يوم 19 جوان 1830م، وبعد معارك طاحنة وشديدة بين الطرفين استسلمت الحكومة الجزائرية في 05 جويلية 1830 م، ووقّع كل من الداي حسين والكونت دي بورمون اتفاق الهدنة[4]، الذي يعني اتفاقية تسليم عسكري بين غالب ومغلوب[5] ، والتي تعهّدت فيها فرنسا بضمان حرية العمل بالدين الإسلامي، وحرية جميع الطبقات، والحفاظ على الممتلكات واحترام

1- **الكونت ديبورمون Debormont**: وزير الحربية الفرنسية، نفي إلى اسبانيا بعد الانقلاب الذي حدث ضد الملك شارل العاشر.

2- خليج صغير غرب الجزائر العاصمة، لم تتوقع القوات الجزائرية الهجوم منه، لذلك لم يكن محصنًا.

3- ناصر الدين سعيدوني: الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية (1827-1830م)، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الإعلام والثقافة،الجزائر، السنة الخامسة، العدد 28، أوت سبتمبر 1975م.

4- للاطلاع أكثر على نص الاتفاقية يراجع:

Bontens(Claude), Manuel des institutions Algériennes, T2, Paris: Ed. Lucas, 1976, P76.-

5- IBID, P.104

PDF Compressor Free Version

التقاليد الجزائرية وعدم السماح للجنود الفرنسيين بالدخول للمساجد الجزائرية[1]، وهذا ما لم يحدث. فقد أباح ديبورمون مدينة الجزائر للجنود الفرنسيين ثلاثة أيام، فنهبوا وخرّبوا وعاثوا فيها فساداً. لتُصدر السلطة الفرنسية بعدها قرار 1934/07/22م الذي نص على أن الجزائر «أرض فرنسية»[2]، ثم دعمته بقانون 1845/04/15م الذي ينص على تقسيم الجزائر أيضاً إلى ثلاث مناطق (مدنية- عسكرية- مختلطة) لتكتمل عملية الدمج مع دستور 4 نوفمبر 1848م، الذي اعتبر الجزائر في مادته 109: «أرضًا فرنسية»[3].

وأصبح سائدًا خلال الفترة ما بين (1870- 1898م) أنه لا لزوم لاعتبار الجزائريين كالفرنسيين، ولم يكن قانون الأهالي في عام 1874م سوى صياغة قانونية للممارسة القهرية التي كانت قائمة منذ عهد "بيجو" الذي منح ضباطه صلاحيات مطلقة بمعاقبة الجزائريين[4] وهي القوانين التي

1- صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر والطباعة، عنابة، 2005، ص. 188

2- Ageron, Op. Cit .P. 9

3- IBID, P.95

4- Kaddache (Mahfoud), Histoire du Nationalisme Algérien question Nationale et Politique Algérienne (919-1951), T1, Alger: S.N.E.D.1980. P.30

PDF Compressor Free Version

تشابه حسب قول أجيرون «تلك القوانين التي كانت تطبق على الأرقاء في جزر الأنتيل...».

إذن فالمستعمرون الفرنسيون مارسوا منذ بداية الاحتلال شتى أنواع الإبادة والاضطهاد القومي والحضاري في الجزائر، فقد تمثَّل حكمهم بإدارة مباشرة وإنكار أبسط الحقوق السياسية للشعب الجزائري بموجب مجموعة من القوانين: (قوانين 1830-1833 - 1844- 1846- 1855- 1861- 1871- 1887- 1900- 1918- 1919-1928)[1].

وكذلك ممارسة المسخ والاحتواء الثقافي للشعب الجزائري، والقائم على نشر اللغة العربية والثقافة الفرنسية واعتبارهما اللغة والثقافة الرسميين، ومحاربة اللغة العربية والمؤسسات الدينية، كما سنفصل في ذلك فيما بعد (قرار 1843-1884 قرار شوتان 1938)،. وطيلة فترة الاحتلال اتبعت فرنسا سياسة الإدماج والتجنيس من أجل أن تكون

1 – للمزيد عن تفاصيل هذه القوانين أنظر: – الهلالي(ع.الرزاق)، قصة الأرض والفلاح والإصلاح الزراعي في الوطن العربي، بيروت: دار الكشاف،1967، ص. ص. 151–176.– جان (دولف)، يقظة العالم العربي، بيروت: دار الكشاف، 1960، ص 243، ص. ص. 281–282.– حكمت(شبر)، الجوانب القانونية لنضال الشعب العربي من أجل الاستقلال، بغداد: دار الحرية للطباعة، 1975، ص. ص. 148– 150–154–159.– لاندا (ج)، تاريخ الثورة الجزائرية (1954 –1962)، موسكو: دار العلم للنشر، 1983م، ص. 21

الجزائر (ملكية فرنسية) وبموجب قرارات وإجراءات متعددة (قرار 1834-
PDF Compressor Free Version
1858-1863-1965-1881-1913-1946-1956...)[1].

لقد اعتقد الفرنسيون أن سقوط العاصمة سيؤدي إلى احتلال كامل القطر الجزائري في ظرف أسبوعين، ودون طلقة نارية واحدة على حد تعبير ديبورمون، وبدأ الجيش بالتوغل نحو المناطق الداخلية، لكنه اصطدم بمقاومة شعبية عنيفة، حيث بايع سكان معسكر وضواحيها الحاج عبد القادر بن محي الدين ليكون أميراً عليهم، وكان عمره أربعًا وعشرين سنة، وذلك في نوفمبر 1832م والذي قاد مقاومة منظمة في غرب الجزائر، واستطاع أن يحقق الكثير من الانتصارات على الفرنسيين إلى غاية توقيع اتفاق التسليم لا الاستسلام سنة 1847م[2] والذي اشترط فيه الأمير عبد القادر على الفرنسيين شروط عديدة منها السماح له بالمغادرة نحو المشرق؛ هو ومن يرتضي له ذلك، ولكن الفرنسيين أخلفوا العهد وسجنوه في سجن أمبواز بفرنسا، فبدت الاتفاق وكأنه استسلام للأمير.

وتزامنت مع هذه المقاومة، مقاومة أخرى قادها الحاج أحمد باي، وهي لا تقل أهمية عن مقاومة الأمير عبد القادر فقد وقف الحاج أحمد باي ندًا قويًا للاستعمار، وتفوّق عليه في كثير من المواجهات، لكن

1- المالكي (أحمد)، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، بيروت: م.د.و.ع، 1994م، ص. ص. 166- 179

2- صالح فركوس، المرجع السابق، ص.ص. 201-205.

PDF Compressor Free Version

عدم تكافؤ القوى ومحدودية إمكانياته جعلته يستسلم أمام الضربات الفرنسية[1] بخاصة بعد تفرغ الجيش الفرنسي للقضاء على مقاومته بعد الهدنة التي عقدها الفرنسيون مع الأمير عبد القادر سنة 1836م.

واستمر الرفض الجزائري للاستعمار عن طريق الثورات والانتفاضات الشعبية، وظهرت مقاومة الزعاطشة في بسكرة سنة 1849م، ومقاومة لالة فاطمة نسومر في بلاد القبائل سنة 1852م وثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871م، وثورة بوعمامة سنة 1881م، التي استمرت إلى غاية سنة 1904م، ومع بداية القرن العشرين اندلعت ثورة عين التركي التي قادها يعقوب بن الحاج في نواحي مليانة سنة 1901م، وثورة بني شقران في ضواحي مدينة معسكر، وثورة أولاد سلطان الأوراس سنة 1915م[2]، وتميزت هذه الثورات والانتفاضات بتباعدها في الزمان والمكان، واختلفت الأسباب التي اندلعت من أجلها كل ثورة، لذلك استطاع الاستعمار الفرنسي أن يقضي عليها.

وحتى مطلع القرن العشرين تتابعت هذه الثورات فكانت ثورة عين التركي عام 1901م وانتفاضة عين بسام عام 1906م وثورة بني شقران

1- نفسه، ص. 208

2- رأفت غنيمي الشيخ: التاريخ المعاصر للأمة العربية الإسلامية، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992، ص. 93

PDF Compressor Free Version

عام 1914م وثورة الأوراس عام 1915م[1]، وبينما لجأ هؤلاء إلى العمل العسكري، استعملت الجزائر الفتاة طريق العرائض والوفود والإضرابات وصخب الشوارع[2]، أن هذا التكتيك الجديد للضغط مع بعض الثورات المتجددة قد جعل الجزائر تبدو باستمرار في حالة غليان وعدم استقرار.

ليس الغرض في هذا المبحث استعراض تفاصيل النضالات السياسية التي خاضها الشعب الجزائري خلال هذه المدة فهذا الموضوع لا يتسع له المقام من جهة، كما أنه لا يزال مجهولاً في معظم جوانبه من جهة أخرى، وإنما الغرض هو دراسة الواقع العام للجزائر والجزائريين خلال هذه الفترة ومحاولة فهم حالة الهجرة والمهاجرين والمهجرين؛ دوافعها الحقيقية وانعكاساتها السلبية والايجابية على الأمة الجزائرية...ففيما عدا جانب المقاومة المسلحة التي لنا عنها لمحات متقطعة ومعالم غير مكتملة الصورة فإن الأشكال الأخرى للنضال والتصدي للاحتلال تكاد تكون مهملة تماماً وسنكتفي في هذا المقام

1- Agéron (Ch .R), L'Algérie Algérienne de Napoléon III à De gaulle, Paris: Sinbad, 1980, P.P. 39-61

- راجع أيضاً : بوعزيز (يحي)، ثورات في القرنين (19-20)م، الجزائر: دار البعث، 1980م ، ص. ص. 286- 288

2- للتوسع أكثر راجع: سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، ط4، ج2 بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص. 102

باستعراض موجز للملامح العامة لهذا النضال السياسي في الفترة ما بين (1900-1954).

PDF Compressor Free Version

لقد خلق فشل المقاومة الشعبية حالة من الذهول والذبذبة والارتباك في المجتمع الجزائري غير أن هذه الحالة لم تصل إلى درجة اليأس والقنوط بل حالة عبّرت عن الحيرة والبحث عن الطريق الذي يؤدي إلى قلب ميزان القوى لصالح الشعب الذي يرفض العبودية والقهر[1]، وتُعد سنة 1908م البداية الحقيقية للنشاط السياسي للجزائريين نظراً لما شهدته الجزائر من تطورات سياسية هامة على الصعيدين الخارجي والداخلي[2].

كان للسياسة الفرنسية في الجزائر منذ بداية الاحتلال سنة 1830م ثلاث أهداف رئيسية هي:

- الأول: جعل الجزائر مقاطعة فرنسية بكل ما يحمله المعنى من أبعاد.
- الثاني: طمس التاريخ والشخصية الوطنية الجزائرية وإزالتها من الاعتبار.

1- قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص. 157

2- للتوسع أنظر: جلال (يحي)، الثورة العربية، بيروت: دار المعرفة، 1959م، ص. 83 وما بعدها.

PDF Compressor Free Version

- الثالث: قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تبديها أمن فرنسا في الجزائر، واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف.[1]

وسعيًا منها لتجسيد تلك السياسة الرامية إلى بسط نفوذها بالجزائر عمدت إلى إصدار جملة من القوانين والإجراءات الممهدة لمشروعها الاستيطاني الذي يسمح لها بابتلاع الجزائر وجعلها جزء لا يتجزأ من فرنسا[2]، ففي 22 جويلية 1834 أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها المشهور الذي اعترف بالاحتلال كحقيقة واضحة وأن الجزائر أرض فرنسية، وأنشئت لذلك منصب حاكم عام للإدارة والممتلكات الفرنسية في إفريقيا الشمالية، واتبع هذا القرار تصريح دستور 1948 الذي نص على أن الجزائر جزء مكمل لفرنسا، ومن ناحية أخرى أكدت الحكومة الفرنسية دعمها المادي والمعنوي للمعمرين قصد تشجيع استقرارهم في هذه الأراضي الشاغرة حسبها[3].

1- سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص. 89

2- بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص. 198

3- بوعزيزيحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1954/1830، ط1، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1991م، ص. 24

PDF Compressor Free Version

وفي عهد الجمهورية الثالثة 1870 – 1941 قامت الحكومة الفرنسية أيضاً بإصدار تشريعات جديدة تخدم المصالح الفرنسية والأوربية من بينها إنشاء منصب حاكم عام مدني وقرار آخر يلحق الجزائر بفرنسا وذلك عن طريق دمج شؤونها في مختلف الوزارات الفرنسية بباريس بالإضافة إلى تدعيم القانون الذي صدر في 14 أكتوبر 1870م (Crémieux) كريميو والذي منح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر دون مطالبتهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية.[1]

وإلى جانب هذه القرارات سنّت السلطات الاستعمارية قوانين أخرى كان أهمها قانون الإدماج (Assimilation) الذي يعني في قاموس السياسة الفرنسية إلحاق الجزائر بفرنسا وجعلها مقاطعة من مقاطعاتها وقد شرع في تطبيق هذه السياسة بعد مرسوم جوان 1870م حيث قسّمت الجزائر إلى ثلاث ولايات في الشمال (الجزائر، قسنطينة، وهران) كانت تابعة إدارياً لوزارة الداخلية الفرنسية، وقد تعزّزت هذه القوانين الاستثنائية بقانون الأهالي Code de lindegenet الذي صدر سنة 1887م في عهد الحاكم العام ألبرت قريفي وتدعّم سنة 1886م في عهد تيرمان (1882

1- بلاح البشير: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، ج1، الجزائر، دار المعرفة، 2007، ص. 53

PDF Compressor Free Version

- 1891م) ومن خلاله أعطيت السلطات الاستعمارية صلاحيات استثنائية (مما كرست المزيد من الهيمنة على الجزائريين)[1].

كما نجد أن الجزائريين كانوا محرومين من حقوقهم السياسية ومجردين بشكل سافر من ممتلكاتهم، ويشدد عليهم الخناق في كل المجالات، ونجد أن المعمرين تمكّنوا في العقد الأخير من القرن 19م من إقناع الحكومة المركزية بإعطاء نوع من الحرية في تسيير شؤونها بنفسها بسبب اختلاف الوضعية الداخلية لسكان الجزائر عن وضعية سكان فرنسا[2].

وفعلاً فقد كانت لسكان الجزائر ميزانية خاصة مستقلة ابتداءَ من سنة 1900م يُسيرها المجلس المالي الذي أنشأ سنة 1889م، وأصبح الحاكم العام هو الذي يتخذ القرار النهائي لتنفيذ مقترحات المجلس المالي، مما زاد من قوة المعمرين في التحكم في مصير الشعب الجزائري[3]. هذه القوانين والمراسيم الاستثنائية الفرنسية كانت بمثابة تحد أبداه الفرنسيون للجزائريين وقد تولَّدت عنه ردود فعل مختلفة من المقاومة الجزائرية[4]،

1- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 20

2- العقاد صالح، المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب) ط3، المكتبة لأنجلو مصرية، القاهرة، 1989، ص. 71

3- فرحات عباس، ليل الاستعمار: تعريب أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص. 95

4- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص. 107

PDF Compressor Free Version

وفي هذا الصدد كتبت صحيفة «الشرق الجزائري» في عددها الصادر بتاريخ 29 جوان1891م مقالاً يدعو إلى ضرورة إبعاد الجزائريين المسلمين إلى الصحراء، وورد أيضاً مقالاً في جريدة «صدى وهران» في عددها الصادر بتاريخ 29 جوان 1871م مقالاً يطالب فيه صاحبه بضرورة القضاء على نفوذ قوة الجزائريين المسلمين، وعدم السماح لهم بأن يعملوا أو ينشطوا في أي ميدان كان ثقافيَا أو سياسيَا[1].

وكانت بداية مرحلة الحكم المدني الفرنسي في الجزائر مباشرة بعد الإطاحة بنابليون الثالث والإمبراطورية الثانية في صيف عام 1870م، وقيام الجمهورية الثالثة، حيث رحّب المستوطنون بهذا النظام الجديد، لأنه خلَّصهم من السلطة العسكرية[2]، التي شكَّلت أكبر عقبة أمام طموحاتهم في حكم الجزائر. وتبنَّت حكومة الدفاع الوطني بمجرد وصولها للسلطة، جـملة من القوانين والإجراءات تخص الجزائر، بلغت ثمانية وخمسين قراراً في ظرف خمسة أشهر، من أهمها قرار يقضي بإنشاء منصب حاكم مدني، وآخر يلحق شؤون الجزائر كلها بالوزارات المختصة في باريس،

1- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط7، ج4، الجزائر، شركة الأمة للطباعة والنشر، 1994، ص. 331

2- أجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، بيروت: منشورات عويدات، 1982م ، ص. 25

PDF Compressor Free Version

إضافة إلى تقسيم الجزائر إلى ثلاث ولايات مدنية في الشمال ومنطقة عسكرية في الجنوب[1].

وفي كل ولاية نوعان من البلديات، وهي بلديات كاملة الصلاحيات أين يكثر عدد المستوطنين ويختار المستوطنون رئيس بلديتهم من بينهم، يساعدهم جزائريون تُعينهم السلطات الفرنسية وبلديات مختلطة حيث يقل عدد المستوطنين، ويعين والي الولاية إداريين فرنسيين يسيرون شؤونها، يساعدهم جزائريون تُعيَنهم أيضاً الإدارة الفرنسية، أما المكاتب العربية فأصبحت مقصورة على منطقة الجنوب العسكرية[2].

وأصدر النائب الفرنسي اليهودي كريميو cremieux مرسومًا في 24 أكتوبر 1870م، يمنح اليهود الجنسية الفرنسية باعتبارهم مواطنين فرنسيين، دون التخلي عن أحوالهم الشخصية، وشمل هذا المرسوم 30.000 يهودي[3] ، مما فتح أمامهم المجال للتقدم في مجال الاقتصاد والمال والتحكُّم في ثورات الجزائر.

1- خرشي جمال، الاستعمار وسياسة الاستعمار في الجزائر 1830- 1962 م، تر: عبد السلام عزيزي، الجزائر، دار النهضة ، 2009، ص. 276

2- ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق (مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية)، ط2، الجزائر، عالم المعرفة، 2009.

3- جوليان شارل أندري، إفريقيا الشمالية تسير، تر: سليم المنجي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص. 327

PDF Compressor Free Version

أما الجزائريون فقد زادت معاناتهم أكثر في هذه الفترة، واشتدَّت عليهم وأرغموا على التنازل عن أراضيهم وممتلكاتهم لصالح المستوطنين، وأصبحوا عبيدًا لدى السادة الفرنسيين، الذين فرضوا عليهم قوانين استثنائية اضطهادية، كان أقساها قانون الأهالي الذي صدر بعد ثورة المقراني والشيخ الحداد سنة 1871م، ووسعت صلاحياته بعد ثورة 1881م التي قادها بوعمامة[1]، ونظراً لما يملكه المستوطنون من قوة وضغط في المجلس الوطني، وفي المجالس المالية، صدر قرار في 23 أوت 1898م أعطى الحاكم العام كل السلطات بخصوص الشؤون العسكرية والمدنية في الجزائر باستثناء العدل والتربية، ليَدعم بذلك موقف المستوطنين الطامحين لتحقيق استقلال ذاتي عن فرنسا، وأصبح للحاكم العام مجلس استشاري ونواب ماليون يضمون جزائريين مسلمين موالين لفرنسا، وفرنسيين منتخبين وكلِّلت هذه الإجراءات بقرار 19 ديسمبر 1900م، الذي أعطى الاستقلال الذاتي المالي للجزائر وأصبحت لها ميزانيتها الخاصة التي يقترحها الحاكم العام ويناقشها النواب الماليون[2] وهكذا فإنه مع بداية القرن العشرين حقَّق المستوطنون طموحاتهم في تأسيس حكم ذاتي مالي في الجزائر.

1- مولود قايد، ثورة سنة 1871م ونتائجها، مجلة الأصالة، تصدر على وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الرابعة، العدد 23، جانفي- فيفري 1975، ص. ص. 61، 62

2- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. ص. 27، 28.

PDF Compressor Free Version

وفي ظل عدم الاستقرار في الجزائر خاصة بعد ثورة عين التركي عام 1901م، والإجراءات الردعية التي صدرت على إثرها والجدل الذي قام داخل المجلس الوطني الفرنسي حول شرعية المحاكم الردعية، والهدف من تطبيق السياسة الاندماجية[1] كان الرئيس الفرنسي لوسي Lousse آنذاك أكثر تجاوباً مع تطلعات الجزائريين، حيث صرّح أن سياسته كانت ضد الاندماج وأكَّد لهم بأن فرنسا ستترك لهم الحرية في ممارسة دياناتهم، والبقاء على حضارتهم وتقاليدهم القديمة[2]، والواضح أن هذه الوعود هدفها إطفاء غضب الجزائريين، لأن الفرنسيين ضلُّوا يمارسون سياستهم التعسفية المنافية لكل العهود السابقة.

وعلى العموم فما ميّز الأوضاع السياسية لمطلع القرن20م هو تنامي نفوذ المستوطنين الذين كانوا يرفضون كل الإصلاحات التي كانت السلطات الاستعمارية تسعى إلى للجزائريين فقد طالبوا بالاستقلال المالي فاضطرت السلطات الاستعمارية تحت ضغط مطالب المستوطنين أواخر القرن 19م إلى إنشاء النيابات المالية Délégation Financière في 25 أوت 1898 مع الاحتفاظ بمهمة الإشراف على المداخل والجباية الجزائرية[3].

1- المرجع نفسه، ص. 82

2- العقون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي السياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1، ط2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008، ص. 29

3- بلاح البشير، المرجع السابق، ص. 235

PDF Compressor Free Version

لكن المستوطنين قلّلوا من شأن ذلك المكسب وتابعوا احتجاجاتهم فرضخت الحكومة والجمعية الوطنية في نهاية المطاف، وأصدر البرلمان قانون 19ديسمبر 1900م، والذي منح المستوطنين بمقتضاه السلطة في الميزانية الاقتصادية والاجتماعية للجزائر فهو مظهر من مظاهر الاستقلال المالي فقد أصبحت الجزائر إقليمًا سياسيًا يتمتع بشخصية مدنية ولها الحق في إقامة منشآت خاصة بمصالحها كخطوط السكك الحديدية وغيرها.[1]

لكن نتائجه على الجزائريين أصبحت أسوأ مما كانت عليه كون هذا القانون يخدم مصالح عُشر من السكان الذين ينحدرون من الأوربيين واليهود وحرمان تسعة أعشار من المسلمين من الحقوق التي يتمتع بها أي إنسان يقيم في أرض آبائه وأجداده، فقد أعطي من خلاله للكولون سلطة كاملة للإشراف على المداخيل والمصاريف المتعلقة بالميزانية الجزائرية فقد كان في استطاعتهم استعمالها كما يشاءون.[2]

وفي مطلع القرن العشرين ظهرت جماعة المحافظين، وكانت تمثل أصحاب التوجه العربي الإسلامي والمعارض للأفكار الغربية، عرّفهم سعد الله بقوله: «.. هي كل الطبقات الجزائرية التي قبلت المحافظية بمعنى

---

1 – الدسوقي ناهد إبراهيم، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بالحركة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين(1918 – 1919)م، منشأة المعارف، مصر، 2001، ص. 56

2 – سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 196

بقاء الحالة الراهنة لمعارضة الأفكار الغربية والتجنيس... وكل الخطط التي قد تدخل تغييرات متطرفة إلى المجتمع الجزائري»[1] والتي تتشكل في الغالب من العلماء ورجال الدين وزعماء القبائل والطرق الصوفية... ولم يكن هؤلاء مندمجين في تنظيم واضح ولكن نشاطاتهم وأفكارهم كانت واضحة وقد طالبوا بالمساواة ودعوا إلى الجامعة الإسلامية[2]، «وأغلبهم انغمس في الغموض الديني والسلبية المجردة...».

PDF Compressor Free Version

ومن أبرز الشخصيات التي مثَّلت هذه الكتلة، محمد بن أبي شنب وسعيد بن زكري، وحمدان لونيسي، محمد بن رحال، مولود بن موهوب، عبد القادر المجاوي أبو القاسم الحفناوي...3، ويعود لها الفضل في حركة الإحياء العربي وغرس البذور الأولى للنهضة التجديدية الأدبية والتاريخية والفنية... الجزائرية. ويتلخص برنامج المحافظين في عدة مبادئ أهمها: الإصلاح داخل الإطار العربي الإسلامي ورفض التجنس والتعليم الفرنسي الإجباري والمطالبة بتنظيم المدارس العربية والمساواة في الحقوق السياسية وهدم التدخل في العادات والتقاليد المحلية.[4]

1- نفسه، ص. 152

2- Collot (C), Henry (J.R), Le Mouvement National Algérien (Texte), (1912-1954), Paris: Ed. L' Harmattan, 1978, P. 23

3- مربوش أحمد، القضايا الوطنية في اهتمامات الأنتلجانسيا الجزائرية ما بين 1876-1927م النخبة المثقفة أنموذجا، مجلة حولية المؤرخ، العدد الثاني، 2002، ص. 223

4- الجيلالي عبد الرحمن، المصدر السابق، ص. 384

PDF Compressor Free Version

ولم يعارض كل زعماء هذه الكتلة الإصلاح، فالذين عارضوه كانوا متخوِّفين من أن يؤدي ذلك إلى دمج الجزائر في فرنسا، أما المنادون بالإصلاح فكانوا منقسمين إلى قسمين، قسم أراد التغيير بشرط أن يكون في الإطار العربي الإسلامي، أما القسم الثاني فقد ذهب إلى حد تشجيع التعليم باللغة الفرنسية للجزائريين ومن أنصار هذا الجناح، ابن الموهوب وبن رحال، ومحمد بن أبي شنب وأبو القاسم الحفناوي[1].

وعاصر زعماء كتلة المحافظين الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد رضا وتأثَّروا بأفكارهم التي كانت تنشرها "مجلة المنار"، و"مجلة العروة الوثقى" وهي أفكار تدعوا إلى الجامعة الإسلامية، كما تأثَّروا بأفكار محمد عبده الإصلاحية خاصة بعد زيارته للجزائر في سنة 1903م[2]، وكان منهجه في الإصلاح يقوم بالدرجة الأولى على إصلاح الفرد، ووجد أساس هذه الفكرة في قوله تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُمْ**

1- أحمد مريوش، القضايا الوطنية في اهتمامات الأنتلجانسيا، ص. 224

2- علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925الى 1940)، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر 2007، ص. 36

PDF Compressor Free Version

﴿مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[1]، وهي الفكرة التي أصبحت شعار الإصلاحيين في الجزائر[2].

أما الكتلة الثانية وهي جماعة النخبة، التي عرّفها "علي مراد" بقوله: «...أنها جماعة تُحسن اللغتين، وينتمون إلى الطبقة المثقفة فأضحت مشتتة بين حضارتين عربية وفرنسية...»[3]، وقامت حياة هذه الجماعة على تبني أفكار الغرب ووسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه ظهرت منهم في مطلع القرن العشرين طبقة اجتماعية عُرفت باسم لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين التي يعتبرها كلود كولو، وجان روبير هنري: « أنها بداية لظهور الأحزاب السياسية منذ 1912م[4]...» ويعتقدان بأن أعضاء بلدية الجزائر العاصمة هم الذين أنشأوا هذه اللجنة...[5] وكان هؤلاء الشبان يُلقبون عام 1901م "بالشباب التركي" وقد

1- سورة الرعد، الآية 11.

2- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2002، ص. 53

3- Merad (A), "Conformation de Presse Islamique en Algérie, IBLA N°02, VOL 127,1964, P.13

4- Collot, Henry, OP.Cit, P.P. 13-24

5- Ibid .P.24

PDF Compressor Free Version

تميزوا بنشاطات اجتماعية وثقافية فأنشئوا النوادي والجمعيات مثل الرشيدية (1902م) ونادي صالح باي عام 1907م...[1]

وفي رأي أجيرون «بأن الشبان الجزائريون استخدموا من أجل إسماع أصواتهم وإعلان آرائهم صحافة معتدلة اللهجة محررة باللغة الفرنسية...»[2]، كما قام الشبان بمبادرات مطلبية وذلك بإيفادهم بعثات إلى باريس وتوقيعهم عرائض عامة وتنظيمهم مظاهرات جماعية[3]، وظهرت مطالبهم في جريدة (الإسلام) عام 1911م التي نادوا فيها بالاندماج، لكن المنعرج الكبير الذي عرفته هذه الجماعة كان بعد اتصالهم بالأمير خالد سنة 1913م.

وتشكَّلت هذه المجموعة من الجزائريين الذين درسوا وتخرّجوا من المدارس الفرنسية، وأغلبهم من حاملي الشهادات والدرجات العلمية، فمنهم المحامون والقضاة والأطباء والصيادلة والصحفيون والمترجمون، ومن أهم أعضائها أحمد بوضربة[4]، ابن

1- Kaddach, Op. Cit, T1. P.75

2- Ageron, Histoire, T2, P.318

3- Kaddach, Op. Cit, T1. P.75

4- **أحمد بوضربة:** ولد سنة 1868م تقلد عدة مناصب منها قيادة الوفد المدافع عن حقوق الأهالي سنة 1908 ومحامي في محكمة الاستئناف بالعاصمة كان عضوا في حركة الشبان الجزائريين. للمزيد أنظر: – جغلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر. سليم قسطون: ط1، بيروت، دار الحداثة، 1984، ص.39.

بريهمات[1]، الطيب مرسلي[2]، محمد بن رحال، محمد صوالح، الأمير خالد، عمر بوضربة، وفرحات عباس[3]. تميّز أعضاء هذه الكتلة بنشاطهم السياسي، واستغلوا قربهم من الإدارة الفرنسية لتحقيق أهدافهم وطموحاتهم، وأسسوا جريدة (المشعل) في سنة 1904م، وجعلوها منبراً لأفكارهم وتوجهاتهم التي تدعوا إلى الاندماج وأخذ الجنسية الفرنسية، والتعايش جنبًا إلى جنب مع الفرنسيين ونبذ التعصّب والرجعية، وانتقدوا المحافظين واتهموهم بالتعصّب الديني وعدم مسايرة التقدم، وفي سنة 1908م، أسسوا لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين، التي أرسلت عدة وفود وعرائض إلى الحكومة الفرنسية احتجاجًا على قانون التجنيد الإجباري، مثل الوفد الذي قاده عمر بوضربة سنة 1908م، وكان أول وفد جزائري يسافر إلى فرنسا منذ 1833م، حيث تكفَّل بشرح القضية الجزائرية أمام

PDF Compressor Free Version

1- **ابن بريهمات أحمد:** ولد بالعاصمة ودرس بالمدرسة السلطانية قبل إلغائها عام 1870 وتخرج منها، يحسب من رواد الفئة الاندماجية. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص. 249

2- **الطيب مرسلي:** ولد بوهران سنة 1956 تعلم بالثانوية العربية تقلد عدة مناصب منها: عضو قيادي في حركة الشبان الجزائريين بمنطقة قسنطينة. للمزيد أنظر: - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص. 252

3- أحمد مريوش: القضايا الوطنية في اهتمامات الأنتلجانسيا، ص. ص. 223- 224

PDF Compressor Free Version

رئيس الوزراء الفرنسي حينها "جورج كليمانصو"، وقدَّم إليه عريضة باسم الجزائريين تُعبر عن مطالبهم[1].

وكان لهؤلاء دور كبير وفعال في التعبير عن المطالب الإصلاحية للحركة الشبانية والتي كان أهمها: الحصول على مقاعد في البرلمان الفرنسي والسماح بالمشاركة في الانتخابات المحلية والاعتراف بالشخصية الجزائرية والمساواة في دفع الضرائب وإلغاء قانون الانديجينا وكافة الإجراءات الاضطهادية.[2] ويرجع ظهور هذه العينة بصورة خاصة إلى سياسة فرنسا التعليمية بالجزائر، فمنذ البداية عمل أرباب السياسة والتربية الفرنسيين على عزل الجزائريين عن الثقافة الجزائرية الإسلامية ومنحهم مقدارا محددا من الثقافة الفرنسية.[3]

وبالفعل نجد أن الأمير في هذه الانتخابات المحلية تعد بداية تحول النخبة الجزائرية التي انشطرت إلى نخبة وطنية بزعامة الأمير خالد والحاج موسى ونخبة اندماجية بزعامة ابن التهامي وولد عيسى[4].

1- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 182

2- بوحوش عمار، العمال الجزائريون في فرنسا، دراسة تحليلية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1975، ص. 93

3- حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر (1870 – 1914م)،ج2، شركة الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ص. 135

4- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 163

PDF Compressor Free Version

كما أن وجود شخصية شارل جونار على رأس الإدارة الفرنسية كان له اثر ايجابي في تغيير السياسة الفرنسية لصالح الجزائريين ولو بالشيء القليل حيث عين على رأس الولاية العامة للجزائر أول مرة سنة 1900م وكان من الدعاة المؤمنين بأن سياسة الإدماج التي اتبعت تجاه (الأهالي) إلى حد الآن كان مآلها الفشل بسبب المقاومة الشديدة التي أظهرها الجزائريون حفاظًا على مقوماتهم الوطنية والإسلامية، ويعتبر جونار الشخصية الفرنسية الوحيدة التي استطاعت حتى ذلك العهد أن تعطي لنفسها وجهًا من السياسة المرنة المعروفة بتعاطفها مع الاتجاه العربي الإسلامي في الجزائر، بعد أن برهنت سياسة البطش والقمع طيلة 70 عامًا (1830-1900) على فشلها وعقمها وعجزها على كسب قلوب الجزائريين وإن احتلت أراضيهم[1].

لذا انتهج جونار سياسة جديدة اعتقد أنها سوف تحقق الأهداف الاستعمارية التي ترمي حكومة فرنسا إلى تحقيقها في هذه البلاد منذ بداية استعمارها، تعمل على إتباع سياسة في الميدان الثقافي تنطلق من الأسس التالية :

1- صالح الخرفي، مدخل إلى دراسة الأدب الجزائري الحديث، مجلة الثقافة، ع21 الجزائر: (جوان – جويلية1974)، ص. 6

PDF Compressor Free Version

- إحياء فن العمارة الإسلامية .
- بعث التراث الوطني المكتوب .
- التقرّب من طبقة المثقفين وتشجيعهم على القيام بمهامهم القديمة كتقديم الدروس في المساجد.
- تجديد برامج التعليم في المدارس العربية الإسلامية .[1]

والجدير بالذكر أن تشجيع جونار للجانب الثقافي قد أثَّر في بروز حركة ثقافية نشطة وقد كان أول قرار يتخذه لتدعيم هذه السياسة هو تخصيص مبلغ 15.000 فرنك فرنسي أضافها إلى المنح المقدمة لطلبة المدارس العربية والفرنسية التي تكون إطارات في ميدان التعليم والقضاء، كما خصّص 15.000 فرنك لتشجيع التأليف وطبع المنشورات في الجزائر، ومما لا شك فيه أن هذه السياسة الفرنسية الثقافية أدَّت إلى بروز نخبة من المثقفين وظهور عدد من النوادي والجمعيات الثقافية وإنتاج عدد من الكتب وظهور الصحافة العربية لذا استفادت البلاد من الحركة غير المقصودة من طرف السلطات الاستعمارية[2].

وما أن قامت الحرب العالمية الأولى وجرى تطبيق قانون التجنيد الإجباري حتى أخذ أغلب الجزائريين البالغين «يفرون إلى شواهق الجبال

1 – سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 167

2 – المرجع نفسه ، ص. 164

PDF Compressor Free Version

حتى بلغ عدد اللاجئين مائة وعشرون ألفًا، ونشأ عن ذلك اضطراب كبير أدى إلى مظاهرات عدائية، قُتل فيها عدد من الموظفين والمعمرين الفرنسيين وفرقت فرق من المجنّدين الأهالي»[1]، الأمر الذي جعل حكومة باريس تشعر بالخطر الذي يهددها في الجزائر، فبدأت تُلوَح بالوعود الخلابة والمستقبل الأفضل حيث صرّح وزيرها "كليمنصو": «إنه قد حان الوقت الذي يفسح فيه المجال للجزائريين كي يتمتعوا بسائر الحقوق المدنية...»،[2] وقد ساهمت الجزائر طوعًا وكرهًا بما ينيف على 170.000 جندي في هذه الحرب دافعوا ببسالة عن العاصمة الفرنسية في صيف 1914م توفي منهم 25000 في ساحة القتال فيما غادر الجزائر ثلث الرجال (119.000 سنة 1918م) ليخلفوا في المصانع الفرنسيين العمال المجندين[3].

كما عرفت الجزائر في هذه الفترة أسلوب جديد في المقاومة السياسية وتشكيل وفود وتقديم العرائض (المطالب) فقد شهدت سنة 1908م إعلان النخبة عيد ميلاد نواة هامة جمعت عناصر قائدة تدعى

1- الفاسي (علال)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المغرب: دار الطباعة المغربية، 1948م، ص. 11

2 - Abdurrahman (Taleb. Ben Diab), Chronologie des Faits Et Mouvements Sociaux Et Politiques En Algérie (1830-1954), Alger: Imprimerie Centre,1983, P.33

3- العروى (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، ج3، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999م، ص. 189

PDF Compressor Free Version

"لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين" وكان من أبرز عناصرها قائد النخبة اللائكية الشريف بن حبيلس، وعمر بوضربة، والحاج موسى، وابن التهامي...، وكانت هذه الجماعة السباقة للأخذ بمثل هذه المبادرة بغرض الدفاع عن الجزائريين وذلك لغياب التمثيل الشرعي الوطني باستثناء تلك المحاولات التوفيقية التي التي بادر بها بن رحال.[1] قد صحّ القول أن مبادرة النخبة في العاصمة كانت ترعى مصالحها أولاً قبل مصالح الجزائريين.[2]

كما نسجل في مطلع سنة 1912 م تأججاً للأوضاع السياسية يرافقها حراك اجتماعي متزايد حيث كثرت العرائض الداخلية وبدأت حركة الاحتجاجات والاضطرابات، أين سعت النخبة كعادتها إلى المبادرة والبحث عن مخرج من هذه الوضعية الحرجة والمتأزمة التي لم تكن في صالح فرنسا ولا في صالحها (النخبة) باعتبارها صاحبة الامتيازات، ولذلك نشطت الحركة الشبانية التي أطلقت على نفسها حركة الجزائر الفتاة وأحياناً حركة الشباب الجزائري.[3]

1 – سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية، ج2، ص. 186

2 – بوعزيز يحي، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال النصوص(1912 – 1948) ط1، الجزائر: 1991، ص. 23

3 – سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية، ج2، ص. 180

PDF Compressor Free Version

وترجع أول عرائض النخبة إلى تاريخ 27 ماي 1912م بحيث بعثت عريضة إلى الحكومة الفرنسية والمجلس الوطني تضمّنت جملة من المطالب على رأسها إلغاء قانون التجنيد الإجباري الذي جاء معادياً للديمقراطية وكذا مدة الخدمة العسكرية وتعويض الأهالي وإلغاء قانون الأهالي.[1]

و في عام 1913 م تمكَّن قادة حركة الشباب الجزائريين من التفاهم والتحالف مع شخصية جزائرية مرموقة على الساحة السياسية الفرنسية والمتمثلة في شخصية الأمير خالد[2]، الذي كان بدوره يطالب بإصلاحات سياسية على نظام الحكومة في الجزائر كما قام بدور ايجابي فيها تقرر يوم 02-04-1914م تشكيل الاتحاد الأنديجيني الجزائري الذي كان القصد منه إقامة تعاون بين العرب وفرنسا وسار الأمير خالد على نفس النهج الذي كانت تتبعه حركة الشباب الجزائريين فطالب بالتعليم للمسلمين وتمثيلهم في المجالس المحلية وفي البرلمان الفرنسي وإلغاء القوانين

---

1 – المرجع نفسه ، ص. 185

2 – **الأمير خالد:** ولد الأمير خالد بمدينة دمشق بسوريا في 20 –02 –1875 وتربى وحفظ القران الكريم وانتقل مع والده إلى الجزائر وفيها تابع دراسته الابتدائية ومنها التحق بباريس وحصل على شهادة البكالوريا في العلوم .التحق بالمدرسة العسكرية عام 1892 دون رغبة منه ففرضت عليه الإقامة الجبرية مع عائلته في بوسعادة حيث جند في الحرب العالمية الأولى واعفي منها سنة 1915 ثم تقاعد سنة 1919 ساهم في ميلاد الصحافة والمسرح نفي في 1923 إلى سوريا وتوفي بها سنة 1936 م .

PDF Compressor Free Version

الاستثنائية التي كانت تطبق على المسلمين فقط، وطالب كذلك بحماية عمال الجزائريين في فرنسا[1].

والحق أن الأمير خالد اتضحت مطالبه السياسية أكثر ما بين 1919-1922م ونادى ببرنامج إصلاحي قائم على فكرة المساواة وأخذ الجنسية الفرنسية كما أسّس جريدة الإقدام[2]. التي تعد أول جريدة عربية تصدر في الجزائر تمثل هذه الروح الوطنية الخالصة ولذلك فلا غرابة أن نجد الأمير يربط بين جانبي الدين والوطن؛ بل اعتبر أن صمود الجزائريين في وجه الاحتلال واستماتتهم في المقاومة مردها إلى المقوم الديني الذي ضمن بقاء الشخصية الإسلامية عبر العصور التاريخية وبالخصوص منذ الاحتلال الفرنسي بالجزائر سنة 1830م.

وسياسياً دائماً شهدت سنة 1919م انقسام جماعة النخبة على نفسها حول مسألة الاحتفاظ بالأحوال الشخصية الإسلامية مقابل الحصول على المواطنة الفرنسية، وتزعّم التيار الأول المعروف بالتيار الليبرالي عدد من أبرز وجوه حركة الجزائر الفتاة في الفترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، أمثال ابن التهامي، وصالح دندن، ومحمد صوالح والدكتور

1- بوحوش عمار : تاريخ الجزائر السياسي، ص. ص. 206-207.

2- **الإقدام** : أصدرها الأمير خالد في 02-1919 بمعية زملائه كالصادق دندان والحاج علي وكانت ناطقة بالفرنسية وبعد انقسام النخبة أصبحت تصدر بالعربية والفرنسية وتولى الأمير الإشراف على القسم العربي للمزيد أنظر: - ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1980م، ص. 49

PDF Compressor Free Version

تمزالي، أما التيار الثاني المعروف بتيار المساواة والمطالبة بالمواطنة الفرنسية مع الحفاظ على الجنسية الجزائرية فقد تزعمه حفيد الأمير عبد القادر؛ الأمير خالد بن الهاشمي، الذي بدأ نشاطه السياسي بشكل حقيقي سنة 1919م عندما توجّه على رأس وفد إلى مقر انعقاد مؤتمر الصلح بباريس، وقدَّم عريضة إلى الوفد الأمريكي تتضمن مطلب تطبيق تقرير المصير للشعب الجزائري الذي نادى به الرئيس ويلسون[1].

كما شارك في انتخابات المجلس البلدي في العاصمة في نوفمبر 1919م، وهي الانتخابات التي اقترحها إصلاحات فيفري1919م، وحقق فيها نتائج كبيرة[2]، وشارك في انتخابات المستشارين في البلديات في جويلية 1921م، وقبلها انتخابات 1920 الخاصة بالمجالس المالية والعامة، وحقق فيها هي الأخرى نتائج ايجابية، مما جعل خصومه وعلى رأسهم بن التهامي يتهمونه بممارسة نفوذه الديني وقامت الحكومة العامة في الجزائر بالتضييق عليه ثم نفيه من الجزائر سنة 1923م[3].

1- خيثر عبد النور وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954)، منشورات المركز الوظيفي للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص. 245

2- الفاسي (علال)، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، مصر: المطبعة الفنية، 1971م، ص. 81

3- Abdurrahman (Taleb), OP. Cit, P.P. 34-39

PDF Compressor Free Version

إذن تعتبر سنة 1919م سنة بارزة في تاريخ الاستعمار في الجزائر ففيها صدر قانون 04 فيفري 1919م الذي يمنح بعض الحقوق السياسية لبعض الجزائريين والذي أحدث خيبة أمل كبيرة في أوساط النخبة الذين كانوا يتوقون إلى الحصول على المواطنة الفرنسية[1]، ومما أدى إلى انقسامهم فيما بعد إلى تيارين متنافسين في انتخابات المجلس البلدي لمدينة الجزائر (نوفمبر 1919م)، حيث ظهرت قائمتان في الانتخابات قائمة تزعمها صويلح وبن تهامي وبوضربة وتامزالي والتي تطالب بالجنسية الفرنسية بدون أي شرط مشكِّلين بذلك جماعة عُرفت بـ(رابطة العمل الفرنسية الإسلامية) والقائمة الثانية تزعمها الأمير خالد الذي طالب بالمساواة والحفاظ على الأحوال الشخصية وعلى ذلك فخلال الفترة القصيرة التي مارس فيها الأمير خالد نشاطه السياسي في ظِّل المؤسسات الاستعمارية نشأ ما يسمى بالشعور الوطني في الجزائر، غير أن الاستعمار كان قويًا جدًا رغم بروز الإشارات الأولى لانهياره، فقد جعل استئناف النمو الديمغرافي الجزائري للاحتفاظ بموطنه وهمًا، لقد عادت المدن لتصبح جزائرية فتشكَّلت بورجوازية تجارية خاصة، وطبقة عمالية جنينية، ولاسيما الفئات الشعبية المدنية المكوّنة من صغار التجار

1- قنان، المرجع السابق، ص. 180

PDF Compressor Free Version

والحرفيين والموظفين[1]، هذه المجموعات هي التي ستكون القاعدة الاجتماعية لسائر مكونات الحركة الوطنية بتياراتها (الراديكالي- الإصلاحي- الإدماجي...)[2].

كما أنه خلال هذه الفترة تراكمت انتلجنسيا من طراز جديد حيث برز بشكل متزامن قطبان يتكاملان أكثر مما يتناقضان قطب ناطق بالفرنسية وآخر بالعربية، كما تولّدت بعد الحرب ظاهرة دعم وتأييد للصحافة الوطنية، فكل اتجاه سياسي أو ثقافي كان له صحافته الخاصة التي تعكس برنامجه، حيث دعت إلى الوحدة بين الجزائريين[3] وتنظيم صفوفهم وهذا بنشر الوعي وإيقاظ الضمائر وتحريك الهمم مما كان له أثر الفعال في تنشيط العمل السياسي باتجاه المزيد من الإصلاحات.

كما كان للعمال دورهم في مسيرة العمل الوطني والمغاربي على الرغم من خضوعهم للنقابات العمالية الفرنسية وبذلك سارت الحركة

1- جغلول (عبد القادر)، المرجع السابق، ص. 82

2- للتوسع حول هذا الموضوع راجع : - بوعزيز (يحي)، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، الجزائر: د.م.ج. 1986م، ص. ص. 4-51

- مناصرية (يوسف)، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين، الجزائر: م.و.ك، 1988م، ص. ص. 21- 26

- أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفياتي، تاريخ الأقطار العربية المعاصرة (1917- 1970)، ج2، موسكو: دار التقدم، 1976م، ص. ص. 328-333

3- سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. ص. 311-314 راجع أيضاً : - مهداوي (محمد)، البشير الإبراهيمي (نضاله – أدبه)، سوريا: دار الفكر، 1986م، ص. ص. 18-20

PDF Compressor Free Version

السياسية والاجتماعية والثقافية في مسارات واحدة على الصعيدين الوطني والمغاربي- العربي، لكن الاتجاه العمالي لم يقو وتظهر أفكاره وتنظيماته الوحدوية إلا في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وخلال فترة العشرينيات واكبت النهضة الأدبية المغاربية النهضة الثقافية والسياسية وهي وإن أدّت دورها بلغة المستعمر إلا أنها فكّرت بروح عربية مسلمة[1] حرّكت الأفكار للرد على الخصم الاستعماري بلغته وتعريف الرأي العام الفرنسي عن طريق مختلف وسائل الإعلام العلنية والسرية بمطامح الشعب العربي في الجزائر وقد دام هذا الوضع حتى فترة الثلاثينات.

إن هذه الاتجاهات الإصلاحية والاندماجية والاستقلالية طبعت مسيرة الكفاح المسلح الجزائري منذ مرحلة العشرينيات وحتى فترة الحرب العالمية الثانية حيث بدأ الاتجاه الاستقلالي يطبع الحركة الشعبية عامة، وقد جسّد أحد رواد العمل السياسي خلال فترة العشرينيات هذه المرحلة بقوله:« أن الجزائر تتطور سياسيًا في نطاق محدود فالرأي العام يوجه توجيهًا ضيّقًا، حتى يخنق فينعدم والناس تستهويهم مشاحنات

1- داهش (محمد علي)، دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب، 2004م، ص. 15.

- فركوس (صالح)، أصالة وتغريب (مشروع فرنسا الصليبية والمجابهة الإسلامية)، الجزائر: دار الكوثر، 1992م، ص. ص.45-85

PDF Compressor Free Version

الأفراد أكثر مما تستهويهم سياسة البلاد، وإن عقلية القبيل والقال تسيطر على الأفكار وتجعل من الخزعبلات الصبيانية سياسة الوطن العليا فنحن تحت سيادة الإقطاعيات»[1].

وبعد رحيل الأمير خالد[2] بدأت الحركة الوطنية الجزائرية تسير وتتطور رغم استخدام الشدة والعنف ضدها حيث أخذت الجمعيات والهيئات السياسيـة في الظهور، وأخذت اتجاهاتها في الوضوح خصوصًا في الثلاثينات[3] وهي الفترة التي تمّ فيها تحديد اتجاهات هذه التيارات السياسية.

❖ مثَّل أقصى اليمين رجـال الطرق الصوفيـة الذين تعاونوا مع الاستعـمار نظير الاحتفاظ بامتيازاتهم المادية ونفوذهم في الأهالي.

1- عباس (فرحات)، حرب الجزائر وثورتها (ليل الاستعمار)، تر: أبو بكر رحال، الجزائر: منشورات الشركة الوطنية للنشر والإشهار، 2005م، ص120. راجع أيضاً : - جلال (يحي)، العالم العربي الحديث والمعاصر، ج2، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1998م، ص. 675

2- وفي نعيه للأمير خالد بجريدة الشهاب وصف الشيخ ابن باديس ظروف الجزائر حينها بقوله: «.. كانت الجزائر في تلك الأوقات تعاني أزمة من أغرب وأفتك الأزمات،... فالحقوق معدومة والمظالم مرهقة، والضرائب فادحة، والأحكام الزجرية قاسية رهيبة... ولا يكاد يجتمع ثلاثة من المسلمين حتى يكون البوليس رابعهم، وقد انحطت الأخلاق تجاه هذه النكبات وألفت النفوس الخنوع والانزواء، ومن تكلم أو تحرك عُد ثائرًا مقاومًا للسلطة... ». أنظر: - الشهاب، فيفري 1936م.

3- عن هذه الاتجاهات وتعدادها راجع: جلال (يحي)، السياسة الفرنسية في الجزائر (1830-1960)، مصر: دار المعرفة، 1959م، ص. ص. 276- 279

PDF Compressor Free Version

- ❖ مثّل اليمين المعتدل؛ المنتخبين والنواب الجزائريين الذين يسعون في الوصول بأنفسهم وبأبناء بلدهم إلى الحصول على الحقوق المدنية الفرنسية.[1]
- ❖ مثّل الوسط؛ العلـماء الذين اعتزوا بشخصيتهم المستمدة من اللغة العربية والدين الإسلامي على السواء ورفضوا فكرة التجنيس[2].
- ❖ جسّد اليسار جمعية نجم شمال إفريقيا التي ضمّت إليها العمال الجزائريين والمغاربة في فرنسا.[3]
- ❖ وجسّد أقصى اليسار الحزب الشيوعي الجزائري مع فكرة الانترناسيونال.[4]

وسنلاحظ أن قوى اليمين المتطرف قد احتفظت مع تطـور الحركـة الوطنية الجزائرية وسارت قوى اليمين المعتدل، وقوى الوسط صوب اليسار في خطوات سريعة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية مما

1- عنهم راجع: جلال (يحي)، المغرب الكبير، ج4، بيروت: دار النهضة، 1981م، ص. ص. 215- 219

2- جلال (يحي)، السياسة الفرنسية، ص. ص. 278- 281

3- نفسه، ص. ص. 283-286. وأيضا: جلال (يحي)، المغرب الكبير. ج4، ص. ص. 221- 234

4- راجع. أكاديمية العلوم، المرجع السابق، ص. ص. 328 – 333

PDF Compressor Free Version

أدى إلى خروج ثورة الجزائر الكبرى سنة 1954م بشكلها واتجاهاتها الواضحة.

لقد ارتبطت الحركة الإصلاحية الجزائرية بتطور الوعي الوطني وبفعل انتشار الروافد الشرقية (صحف – كتب – زيارة شخصيات ...)، وكذا إنشاء النوادي والجمعيات والأحزاب السياسية والصحف، وقد تحكمت في تطورها عوامل وظروف خاصة كما أنها ظهرت كنتيجة للصدمة الحضارية التي طغى بها العالم الغربي على باقي الشعوب، فأضحى هو الخصم والحكم والمعيار.

وكانت هذه الحركة من حيث منطلقاتها استمراراً وتواصلاً لكفاح الجزائريين في شكل مطالب سياسية وحركة اجتماعية وثقافية بعد المآل الفاشل الذي آلت إليه المقاومة الشعبية المسلحة في صدها للعدوان الصليبي الاستعماري خلال السنوات الفارطة (1830- 1919م)، ومن خلال هذا الواقع تطورت الحركة الإصلاحية الجزائرية منذ دعوة الأمير خالد التي كانت تطالب بالمساواة في الحقوق والواجبات والمحافظة على المميزات الشخصية الإسلامية للجزائر، قبل أن تأخذ الحركة طابعًا سياسيًا وعملاً إصلاحيًا حيث تبلوّر هذا التيار في تنظيم حزبي سياسي، بدأ نشاطه

في أوساط العمال المهاجرين بفرنسا «منظمة نجم شمال إفريقيا»[1] عام 1926م. بينما غلب على التيار الثاني وهو الإصلاحي الاهتمام بالواقع الجزائري، حيث تركَّزت جهود رجاله وفي مقدمتهم الشيخ بن باديس وصحبه على بعث الأمة الجزائرية العربية الإسلامية[2].

PDF Compressor Free Version

وتجنبًا للتفاصيل التاريخية والتحاليل السياسية العديدة فإننا نُجمل القول في هذا المجال بأن التوجه الإصلاحي بشقيه بزعامة مصالي الحاج[3] فيما بعد، والسلفي العامل على بعث مقوَمات الأمة الجزائرية

1- عن تطور هذا الحزب راجع: قنانش (محمد) – قداش (محفوظ)، نجم الشمال الإفريقي (1926 – 1937). الجزائر: د.م.ج. 1984م، ص. 12 وما بعدها – عبد الحميد (مسعود)، حقيقة الجزائر. مصر: دار الكتاب العربي 1956.

2 – سعيدوني (ناصر الدين)، الجزائر منطلقات وآفاق. بيروت: دار الغرب الإسلامي. 2000م، ص. 213.

3 – **مصالي الحاج بن أحمد (1898– 1974)**: ولد بتلمسان من عائلة فقيرة –وكانت فترة طفولته معاناة– في عام 1898م. وفي عام 1918م يستدعى للخدمة العسكرية وفي فرنسا انتسب إلى جامعة بوردو كمستمع حر وفي عام 1920 يعود إلى الجزائر، حيث فشل في العثور على عمل سنة 1923م عاد إلى فرنسا واشتغل في مهن حرة، في عام 1926 تولى عضوية نجم شمال إفريقيا. وكان ضمن الوفد الشيوعي في مؤتمر بروكسل وفي 1929م يتم حل النجم ويعيد تجديده سنة 1933م. وبعد فراره من السجن عام 1935م إلى جنيف يعود إلى فرنسا مع صفوف الجبهة الشعبية سنة 1936م، وبعد حل النجم يؤسس حزب الشعب الجزائري في مارس 1937 لكنه أودع السجن فيما بعد، وبعد معاناة كبيرة يسرّح سنة 1946م ليعلن عن تأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وفي فيفري 1952م ينفى إلى فرنسا، ومع إعلان الثورة في نوفمبر 1954م، تنتهي حياة مصالي السياسية وبقي معزولاً عن وطنه إلى أن توفي في فرنسا.

– Méssali (Hadj), Les Mémoires de Messali Hadj, Paris: Ed J.C.Lattre,1982.

PDF Compressor Free Version

الذي تزعمه ابن باديس واجه في الميدان وفي معترك العمل الاجتماعي والسياسي نموذجًا آخر من التوجهات والسلوكات يمكن أن نطلق عليه التوجه الاستيلابي أو التيار الاندماجي.

غير أن فرنسا حكمت وفقا لآراء الجزائر الأوربية قصد إسكات اعتراضات المستوطنين ولكنها خسرت حظوة المسلمين.. وكان ليوتي LYOUTEY يرى في عام 1923م: «أن تلك كانت سياسة مجرمة حقًا»[1]، ولم يلبث أن اقتنع بذلك الحاكم اليعقوبي "فيوليت" VIOLETTE الذي عرض مشروعًا يحمل اسمه لكنه قوبل بالرفض من طرف الأوروبيين.. مما حدا به إلى أن يصدر كتابه في عام 1931م بعنوان: «هل تدوم الجزائر»، حيث أوضح مطالب الشبان الجزائريين قائلاً: «إذا اقترفت فرنسا الخطيئة التي لا تغتفر فلم تفهم هؤلاء الشبان فإنهم سينساقون كما في الهند الصينية إلى شعور وطني ساخط»[2]، كما أن الذكرى المئوية للاحتلال التي أحتفل بها احتفالاً مهينًا للمسلمين يمكن أن تُحدد التاريخ الذي بدأ به انفصال الصفوة الجزائرية عن المطالب السابقة.

- Méssali (Hadj), Le Problème Algérien Appel aux Nations Unies, Paris: Imp. du château d'eau, S.D, P.P.19-42

1 - أجيرون، المصدر السابق، ص. 119

2- نفسه، ص. 120

PDF Compressor Free Version

ففي عام 1927م ظهرت شخصية مصالي الراديكالية أين أسس حركة وطنية استقلالية.. كما ظهرت بعدها بقليل جمعية العلماء التي شرعت في إعادة الإيمان والإسلام إلى صفائه الأول فكانت مولدًا للنزعة القومية، وما من شك في أن العلماء وفي مناخ المعارضة القوي بين أعوام (1933-1936) م قد وطَّدوا نفوذهم ووجهوا الرأي العام الإسلامي لصالحهم.

أما الشبان الجزائريون أنصار الدمج فإنهم بالعكس لم يستطيعوا الحصول على شيء رغم تشكيل بن جلول وفرحات عباس لاتحاد المنتخبين الأهليين في عام 1927م «حيث انهالت خيبات الأمل»[1]، وكان لا بد من انتظار عام 1936 م حتى نرى تجسيدًا لسياسة جديدة للحركة الوطنية الجزائرية، ذلك أنه مع انتخابات الجبهة الشعبية أعيد الأمل إلى الجزائريين المسلمين وانعقد المؤتمر الإسلامي الأول في جويلية 1936م والذي قرر في نهاية دورته الثانية، بعد العودة الفاشلة للوفد في أوت 1937م بالتخلي عن مشروع (بلوم – فيوليت) وبقتل سياسة الإدماج.

إن الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال (1930- 1935م) قد جعلت بعض الفرنسيين لا يصدق أن الجزائريين الذين كانوا في نظره هادئين وموالين لفرنسا سنة 1930 م يصبحون بعد خمس سنوات يشكلون خطرًا

1- نفسه، ص. 143

PDF Compressor Free Version

داهمًا[1] ، فابن باديس مثلاً في الفترة الأولى أثناء العشرينات كان يحبذ العمل المنظم الهادف ولكن دون ضوضاء وصخب، سواءَ منها السياسية التي تثير أحقاد المستعمرين أو الدينية التي تمزق كلمة المسلمين لذا بدأ يعمل مباشرة بعد عودته من تونس لنشر العلم والتربية الإسلامية دون أن يُسيء إلى أحد أو جماعة فقال: «العمل لطمأنينة الضمير هو العمل المنتج في مثل هذه البلاد» وجعل عنوانًا لأولى مقالاته في الشهاب، كما قال: « إن جوّ بلادنا المتأخرة لا ينفع فيها إلا العمل في جو هادئ، لا لغاية سوى لإرضاء الضمير ولكي يكون العمل منتجًا...»[2]، وقد استمر يعمل على ضوء هذه القناعات إلى أن نشر نداءه المشهور بمجلة الشهاب «هل من حازم يوفق لتأسيس جمعية العلماء»[3] وفي 05ماي1931م تأسست بالجزائر العاصمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.[4] «على أن جمعية العلماء اقتصر عملها على الصعيدين الثقافي والديني ونظرت إلى الأوضاع الاجتماعية نظرة سطحية، وطرحت المشكلة السياسية بكيفية غير سديدة ولكن هذا كله أن هو في الواقع إلا نوع من المحاولات لإصلاح ما أفسده

1- سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص. 53

2- الشهاب، ج1، مج7، فيفري 1931م.

3- الإبراهيمي (محمد البشير)، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر: دار الكتب، 1982م، ص. ص. 46-47

4- عن التأسيس راجع: بن العقون (عبد الرحمان)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر (1936-1945)، ج1، الجزائر: م.و.ك، 1984م، ص. ص. 160- 166

الدهر وشكل من أشكال النزعة المحافظة المتنكرة في ثوب جديد، لأن برنامجها في الحقيقة لا يزال يفتقر للثقافة الصحيحة المنشودة..».[1]

PDF Compressor Free Version

فالحركة الباديسية ليست حركة إصلاحية بالمفهوم الضيّق لكلمة "إصلاح" وإنما كانت أعمق من ذلك وأبعد مما نتصور؛ فهي وإن لم تُوفق في الجانب السياسي والاجتماعي -بحسب رؤية مصطفى الأشرف السابقة- فيكفي أنها حملت مشروع حضاري إسلامي ضخم، كان همه: «استحداث التغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وفق التصّور الإسلامي للأشياء»[2].

وفي مرحلة الثلاثينات ظهر أيضاً لفيف حزبي آخر عمل على تنشيط الساحة السياسية لكن بتوجيهات أممية ألا وهو الحزب الشيوعي الذي ظهر إثر الحرب العالمية الأولى مباشرة، وكان قد ربط دعوته في بداية أمره بشخص الأمير خالد، وترجع جذوره الأولى إلى مولد (الإتحاد الثقافي للعمال الجزائريين) الذي تكوّن في سنة 1902م بفرنسا، وصار بعض أعضاء هذا الإتحاد من أبرز العاملين في الحزب الشيوعي بالجزائر بعد الحرب.

1- الأشرف (مصطفى)، الجزائر: الأمة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، الجزائر: م.و.ك، 1983م، ص. 243

2- فركوس، المرجع السابق ، ص 83. للمزيد راجع: - جلال يحي، السياسة الفرنسية، ص. ص. 278–279.

PDF Compressor Free Version

حيث تكوّن من ثلاث اتحادات سميت "باتحاد الحزب الاشتراكي الجزائري" تبنت كلها الشرط (16) و(18) من شروط العضوية في الأممية الشيوعية، وبقيت هذه الاتحادات منقسمة إلى غاية مستهل سنة 1925م حيث تقرر تأسيس الحزب الشيوعي بالجزائر[1]، وابتداء من سنة 1934م استقل هذا الحزب وأصبح جزائريا حيث أصدر برنامجه في أكتوبر 1934م، وفي سنة 1936م أيد الحزب الشيوعي الجزائري مطالب ميثاق المؤتمر الإسلامي وأكد على وجوب تطبيق مشروع بلوم فيوليت، وفي مؤتمره التأسيسي الأول في 18/17 أكتوبر 1936م بالجزائر حدَّد مذهبه النهائي بدقة والذي هو "إنقاذ الجزائر من الدمار والانحطاط والموت..."، وعلى العموم فإن هذا التنظيم لم يأت بشيء جديد فيما يتعلق بالمسألة الوطنية[2].

إن الأحداث الوطنية التي شهدتها الجزائر في العشرينيات، والتي طرحت قضية الحرية بمفهومها السياسي هي ذاتها التي ألهبت الحرية بمفهوم الإبداع، يقول محمد النيال في تقديمه لكتاب (زين العابدين السنوسي) الأدب التونسي في القرن الرابع عشر: «... أليس نبوغ الواحد من هؤلاء لا ينشأ إلا بانتصار خُلق الحرية فيه على ناحية من نواحي

1- مناصرية، الاتجاه الثوري، ص. ص. 21-22

2- فضلاء (محمد الحسن)، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج3، الجزائر: دار هومة، 2000 م، ص. 186

PDF Compressor Free Version

طباعه المكتسبة بالوراثة والتقليد...»[1]، أن هذا الموقف المتمرد غذّته وفجّرته سلسلة من الأحداث الوطنية بلغت ذروتها في الثلاثينات، فالعبقرية هنا ليست فردية بقدر ما هي عبقرية مجتمع هيّأ الأسباب لكهربة الإحساس المرهف في السياسي والمصلح والأديب والشاعر، ومن الناحيـة السياسية كانت مرحلة مـا بعد الحرب العالمية الأولى حافلة بالفعل ورد الفعل بين المستعمِر والمستعمَر، زاخرة بالانتفاضات الحزبية والتكتلات الوطنية، والتصادم مع قوات الاحتلال، ويعتبر حزب نجم شمال إفريقـيا من أكثر الأحزاب السياسية تصعيدًا مع الاستعمار خلال هذه المرحلة وذلك نظرا للمواقف الثورية والمعارك السياسية العنيفة التي خاضها أعضاء هذا الحزب ضد الوجود الفرنسي بالجزائر[2]، ويرجع الفضل في تأسيسه إلى الحاج علي عبد القادر عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي في الفترة الممتدة من 1924 إلى 1925م، ومن الناحية النظرية كان الشاذلي خير الله رئيسًا للحزب خلال مرحلة التأسيس (15 جوان 1926م)، ومنذ 1927م أصبح الحزب جزائريًا[3]، حيث استطاعت النجمة بقيادة أمينها العام السابق السيد مصالي الحاج أن تجمع في

1- تونس: الدار التونسية للنشر، 1979م.

2- الخرفي (صالح)، حمود رمضان، الجزائر: م.و.ك، 1985م، ص. 26

3- Ageron (ch-R), Histoire de l'Algérie contemporaine (que-sais-je), Paris : P.U.F, 1977, P. 350

PDF Compressor Free Version

صفوفها جميع العناصر الجزائرية المتحمّسة للعمل من أجل خلْق كتلة وطنية ضد الأوربيين في الجزائر واسترجاع السيادة الوطنية للجزائر[1]، لهذا قامت فرنسا بحله أكثر من مرة.. وكان قادة الحزب (عيمش علي- مصالي الحاج - راجف بلقاسم...) يُعيدون تأسيسه بتسميات مختلفة إلى غاية شهر نوفمبر من سنة 1936 م، أين بدأ مصالي الحاج يُظهر الاعتدال في موقف الحزب بحيث أعلن أنه مستعد للتخلي مؤقتًا عن مطالبه المتعلقة باستقلال الجزائر وأنه يكتفي بمنح الحريات الديمقراطية «وكان هدفه من وراء ذلك هو عدم تقسيم المسلمين»[2]، وفي خضم مجريات المؤتمر الإسلامي والفشل الذريع الذي لحق بمهمة الوفد في باريس، قرر مصالي الحاج أن ينقل نشاطه إلى داخل الجزائر ومنافسة خصومه هناك.

وبدءًا من جانفي 1937م بدأت السلطات الاستعمارية والصحافة الفرنسية تعمل على تحريك الرأي العام ضد مصالي الحاج واتهامه بأنه يريد إقامة دولة جزائرية مستقلة «لا تقبل أن تكون مرتبطة بفرنسا »[3]، وفي يوم 26 جانفي 1937م تمكن الحاكم العام للجزائر "لوبو Le Beau" من

1- للاطلاع على هذه النصوص راجع:

- André (Nouschi), La Naissance du Nationalisme Algérien, Paris: Ed. de Minuit, 1962, P.62

2- Ageron, Histoire de L'Algérie, P. 354

3- Benjamin (Stora), Messali Hadj (1898-1974), Paris: Le Sycomore, 1982, P. 159

PDF Compressor Free Version

الحصول على مرسوم من حكومة الجبهة الشعبية يقضي بحل حزب النجم، حيث اندهش مصالي من إقدام الحكومة على حل حزبه فكتب عنوانا رئيسيا في جريدة "الأمة" التي يصدرها الحزب كما يلي: «لقد خانونا»[1].

وبعد أن يئس من استئناف نشاطه في إطار حزب " نجم شمال إفريقيا " قرّر مصالي الحاج إنشاء حزبه الجديد وهو حزب الشعب الجزائري في 11 مارس 1937م ويبدو أنه قد أدخل تعديلات جزئية على برنامجه فأصبح يركز على التجارة والفلاحة والإسلام، وتجنبًا لضغوط الاستعمار حاول مصالي أن يكون معتدلاً حتى لا تنقطع الصلة واللقاءات بين أعضاء الحزب وهكذا قرر مصالي وأنصاره أن يكون الشعار الجديد لحزبه هو: «لا للاندماج، لا للانفصال، لكن نعم للتحرر»،[2] ورغم ذلك فقد أدانته محكمة الجزائر هو وثلاثة من زملائه بالسجن لمدة 24 شهرًا بتهمة التآمر على السلطة الجزائرية ليَصدر في 26 سبتمبر 1939م مرسوم يقضي بحل حزب الشعب الجزائري بدعوى أنه يتعامل مع ألمانيا النازية واعتقال 28 شخصية مرموقة في الحزب[3]، وبعد انهزام فرنسا في جوان 1940م، حاولت السلطات الفرنسية المتواطئة مع ألمانيا النازية أن يتعاون

1- El – Ouma, N° 45 du 29/01/1937.

2- Stora, Op.cit., P.P.164–165

3- Ageron, Histoire de L'Algérie, P.585

PDF Compressor Free Version

معها ولما رفض مصالي مطلبها، أحالته على محاكمة شكلية في 17 مارس 1941م، حيث حكمت عليه بالسجن لمدة 16 سنة لإخلاله بأمن الدولة[1].

وبدخول الحلفاء وانهزام حكومة فيشي صدر عفو عام من طرف ديغول وجماعته عن جميع المعتقلين السياسيين ما عدا مصالي الذي وُضع تحت الإقامة الجبرية لمدة شهرين فقط وعند خروجه اتصل به فرحات عباس والبشير الإبراهيمي وتداولوا معا إمكانية إقامة تحالف سياسي بين الأحزاب الجزائرية ثم تبلور هذا التحالف إلى برنامج عمل تمثل في إصدار بيان الشعب الجزائري الذي أعلن في 12 فيفري 1943م والذي تجسّدت فيه مطالب كل الأطياف خلال هذه المرحلة، وبطبيعة الحال فإن هذا البيان قد جُوبه برفض فرنسي قاطع،[2] وكرد فعل على المجابهة الفرنسية لهم قامت القوى الوطنية بالإعلان عن قيام تجمع جماهيري واسع يضم جميع القوى الوطنية السياسية ما عدا الحزب الشيوعي، وحمل اسم البيان والحرية يوم 14 مارس 1944م[3] وكما كان متوقعًا لم تبقى فرنسا

1- Robert (Aron), Les Origines de la Guerre d'Algérie, Paris: Fayard, 1962, P. 79

2- للتوسع أكثر راجع: قنان: قضايا، ص. ص. 194-198. - محساس (أحمد)، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر (من ح ع1 إلى الثورة المسلحة)، تر: الحاج مسعود- محمد عباس. الجزائر: منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال 2002م، ص. ص.179-198.

3- للتوسع راجع: - بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر، ص. ص. 307-308. - مهساس (أحمد)، المرجع السابق، ص. ص. 199-224

PDF Compressor Free Version

مكتوفة الأيدي أمام هذه التطورات فقد عملت على تشتيت هذا التجمع بمختلف الوسائل مع اتخاذ إجراءات قمعية ضد أنصار حزب الشعب.

ويبدو أن السلطات الاستعمارية قد بدأت تشعر بخطورة جماعة أحباب البيان والحرية لهذا نجدها تستغل احتفالات الشعب بانتصار الحلفاء يوم 8 ماي 1945م، وتنفذ مخططها لتصفية عناصر هذا التجمع فكانت المجزرة البشرية التي قدرتها العديد من المصادر بـ 45 ألف شهيد،[1] وكان من آثار هذه الأحداث أن تعمق الاتجاه الاستقلالي وبدأت فكرة العودة إلى أسلوب الكفاح المسلح تتشكل على أرض الواقع...، وفي عام 1946 م أصدرت الحكومة الفرنسية قراراً بعودة الحياة الطبيعية إلى الجزائر والتمهيد لوضع دستور جديد للبلاد، فعاد نشاط الحركة الوطنية وتشكل حزبان جديدان في التسمية، الأول هو (حزب الإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) برئاسة فرحات عباس والثاني هو (حزب الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية) برئاسة مصالي الحاج، وقد شكله أتباعه أثناء نفيه فيما استمرت بقية الأحزاب والتيارات الأخرى على حالها، وكان لانتصارات (ح.ا.ح.د) في الانتخابات البلدية في خريف 1947م وقعًا سيئًا في نفوس المعمرين فاندفعوا للضغط على حكومة فرنسا من أجل وضع حد لهذا الزحف الوطني على المؤسسات المنتخبة وخلال هذه الفترة

1- نفسه، ص. ص.225-254

PDF Compressor Free Version

دخلت الحركة الوطنية في تجربة قاسية مع الاشتراكي "نايجلين" الذي اشتهر بمهازله الانتخابية وبسياسته القمعية الهوجاء، أن تجربة الشرعية الاستعمارية المريرة في عهد نايجلين وروجي ليونار من بعده جعلت بعض العناصر في حزب (ح.إ.ح.د) يميلون أكثر إلى تقوية العمل الثوري مع الاستعمار[1].

ومنذ عام 1949م دخل حزب (ح.إ.ح.د) في أزمة داخلية عنيفة ذات حدين؛ أزمة في القيادة أدت إلى خروج بعض العناصر القيادية وطردهم من الحزب[2]، وأزمة في العلاقات بين القيادة وقواعد الحزب من جهة ثانية واستفحلت الأزمة الداخلية عندما اكتشف البوليس الفرنسي عن طريق الصدفة المنظمة الخاصة السرية في عام 1950م، وهو الكشف الذي أعطى حجة للقائلين بالعمل تحت ظل الشرعية الاستعمارية،

1- قنان، قضايا، ص 220. راجع أيضاً :

- Harbi (Mohamed), Aux Origines du Front de Libération National: La Scission du (PPA-MTLD), Paris: Christian Bourgeois, (Editeur), 1975, P.P.29-33

2 - Benjamin(Stora), Dictionnaire Biographique des Militants Nationalistes Algériens, Paris: Ed. L'HARMATTAN, 1985, P.P.268-270

- وراجع أيضاً :

Harbi, Op.cit.,P.41

محساس: المصدر السابق ، ص. ص.309-368

PDF Compressor Free Version

ولحسم الخلاف ورأب الصدع قام بعض الوطنيين بمحاولات عديدة من أجل التسريع بالعمل المسلح، وأهم محاولة في هذا الصدد هو تكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل، والتي كانت تهدف إلى تحقيق:

- العمل على تسوية الخلافات القائمة داخل قيادة الحزب.
- عدم ترك المناضلين ينحازون في هذه الخلافات ويتحزبوا لها.

لكن الانقسام تطور وأصبح أمراً واقعا في غضون صيف 1954م بقيام كل من الشقين بعقد مؤتمر له مفصل ومخاط حسب هواه[1]، أن فشل اللجنة الثورية في تحقيق مسعاها بمنع انقسام الحزب وجعله يتبنى انطلاق الكفاح المسلح اضطر بعض مناضلي الحزب (جناح المنظمة السرية) إلى تحمّل مسؤولياتهم وإعلان قيام حزب جديد هو جبهة التحرير الوطني[2] وهو الحزب الذي أنيط به أن يتبنى الثورة المسلحة ضد الاستعمار.

إن المتأمل في الوقائع التي جرت في سنة 1954م والتي كانت تتوالى بسرعة كبيرة، يُخيل له وكأن حركة التاريخ قد استيقظت من غفوة كانت قد انتابتها وتريد اللحاق بسرعة لتعويض ما فاتها من الوقت،

1- Harbi (Mohamed), Le F.L.N, Mirage et réalité des origines à la paris du pouvoir (1954-1962), Paris: Ed- du J.A,1985, P.P.93-94

2- للتوسع راجع: - قنان، قضايا، ص. ص. 219-222 ؛ بوحوش، المرجع السابق، ص. ص.345-362

PDF Compressor Free Version

فدور الرجال التسعة كان حاسمًا في صنع غرّة نوفمبر، ولقد اشتمل بيان أول نوفمبر على حصيلة النضال السياسي لهذه المرحلة في العبارات التالية: « إننا نعتبر قبل كل شيء بأنه بعد عشرات من السنين من الكفاح بلغت الحركة الوطنية طورها النهائي والحاسم (طور التطبيق والتنفيذ)...».[1]

لقد امتاز بيان أول نوفمبر بثلاث خصائص رئيسية عبّر عنها في فقرات محدودة بليغة المعنى والدلالة تعكس مستوى عال من النضج السياسي وعمق النظرة الثورية بخصوص المشكلة الاستعمارية وهي:

- هضمه واستيعابه لنضالات أجيال من الجزائريين وخاصة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وإدراكه بكيفية قاطعة آفاق النضال السياسي.
- الإدراك بكون عملية التحرير عملية شاقة وعسيرة فمهمة التحرير مهمة شعب بكامله، والذي يجب أن يعبئ جميع قواته من أجل هذه الغاية.
- تصوره منذ البداية لإمكانية الحل السلمي للمسألة الاستعمارية في الجزائر.

1- للتوسع راجع: بيان فاتح نوفمبر 1954م، ملفات وثائقية رقم 24: نصوص أساسية لـ (ج ت و) (1954-1962م)، الجزائر: وزارة الإعلام والثقافة، 1976م، ص.07

PDF Compressor Free Version

ولقد حققت الثورة بعد عدة أشهر انتصارات عديدة على المواقع والقوات الفرنسية، هذه الأخيرة نعتت هذه العمليات بأنها مجرد اضطرابات محلية في محاولة للتقليل من شأنها، ثم أخذت تصفها بالتمرد والعصيان واضطر في النهاية إلى الاعتراف بها بأنها ثورة شاملة[1]، بحيث يعتبر هجوم 20 أوت 1955م مرحلة جديدة في مسيرة الكفاح المسلح حيث أكد الثوار من خلاله حقيقتين أساسيتين هما:

- فشله الذريع في تطويق الثورة في جبال الأوراس.
- وأن جبهة التحرير هي القوة الوحيدة الموجودة في الميدان وليس هناك قوى أخرى.

ليسجل بعدها مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م[2] بارتياح بليغ نمو وتعاظم قوة جيش التحرير خلال ظرف قصير بالرغم من تكالب العدو عُدّة وعددًا، لقد تبنى هذا المؤتمر عددًا من المبادئ كما أخذ عددًا من الإجراءات لتطوير مسيرة الثورة وقيادييها[3]. ومن المبادئ المعلنة في بداية

1- داهش، المرجع السابق ، ص. 23

2- للاطلاع على قراراته طالع: بيان فاتح نوفمبر 1954م، ملفات وثائقية، رقم 24، ص. 26
- Yves (Courrier), La guerre d'Algérie(Le temp léopard), Paris: Fayard, 1969, P.P.575-576

3- للتوسع طالع: - أزغيدى (الحسن)، مؤتمر الصومام وتطور الحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر: م.و.ك، 1991م.
- بوحوش (عمار)، المرجع السابق ، ص. ص.391-399

المؤتمر توحيد قوى الشعب بأكمله تحت لواء الكفاح المسلح بقيادة جبهة التحرير التي عملت في المراحل اللاحقة للثورة على صعيدين:

PDF Compressor Free Version

- مقاومة العدو بواسطة وحدات جيش التحرير.
- العمل على كسب دعم القوى الوطنية للوقوف صفًا واحدًا في مجابهة العدو.

وفي المقابل استمرت الحكومة الفرنسية بسياستها التعسفية تجاه الشعب الجزائري (قوانين جائرة- التعطيل والمصادرة – المعتقلات والمحتشدات – الاغتيالات والمجازر الجماعية...).[1]

واستمرت الثورة الجزائرية في نشاطاتها العسكرية والسياسية في الداخل والخارج والتي تكللت بقيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19سبتمبر 1958 م، وفي الوقت الذي شهدت فيه فرنسا وضعًا مأسويًا بسقوط جمهوريتها الرابعة، كما أنه يضاف إلى ذلك الزخم المتتالي من الانتصارات ووقوف الرأي العام المغاربي والعربي والدولي إلى جانبها

1- عن ذلك راجع:

- Bernard (Doz) et Evelyne (Lever), Histoire de l'Algérie (1954-1962), Paris: seuil, 1982, P.P.62-67

- Harbi, Le F.L.N. Mirage, P.P.95-105...

- السمّان(محمد عبد الله)،يا أربعة مليون مسلم تحركوا (صرخة من أجل الجزائر)، القاهرة: مطبعة دار التأليف، 1956، ص. 32

PDF Compressor Free Version

قد أدى في النهاية إلى رضوخ السلطات الاستعمارية واضطرارها إلى التفاوض مع (ج.ت.و) للوصول إلى حل للمشكلة الجزائرية.[1]

وفي النهاية وضع اتفاق إيفيان في 18 مارس 1962م الأسس الثابتة للاعتراف الفرنسي باستقـلال الجزائر ووحدة أراضيها، وفي مطلع جويلية جرى الاستفتاء في الجزائر حول الاستقلال الكامل أو المقرون بالتعاون مع فرنسا وجاءت نتيجة الاستفتاء بأن صوّت 5.975.581 من أصل 5.992.115 لصالح الاستقلال الكامل، أي بنسبة 99,72 % وفي 03 جويلية اعترفت فرنسا رسمياً باستقلال الجزائر.

2. الوضع الثقافي للجزائر خلال الفترة «1900 – 1954»م

أ. واقع التعليم والمؤسسات الدينية والثقافية بالجزائر:

كان التعليم العربي الإسلامي طيلة العصر العثماني إلى بداية الاحتلال مزدهراً في مستوياته الثلاث؛ الابتدائي والثانوي والعالي، وهو في أغلبه مجاني إلاّ الابتدائي فهو بأجر اختياري زهيد يدفع عيناً للمعلم، وهو مع ذلك حرّ؛ إذ لا دخل للدولة فيه سلطةً وتسييراً، وكانت المؤسسات التعليمية ـ في غالبها ـ متصلة بالمؤسسات الدينية ويشرف عليها وكلاء

1- عن المفاوضات الجزائرية الفرنسية راجع:

- بن خدة (يوسف)، اتفاقيات إيفيان، تر: لحسن زغدار، محل العين جبايلي، الجزائر :د.م.ج، 1987م.

- Bernard et Evelyne, Op.cit., P.P.90-102 - Philippe (Tripier), Autopsie de La Guerre d'Algérie, Paris: France Empire.

PDF Compressor Free Version

الشؤون الدينية، ولها أموالها الخاصة بها تأتي من أملاك الأوقاف الخيرية الكثيرة، ولا غروَ فالولاة الصالحون وفضلاء الناس كانوا يتنافسون في إقامة وتشييد المؤسسات العلمية، ووقف الأموال والعقارات عليها، تشجيعًا على طلب العلم ونشره ولم تكن هذه المؤسسات حكرًا على الحواضر الكبرى، بل كانت المدارس والزوايا منتشرة في الأرياف وعلى رؤوس الجبال.

إن انتشار المدارس والمعاهد والزوايا في مختلف نواحي الجزائر خلال تلك الفترة، دليل على أن الحياة الفكرية والثقافية كانت مزدهرة بها. فقد اشتهرت مدن قسنطينة والجزائر وتلمسان وبلاد ميزاب في الجنوب بكثرة المراكز التعليمية، وكان يقوم عليها أساتذة وعلماء مشهود لهم بعلو المكانة ورسوخ القدم في العلم والمعرفة، مثل الشيخ (الثميني) في الجنوب، والشيخ (الداودي) في تلمسان والشيخ (ابن الحفّاف) بالعاصمة، والشيخ (ابن الطبّال) بقسنطينة، والشيخ (محمد القشطولي) في بلاد القبائل، وغيرهم كثير ممن تفرّغوا للتدريس ونشر العلم.

وكان من نتائج هذا الانتشار الواسع لمراكز التربية والتعليم، أن أصبحت نسبة المتعلمين في الجزائر تفوق نسبة المتعلمين في فرنسا، فقد كتب الجنرال فالز سنة 1834 م بأن كل العرب (الجزائريين) تقريباً يعرفون القراءة والكتابة، حيث أن هناك مدرستين في كل قرية...، أما الأستاذ

PDF Compressor Free Version

ديميري، الذي درس طويلاً الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر، فقد أشار إلى أنه قد كان في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون مسجدًا تستعمل كمراكز للتعليم، كما أن هناك سبع مدارس ابتدائية وثانوية يحضرها ما بين ستمائة وتسعمائة طالب، ويدرّس فيها أساتذة محترمون لهم أجور عالية، وقد أحصيت المدارس في الجزائر سنة 1830م، بأكثر من ألفي مدرسة ما بين ابتدائية وثانوية وعالية، وكتب الرحالة الألماني "فيلهلم شيمبرا" حين زار الجزائر في شهر ديسمبر 1831م، يقول: « لقد بحثتُ قصدًا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه، في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب».

وقد برز خلال هذه الفترة علماء كثر في شتى العلوم النقلية والعقلية، وزخرت بمؤلفاتهم المكتبات العامة والخاصة، غير أن يد الاستعمار ا لغاشم عبثت بها سلبًا وحرقًا، في همجية لم يشهد لها التاريخ المعاصر مثيلاً، يقول أحد الغربيين واصفًا ذلك: «إن الفرنسيين عندما فتحوا مدينة قسنطينة في شمالي أفريقيا، أحرقوا كل الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم، كأنهم من صميم الهمج».

وغير هذه الجوامع والمساجد والمدارس كثير، لا يتسع المقام لذكرها كلّها، وكان يقوم فيها علماء أجلة بتدريس علوم العربية

PDF Compressor Free Version

والشريعة، والمنطق، والحساب، والطب، والفلك، والجدل، والفلسفة، ويحسن بنا أن نذكر ثلّة منهم، بما يسمح به المقام، ولنثبت بطلان دعوى الغزاة، ومن صدقهم، من أن الجزائر كانت مرتعًا للجهل والتخلف، وأنّ الجزائريين كانوا جهلة برابرة، ليس لهم باع في الحضارة والتمدن، فمنهم سيدي محمد الشريف الزهار (ت948ه) الذي تتلمذ على سيدي أحمد بن يوسف الملياني، والشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي (ت963ه)، كان محدثًا فقيهاً صوفيًا تولى السفارة للباشا إلى المغرب، والشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله الأنصاري السجلماسي (ت1057ه) كان من كبار المدرسين، وتخرّج عليه كثير من العلماء منهم سعيد قدورة وترك مؤلفات كثيرة، وأبو عثمان سعيد قدورة (ت1080ه)، أخذ العلم في الجزائر وتلمسان، وتولى التدريس والإفتاء بالجامع الأعظم له شرح على السلم، وشرح على عقيدة السنوسي[1] وأبو مهدي عيسى الثعالبي (ت1080ه)، الذي ترجم له المحبي وقال عنه البابلي: «ما وصل إلينا من المغرب أحفظ من المقري، ولا أذكى من الثعالبي»[2]، والعلامة يحي الشاوي الجزائري (ت1096ه) أخذ عن سعيد قدورة وعلي بن عبد الواحد الأنصاري، ومحمد بن محمد بهلول الزواوي السعدي، ارتحل إلى مصر وأخذ عن

1 – الجيلالي (عبد الرحمان)، تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة). الجزائر: نشر وزارة الثقافة، 2005م. ص.232.

2 – المصدر نفسه. ص.232.

PDFCompressor Free Version

علمائها له مؤلفات في الحديث والنحو[1]. وأبو عبد الله بن الشيخ سعيد قدورة (ت1104هـ) ، كان عالماً فقيهًا تولى الإفتاء بالجامع الأعظم، والشيخ عمر بن محمد المانجلاتي (ت1044هـ) كان فقيهًا أصولياً، أخذ عن ابن زاكور، والعلامة أحمد بن عمّار الأديب الرحالة من نوابغ عصره، وسيدي محمد بن عبد الرحمن الزواوي الأزهري (ت 1208هـ)، وغيرهم كثير. يظهر مما ذكرنا أنه كان للجزائر مكانها المرموق بين أقطار المغرب في خدمة علوم العربية والإسلام، كما قدّمت للميدان أعلامًا من رجالها، حملوا الأمانة، وكانت تُشدَّ إليهم الرحال في طلب العلم.

وهناك جيل آخر من العلماء عاش عهود الاحتلال الأولى، ورأى بعينه ما أصاب هذا الوطن وأهله، ورأى كيف امتدت أيادي الهمجية والبربرية إلى المؤسسات العلمية هدماً ومسخاً، وإلى البنية الاجتماعية تغ ييراً، وهؤلاء العلماء بجهادهم التعليمي وبوقوفهم في وجه مشاريع الغزاة المحتلين حالوا دون تحقيقها كاملة، وحرّكوا الأهالي للجهاد والوقوف دون أهداف العدو، فكان مصير من أبى منهم التدجين أو القتل أو التهجير أو إحالته على هامش الحياة، نذكر منهم الشيخ حمودة المقايسي (ت1245هـ)، والإمام حميدة العمالي (ت1293هـ)[2]، مفتي

1- المصدر نفسه، ص. 233

2- المصدر نفسه، ص. 236، - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص.ص.77-80

PDF Compressor Free Version

المالكية أخذ عن الكبابطي وابن الشاهد والمقايس وابن الكاهية وأجازه الشيخ الرضوي البخاري في الحديث، وكان من أبرز المدرسين بالجامع الأعظم، وأكثر علماء عصره علمًا وفقهًا، تولى القضاء سنة 1849م، والإفتاء سنة 1856م، وتخرّج به كثير من العلماء منهم حسن بن بريهمات ومحمد بن عيسى وعلي بن عبد الرحمن مفتي وهران، ومحمد القزداري ومحمد بن العطار ومحمد بن زاكور وعلي الفخار مفتي المدية وكان يلقب بشيخ الجماعة قبل ظهور الشيخ المجاوي، ترك مؤلفات متعددة وترك ابنا هو علي (ت1908م)، وكان من المدرسين بالثعالبية، ومحمد الأرناؤوط الألباني الأزهري (ت1865م) تولى الفتوى على الحنفي سنة 1848م، والتدريس سنة 1845م بعد رجوعه من مصر، قيل: كان خزانة علم، ومصطفى القديري الذي تولى الإفتاء على المذهب المالكي بالجامع الأعظم بعد عزل الشيخ الكبابطي سنة 1843م الذي سنتكلم عليه لاحقاً، وأحمد بوقندورة (ت بعد1911م)[1] كان معاونًا قضائياً، ثمّ مفت على المذهب الحنفي ابتداء من 1877م بالجامع الجديد، وعائلته مشهورة، وألقى خطبة بالفرنسية أمام الحاكم العام؛ لويس تيرمان سنة 1882م (L.tirman)، وكان عضواً في المجلس العام، عارض التجنيد

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص. 75

PDF Compressor Free Version

الإجباري سنة 1911م، وعلي بن الحفاف (ت1307هـ)[1]، من عائلة مشهورة اختصت بإمامة جامع سيدي رمضان، وخلف العمالي في الفتوى بالجامع الأعظم سنة1873م، والشيخ سعيد بن زكريا الزواوي (ت1914م) استقر بالعاصمة، ودرّس بالجامع الأعظم وتولى إمامة جامع سيدي رمضان، والإفتاء على المذهب المالكي، ومحمد بن مصطفى بن الخوجة (ت1915 م)، أخذ عن ابن الحفاف، والشيخ سعيد بن زكري، كان صحفيَا بجريدة المبشر، درّس بجامع صفر، وأقرأ فيه التفسير والفقه والنحو، وكان شاعرَا[2]، والحفناوي أبو القاسم الديسي (ت 1940م)، حلّ بالعاصمة وشارك في تحرير جريدة المبشر الرسمية، ثمّ تولى التدريس والإفتاء بالجامع الأعظم بعد وفاة الشيخ كحول[3]، والشيخ عبد الحليم بن سماية (ت بعد1912 م) من عائلة مشهورة؛ إذ كان والده مدرساً وصحفيَا بجريدة المبشر، وهو من أبرز خريجي المدرسة الشرعية، درّس بالجامع الجديد وبالثعالبية، كان فصيحًا أديبًا لغويًا وكان مثقفًا يجيد اللغة الفرنسية[4] والدكتور ابن شنب (ت1929م)، أخذ العلم بالعاصمة، وكان

1- المصدر نفسه ج3، ص. ص. 80-82

2 - المصدر نفسه ج3، ص. ص. 83-86

3- راجع تحقيقنا لكتابه: تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر: دار كردادة، 2012م.

4- المصدر نفسه ج3، ص. ص. 93-96

PDF Compressor Free Version

عالمًا لغويًا أديبًا، واشتهر بدراساته الاستشراقية، ودرس بمدرسة الثعالبية والكتانية، ثم بمعهد الأدب بجامعة الجزائر[1].

التاريخ يشهد أن الجزائريين لم يستفيقوا من هول وروع سقوط العاصمة إلاّ ومعاول الهدم والمسخ تمتد إلى ما بنوه وشادوه عبر قرون، فتتهاوى أمام ضربات البرابرة والجهلة ناهيك عن قتل الأرواح، واغتصاب الشرف وسلب الأموال والممتلكات، وسيبقى التاريخ يشهد أن الفرنسيين فاقوا المغول في همجيتهم، وإذا أمكن طلب العذر للمغول فإن الفرنسيين لا عذر لهم، إلاّ أن يكون عذرهم حقداً صليبيًا تتأجج ناره وطمعًا أعمى أصحابه فما عادوا يُميّزون، واختلطت عليهم القيَم، وأمجاداً زائفة أرادها قادتهم على جماجم العُزّل وأجسادهم المحترقة، فتنافسوا في ذلك، وكان لزامًا عليهم أن يُزيلوا من الجزائر كلّ ما يدلّ على الحضارة، والتمدن حتى يصدقوا هم أنفسهم دعواهم، ويصدّقهم بعدها بقايا الجزائريين، أنهم أصحاب مهمة حضارية، جاءو ا ليزيلوا التخلف والجهل...الذي خلّفه الأتراك في الجزائر.

فبدئوا أولاً بتهديم أغلب المساجد والمدارس والزوايا بعذر وبغيره، والاستيلاء على أوقافها العظيمة، والمحظوظ منها ما حُوّل عن

1- الجيلالي عبد الرحمان، تاريخ المدن الثلاث، ص. 239

PDF Compressor Free Version

وظيفته فحسب، ولم تسلم حتى المقابر والآثار العمرانية الدالة على الحقبة الإسلامية بالجزائر....

فالتعليم كان يعتمد اعتماداً كليَا على الأوقاف في النهوض بمهمته، وكانت الأوقاف من الكثرة بحيث يكفي دخلها للإنفاق على التعليم بسخاء كبير لذلك عندما وضع رجال الاحتلال أيديهم على الأوقاف الإسلامية وتصرفوا في دخلها في أغراض أخرى غير التعليم والتربية تقلص هذا الأخير شيئا فشيئا إلى أن اختفى في معظمه في نهاية الأمن وبقي محصور في بعض المساجد والزوايا القائمة في المناطق الصحراوية وزوايا المناطق الجبلية العالية وهي المناطق التي رابطت فيها بقية رجال الثقافة العربية الإسلامية للتربية والتعليم حتى لا تندثر الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر[1]. وقد بقيت الزوايا إلى غاية عام1891م هي المراكز الرئيسية التي يمكن للأطفال الجزائريين أن يتلقوا فيها التعليم العربي الديني.

وقد سجل هذه الملاحظة تقرير لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي التي حضرت إلى الجزائر في عام 1891 للإطلاع على أحوال الجزائريين وبعد جولتها في الجزائر كتب أحد أعضائها وهو مستشار الدولة الفرنسي

---

1 – تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2001، ص. ص. 350-351

PDF Compressor Free Version

السيد : ليون بيكي(léon beki) يقول : «أن التعليم في الجزائر الآن (1891) قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم والزاوية حيث يتعلم فيها التلاميذ القرآن وتفسيره وهي المؤسسة الوحيدة في المستعمرة...»[1].

وهناك عامل آخر أثَّر بدوره في تقلُّص حركة التعليم العربي في الجزائر بعد الاحتلال وهو الحروب الكثيرة التي وقعت في الجزائر طيلة أكثر من نصف قرن بين الجزائريين المدافعين عن حرية بلادهم من ناحية وبين جيوش الاحتلال الغازية من ناحية أخرى. فقد استشهد عدد كبير من حملة الثقافة العربية الذين كانوا يقودون الثورات في الغالب ضد الاحتلال في تلك الحروب[2].

ويلاحظ أن البقية من حملة الثقافة العربية الذين سلموا من الاستشهاد في ميدان الجهاد قد اضطر عدد منهم إلى الهجرة خارج الجزائر حيث توجهوا إما إلى تونس أو المغرب وإما إلى تركيا أو أقطار المشرق العربي مما أدى إلى فقر البلاد من العناصر المتنورة والتي كان من الممكن أن تبعث النهضة التربوية والعلمية وتحافظ على الثقافة العربية الإسلامية من الاضمحلال[3].

---

1 – تركي رابح : المرجع نفسه، ص. 359

2 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي،ج5، ص. 26

3 – سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص. ص. 82-83

PDF Compressor Free Version

ويقول السيد: موريس كومب (Maurice comps) يصف حالة التعليم العربي من الجزائر في تقرير قدمه إلى مجلس الشيوخ الفرنسي 8 فيفري 1894م: «..كان التعليم العالي في أرض الجزائر يشمل جمهورا غفيرا من الناس المتعطشين للعلم والمعرفة يجلسون حول شيوخ علماء محترمين لا يتلقون عنهم علوم الشريعة وقوانينها فحسب بل يتلقون أيضاً علوم الرياضيات والآداب وغيرها فكانت نتيجة انتصار أسلحتنا أن تفرق الشيوخ واضمحل التعليم العالي..»[1].

كانت السمة الغالبة على الحالة التعليمية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية هو وجود نوعين من التعليم:

أ- **تعليم فرنسي بحت**: وهو تعليم حديث له معاهده ومدارسه وبرامجه وكتبه وإدارته وتقوم وزارة التربية والتعليم الفرنسية في باريس بتمويله والإشراف عليه في كل صغيرة وكبيرة من شؤونه عن طريق الأكاديمية الفرنسية في الجزائر والوالي العام الفرنسي على الجزائر[2].

ب- **تعليم عربي إسلامي**: ويمتاز بصفة عامة بأنه ذو طابع ديني ولغوي وينهض على كاهل الشعب الجزائري من ناحيتي التمويل

1 – تركي (رابح)، عبد الحميد ابن باديس، الجزائر: ش، و، ن، ت، 1984م ، ص. 352

2 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائري الثقافي، ج3، ص. ص. 295–310

PDF Compressor Free Version

والرعاية بواسطة التبرعات الشعبية العامة، وله هو الآخر معاهده ومؤسساته التي يزاول فيها وله تخصصاته ومستوياته[1]:

❖ **الكتاتيب القرآنية**: ويعتبر الكتاب من أقدم معاهد التربية في الإسلام وكان الصبيان يتعلمون فيه مبادئ القراءة والكتابة وقراءة القرآن وتجويده، وكانت هذه الكتاتيب منتشرة في الجزائر انتشاراً كبيراً حيث لا يكاد تخلوا منها حي من أحياء المدن أو قرية من القرى في الريف، ولا نكون مبالغين إذا قلت أنها هي التي يرجع إليها الفضل الأكبر في المحافظة على القرآن الكريم من الاندثار بعد الاحتلال، وتنكيله لتشويه الثقافة العربية الإسلامية والتعليم العربي، وقد نشرت مبادئ القراءة والكتابة باللغة العربية بين الجزائريين[2].

وقد كان عملها يقتصر في الغالب على تحفيظ القرآن الكريم للمترددين عليها لا يخلط ذلك بتعليم أي شيء آخر بما في ذلك الفقه والحديث والأدب العربي شعرا ونثرا وغيرها من علوم الدين الإسلامي واللغة العربية[3]، وعن طريق هذه الكتاتيب القرآنية كان يحفظ القرآن الكريم كله أو جُلّه.

---

1 – تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي، ص. 377

2 – المرجع نفسه، ص. 378

3 – سعد الله أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص. 308

PDF Compressor Free Version

والأطفال النابهون بعد أن ينتهوا من حفظ القرآن الكريم يرسلهم أبائهم إلى مواصلة تعليمهم في فنون اللغة العربية في المساجد أو الزوايا التي تنهض بالتعليم العربي الإسلامي في شتى مراحله[1].

أ. **المدارس:** وقد كانت المدارس العربية الخالصة في الجزائر في هذه الفترة قليلة لأن فرنسا قضت عليها عندما استولت على أملاك الأوقاف الإسلامية والمؤسسات التربوية التابعة لها ومعظم المدارس في هذه الفترة كانت تابعة لبعض الجمعيات الثقافية مثل جمعيتي الرشيدية (1920) والتوفيقية (1908) وكذلك المدارس الإسلامية الثلاثة التي أنشأتها فرنسا بمقتضى مرسوم سنة 1850 لتخريج مترجمين وموظفين في بعض المصالح الإدارية ورجال الدين لتولي شؤون القضاء في الأحوال الشخصية والإفتاء والإمامة في المساجد[2]، وهذه المدارس لم تكن عربية خالصة وإنما هي مزدوجة في لغة التعليم بل أن حظ اللغة الفرنسية فيها أكبر من حظ العربية، وماعدا هذه المدارس القليلة لا توجد مدارس أخرى تقوم بمهمة التعليم العربي في مختلف مراحله[3].

---

1 – المرجع نفسه، ص. 310

2 – تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي، ص. 379

3 – تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 1995، ص. 228

PDF Compressor Free Version

ب. **الزوايا:** والزوايا المشهورة آنذاك كانت تجمع بين جميع مراحل التعليم الثلاثة: الابتدائي والثانوي والعالي، أما غير المشهورة فهي عادةً تقتصر على تحفيظ القرآن الكريم والتعليم الابتدائي فقط[1]. ومن أشهر الزوايا في الجزائر حينها: زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي في بلاد زواوة (جرجرة) وهل التي تخرج منها أغلبية علماء هذه المنطقة. وزاوية شلاطة بالقرب من مدينة أقبو ببلاد جرجرة أيضاً وقد كانت هذه الزاوية في القرن الثالث عشر وحتى أوائل القرن الرابع عشر هجري ذات شهرة عظيمة. وزاوية الهامل بالقرب من مدينة بوسعادة. وزاوية بن أبي داوود في بلاد زواوة بمنطقة جرجرة.

وإلى هذه الزوايا وأمثالها قبل أن ينحرف بعضها في العهود الأخيرة يعود الفضل في تكوين مجموعة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم الذين كانوا واسطة في نقل الإسلام إلى أقاصي الجنوب الجزائري في أعماق الصحراء وإلى غرب إفريقيا والذين كانوا سبب في حفظ اللغة العربية والقرآن الكريم والعلوم الإسلامية في الجزائر[2]. ويظهر لنا تأخر التعليم جليًا في الزوايا عندما نقارنه بالتعليم في المدارس الحديثة.

---

1 – تركي رابح : الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ص. 381

2 – تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية ، ص.227

PDF Compressor Free Version

ت. **المساجد:** يعتبر التعليم إحدى وظائف المسجد الرئيسية في الإسلام إلى جانب أداء شعائر الصلاة والتقاضي بين الناس والاجتماعات العامة. لقد كان المسلمون منذ أول عهدهم بالتعليم يتخذون مدارسهم في الجوامع وكانوا يطلقون على التلاميذ المجتمعون حول أستاذهم لتلقي العلم حلقة، وينسبون في الغالب كل حلقة إلى أستاذها، وقد كان في كل جامع كبير مكتبة لأنه كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم في الجوامع[1].

وأدت السياسة الاضطهادية ومحاربة التعليم العربي الإسلامي إلى هجرة الكثير من العلماء إلى البلدان العربية، خاصة إلى تونس والمغرب ومصر والحجاز أين تتواجد المراكز الإسلامية الكبرى وتراجع التعليم العربي الإسلامي وانتشر الجهل وسط الجزائريين وكاد الإنتاج الأدبي والفكري أن يزول، واضطهدت اللغة العربية التي اعتبرها الفرنسيون لغة أجنبية[2] لأن اللغة الفرنسية أصبحت اللغة الرسمية للجزائر بعد قرار الإلحاق سنة 1934م.

وعوضت الإدارة الفرنسية المؤسسات التعليمية العربية بفتح مدارس ابتدائية لتحقيق أغراض استعمارية وأنشأت أول مدرسة في

---

1 – المرجع نفسه : ص. 383

2– دبوز (محمد علي): أعلام الإصلاح في الجزائر (من عام 1340هـ1921م إلى 1395هـ 1975م)، ج1، ط1، الجزائر: مطبعة البعث، قسنطينة، ، 1974، ص. 27

PDF Compressor Free Version

الجزائر العاصمة سنة 1836م، وكانت تسير دون قوانين محددة ولم تشترط سنا محددا للتلاميذ الذين يرغبون في الدخول إليها، والتلاميذ يحضرون ويتغيبون كما يحلوا لهم وكان عددهم يتناقص تدريجيا، ووجهت هذه المدارس لأبناء الجزائريين، وسميت بالمدارس العربية الفرنسية في مقابل المدارس الفرنسية التي تخص الأوربيين فقط، وانتشرت مع مرور الوقت المدارس العربية الفرنسية حتى في الأرياف لكن إقبال الجزائريين عليها كان محدوداً لأن الأهالي رأوا فيها وسيلة لفرنسة أبنائهم[1] خاصة وأن التعليم لم يكن إجبارياً.

واستطاعت المدرسة الفرنسية عن طريق سياستها التعليمية التي شوّهت تاريخ الجزائر وقدمت التاريخ الفرنسي على أنه التاريخ الوطني أن تكون فئة من الجزائريين اندمجوا في الحضارة الأوروبية وانفصلوا عن شعبهم وتجنسوا بالجنسية الفرنسية ودافعوا عنها دفاعا مستميتا وخاصة مع مطلع القرن العشرين ورغم هذا فإن الفئة التي دعيت بالنخبة لم تجد مكانها بين الفرنسيين لأن هؤلاء لم يكونوا ينظرون إليهم كفرنسيين حقيقيين بل كرعايا أو مواطنين من الدرجة الثانية وبهذا قام هؤلاء بالمطالبة بالمساواة لأنهم كانوا يؤمنون بالتقارب مع الفرنسيين والاندماج مع الجزائريين وقد مثل هذا التيار جيل من الشباب منهم : أحمد بن

1- أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، ص. 85

PDF Compressor Free Version

بريهمات، وربيع الزناتي وسعيد الفاسي ومحمد صوالح وعباس بن حمانة وأحمد بوضربة وبلقاسم بن تهامي والشريف بن حبيلس ومحمد الصالح بن جلول وفرحات عباس وغيرهم ممن آمنوا بالأبوة الفرنسية[1]، أما بقية أفراد الشعب الجزائري وأغلبية أطفاله فإن فشل الفرنسيين كان واضحًا رغم الجهود التي بذلها المعلمون في مختلف الأوساط بدعم من ضباط المكاتب العربية. واعتبر الجزائريين أن ذهاب أبنائهم إلى تلك المدارس مسخًا لشخصيتهم العربية والإسلامية وأن ذلك سيؤدي بأبنائهم إلى الخروج عن الدين والامتزاج بالفرنسيين الكفار وبأخلاقهم[2]

كما أن قلة الوسائل المادية للجزائريين جعلتهم ينقطعون أولاً يلتحقون أصلاً بهذه المدارس وأما الذين التحقوا بهذه المدارس فلم ينقطعوا عن متابعة دروسهم في حفظ القرآن في الكتاتيب المنتشرة في كل مكان، وتحت كل الظروف حيث كانوا يُحاولون التوفيق بين المدرسة الرسمية الفرنسية من جهة وبين مدرسة تحفيظ القرآن من جهة أخرى فيذهبون في الصباح الباكر ويعودون إلى بيوتهم قبل الساعة الثامنة لتناول الفطور ثم يتجهون إلى المدرسة الرسمية الفرنسية التي يقضون

1 – تركي رابح، التعليم القومي، ص. 120

2 – تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، ص. 357

PDF Compressor Free Version

فيها طول النهار، وقد يعودون ثانية إلى المدرسة القرآنية مساءَ أما أيام العطل المدرسية فيقضونها في مدارس حفظ القرآن[1].

وقد تحمل الجزائريون نتيجة لذلك الامتناع كل العواقب المتمثلة في الطرد من أراضيهم أو الخسارة في أموالهم، لقد تقوقعوا واحتضنوا تراثهم المتمثل أساسًا في اللغة العربية والدين الإسلامي وشدوا عليه بالنواجذ إلى أن بدأت بوادر النهضة الثقافية تبرز إلى الوجود مع مطلع القرن العشرين وبرز علماء جزائريون تزعَّموا هذه الحركة وهكذا لم يستطع الاستعمار الفرنسي القضاء على الثقافة الوطنية للشعب الجزائري لأنها لم تكن مجرد بقايا وآثار لبنى ثقافية وشعبية[2].

ومنذ تأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838م، اهتمت الكنيسة بالتعليم في الجزائر وفتحت مدارس ابتدائية تحت سلطتها للتعليم أبناء الجزائريين، وقدمت لهم تسهيلات كبيرة لدخول هذه المدارس وإغراءات بالمال والأكل واللباس، وركزت على طبقة الفقراء والمتشردين والأيتام وكانت تهدف من خلالها إلى تنصير أبناء الجزائريين والقضاء على الدين الإسلامي.

---

1 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 . ص. 293

2 – المرجع نفسه، ص. 295

PDF Compressor Free Version

وتغيرت السياسة الفرنسية في عهد نابليون الثالث، واقتنعت الإدارة الاستعمارية بأن غلق الزوايا والكتاتيب القرآنية في وجه الجزائريين، سوف لن يخدم الوجود الفرنسي في الجزائر ومن شأنه أن يزيد من سخطهم وتغذية روح مقاومة لديهم، وان فتح المدارس والزوايا للجزائريين يسهل السيطرة عليهم وإدماجهم، فأعادت فتح المدارس القرآنية في المناطق العسكرية، والتي بلغت 2000 مدرسة في عم 1865م، كما فتحت مدارس عربية فرنسية في المدن، تدرس اللغة العربية صباحًا واللغة الفرنسية مساءً[1].

وأنشأت مدارس عليا في كل من قسنطينة وتلمسان والمدية، بموجب المرسوم الرئاسي الذي صدر في 30 سبتمبر 1850م وكان للمدرستين الأولى والثانية نيابات خاصة، حيث فتحت مدرسة تلمسان في مقر مدرسة سيدي إبراهيم، ومدرسة قسنطينة في مقر مدرسة صالح باي المسماة مدرسة سيدي الكتاني لكن لم يوفر محل مناسب في مدينة المدية لإقامة مدرسة عليا، وربما كان الحاكم العام للجزائر يرى موقع هذه المدينة شاذا جدا وبعيدا عن أنظاره، لذلك تم اختيار مدينة البليدة

1- أجيرون، المرجع السابق، ص. 63

PDF Compressor Free Version

لتحتضن هذه المدرسة سنة 1854م[1] وكان غرض هذه المدارس هو تخريج نخبة من الأهالي الذين تحتاجهم الإدارة الفرنسية مثل القضاة والمفتين.

كما أنشأ أول معهد فرنسي عربي في مدينة الجزائر عام 1857م، وأضيف إليه معهدان آخران في كل من قسنطينة ووهران، وكان التعليم فيهما مجانيًا ومفتوحًا للجزائريين والفرنسيين الذين تتراوح أعمارهم بين التاسعة والاثني عشر سنة والدراسة في المعهد ابتدائية ومتوسطة، لكن هذه المعاهد أغلقت بعد سنة 1870م[2].

ونظرا لتزايد عدد المدارس حيث بلغت 231 مدرسة ابتدائية، من بينها 19 مدرسة عربية فرنسية والإقبال الكبير للتلاميذ، مع تدني طرق التدريس وصعوبة توفير معلمين أكفاء، ظهرت مطالب باستثناء مدرسة لتكوين المعلمين، وتجسيد هذا الاقتراح بصدور المرسوم الإمبراطوري في 04 مارس 1865م، وتأسست بموجبه مدرسة تكوين المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة[3]، وتخرج من هذا المدرسة كثير من الجزائريين الذين لعبوا دروا كبيرا في النهضة الجزائرية الحديثة مثل محمد بن أبي شنب.

1- ايفون تيران، المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة(المدارس والممارسات الطبية والدين (1830- 1880م) تر:محمد عبد الكريم أوزغلة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007، ص. ص. 247، 248.

2- أجيرون، المرجع السابق، ص. 66

3- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج3، ص.413

PDF Compressor Free Version

ووجد المبشرون المسيحيون الفرصة المناسبة للتغلغل بين السكان ونشر المسيحية، بعد كارثة المجاعة والجفاف التي أصابت الجزائريين بين 1867م و1869م، ففتحوا مدارس خاصة للجزائريين، وقدموا لهم تسهيلات كبيرة للدخول إليها، وأسس الكاردينال لافيجري Lavegerie جمعية الآباء البيض التي انتشرت في كل مكان، وفتحت المدارس والمصحات ومراكز التكوين.

لكن بعد أن سقطت إمبراطورية نابليون الثالث، وتغير نظام الحكم في الجزائر من العسكري إلى المدني، تراجع التعليم وتشتت تلامذته، واستغل المدنيون الفرنسيون المعارضون لسياسة نشر التعليم بين الجزائريين فرصة قيام ثورة المقراني سنة 1871م وقاموا بإغلاق معظم المدارس العربية الفرنسية التي أنشأت في عهد نابليون وأخذت المدارس القليلة التي نجت من المعادين لتعليم الجزائريين في التقلص إلى أن وصل عددها عام 1880م إلى 16 مدرسة في كل القطر الجزائري، كما نزل عدد تلامذتها من 13.000 تلميذ عام 1870م إلى 3.172 تلميذ في عام 1880م، أي إلى الأقل من الربع[1]، وهكذا وصلت حالة التعليم في الجزائر بعد نصف قرن من الاحتلال الفرنسي إلى أدنى مستوياتها، وتحملت الزوايا والكتاتيب

1- هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزائر: د.م.ج، 1995م، ص. 114

PDF Compressor Free Version

في هذه الفترة عبئ تعليم الجزائريين رغم الاضطهاد والتعسف الاستعماري، واستطاعت أن تحافظ على اللغة العربية والدين الإسلامي، ووصل عدد الزوايا حسب إحصاء سنة 1871م في كامل أنحاء الجزائر إلى حوالي 2000 زاوية تعلم أكثر من 28000 تلميذ جزائري[1] وكانت تُسيّر بنفقات القبائل نفسها ومشاركة البلديات الأهلية والأوقاف.

لم تحارب السلطات الاستعمارية اللغة العربية والثقافة الإسلامية في المدارس الرسمية التابعة لها فحسب؛ بل حاربت اللغة العربية والتعليم العربي خارج نطاق التعليم الذي يخضع لإشرافها وهو التعليم العربي الحر الذي موّله الشعب الجزائري من التبرعات العامة. ففي 24 ديسمبر 1904 صدر قانون فرنسي في الجزائر يمنع على أي جزائري أن يفتح أو يتولى إدارة مدرسة عربية أو كتاب لتعليم القرآن الكريم إلا بترخيص خاص من عامل العمالة (المحافظ الفرنسي) في المناطق الشمالية التي تخضع للحكم المدني أو الحاكم العسكري في المناطق الجنوبية الصحراوية التي تخضع للحكم العسكري وينذر هذا القانون كل فرد أو جماعة تقوم بفتح مدرسة عربية بدون ترخيص مسبق من إدارة الاحتلال

1- حلوش (عبد القادر)، المرجع السابق، ص. 134

PDF Compressor Free Version

إما بالحبس أو الغرامة أو بالعقوبتين معا[1] وعندما تمنح الرخصة لأي شخص يشترط فيه عدة شروط منها:

- ❖ اقتصار التعليم في المدرسة أو الكتاب على حفظ القرآن الكريم وحده.
- ❖ عدم التعرض بأي صورة من الصور إلى تفسير الآيات القرآنية وخاصة الآيات التي تحض على الجهاد وتندد بالظلم والاستبداد.
- ❖ استبعاد دراسة تاريخ الجزائر بصفة خاصة والتاريخ العربي والإسلامي بصفة عامة وكذلك جغرافية الجزائر والبلاد العربية.
- ❖ استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه.
- ❖ عدم تدريس المواد الرياضية والعلمية[2]

وقد جاء في القانون المذكور أنه يجوز لنفس السلطة أن تسحب رخصة التعليم لأجل معين أو نهائيا من المعلمين الذين يرتكبون أي عمل من شانه أن يمس السلوك والأخلاق من وجهة نظر الاستعمار كما يجوز لها أن تأمر بغلق هذه الكتاتيب بصفة تأديبية كما جاء فيه كذلك انه لا يجوز لهذه الكتاتيب أو المدارس أن تفتح أبوابها للأولاد الذين يتابعون

1 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3، ص. 280

2 – تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ص. ص. 130–133

PDF Compressor Free Version

دراستهم في المدارس الفرنسية وذلك في القرى التي تبعد ثلاث كيلومترات[1]

وقد أصبح هذا القانون سلاحًا رهيبًا في يد الحكام الفرنسيين يشهرونه في وجه كل معلم أو مدير مدرسة أو كتاب قرآني يظهر غيرة صادقة على لغته ودينه فسارعوا والى إغلاق المدرسة أو الكتاب بصفة مؤقتة ونهائية[2].

ولـمّا أصبح جول فيري Jule ferry وزيرًا للتعليم في فرنسا سنة 1879م، قرر تأسيس 15 مدرسة في منطقة القبائل على حساب وزارته، لتحقيق إدماج الجزائريين، إلا أنه لم تؤسس إلا أربع مدارس، وبتعليمات منه أيضاً صدر أهم قانون يخص التعليم وهو مرسوم 13 فيفري 1883م، الذي نظم التعليم الابتدائي وأقرّ إجبارية التعليم[3].

وبعد مرور ثلاث سنوات من صدور مرسوم 1883م، ومن أصل 400000 طفل جزائري في سن الدراسة أي من 6 إلى 13 سنة، كان عدد التلاميذ الذين التحقوا بالمدارس وتلقوا التعليم الفرنسي حوالي 7000 تلميذ فقط، بسبب نقص المدارس، لأن البلديات كاملة الصلاحيات عارضت بشدة تأسيس مدارس للجزائريين، إلى درجة أن بعض المدن لا

---

1 – تركي رابح، عبد الحميد بن باديس، ص. 372

2 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص. 286

3– المرجع نفسه، ص. 142

PDF Compressor Free Version

توجد بها أي مدرسة مثل البليدة وملبانة وتيزي وزو، وتلا ذلك مرسوم 1887م المعدل للمرسوم السابق وحدد هذا المرسوم ما كان يقصد بالمدارس الرئيسية التي لم يحدد معناها مرسوم 1883م، وهي المدارس الابتدائية المؤسسة في المراكز الأهلية الهامة البعيدة عن القرى الأوربية، كما ألغى المرسوم الجديد المكافأة المالية التي تقدر بـ300فرنك، والتي جاء بها مرسوم 1883م، تشجيعا للتلاميذ الجزائريين الذين يتفوقون في معرفة اللغة الفرنسية[1].

ومع حلول سنة 1890م، لم يكن يرتاد المدارس الابتدائية من أبناء الجزائريين سوى 1.9% من مجموع الأطفال الذين هم في سن الدراسة، أي 10.000 طفل وقد حاول مدير التعليم جان مير jean maire أن يحسن حالة التعليم بالنسبة للأهالي، لكن المستوطنون عارضوا سياسته وحاربوه، مما جعله يستقيل من منصبه.

وبلغ عدد التلاميذ الجزائريين عند استقالته عام 1908م، 33.397 طفلا وهو ما يمثل نسبة 4.3% وفي عام 1914م ارتفعت هذه النسبة إلى 05% وبلغ عدد التلاميذ نحو 47.263 طفلا من بين 800.000 في سن الدراسة، وأخذ هذا العدد في الارتفاع تدريجيا، ووصل سنة 1922 إلى 60.644 طفلا، من بين 900.000 طفل في سن الدراسة، بنسبة وصلت إلى

1- عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص. 146

PDF Compressor Free Version

06%، أما في المرحلة الثانوية قلم يكن سوى 84 تلميذا جزائريا قبل عام 1900م، ووصل إلى 150 تلميذ قبل 1914م[1].

بدورها تأثرت المدارس الإسلامية بالسياسة الجديدة بعد قيام الحكم المدني الفرنسي في الجزائر وأصبحت مهددة بالزوال لأن المستوطنين اعتبروها مؤسسة لتخريج المتعصبين إلا أن الحاكم العام دوقيدون doguedon، قرر تجسيد الإصلاح الذي اقترحته لجنة gostomobide وشرع في تنفيذ الإصلاح بتنظيم مسابقة اقتناء أساتذة اللغة العربية وصدر قرار 15 فيفري 1876م، والأمر التنظيمي في 07 مارس 1877م، الذي حولت بموجبه المدارس الإسلامية إلى مدارس عليا للقانون الإسلامي وكلف ستة أساتذة (ثلاثة فرنسيين وثلاثة جزائريين) بمهمة تكوين الطلبة لمدة ثلاث سنوات وتقلصت الساعات المخصصة لمواد اللغة والآداب والعلوم العربية لصالح اللغة الفرنسية وموادها[2].

ورغم ذلك فإن عدد الطلبة الجزائريين في هذه المدارس ظل يتراجع بسبب ظروفهم الاجتماعية الصعبة والنظام الداخلي القاسي والصارم، حيث كان عدد الطلبة في هذه المدارس 142 طالب سنة 1876م، و129 طالب في سنة 1877م، و84 في سنة 1884م، ووصل سنة

1- يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، ص. 43

2- أجيرون (شارل روبير)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، تر: بكاي، م حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص. 602

PDF Compressor Free Version

1885 إلى 57 طالب، لكنه عاد وارتفع إلى 81 طالبًا سنة 1889م، لكن نظرًا لإلغاء النظام الداخلي سنة 1884م، فإن تعداد الطلبة صار يقتصر على الخارجين والمسجّلين للسماع فقط[1].

وقرر جول فيري Jule ferry التدخل شخصيًا لدى البرلمان للدفاع عن القانون الخاص بالتعليم العالي في الجزائر، والذي صدر في 20 ديسمبر 1879م، ونص على إنشاء أربعة مدارس عليا (كليات) لتشكل نواة الجامعة المقبلة، وذلك بعد أن سعت فرنسا لإزالة هذه المدارس التي توفر تعليما عاليا للجزائريين[2].

وكانت حصيلة تخريج الطلبة الجزائريين منذ تأسيس المدارس العليا سنة 1879م، إلى غاية ترقيتها إلى جامعة سنة 1909م رديئة جدًا، حيث تحصل 09 طلاب على شهادة في اللغة العربية وطالب في اللغة البريدية، وتحصل 06 طلبة على شهادة ليسانس في الحقوق، وتخرج صيدلي واحد وتحصّل 11 طالبًا على شهادة في مواد الفيزياء والكيمياء والبيولوجيا، في حين لم يحصل أحد على شهادة ليسانس في العلوم، ووصل عدد الطلبة سنة 1916م أي بعد تأسيس جامعة الجزائر إلى 61 طالبًا،

1- عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص. 148

2- أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ص. 605

PDF Compressor Free Version

وظل عددهم متذبذباً إلى غاية سنة 1929م، ويستقر في حدود 100 طالب في الفترة من سنة 1929م إلى 1939م[1].

لقد استهدفت عملية التثقيف الاستعماري في مجملها غرس الإيديولوجية الكولونيالية لدى نخبة من الأهالي بطريقة غسل الدماغ والاقتصار على نشر اللغة الفرنسة بشكل محدود مع التضييق على التعليم الشعبي المتمركز في الزوايا والكتاتيب التي أصبحت آخر حصن للشخصية الوطنية ومقوماتها، فقد نصت ديباجة مرسوم صدر سنة 1890م، على أن من أهم الوسائل المؤدية إلى انتشار الهدوء الكامل في الجزائر هي نشر وتبسيط اللغة الفرنسية بين الأهالي»، ففي نهاية القرن التاسع عشر ميلادي بلغ عدد المسجلين (10000) طفل غادر مقاعد الدراسة أكثر من نصفهم قبل إنهاء المرحلة الابتدائيـة لأننا لا نجد في المرحلة الثانية (التعليمين المتوسط والثانوي) سنة 1900م سوى (84 طالب)، كما بلغ عدد المسجلين الجزائريين في التعليم الابتدائي سنة 1918م (49000 طفل جزائري) من مجموع حوالي (مليون طفل) في السن الدراسي وما يزيد عن سبعة ملايين من السكان ولم يكمل أغلبهم المرحلة الابتدائية لأننا نجد أن التلاميـذ الذين سجلوا في السنة الأولى

1 – Guy periville : les étudiants algériens de l'université française (1880-1962), casbah éditions, Alger, 2004, p. 53

PDF Compressor Free Version

متوسط سنة 1940م أي 20 سنة بعد ذلك هو (1358 تلميذ)، كما بلغ عدد المسجلين في التعليم الابتدائي سنة 1929م (60644 طفل) بما نسبته 6% من مجموع الأطفال الجزائريين ممن هم في سن التمدرس، وبنفس الطريقة لم يصل إلى المرحلة المتوسطة سنة 1944م سوى 1206طفل[1].

وفي عام 1950م كان في الجزائر 2068 مدرسة ابتدائية يتردد عليها (110000 طالب فرنسي) أي بنسبة 11 لكل 100 من السكان الفرنسيين و(177000 طالب جزائري) أي بنسبة 02 لكل 100 من الجزائريين وهذه المدارس مختلطة بين الفرنسيين والجزائريين.

أما التعليم الثانوي فإحصائية 1951م تدل على أن التفرقة موجودة (25500 طالب فرنسي مقابل 3615 طالب جزائري)!![2]، وقد نتج عن هذا كله عرقلة الثقافة بالنسبة للوطنيين حتى أن أول محامي جزائري[3] تخرج من كلية الحقوق بباريس تخرج بعد مضي 75 سنة من الاستعمار الفرنسي للجزائر، كما لا يوجد من ضمن التسعة ملايين جزائري عام 1958م سوى «50 طبيبا جزائرياً !! و30 مهندساً ولا أكثر من 20

1- للتوسع راجع: - زيتون (محمد محمود)، كفاح الجزائر، مصر: الوكالة العربية للدعاية والنشر، (ب.ت)، ص. ص. 144-155.- ولد خليفة (محمد العربي)، الثورة الجزائرية (معطيات وتحديات)، الجزائر: م.و.ك، 1991م، ص. ص.72-73

2- فيليب (رفلة)، الجزئر، مصر: مكتبة الصباح، 1957م، ص. ص.122-123

3- وهو الطالب "أحمد بوضربة" الذي تخرّج عام 1905م.

PHP Compressor Free Version

صحفيًا جزائريًا...»[1] هذا يدل على أن التدرج إلى التعليم الثانوي كان يعد من الغايات المستحيلة المنال تقريبًا وذلك إلى غاية 1870م حين استقبلت ما يعرف بالمدارس المزدوجة التعليم في كل من الجزائر وقسنطينة حوالي 671 تلميذ من أبناء الأهالي الذين تربطهم علاقة خاصة بالإدارة الاستعمارية فسجلت إحصائيات عام 1889م (21 جزائريًا)، وفي عام 1910م (180 طالبًا) من بينهم (29 طالبًا) فقط حصل على شهادة البكالوريا!![2] لكن بعد الحرب العالمية الثانية تزايدت أعداد الطلبة الجزائريين بالثانويات الفرنسية، ليصل عام 1954م إلى (6260 طالبًا)، وكان عدد الحاصلين على البكالوريا عام 1954م (350 طالبًا)[3]

أما التعليم العالي فقد ظلَّ لا يستقبل إلا عددًا ضئيلاً جدًا من الطلبة الجزائريين المسلمين، وكان تعداد الحاصلين على شهاداته لا يتجاوز (19) حامل للشهادة العربية و(02) في اللغة الأمازيغية و(06) من حملة الليسانس في الحقوق وصيدليا واحدا و(11) شهادة P.C.B، ولم يسجل أي نجاح في كل الفروع العلمية، وهو ما يفسر ندرة الطلبة الجزائريين

1- بحري (يونس)، دماء في المغرب العربي، بيروت: دار النشر للجامعيين، ب.ت، ص. 53

2- Guy Pervillé. Op.cit., P. 18

3- حمادي (عبد الله)، الحركة الطلابية الجزائرية (1871-1962)، ط2، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995م، ص. ص. 15-16

المسلمين في مختلف التخصصات[1] يضاف إليهم بعض المحظوظين ممن توفرت فيهم شروط المستعمر (الولاء للاستعمار)[2] والذين تمكنوا من مواصلة دراساتهم العليا في مدارس فرنسية كالمدرسة العسكرية "سان سير" أو البيطرة في ألفور ALFORT وكذلك في كلية Montpellier وباريس، وبالمقابل نسجل بعد الحرب العالمية الثانية ارتفاعًا في عدد الجزائريين المسلمين المنتسبين إلى الجامعات والمدارس العليا الفرنسية بحيث تسجل الإحصائيات 513 طالبًا خلال الفترة (1953 – 1954)م[3] ففي جامعة الجزائر نسبتهم 11,4% مقابل تعداد سكاني يعادل 89,5% من سكان أرض الجزائر رغم أن نسبة الشباب المتعلم من الجزائريين كانت مع بداية الاحتلال كما يذكر الفرنسي Doumas دوماس أنها تتجاوز 40% من سكان أرض الجزائر لكن بعد قرن من الاحتلال شهد الوضع الثقافي بالجزائر تردياً لا مثيل له حيث وصلت نسبة الأمية إلى 90% في

PDF Compressor Free Version

1- Guy Pervillé, Op.cit., P.32

2- هناك بعض الأطروحات التي تقول أن هناك من أبناء الخمّاسة والمشاتي من وصل إلى الثانويات وتحصل على شهادة البكالوريا، وربما واصل دراسته الجامعية رغم الفقر والحرمان، وحواجز الانتقاء، لكن هذا وإن وجد فإنه يدخل ضمن منظومة الشاذ الذي يحفظ ولا يقاس عليه أنظر:

- Farhat (Abbas), L'intellectuel musulman en Algérie, Alger: Recueil, 1920, P.51

3- حمادي، المرجع السابق ، ص. ص. 17-19. راجع أيضًا: مهساس، المصدر السابق ، ص. ص. 397-408

حدود 1948م و86,3% في عام1954م[1]، في حين كان تعميم التعليم شاملاً
PDF Compressor Free Version
ووافيًا بالنسبة للجاليات الاستعمارية الغازية ومن لفَّ لفهم، ويعود ذلك إلى تعسف السلطات الاستعمارية تجاه الأطر التعليمية الجزائرية (زوايا – كتاتيب – أوقاف...) التي كانت موجودة آنذاك.

وكان شعارهم في ذلك مقولة Doc D'Aumd: «فتح مدرسة فرنسية في أوساط الأهالي تعادل معركة عسكرية من أجل استتباب الأمن والاستقرار في الجزائر، كما أنها في وسعها تحقيق القناعة في أوساطهم بمشروعية الاحتلال وتعزيز سيادة المستعمر»[2]، ومن أجل هذا التوجه الاستعماري الرامي إلى إبادة الشخصية الجزائرية نستطيع تفسير فكرة الرفض التي جابه بها الشعب الجزائري المدارس الفرنسية وهي المسألة التي انتبه إليها الحاكم العام الفرنسي Jirman فنصت قراراته على أن كراهية الأهالي للوجود الفرنسي تقاس حدتها بمدى مستوى تعلّم الأهالي، لذا أعلن "Emile Félix Gautier" قائلاً بعد نصف قرن من التحول في السياسة التعليمية الاستعمارية الموجهة للأهالي الجزائريين: «إن المتعلمين من أبناء الأهالي الجزائريين في المدارس الفرنسية هو بمثابة الخلاسيين

1- Amar (Ouzegane), Le Meilleur combat, Paris: Ed René Juit Hard, 1962, P.P. 24-28

2- Avoir :Emirit (Marcel), "L'état Intellectuel et Moral de L'Algérie en 1830", Revue d'histoire Moderne et Contemporaine, juil – sep.1954.

PDF Compressor Free Version

ثقافيا (Métis Intellectuels) والتي تعني بأنهم يشبهون النتاج البشري الذي يحصل كثمرة تزاوج هجين، ذلك أن الفرنكفوليون الجزائريون فئة هجينة فلا يمكن اعتبارهم جزائريين ولا حتى فرنسيين»[1]، لذا قال الحاكم العام الفرنسي نايجلان (Naegelen) عام 1949م «أن مستقبل الجزائر المسلمة الفرنسية يحضر الآن في المدارس الفرنسية برغم الأنبياء التعساء»، لكن هذا اليقين المبهم الذي راود المستعمرين في شبه حقيقة (ديكارتية) نجده يتحول إلى فاجعة في نوفمبر 1954م فجعل رئيس بلدية القليعة (غرب الجزائر العاصمة) يعلن ويصرخ من هول الفاجعة: «هؤلاء هم أولئك الذين أعطتهم فرنسا فرصة التعلم وكانت ترسل بمعلمين فرنسيين إلى أقاصي الجبال لتعليم رعاة الماعز!! كيف ينشدون شعر لافونتين (La Fontaine) أقول: إنها قمة الجنون!! فمن الضروري تقليص برنامج التعليم وعدم التمادي في توسيعه أكثر بين الأهالي...»[2].

---

1 – حمادي، المرجع السابق ، ص. 14

2 – Yves (Courrier), Les Fils de La Toussaint, Paris: Fayard, 1968, P.P. 411– 412

راجع أيضا : – عبد الغفار (محمد حسين)، صفحات من تاريخ العرب المعاصر، القاهرة: الدار القومية، ب.ت. ص. ص.183 – 184 – المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، الجزائر: دار الكتاب، 1963م، ص. ص. 92–93 – الجزايرلي (يوسف فهمي)، الجزائر أرض البطولة، مصر: الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب، ب.ت، ص. 572

PDF Compressor Free Version

وقد جاءت المطالبة بالتوسع في فتح المدارس لتعليم أبنائهم كنتيجة للرأي العام الذي ظهر في مختلف الأوساط الجزائرية وشعور المواطنين بان العلم هو السلاح الفعال في الرقي الاجتماعي والتقدم الحضاري من ناحية وسرعة الحصول على الحقوق الوطنية المهضومة من ناحية أخرى[1] حيث لبت السلطات الفرنسية إلى حد ما رغبة الجزائريين بفتح مدارس جديدة لتعليم أبنائهم ولكنها رفضت رفضا باتا تلبية الرغبة الثانية هي إدخال اللغة العربية بصفة رسمية في البرامج الدراسية إلى جانب اللغة الفرنسية[2]

وعلى الرغم من الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائريين في مجال التعليم محاولة طمس الدين الإسلامي واللغة العربية فإن ومع مطلع القرن العشرين بدأت الجزائر تعيش حركة فكرية شبه متواصلة مع الأقطار الإسلامية الأخرى سواء عن طريق الطلبة الذين بعثوا للدراسة في جامع الزيتونة والجامعات الإسلامية الأخرى مثل الأزهر أو عن طريق الدعوات الإصلاحية التي قامت في البلاد الإسلامية مثل دعوة محمد عبده وجمال الدين الأفغاني[3]

---

1 – سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 166

2 – تركي رابح، التعليم القومي، ص. 167

3 – تركي رابح، المرجع نفسه، ص. 169

PDF Compressor Free Version

وهناك عوامل أخرى ساعدت في قيام هذه الحركة الفكرية، والنهوض بالحياة الثقافية والدينية وبناء المدارس في مختلف أنحاء الوطن وإصدار الصحف معتمدين في ذلك على مقومات الشعب الجزائري وهي اللغة والدين وتصحيح المفاهيم ونفي الأفكار الخاطئة والبدع والخرافات التي الصقها الاستعمار بالتعليم الإسلامي العربي في الجزائر[1].

إن النهضة العربية الإسلامية الحديثة في الجزائر قد بدأت في المسجد أي عن طريق التعليم فيه فقد أعاد الشيخ عبد الحميد بن باديس مثلاًَ في القرن العشرين إلى المسجد الإسلامي مكانته الروحية والتربوية والتوجيهية التي كان يتمتع بها في الفترات الأولى. فقد رابط الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامع الأخضر بقسنطينة أكثر من ربع قرن يعلم ويربي الشبيبة بالنهار ويعظ ويرشد ويفسر القرآن الكريم ويشرح الحديث النبوي الشريف للمواطنين الكبار في الليل إعادة للغة العربية مكانتها في الجزائر وللإسلام سلطانه في التوجيه والقيادة على المسلمين[2]، ولا تزال الجوامع تؤدي هذا الدور التعليمي والإصلاحي حتى تحولت في السنين الأخيرة إلى جامعات إسلامية كبرى على النمط الحديث[3].

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج3، ص. 34

2- سعد الله، المرجع نفسه، ص. 35

3 – تركي رابح، الشيخ عبد الحميد ابن باديس، ص. 364

PDF Compressor Free Version

ب. النوادي والجمعيات والعمل الصحفي:

إن الاستعمار كان يقبض بيد من حديد على سائر المؤسسات سواء كانت مدرسية أو صحافية أو نادياً ثقافياً.، والشيء الذي يلفت الانتباه بقاء الجزائر على طابعها وثقافتها العربية الإسلامية في ظل كل هذه الضغوط والتأثيرات، وعدم الانصهار في بوتقة الثقافة الفرنسية وقد يعود الفضل في ذلك إلى جهود النخبة المثقفة في مجال التعليم والتأليف والجمعيات والنوادي الثقافية والصحافة....أين تمكنت الجزائر من خلق نهضة نابعة من الذات الجزائرية كفيلة بتحطيم الاستعمار الفرنسي بأسلوب جديد وإحياء الجزائر مرة أخرى، وفي هذا الإحياء ربط بين الأجيال خلفها بسلفها.

لقد تميزت بداية القرن العشرين ببروز الكثير من النوادي والجمعيات الثقافية والاجتماعية والتي كانت النواة السياسية للحركة الوطنية، كما كان لها دور هام في نشر الوعي السياسي والثقافي بين الجزائريين[1] ، وكان أغلب هذه النوادي والجمعيات تحمل طابعًا إسلاميًا، حتى التي كان يشرف عليها جزائريون متفرنسون.

1- هلال عمّار، النوادي الثقافية الجزائرية قبل الحرب العالمية الثانية، مجلة الدراسات التاريخية، تصدر عن معهد التاريخ، الجزائر، ع 7، 1993، ص. 124.

PDF Compressor Free Version

ويعود بروز هذه الجمعيات في هذا الوقت بالذات إلى توفر بعض العوامل في بداية هذا القرن ومنها وصول الحاكم العام شارل جونار الذي انتهج سياسة تمثلت في تشجيعه للخدمات الاجتماعية وللدراسات العربية[1]، كما أن هذه الجمعيات والنوادي تعتبر ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة بحيث تعتبر هذه الأخيرة ظاهرة اجتماعية تدل على اليقظة والنهضة[2].

ومن أبرز هذه الجمعيات؛ الجمعية الرشيدية، التي تعتبر أول جمعية ظهرت إلى وجود سنة 1894م من شباب جزائري خريجي المدارس الفرنسية الجزائرية من طرف السيد سروري (مدير مدرسة أهلية بنفس المدينة) كما عرفت بعض التأييد من الفرنسيين المتعاطفين مع الجزائريين استطاعت أن تنشئ فروعًا لها عبر أنحاء الجزائر وتحقق بذلك الانتشار بسرعة[3]، وكان هدفها هو مساعدة الشباب الجزائري على العمل والتفكير والعيش عيشة حديثة ومن بين الوسائل التي ركزت عليها لتبليغ رسالتها إلقاء المحاضرات لتوعية الشعب ونشر الثقافة الإسلامية للحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية ومن بين أهم عناوين المحاضرات التي نظمتها الجمعية لعام 1907م: «التضامن والإخوة بين المسلمين»

---

1 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص.313

2 – سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص. 314

3 – سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 139

PDF Compressor Free Version

و«التشريع الإسلامي في الجزائر منذ سنة 1832م» الحضارة العربية قبل وبعد الإسلام التنظيم السياسي لفرنسا[1]، كما دخلت ميدان التعليم والتوعية وتنشيط الشباب وحمايته من الانحراف وحثه على العمل، كما عالجت قضايا الفكر المعاصر من تراث وطب واختراعات وآداب وتاريخ.[2]

والجمعية التوفيقية التي تأسست سنة 1908م بالجزائر العاصمة وتم تجديدها سنة 1911م واستطاعت هذه الجمعية أن تستقطب عدداً كبيراً من الأعضاء وصل إلى مائتي عضو خلال سنة واحدة[3]، كانت هذه الجمعية تهدف إلى جمع أولئك الجزائريين الذين يرغبون في تثقيف أنفسهم وتطوير أفكارهم العلمية والاجتماعية وقد كان الدكتور ابن التهامي بلقاسم رئيساً لهذه الجمعية وكل من السيدين: صوالح محمد وبراكني محمد نائبين له[4]، كما كانت غايتها نشر العلوم وبثّها في عقول أفراد الشعب كما تعين الفقراء من التلاميذ بالكسوة والكتب المدرسية وكانت تدعو المثقفين والأساتذة إلى تهذيب الشعب وإرشاده بمحاضرات

1 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 351

2 – نفسه، ص. 317

3 – هلال عمار، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر 1830–1962، ص. 273

4 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 320

PDF Compressor Free Version

دينية علمية تتعلق مواضيعها بتقدم العصر في جميع الميادين وكانت تلقي محاضرات في كل شهر[1].

وجمعية الطليعة التي كانت أول جمعية رياضية أسسها الشبان سنة 1895م وقد تكونت من خريجي المدارس (الفرنكوعربية) من أطباء ومعلمين وكان من أبرزهم ابن التهامي ومحمد صوالح وأما وكان هدفها هو إظهار جدارة وقدرة العنصر الجزائري في جميع الميادين وتتلخص أهدافها في تكوين النشء على شتى الأنواع الرياضية، ولعلهم بهذا العمل أرادوا إبراز إمكانية الشبان وقدراتهم الفكرية والجسمية أمام خصومهم الأوروبيين على الرغم من تسلط المستوطنين وتقييد الحريات العامة بالنسبة للعنصر المسلم[2]، والجمعية الوداية للتلاميذ المسلمين بشمال إفريقيا، التي تأسست هذه الجمعية في 19مارس 1919م في الجزائر العاصمة مشكلة من بلقاسم حبيلس الطالب في الحقوق رئيسًا لها، الحاج بن سمايا طالب في العلوم نائبًا له، الجيلالي بن تهامي طالب في الطب

1- صارى أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، الجزائر، 2004، ص. ص.108-109

2 - هلال عمار، النوادي الثقافية الجزائرية التي كانت تنشط بالجزائر، ص. ص. 124-125

كاتبًا لها[1] والقصد من تكوينها هو الدفاع عن مصالح الطلبة ومساعدة التلاميذ المحتاجين[2].

PDF Compressor Free Version

بالإضافة إلى جمعية الأخوة الجزائريين التي تأسست بمدينة الجزائر سنة 1922 م مشكلة من الأمير خالد رئيسًا لها والدكتور ابن التهامي والدكتور بلعربي نائبان له. وكان الهدف من تأسيسها البحث عن الوسائل للدفاع وتحسين أحوال المجتمع الجزائري المادية والمعنوية والفكرية والاقتصادية والسياسية، كان برنامجها يتمثل في القيام بعمل مضاد بدون أي ضعف من الاجحاف والجور وعدم المساواة[3]، ونادي صالح باي الذي تأسس عام 1907م في قسنطينة باسم الدراسات الأدبية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية كان يرأسه موظف فرنسي يدعى أريب وعضويه ابن الموهوب ومصطفى بشطارزي ومحمد ابن باديس وغيرهم[4]، وبلغ عدد أعضاء النادي سنة 1911 (1700 عضو) منهم 500 عضو مسجلون للدراسة بينما كان عدد أعضائه سنة 1908 (700 عضو) وقد كانت له فروع كثيرة في عدد من المدن الجزائرية[5]، كان من أهدافه

---

1 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 318

2 – هلال عمار، النوادي الثقافية الجزائرية، ص. 127

3 – هلال عمار، المرجع نفسه، ص. 130

4 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 320

5 – سعد الله أبو القاسم، المرجع نفسه، ص. 321

تربية الشعب تربية فكرية وتشجيع الهوايات الأدبية والعلمية ونشر التعليم والمساعدة على تحرير الجماهير وبعث نهضة فكرية بالجزائر[1].

PDF Compressor Free Version

ومن أشهر النوادي الجزائرية الحرة، والتي كان لها التأثير الأوفى في الحياة الثقافية الجزائرية آنذاك نادي الترقي الذي تأسس في جويلية سنة 1927م من طرف مجموعة من أعيان العاصمة نذكر منهم: أحمد توفيق المدني، محمد بن المرابط ويوسف بن مرابط...الخ، تحت اسم نادي الترقي، بحيث فتح له محل ضخما ببطحاء الحكومة بالعاصمة وقد اعتبر هذا عمل عظيم يدل على حياة جديدة وطموح ورقي. حيث شكل هذا النادي النواة الأولى لجمعية العلماء المسلمين التي تأسست في 05ماي 1931م وأصبح مقرًا لها[2].

وقد كان نادي الترقي يختلف في رسالته عن النوادي الأخرى التي سبقته إذ كان يهدف إلى الرقي الديني والاجتماعي عند العرب والأخذ بأسباب التقدم كما أن الغرض من تأسيسه هو طرح مناقشة الوضعية العامة التي آلت إليها الجزائر في النصف الأخير من العشرينيات ومن

1 – صاري، المرجع السابق، ص. 118

2– بن خليف عبد الوهاب، تاريخ الحركة الوطنية، ط1، دار طليطلة، الجزائر، 2009، ص. 106.

PDF Compressor Free Version

خلال هذا النادي ظهرت الأفكار والآراء ونقشت المشاريع والحركات الإصلاحية كما جمع رجال الاقتصاد والإصلاح والاجتماع والنهضة[1].

كما عمل على بعث اليقظة الفكرية والثقافية للمسلمين الجزائريين. وأصبح اسمه أيضاً مرادفا لكلمة الإصلاح إذ اعتبره البعض قاعدة الإصلاح الأولى في الجزائر لما قدمه في هذا الميدان لفائدة الوطن والشعب إذ أصبح منبرا يوجه معه المصلحون ضرباتهم للفساد الخلقي والتعصب الجنسي والمذهبي الجهوي وفضح أساليب الاستعمار الذي كان يفرق بها بين الجزائريين، وهذا بفضل مجهودات النادي الرامية إلى إحياء اللغة والدين والوطن[2]، وقد قدم النادي بين سنتي 1927- 1929 حوالي 30 محاضرة باللغة العربية وعشرة بالفرنسية وبلغ أعضاؤه 720عضو. وساهم في ظهور الخطبة الإصلاحية ومن أبرز الخطباء بالنادي الشيخ الطيب العقبي والإمام عبد الحميد بن باديس وأحمد توفيق المدني. كما ساهم هذا النادي في انتشار الشعر بشتى أنواعه وأشاد الشعراء بمساهمة النادي في الحركة الإصلاحية والنهضة بالجزائر[3]. هذا بالإضافة إلى

1- شرفاء محمد الأكحل، نادي الترقي ماضيًا وحاضرًا ، جريدة الشعب، ع06، الجزائر: جانفي 1987، ص. 14

2 – المرجع نفسه، ص. 14

3 – سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية. ج3، ص. 139

PDF Compressor Free Version

جمعيات ونوادي أخرى أقل تأثيراً في المسار الثقافي الجزائري الناشئ حينها وعلى سبيل المثال نذكر: جمعية الشبيبة الإسلامية.

غير أن هذه الجمعيات وتلك النوادي غالبَا ما يكون تأسيسها بإشارة من الإدارة الفرنسية العامة وربما اشترك في إدارتها فرنسيون وقد تتلقى مساعدات مادية سنوية من الحكومة ولذلك فهي تدور في فلكها[1]، كما شهد الجنوب نهضة إصلاحية انطلقت من جمعية الإصلاح لتُؤسس لها مدارس خاصة تابعة لها في الشـمال والجنوب وجمعيات ونوادي ومجلات محلية، وقد استطاعت أن تسن لهذه المدارس برامج وتقرر لها كتبَا وتتدرج بالدراسة فيها على أسلوب حديث وشهادات انتقالية ونهائية.

كما كانت لحزب الشعب على الرغم من انشغاله بشؤون السياسة الوطنية مساهمات في العناية بالتعليم العربي فأنشأ إحدى عشرة (11) مدرسة بالعاصمة، أما مدارس الجمعيات الخاصة فقد أسس بعضها في العاصمة مثل: مدرسة الشبيبة الإسلامية 1927م ومدرسة السلام 1929م والمدارس العربية القرآنية 1929م[2]، وكان لبعض الزوايا جهودها البارزة في هذا المجال وهي كثيرة العدد، ولا تكاد تخلو منها

1- الخرفي (صالح)، الشعر الجزائري، الجزائر: ش.و.ن.ت، ب.ت، ص. ص. 139-140

2- الخطيب (أحمد)، ج.ع.م.ج.و أثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر: م.و.ك، 1985م، ص. 219.

PDF Compressor Free Version

مدينة أو قرية، ولكنها تتبع في تعليمها الطريقة التقليدية وأهم هذه الزوايا: (اليلولي، وشلاّطة في أقبو، وسيدي منصور في الجرجرة والهامل في بوسعادة).

من جهة أخرى فإن نشأة الصحافة بالجزائر كانت نشأةً فرنسية بحتة فالجزائر لم تشهد هذه الحالة الإعلامية والثقافية رغم مرور أكثر من قرن على ظهورها بأوروبا، وكانت أول محاولة على الأرض الجزائرية عندما سحبت أعداد من صحيفة (ألاسطافيت) يوم 26 يونيو 1830م بالمعسكر الذي أقامه الجيش الفرنسي في حي سيدي فرج وقد تم سحبها في المطبعة العسكرية المحمولة على إحدى السفن وكانت تسمى المطبعة الإفريقية وقد صدر عن هذه الصحيفة عدة إعداد بحيث كانت تحمل أخبار نجاح الحملة الفرنسية وسقوط حكومة الداي ودخول الجيش الفرنسي إلى القصبة ولكنها توقفت عن الصدور[1].

ثم بعد ذلك أنشأت جريدة المرشد الجزائري سنة 1832 (المسماة المونتيور ألجيريان) من طرف دورو فيقو وقد كانت تطبع في المطبعة الإفريقية الحكومية وكانت تحمل بعض الإخبار الخاصة بحركة النقل بين

1 – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 241

PDF Compressor Free Version

الجزائر وفرنسا وتوارد المستوطنين الفرنسيين على الجزائر[1]، كانت تصدر مرة كل خمسة أيام واستغرق ظهورها من 1832_1858.

كما ظهرت بالجزائر جريدة (الأخبار) سنة 1839[2] ورغم اسمها العربي فإنها كانت تصدر بالفرنسية، لقد ظهرت صحف فرنسية كثيرة بعضها يؤيد فكرة الجزائر الفرنسية وبعضها ينتصر للعسكريين وبعضها يدافع عن المدنيين وهناك صحف تبنت قضايا الاشتراكيين السانسيمونيين وأخرى كانت مضادة لليهود. وإذا قسمناها حسب العهود فهناك صحف ظهرت في عهد المملكة (1830-1848)، وأخرى في عهد الإمبراطورية الثانية (1852-1870). بالإضافة إلى ما ظهر في عهد الجمهورية الثالثة منذ 1871[3].

أما فيما يخص الصحافة الرسمية الموجهة للجزائريين والصادرة باللغتين الفرنسية والعربية هي المبشر سنة 1847 بحيث تناولت ما يلي: إعلام الجزائريين بكل ما هو موجه إليهم من الدولة الفرنسية، تعريف الجزائريين بالزراعة والإنتاج الحيواني والمعادن والصناعات اليدوية، كانت تصدر في أول الأمر مرتين في الشهر بحجم صغير كانت تطبع في المطبعة

---

1 – المرجع نفسه، ص. 245

2– دبوز محمد علي : نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ،ج1، الجزائر: المطبعة العربية، 1971م، ص. 184

3 – ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها وتطورها وأعلامها من 1903–1931، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص.37

PDF Compressor Free Version

الحكومية ثم صارت تطبع في مطبعة فونتانه بالجزائر منذ سنة 1894م[1].

وعليه فإن العمل الصحفي كان محتكراً من طرف المستوطنين طيلة القرن التاسع عشر، وكانت صحيفتان فقط توجههم الإدارة الفرنسية في الجزائر،

ويعود ظهور الصحافة المكتوبة بالجزائر إلى تضافر مجموعة من العوامل والظروف منها تقلص الثقافة العربية الجزائرية وحالة الجمود التي كانت تعيشها الجزائر منذ سنة1830م، لبعد عن الحياة الحضارية والفكرية والمعارف والعلوم وسيطرة الزوايا المنحرفة على عقول العامة، وانقطاع الاتصالات الثقافية والحضارية بين الجزائر والعالم الإسلامي حتى كاد الجزائريون يفقدون الصلات التي كانت تربطهم بالأمة العربية العزلة التي فرضتها سلطات الاحتلال على الجزائر وغلقت على الجزائريين كل نوافذ العالم الخارجي. يضاف إليها تزايد النزعة الاستقلالية التي ظلت حية في نفوس الجماهير الجزائرية، أمام الأعمال الوحشية التي قام بها الفرنسيين ضد الجزائريين وتشديد الخناق على المثقفين والنخبة وسن القوانين الجائرة ضد الجزائر[2] كما أن احتكار الفرنسيين للعمل الصحفي إلى غاية سنة 1900 م يُعدُ عاملاً مؤثراً هو الآخر. ساهم في ظهور الرواد الجزائريين الذين أنجبوا صحافة وطنية وكان هؤلاء الرواد في مختلف

---

1 – سعد الله أبو القاسم: المرجع نفسه، ص. 245

2– بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية (1931–1945) الجزائر: دار المعرفة للنشر ، 2008، ص. 61

PDF Compressor Free Version

الاتجاهات وسعيهم لاستعمال كوسيلة للتعبير عن المطالب الوطنية، وبعث نهضة جزائرية، وساعدهم في ذلك انتشار المطابع بالجزائر وكثرتها، مع احتكاك الجزائريين بالمشارقة والمغاربة بعد عملية الهجرة الجزائرية نحو هذه الدول والأخذ عن هذه الدول في مجال الصحافة[1]. وتأثرهم أيضاً بتجربة مجلة "المنار" وغيرها من الجرائد والمجلات التي كانت تصدر بالمشرق والمغرب بالإضافة إلى كتب بعض المصلحين مثل ابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني وغيرهم[2].

ومع بداية القرن العشرين أسس بعض الرواد الجزائريين صحافة وطنية جزائرية، ومن بينهم نجد الصحفي عمر راسم الذي أصدر صحيفة (الجزائر) سنة 1908م، وهي صحيفة شهرية، وكذا عمر بن قدور الذي أصدر صحيفة (الفاروق) سنة 1912م، والأمير خالد الذي أسس صحيفة (الإقدام) في سنة 1919م، وهي صحيفة أسبوعية باللسانين العربي والفرنسي[3]، كما ظهرت صحف وجرائد أخرى، وكانت كل صحيفة تُعبَر عن اتجاهات الشخص أو الهيئة التي تصدرها.

ففي سنة 1905م صدرت بالجزائر جريدة "كوكب إفريقيا" وهي مثل "المغرب" جريدة سياسية أدبية علمية اقتصادية تصدر كل يوم

1- ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية ،ج1، ص. ص. 22-36

2- ناصر محمد، المرجع نفسه، ص. 40

3- عبد الوهاب بن خليف، المرجع السابق، ص. 106

PDF Compressor Free Version

جمعة، وهذه الأوصاف وجدت في "المغرب" من قبل وذلك الاتفاق لم يعرض بل يدل على منشأها ومنشئ "المغرب" واحدة وهو الولاية العامة وإنما بين الجريدتين فرق كبير إذ الحكومة الفرنسية سلكت مع "كوكب إفريقيا" غير مسلكها مع جريدة "المغرب"[1]، فعوض أن يكون مسؤول الجريدة فرنسيًا وتكون المقالات صادرة من مكتب إدارة الشؤون الأهلية بالولاية العامة اكتفت السلطة الفرنسية أن تراقب الجريدة بطريقة غير مباشرة فرخصت لجزائري تسييرها[2].

كان مدير هذه الجريدة محمود كحول، وكانت تتناول مقالات سياسية عن فرنسا وتركيا وغيرها، حيث كانت الأخبار السياسية العامة تحوي في الغالب على صفحة كاملة أو أكثر وأخبار المغرب والحوادث المحلية تأخذ الصفحة الثانية وتجمع الصفحة الثالثة المقالات الأخرى الفلاحية والعلمية والأدبية أما الصفحة الرابعة فهي معدة لإعلانات تجارية وقضائية ويرجع الفضل للشيخ محمود كحول في نشر "التقويم الجزائري" الذي صدر منه عدد لسنة 1911م وآخر لسنة 1912م وآخر لسنة 1913 م نشر في الأعداد الثلاثة من الأدب الجزائري المعاصر شعرًا ونثرًا[3].

1- سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر، ص. 82

2- المرجع نفسه، ص.245

3- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2، ص.137

PDF Compressor Free Version

ولم تتناول "كوكب إفريقيا" شيئًا من السياسة لأن مدير تحريرها كان موظفًا والموظفون في غالب الأحيان يحذرون الخوض في السياسة خوفًا على وظيفتهم، ولما كان رئيس تحريرها عالمًا مدرسًا اتخذ الصحافة وسيلة لبعث النهضة ونشر العلم وفوق كل شيء لنشر اللغة العربية[1].

كما صدرت في سنة 1912م جريدة "الفاروق" وهي جريدة عربية حرة كان مؤسسها السيد عمر بن قدور الجزائري وكان متأثرًا تأثرًا عميقًا بقراءة مجلة المنار فعزم على مقاومة البدع والقيام بإصلاح ديني وبعث نهضة في الجزائر لشعوره بحاجة الإسلام إلى هذا الإصلاح وحاجة البلاد إلى هذه النهضة[2]، بدأ يستعمل الصحافة لنشر أفكار الأستاذ الإمام محمد عبده فتقدم إلى الإدارة الفرنسية بطلب رخصة نشر جريدة حسب القانون الجاري به العمل في ذلك الوقت ففاز بالرخصة وأصدر العدد الأول وأقبل عليه القراء إقبالاً حسنًا[3].

وأخذت الفاروق تنقل تعاليم الدين الصحيح والانحراف الذي وصل إليه أهل بلاده وتارة تنقل عن المنار المصرية وتعتني بأخبار المشرق والعالم الإسلامي تحت مراقبة الإدارة الفرنسية وبإذنها، إذا كان القانون يلزم صاحب الجريدة بعض المقالات قبل طبعها، فحدث يومًا أن الإدارة

1- ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية، ج1، ص. 67

2- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية ،ج2، ص. 179

3- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ص. 185

PDF Compressor Free Version

القائمة بتلك المراقبة منعت عمر بن قدور نشر فصل من فصول مقاله؛ فلم يبال بذلك المنع لظنه أن الإدارة تكتفي بالمراقبة فقط فاغتنمت الولاية العامة تلك الفرصة وعطَّلت الجريدة وأبعدته إلى واحة الأغواط وبهذا لم تعش الجريدة إلا سنة وبضعة أشهر[1].

كما أنشأ عمر راسم جريدة "ذو الفقار" وهي جريدة عمومية اشتراكية انتقادية وتمتاز هذه الجريدة بمميزات عديدة وغريبة معا اسمها شعار يشير به عمر راسم إلى الدور الخطير الذي يجب أن تقوم به الصحافة وهو أن تحارب في سبيل إصلاح الدين على نهج الشيخ محمد عبده، ومما يثبت ذلك ما جاء تعليقًا على صورة الأستاذ الإمام الذي نشرتها الجريدة على الغلاف الأخير من عددها الثالث[2].

وتعتبر جريدة "ذو الفقار" الممثل للصحافة الجزائرية العربية الحرة وكان نجاحها مستحيلا أمام قساوة الحكم الاستعماري الذي لم يلبث أن أوقفها احتجاجًا بحالة الحرب، ولو لم تندلع الحرب العالمية الأولى لوجدنا الشرطة الفرنسية تجد سببًا وهميًا آخر لمنع الجريدة من الصدور وإلقاء صاحبها في السجن[3].

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 248

2- أجيرون (شارل روبير)، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج1، ص.365

3 - سعد الله أبو القاسم، خلاصة تاريخ الجزائر، ص. 83

PDF Compressor Free Version

ومن الجرائد التي نالت رواجاً خلال هذه الفترة جريدة المصباح التي أنشأت في وهران سنة 1904 من قبل الصحفي العربي فخار، فقد كانت جريدة أسبوعية مزدوجة اللغة تعبر عن اتجاه النخبة الاندماجية حسب تعبير آخرون وهي تخدم العرب بفرنسا وكان أصحابها يريدون أن يكونوا صلة بين العرب الجزائريين والفرنسيين ولذلك كانت الجريدة تسعى إلى إيقاظ الجزائريين من سباتهم الطويل[1]، وقد نادت بالمدارس ونشر الأفكار الفرنسية فأخذ الفرنسيون في الاعتبار آراء الجزائريين المتحررين والمتطورين (النخبة الاندماجية)[2]، وعلى منوالها صدرت جريدة الرشيدي بالفرنسية في مدينة جيجل بين (1911-1914)م وكانت أسبوعية وصاحبها شخص فرنسي يدعى ل.اوبوتي ولكن لها مسؤول عن التحرير بالعربية هو السيد نصيح والذي يبدو أنه آثر أن يتخذ اسمًا مستعاراً[3]

كانت تظهر كل يوم جمعة بأربع صفحات وتتضمن أخبار محلية وأخرى عن الحياة الاجتماعية في الجزائر والوسائل التي يجب اتخاذها لوقف العداء بين الجزائريين والفرنسيين ولذلك قالت عنها مجلة العالم الإسلامي أن هدفها هو خدمة التقارب بين العناصر الأوروبية والأهلية[4].

---

1 – سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج2، ص. 140

2 – ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص. 50

3 – ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، ج1، ص. 16

4– ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية ، ص. 60

PDF Compressor Free Version

ولعل أهم نموذج يجسد الصنف الجديد من الصحافة الجزائرية الناشئة التي تعبر عن حزب سياسي معارض هو نموذج جريدة الإقدام، التي كانت بداية صدورها سنة 1919م حيث عبرت عن حركة الأمير خالد السياسية الوطنية وهي جريدة ولدت من توحيد أو دمج جريدتي الإسلام والرشيدي القديمتين ظهرت الأقدام باللغتين العربية والفرنسية وكان الأمير خالد هو رئيس تحرير القسم العربي فيها وكان يكتب مقالات والافتتاحيات وقد أعلنت عن أنها جريدة أسبوعية علمية سياسية، اقتصادية وضلت تصدر إلى غاية سنة 1923م حين حكمت السلطات الفرنسية بنفي الأمير خالد من الجزائر ولكن مبدأ الأقدام تبناه نجم شمال إفريقيا وهو الدفاع عن مصالح المسلمين في شمال أفريقيا[1]، ثم تبتها جريدة النجاح سنة 1920م بقسنطينة التي أصدرها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي ثم انظم إليه الشيخ مامي إسماعيل[2].

نشأت كجريدة وطنية أسبوعية منذ جانفي 1930م أصبحت يومية وجمعت تبرعات لذلك وقد استمرت في الصدور إلى غاية 1956م وقد كان الشيخ ابن باديس من مؤسسيها ثم تخلا عنها وأسس جرائده الخاصة[3]. وتعتبر النجاح من أطول الصحف الجزائرية عمرا ولعلها أول

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 200

2- ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، ج1، ص. 36

3- ناصر محمد، المرجع نفسه، ص. 41

PDF Compressor Free Version

جريدة عربية تصدر يوميا في الجزائر وكانت تدافع عن اللغة العربية وقضايا الوطن وكانت ميدانا لفئة عريضة من الجزائريين المصلحين[1]، ثم ظهرت جريدة المنتقد سنة 1925م من طرف عبد الحميد بن باديس وقد كانت جريدة متحررة داعية للنهضة الوطنية بأسلوب واضح وحماسي وكانت جريدة المنتقد جريدة أسبوعية وقد تلقاها الشباب وأصحاب الفكر العربي المنير بحماس[2]، لم ترضى على لهجتها فأوقفتها بعد حوالي ثمانية عشر عدد ثم اصدر بعدها ابن باديس جريدة الشهاب وحولها إلى مجلة واستمرت الشهاب في الصدور إلى عشية الحرب العالمية الثانية حيث توقفت من تلقاء نفسها حتى تنجلي الحرب. وتعتبر الشهاب مجلة وطنية إصلاحية انقضت الوفود ونبهت الغافلين ودعت إلى جمع الشمل والوحدة[3].

وسنة 1925 م أيضاً ظهرت في بسكرة جريدة صدى الصحراء من إنشاء الشيخ أحمد بن العابد العقبي وكان من كتابها الطيب العقبي، والشاعر محمد العيد آل خليفة، ومحمد الأمين العمودي وقد تبنت قضايا الإصلاح الديني والاجتماعي متحالفة مع جريدة المنتقد والشهاب

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 251.

2- ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية، ص. 64.

3- ناصر محمد، المرجع نفسه، ص. 70.

وحاملة فكر الشيخ العقبي الذي جاء من الحجاز المتأثر بالوهابية والعروبة[1].

PDF Compressor Free Version

كانت تطبع هذه الجريدة في قسنطينة بالمطبعة الإسلامية التي أنشئها ابن باديس كان شعارها (درء المفسدة قبل جلب المصلحة)[2] حاول الشيخ العقبي أن يخلف جريدة صدى الصحراء بالإصلاح ولكن هذه الجريدة لم تستطع أن تواجه العراقيل الصعبة. ولم يكتفي رجال الإصلاح والسياسيين الجزائريين بهذا الحد فقط من الصحف بل انشأ العديد منها لا نستطيع التطرق إليها كلها وهنا نكتفي بذكر البعض منها[3] جريدة البرق 1927م، جريدة المرصاد 1931م بالإضافة إلى الليالي وأبو العجائب والوفاق والجزائر والمغرب والدفاع والحارس وكلها من الجرائد المساندة للاتحاد الوطني الإصلاحي والدعوى إلى النهضة[4].

وفي نهاية العشرينيات ظهرت ثلاث تيارات في مجال الصحافة:[5]

- **التيار الأول**: يتنوع بين أقصى اليمين واليمين المعتدل وقد عبّرت عنه الطرق الصوفية وكتلة المسلمين الجزائريين المنتخبين.

1- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 261.

2- ناصر محمد، الصحف العربية الجزائرية ، ص. 73.

3- ناصر محمد، المرجع نفسه، ص. 75.

4- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 253.

5 - بلاسي (نبيل أحمد)، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ص. ص. 46-47

PDF Compressor Free Version

- **التـيار الثاني:** وتبنى المنطق الإصلاحي الوطني وقد عبّر عنه جمعية العلماء.
- **التـيار الثالث**: ويتنوع بين أقصى اليـسار واليسار وقد عـبّرت عنه بالترتيب الحزب الشيوعي الجزائري وجمعية نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب فيما بعد.

وهكذا فخلال عقد العشريـنيات خلق الجزائريون صـحافة مؤثرة بلغتهم الخاصة، وقد كانت قسنطينة والجزائر ووهران مراكز للنشاط الصحفي، هذا رغم افتقار هذه الصحف لكثير من تقنيات الصحافة إلا أنها ساهمت في بلورة القضية الوطنية للرأي العام الجزائري[1]، « أما في سنة 1930م فقد أصبحت أمة الجزائر تقرأ شهرياً 184000 عدد من الصحف والمجلات ولو كانت قوانين 1881م تشمل الصحف العربية كما تشمل الصحف الفرنسية لكان للصحافة الجزائرية شأن وأي شأن»[2] ولقد نشر أبو اليقظان في جريدة الأمة سنة 1934م إحصائية بما صدر في الجزائر من جرائد باللغة العربية وما أسس فيها من معاهد وجمعيات

1- سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 141.

2- المدني، كتاب الجزائر، ص. 348.

PDF Compressor Free Version

ثقافية في الفترة ما بين (1900– 1934)م فكانت كما يلي: 35 جريدة ومجلة – 18 جمعية إصلاحية – 15 نادي ثقافي – 15 معهد ومدرسة[1].

وبدورها ساهمت الصحافة الوطنية الجزائرية في تكريس الوعي السياسي من خلال الممارسات اللاإنسانية للإدارة الاستعمارية في حق الجزائريين، وحث الجزائريين على المطالبة بتحسين أوضاعهم الاجتماعية والمعيشية، كما عارضت القوانين الفرنسية الجائرة كقانون الأهالي، وقانون التجنيد الإجباري[2].

لقد عاش هذا الأدب الجزائري نفس الظروف والمشكلات التاريخية والفكرية التي عاشها الأدب العربي رغم أن صلة الجزائر بأوروبا من أسبق الصلات التي نشأت بعد ذلك في الشرق كونها قد استفادت من الصلة تجارياً وحربياً ولكنها لم تستفد فنيًا وثقافيًا فبقي هذا الجانب في الجزائر محافظًا راكدًا تقليديًا.

ونتج عن ذلك تباطؤ من جانب الحركة الأدبية وفقدان التوازن بين قوى العناصر الوطنية وبين وسائل الاحتلال فتحجّرت الحركة الأدبية عمومًا، واندمج بعضـهم في حركة المقاومة المسلحة مما شغل الناس عن

1– الخرفي (صالح)، في رحاب المغرب العربي، بيروت: دار المغرب الإسلامي، ب.ت ص. 229.

2– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، ص. 134

PDF Compressor Free Version

الأدب والشعر[1]، ومع مطلع القرن العشرين عرفت الجزائر نوعاً من الاستقرار في ظل الاحتلال لكنه استقرار أليم جاء بعد فشل جميع المحاولات الثورية.

لقد كان ظهور الأديب والصحفي مرتبطًا بعدة مؤثرات عديدة منها الثقافي والاقتصادي ومنها السياسي والديني وعلى الإجمال فقد ظهرت في الجزائر ثلاث تيارات أدبية هي:

❖ **التيار التقليدي:** لقد كان هذا التيار استمراراً للحركة القديمة شعراً ونثراً وكان عماده المحافظة على عمود الشعر القديم، والاحتفاظ بخصائص القصيدة العربية الموروثة دون تطوير وتجديد أما في النثر فقد كان عماد هذا التيـار السجع وتطبيق ألوان البديع من أهـم شيوخه: أحمـد كاتب الغزالي، عاشور الخنقي، المولود بن الموهوب.

❖ **التيار الرومانتيكي:** كان ظهوره بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة بمثابة رد فعل للأوضاع السياسية والفكرية والاجتماعية التي خلفها الاحتلال.

❖ **التيـار الواقـعي:** وقد جاء هذا التيار كنتيجة لتطور الحركة الوطنية في الجزائر، فبعد تبلور المفاهيم القومية في أذهان الناس ووضوح

1- سعد الله (أبو القاسم)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2، القاهرة: دار الآداب، 1970م، ص. 21

PDF Compressor Free Version

المبادئ السلمية أو الثورية وبعد وقوع الانفصال بين التيارين السابقين انفسح المجال لظهور هذا التيار وهو الذي طغى نظراً لإمكانياته التعبيرية الهائلة على الشعر العربي الجزائري الذي نُظّم بين (1930-1954)م[1].

ويقول مبارك الميلي منوهًا بنمو هذا التيار الإبداعي: «شعر شعراؤنا بحياة جديدة فنفضوا أيديهم من ذلك الأدب البالي المتوه بلغة التكليف ونفذوا إلى الأدب الغض وعلى أمثال هؤلاء نعلّق أمالنا في تجديد الأدب الجزائري ورفع مستواه»[2]، « لقد كان حظ الشعر عظيماً، فقد نبغ في الجزائر من الشعراء ما يكسبها فخرا وذكراً جميلاً فأصبحت الجزائر بذلك ذات أدب قومي خاص يمتاز بمتانته العربية وتصويره أصدق تصوير للوسط المقول فيه»[3].

ومن الأعمال الهامة التي دفعت بعجلة النهضة إلى الأمام اهتمام الجزائريين بالتأليف فخلال العشر سنوات الأول من القرن العشرين تم تحقيق وطبع عدة أعمال جزائرية هامة لأصحابها (ابن عمار 1902م-

---

1- نفسه، ص. ص. 26-28

2- الخرفي (صالح)، في رحاب المغرب العربي، ص. 49. أنظر أيضًا: - الكعاك (عثمان)، بلاغة العرب في الجزائر، تونس: مكتبة الغرب، 1344هـ.

3- المدني، كتاب الجزائر، ص. 96

PDF Compressor Free Version

ابن مريم 1907م- الورتيلاني 1908م والحفناوي 1906م والغريسي وابن حبيلس...[1] وغيرهم كثير.

ولعل أول كتاب ظهر في المجال القومي هو البحث الذي قدّمه الحكيم (محمد العربي) لنيل شهادة في الطب العربي بالجزائر وأثره في الغرب وقد قدّمه باللغة العربية إلى مدرسة الطب بباريس عام 1884م ثم تتابعت الكتب والمؤلفات في مختلف الميادين العلمية والأدبية والدينية والتاريخية بهدف إحياء التراث القومي وانتشرت أيـضًا التـقاويم السنويـة التي تتحدث عن هذا التراث وعن المـاضي العربي الإسلامي والجزائري[2]، كما توالت كتب الأدب، توالت كتب التاريخ في أواخر العشرينات، ففي سنة 1928م صدر لمبارك الميلي الجزء الأول من كتابه (تاريخ الجزائر في القديم والحديث) بينما صدر الجزء الثاني منه في سنة 1932م كما صدر للمدني (كتاب الجزائر).

من جهة أخرى نالت الطباعة تقدماً محسوسًا مثل تقدم الصحافة إثر الحرب إذ لم يكن للمسلمين بالجزائر قبل الحرب العالمية الأولى إلا مطبعة واحدة هي مطبعة "دار مراد رودوسي"، ثم أصبح للجزائر عدة مطابع ذات أهمية وهي النجاح الإسلامية بقسنطينة، البلاغ

1- الزبير (سيف الله)، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م، ص. 30. أنظر : - المدني، كتاب الجزائر، ص. ص. 94-95

2- ركيبي (عبد الله)، الشعر الديني الجزائري الحديث، الجزائر: م. و.ك، 1981م، ص. 39

PDF Compressor Free Version

الجزائري، العربية الحديثة بالعاصمة، «ولو كانت الصحافة وحركة التأليف حرة وحركتها ناشطة لكان للطباعة حظ أكبر من هذا»[1]، ومما ساعد على انتشار الثقافة والعناية بالأدب والشعر تلك النوادي والجمعيات الثقافية والمؤسسات الخيرية والدينية فقد كانت المحاضرات والندوات تلقى في هذه الأماكن وتناقش فيها قضايا التعليم والأدب والمجتمع[2].

أما فيما يتعلق بالمسرح العربي، فالجزائر شهدت تأخراً ملحوظًا في هذا الفن فقد كانت تؤسس بعض أجواق قصيرة الحياة، لا تلبث أن تلقى حتفها وتذهب ضحية الجهل والغرور بعد أن تمثل رواية أو روايتين كما أن الضعف المادي جعل تلك الفرق لا تترقى ولا تعمل بانتظام، ولقد نشـأ المسرح الحقيقي سنة 1919م حيث مثلت في الجزائر روايات هزلية فكاهية في قالب اجتماعي وكانت التمثيليات من تأليف "ديمون سعد الله" و"علالو سلالي" حيث مثّلت مسرحيات أشهرها "الكورصال" التي مثّلت بالعاصمة سنة 1923م، وفي هذه السنة نشأت فرقة تمثل بالعربية الفصحى وأشهر مسرحياتها (في سبيل الوطن، فتح الأندلس) وهما من

1- أنظر: المدني، كتاب الجزائر، ص. 348.

2- للتوسع طالع أعداد جريدة الفاروق، (ع 68- 06 جويلية 1914م)- (ع67 – 30 جوان 1914م) – (ع 66- 23 جوان 1914م) على سبيل المثال.

PDF Compressor Free Version

تأليف محي الدين باش تارزي[1] ودامت في عملها الى سنة 1926م، ثم نشأت فرقة الزاهية التي أسسها "علالو سلالي" وأشهر رواياتها الممثلة "جحا" و"بوعقلين" وفي هذه الأخيرة سطع نجم رشيد القسنطيني، حيث ألّف ومثّل بعدها أكثر من ثلاثين رواية، وتعد مرحلة الثلاثينات والأربعينات من أعظم المراحل في حياة المسرح الجزائري كما نشأت بقسنطينة فرقة "ناصر الدين ديني" وبعنابة فرقة "المزهر البوني" و"نادي السعادة" بتلمسان.[2]

بالإضافة إلى هؤلاء شارك في النهضة الجزائرية جماعة النخبة وكتلة المحافظين بصراعهما وتناقضاتها وحملاتهما كل بطريقته الخاصة وقد أعطتا للنهضة دفعة قوية، وفي الأخير فإن المتتبع لأوضاع الجزائر وصيرورتها الحضارية في ظل الهيمنة الاستعمارية الفرنسية يتبين أن أمرها قد آل بعيد فترة المقاومات إلى الحالة المزرية المتمثلة في الحقائق التالية:

- تشديد الخناق الاستعماري على المواطنين الجزائريين وبخاصة سكان الأرياف وذلك بتجريدهم من أراضيهم الخصبة وإثقال كواهلهم

1- باش تارزي (محي الدين)، "المسرح الحديث في الجزائر"، الأصالة، ع24، الجزائر: 1975م، ص. 299. -للاطلاع أكثر راجع: - رمضان (علي)، " أضواء على المسرح الجزائري "الثقافة، ع 79، جانفي/ فيفري 1984م، ص. ص.23-40. - مجلة الأقلام، ع6 (خاص بالمسرح الجزائري).

2- المدني، كتاب الجزائر، ص. 343.

PDF Compressor Free Version

بالضرائب والغرامات وتعجيزهم اقتصاديا بوسائل مختلفة حتى يضعفوا عن تنظيم أية مقاومة.

- ضرب تقاليد نظام العروشية المتميزة بالوحدة والتضامن القبلي بواسطة تراب العروش الجماعية وذلك بإلغائهم لملكية وأصالة أرض العرش لصالح المعمرين أو الدولة، وبهذه الطريقة تم تفكيك البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري.

- القضاء على مقومات المجتمع الجزائري بضرب التعليم الإسلامي المسجدي وتوابعه وفرض سياسة التعليم الفرنسية الاستعمارية، ومن ضمن المقومات المهدّمَة أيضًا (القضاء الإسلامي- اللغة العربية- الأوقاف...)[1].

- روح المقاومة الحضارية المتجددة لدى الجزائريين حيث لاحظنا تميزها عبر المراحل الزمنية للهيمنة الاستعمارية، فالصدمة الحضارية للاستعمار لم تستطع القضاء -رغم طغيانها- على جذوة المقاومة والرفض لدى الجزائريين.

1- عيساوي (أحمد)، الحياة العلمية والدعوية للشيخ سيدي محمد الطيب مبروك باشا الزيتوني التبسي، الجزائر: مطبعة الفنون الخطية، ب.ت، ص. 17

PDF Compressor Free Version

ج- الحركة التأليفية والفنية والدعوة إلى إحياء التراث:

كان تأسيس مدرسة الآداب في الجزائر سنة 1879م وتلقي المدارس في كل من قسنطينة ووهران كراسي اللغة العربية، ذا أهمية كبرى للدراسات العربية التي شهدت نشاطا مضاعفا، وكان المستشرقون يتسابقون في مجال البحث ونشر الكتب والدراسات، وأوجدت هذه المدرسة في وقت شعر فيه الأساتذة بالحاجة إلى القيام بأعمال شخصية خاصة وان البحث العلمي في فرنسا قلما يكون في جماعات[1].

وشغل المستشرق هوداس كرسي اللغة العربية عند افتتاح هذه المدرسة، وكان يساعده بلقاسم بن سديرة وروني باسي في شغل كرسي اللغة العربية وعهد بالدروس التي كان يلقيها باسي في الأدب إلى المستشرق ادمون فانيان[2].

وبقي روني باسي في مدرسة الآداب بالجزائر إلى غاية وفاته سنة 1924م، حيث أصبح أستاذا فيها سنة 1885م ثم مديرا لها في سنة 1894م وأخيرا عميدا لها عندما تحولت سنة 1909م إلى كلية للآداب وله دور كبير في الدراسات العربية في الجزائر وكان عالما أكثر منه مدرسا، وشملت

1- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، تر: عمر لطفي العالم، ط2، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001، ص. 262

2- العربي (إسماعيل)، حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر: م.و.ك، 1984م، ص. 39

PDF Compressor Free Version

أعماله البيلوغرافيا والتقارير العلمية والتاريخ الديني والفنون الشعبية والتاريخ والجغرافيا الإفريقية واللغات الإفريقية واللهجات العربية البربرية والإثيوبية[1].

وساهم فانيان كذلك في الدراسات العربية في الجزائر بشكل كبير، ونشر الكثير من الدراسات وترجم عدة أعمال إلى اللغة الفرنسية مثل تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية المنسوب للزركشي وملخصا لكتاب البيان المغرب لابن عذارى ومقتبسات من كتاب النجوم الزاهرة لابن تغريدي تعلق بالمغرب، ونصوصا من مخطوطات عربية في التاريخ والجغرافيا تتعلق بشمال إفريقيا، وكتاب الاستبصار لمؤلف مجهول، كما كان له اهتمام بالفقه الإسلامي، فقد ترجم بعض فصول مختصر الخليل وعلق عليها، وترجم رسالة القيرواني في الفقه المالكي[2].

والتحق بمدرسة الآداب كل من المستشرق ادمون دوتي E. doutté الذي خلف الكثير من الأعمال أهمها " المنارة والإسلام" والإسلام في الجزائر سنة 1900م، ودراسة عن الإسلام في المغرب والعيساوية في تلمسان، وكذلك المستشرق جبريال كولان G. colin الذي كان يحمل شهادة دكتوراه في الطب وشهادة دكتوراه في الآداب، والأطروحتان اللتان

1- henry massé : les études arabes en algériens (1830-1930), revue africaine, vol 74, 1933, p.p. 235 -236

2- إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص. 43

PDF Compressor Free Version

تقدم بهما كولان شهادة الدكتوراه في الطب تعالج الأول الطبيب الجزائري عبد الرزاق الجزائري الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري، والثانية الطبيب الأندلسي ابن زهر، بالإضافة إلى المستشرق ليون جوتي L. goutier الذي اشتغل في مجال الفلسفة العربية الإسلامية[1].

وتوج النشاط الكبير الذي قام به المستشرقون في الجزائر، بانعقاد مؤتمر المستشرقين الرابع عشر سنة 1905م بالجزائر، وتكمن أهمية هذا المؤتمر في كونه أول مؤتمر استشراقي ينعقد خارج أوربا، فمؤتمرات الاستشراف كلها التي عقدت كانت داخل أوربا[2]، وربما يكون هدف فرنسا من اختيارها للجزائر هو دعم طرحها الذي يقول بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وهي امتداد طبيعي لها فيما وراء البحار.

وترأس هذا المؤتمر ريني باصيه، وشاركت في أكثر من 500 شخصية علمية، منها مستشرقون أوربيون وعلماء عرب ومسلمون، وكذلك بعض الباحثين والعلماء الجزائريين مثل محمد بن أبي شنب، وأبو بكر عبد السلام، والذين قدموا فيه دراسات وأبحاثا كثيرة[3]، نشرت خلاصاتها في المجلة الإفريقية.

1- henry massé: les études arabes en algériens, OPcit, p.p. 237 -239.

2- الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه (خاصة في الجزائر)، الجزائر: دار المنابع، 2004، ص. 103

3- المرجع السابق، ص. 104

PDF Compressor Free Version

كما حدث أثناء الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، فقد اصطحب الجيش الفرنسي عددا من المترجمين والمستشرقين، كما اصطحب معه المطبعة والاهم من ذلك فإن الفرنسيين جاؤوا بنظمهم وأفكارهم لغرسها بين الجزائريين، بدل القيم العربية الإسلامية، ومع المطبعة ظهرت الصحف والجرائد وطبع الكتب ومع الترجمة ظهر نقل الأفكار من والى اللغة العربية، ومع المستشرقين جاءت العناية بالتراث الجزائري والعربي والإسلامي.[1]

وانطلقت الدراسات الاستشراقية في الجزائر منذ نزول الحملة الفرنسية بسيدي فرج سنة 1830م، وبدأها مجموعة من المترجمين الذين اصطحبهم الجيش الفرنسي حيث وزع على ضباط الجيش الفرنسي قاموسان يحتوي كل منهما على كلمات بالفرنسية ومقابلها باللغة العربية فالأول وضعه المترجم بن يامين فانسانت، والثاني وضعه ابراهام دانينوس، الذي ولد في الجزائر سنة 1797م، وكان يعمل في سنة 1830م مترجما لدى المحكمة التجارية في ولاية السين.[2]

1- سعد الله (أبو القاسم)، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، مجلة الأصالة، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة الثالثة، ع (14 -15)، ماي جوان، جويلية أوت، 1973، ص. 10

2- العربي إسماعيل، الدراسات العربية في الجزائر (في عهد الاحتلال)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص. 8

PDF Compressor Free Version

ويعتبر المنشور الذي وزعه الجنرال دوبورمون على الجزائريين، أول دراسة إستشراقية مهمة في الجزائر، وتمت ترجمته قبل رحيل الحملة الفرنسية من ميناء طولون، وقام بها جان شارل زاكار بالتعاون مع المستشرق سلفاستر دوساسي والمستشرق بيانتشي، وكان زاكار الذي ولد في دمشق سنة 1789 م، يعمل قسيسًا في كنيسة سانت نيكولاس في مرسيليا، وعين في وظيفة مترجم للجيش مع بقائه في منصبه في الكنيسة[1].

وتم تنظيم دروس في اللغة العربية للفرنسيين، وكانت هذه الدروس عمومية وبدون مقابل، وكلف بإلقائها جوني فرعون وحظيت بكثير من الإقبال عليها وتحولت الدروس العربية التي كانت تلقى في الجزائر إلى كرسي اللغة العربية سنة 1836م الذي عين فيه بريزني[2].

وقام المستشرقون الفرنسيون بنشر الكثير من كتب التراث وتحقيقها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية، وألفوا كتبا في اللغة العربية والنحو والبلاغة، ووضعوا قواميس والكتب المدرسية، كما كتبوا عن العادات والتقاليد الجزائرية، ومن أبرزهم المستشرق شاربونو الذي خلف العديد من الأعمال أهمها قاموسان فرنسي عربي وعربي فرنسي، وبحوث عن اللهجة الجزائرية وكذلك المستشرق دوسلان الذي نشر رسالة في

1- henry massé: les études arabes, O P cit, p.209

2- Cœur (A). : mots sur les choirais de langue arabe (d'Alger, de Constantine et d'Oron 1832-18797), revue africaine, vol65, 1924, p.21

PDF Compressor Free Version

المجلة الآسيوية عن المخطوطات العربية الموجودة في الجزائر، وترجم مقدمة ابن خلدون.[1]

ومنذ الوهلة الأولى، حاول الفرنسيون تأسيس مكتبة عامة في الجزائر يجمعون فيها المخطوطات والوثائق التي يحصلون عليها، وتكون مرجعا لمستشرقين والباحثين وظهرت النواة الأولى لها سنة 1835م، في عهد الحاكم العام كلوزيل وأضيف لها متحف اثري باقتراح من المتصرف المدني بريسون Bresson لكنها لم تبدأ العمل بشكل فعلي، إلا في سنة 1838م[2]، بسبب بقاء الفرنسيين محاصرين في مدينة الجزائر ووهران وعنابة إلى سنة 1836م والتي بدأ فيها الجيش الفرنسي بالتقدم نحو المناطق الداخلية لجزائر خاصة مدن معسكر تلمسان وقسنطينة الغنية بالمخطوطات والوثائق.

وكان الضباط الجزائريون يجمعون كل ما تقع عليه أيديهم من مصادر مكتوبة وشفوية وآثار قديمة وحديثة، ويستعملون القوة والضغط أو الإغراء بالمال للحصول عليها، وكان المستشرق ادريان بربروجر Adrien Berbrugger يتبع جيش بلاده في غزواته ويجمع مخطوطات التي تركها أصحابها الفارون، وهي المخطوطات التي شكلت نواة المكتبة العامة

1- العربي إسماعيل، الدراسات العربية في الجزائر ص. ص. 21، 23

2- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 90.

PDF Compressor Free Version

والتي أصبح محافظا لها[1]، ومع ذلك فإن الكثير من المخطوطات والوثائق قد نقلت إلى المكتبات الفرنسية، منها بعض المخطوطات من مدينة قسنطينة، بعث بها جنود الحملة كهدايا[2].

كما أن أنشئوا اللجان العلمية والجمعيات التاريخية والأثرية، ففي سنة 1837م، أنشأت وزارة الحربية لجنة اسمها "اكتشاف الجزائر العلمي" ونشرت هذه اللجنة دراسات هامة في عدة أجزاء عن الآثار والعلوم الطبيعية والتاريخ والسلالات والفنون الجميلة، ثم أسست جمعية قسنطينة للآثار سنة 1852م والتي كانت وراء ظهور الدوريات المتخصصة في الدراسات التاريخية والأثرية كما أنشأت الجمعية التاريخية سنة 1856م في مدينة الجزائر بوحي من الحاكم العام راندون randon والتي أصدرت المجلة الإفريقية.[3]

وفي مجمل القول فإن السيطرة الفكرية الاستعمارية تجلّت في ثلاث مظاهر:

1- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 90

2 - froncis la loe : à-propos de l'incendie de la bibliothèque pour les arabes (les manuscrits arabe de Constantine), revue africaine, vol66, 1925, p.107

3- سعد الله (أبو القاسم)، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، ص. ص. 8- 9

PDF Compressor Free Version

1- محاربة التعليم واللغة العربية والعلوم الإسلامية حتى أن بولايد يقول :«...إن وصول الفرنسيين أحدث بلبلة عميقة في عالم المفكرين والأدباء».[1]

2- عقم التعليم الرسمي المخصص للجزائريين وضعف نسبته أما ما يرجع للمنظمات الثقافية والفنية العامة فتكاد تكون كلها مقصورة على الأجانب ولغتهم إلا فيما تدعو إليه حاجة الدعاية.

3- الدعايات التبشيرية التي تهدف إلى نشر المسيحية بطرق ملتوية ولا أخلاقية هذه هي ضروب السيطرة الفكرية التي كانت محور السياسة الفرنسية في الشمال الإفريقي منذ عهد الاحتلال والتي أخذت صبغة النشاط المستمر والعمل القوي لتحقيق الأهداف الاستعمارية في أمن من كل المنازعات الأجنبية والتدخل الدولي.

والواقع أنه إذا كانت المؤسسات الفكرية الإسلامية عام 1830م تسيّر ثقافة لأربعين بالمئة (40 %) من الأولاد الجزائريين، فإن المدارس الفرنسية لم تتمكن أبدًا من استيعاب أكثر من خمس الأولاد الجزائريين الذين هم في سن الدراسة[2]، وفي الجهة الأخرى وكرد فعل لهذا التعسف الفكري الذي مس أحد مقومات الحياة الفكرية مثل: جمعية العلماء،

1- الفاسي، المغرب العربي، ص. 68

2- هنري (كلود) وأندرى (برينان) وإيف (لاكوست)، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، تر. محمد عيتاني، بيروت: منشورات مكتبة المعارف، ب.ت.- العقاد (صلاح)، المغرب العربي من الاستعمار إلى التحرر، ج2، مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، 1958م ص. ص. 23 24-

PDF Compressor Free Version

حزب الشعب وحركة عدم الانتصار تنشيط وتمويل ونشر التعليم الوطني في ربوع البلاد، وقد تبنى الجزائريون بطريقة تلقائية هذا التعليم الموازي ووجدوا فيه تعبيرا عن شخصيتهم الوطنية وإن كان لا يلبي مطامحهم إلى الارتقاء الشعبي بمحتواه التربوي والتقليدي وهياكله المادية الفقيرة، قد حقق هدفين هما:

- ساهم في تعزيز المقاومة البطولية للجزائريين وعدم الاعتراف بثقافة المستعمر فقد كانت شبكة المدارس الشعبية في بداية الثورة على النحو الآتي (123 مدرسة ابتدائية – 58 مدرسة ثانوية – جامعة شعبية أسسها ابن باديس بالإضافة إلى البعثات التي كانت ترسل إلى بعض البلدان العربية...).[1]

- نجح في مواجهة مخطط التجهيل الذي طبقة المستعمر كما أنه أيقظ الوعي الوطني ونقل الصراع من المواجهة العسكرية البوليسية إلى المواجهة السياسية والحضارية في انتظار نضج الوعي الثوري.

1- الورتيلاني (الفضيل)، الجزائر الثائرة، الجزائر: دار الهدى، 1992م، ص. ص. 142-144. للتوسع راجع:

- الجندي (أنور)، الرسائل الإسلامية (أعلام الإسلام)، مصر: دار الاعتصام، ب ت، ص. 139

- ولد خليفة، المرجع السابق ، ص. ص. 76-77

PDF Compressor Free Version

وبالنسبة للوضع الاجتماعي والديني أن صحّ التعبير كان الإسلام قبل الاحتلال الفرنسي لا يفرق بين الأمور الدينية والدنيوية، ولم تكن الثقافة بمعزل عن الدين حيث كان التعليم مركزاً على العلوم الدينية ولا يهتم بالتقنية والعلوم القانونية، فالاستعمار بحكم مبادئه العلمانية لم يكتف بعلمنة المجتمع بل تجاوزها إلى حلّ كل المؤسسات الثقافية والاستحواذ على الأوقاف والسيطرة على الشعائر الدينية وتضييق الخناق على اللغة العربية ولو قارنا الوضع بما كان عليه في تونس التي لم يدخلها الاستعمار إلا سنة 1881م والتي كانت عدد سكانها أقل بثلاث مرات من سكان الجزائر لتبيّن مدى التفقير الثقافي.[1]

وفي المرحلة الاستعمارية أضحت أمور الدين الإسلامي في الجزائر ترجع بصفة عملية إلى إدارة الأمور الأهلية في الولاية العامة لأن قوانين سنة 1905م قد فصلت الدين عن الدولة ولم يشمل هذا القانون الدين الإسلامي وقبل ذلك كانت تسيّره إدارة الأديان حيث تقوم بنفقات رجال الدين وكان في ذلك حيفا غريبا حيث «كانت تنفق على الدين المسيحي(884000 فرنك) وعدد أفراده 623000 وعلى الدين الإسرائيلي (31000 فرنك) وعدد أفراده (64000) بينما الدين الإسلامي فتنفق عليه

1 – Pierre (Boyer), Evolution de L'Algérie Médiane, Maison Neuve, Paris,1960.

337000 فرنك رغم أن عدد أتباعه يتجاوز 4500000 شخص.»[1] فإذا قسمنا ذلك على رؤوس الأفراد ناب عن كل كاثوليكي من ميزانية الأديان (1,30 فرنك) وكل بروتستانتي 8 فرنك، وكل إسرائيلي 50 سنتيمًا، وكل مسلم 07 سنتيمات، ومع قرار 1907/09/27م، أصبحت كل المساجد والمعاهد الدينية وأوقافها ملكًا للدولة وتتصرف فيها جمعيات دينية يمكن للمسلمين أن يُؤلفوها في كل ناحية وتعترف بها الدولة.[2]

PDF Compressor Free Version

لقد كان من الصعب أن نتحدث بالخصوص عن الإنصاف أو التجرّد من الانحياز حيال الديانات، إذ أن الميزانية المخصصة لكل مسلم تقل سبع مرات عن الميزانية المخصصة لكل إسرائيلي و22 مرة عن الميزانية المخصصة لكل كاثوليكي و120 مرة من الميزانية المخصصة لكل بروتستانتي وفي مثل هذه الظروف لم يكن من حق الرأي العام الأروبي في الجزائر أن يشتكي من قلة فعالية «هيئتنا الدينية الرسمية الإسلامية إزاء "الأخوان" هؤلاء الفحامين المرتدين قندورة (جبة) والذين يتعين القضاء على أسباب قوتهم».[3]

1- المدني، كتاب الجزائر، ص. 348

2- نفسه، ص. 349

3- أجيرون (شارل روبير)، المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجيات (1850-1900)، تر. العربي ولد خليفة، الجزائر: مطبعة ثالة، 2002م، ص. 156. راجع أيضا: - حربي (محمد)، الثورة الجزائرية (سنوات المخاض)، تر: نجيب عياد، صالح المثلوثي، الجزائر: موفم للنشر، 1994م.

PDF Compressor Free Version

وفعلاً فقد كان السفر إلى الحج ممنوعا من سنة 1881م الى سنة 1886 م تقريبًا تحت الذرائع المألوفة من تفشي الأوبئة أو وجود توتر دولي لكن المنشورات لم تكن تدع مجالا للشك في وجود نية مبيّتة هي التقليل من السفر إلى الحج ثم منعه «إن الرأي العام الأوربي الذي وقف دائما ضد السفر إلى الحج سينزعج أيما انزعاج لو كتب لهذا السفر أن يتحقق»[1] هذا ما ورد في منشور صدر سنة 1882م. ذلك أن الإدارة الفرنسية في ذلك العهد وإن كانت تُطري وتمتدح الحياد الديني الذي تلتزمه الدولة، تعتزم المضي في سياسة التدخل وهدفها واضح في ذلك وإن لم يكن مصرحا به، وهو الحط من الإسلام وإذلاله وتدميره أو على الأقل ترسيخ اللائكية في الأذهان والأفكار.

ثم أن المجال الوحيد الذي ظل مفتوحًا أمام الجزائريين للتعلم والتعارف والتشاور كان المسجد أو الزاوية مما دعا الإدارة الفرنسية إلى شن حرب ضد معالم الإسلام فألغيت منذ البداية كل مقتضيات الشرع التي كانت تعرقل توسع الملكية الخاصة أو ازدهار المعاملات الرأسمالية ثم جاء قرار 17 أفريل 1889م الذي منع القاضي من التدخل في أية مسألة لا تتعلق مباشرة وصراحة بالزواج أو الطلاق أو الإرث والتي

1- أجيرون، المجتمع الجزائري، ص. 157

PDF Compressor Free Version

أصبحت من اختصاص العدالة الفرنسية[1]. ثم تطلعت الإدارة الفرنسية إلى محو آثار العقيدة الإسلامية من حياة الجزائريين أنفسهم والبربر بخاصة، حيث كان يقال أن إسلامهم لا يتعدى الطقوس وحركات الجوارح.

كما كانت الجزائر - بسبب هذه السياسة المتعمدة- وقبل ا لحرب العالمية الأولى خصوصًا يسودها ظلام حالك من الجهل والفوضى ويشلّ حركتها اعتقاد باطل من الخرافات والشعوذة حتى غدت وكأنها قد نوّمت تنويما مغناطيسيا تحت تأثير طلاسم الطرقيين وبات زمام الأمة بين الأولياء وشيوخ الزوايا يستغلون عاطفتها الدينية استغلالا رهيبا، ولعل ما اتسمت به هذه الجمعيات الدينية* من فعالية خلال القرن 19 م أكسبها سمعة ذائعة الصيت وأحلها من الأمة محلاً مقدسًا مما جعل الغالبية تتشتت بها حيث يقول كوبولاني: «ولمشائخ الطرق الصوفية والمرابطين نفوذ عظيم وأن العلماء والمدرسين وأئمة المسجد لا يكادون يكو نون شيئًا بالقياس إلى المرابطين ومشيخة الطرق»[2].

1- العروي، المرجع السابق ، ج3، ص. 175

* - أن في الجزائر حسب تحقيقات دوبون Dopont وكوبولاني Coppolani 23 طريقة صوفية لها 295185 مريد وعليها 57 شيخا و6000 مقدم وعندها 49 زاوية وتجبى من الإخوان 07 ملايين راجع: - ناصر(محمد)، المقالة الصحفية، ج1، ص. 107

2- ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، ج1، ص. 107. راجع أيضًا: المحافظة (علي)، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798 – 1814)، ط3، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983م، ص. 37 - المدني، المصدر السابق ، ص. ص. 350- 353

PDF Compressor Free Version

3. الوضع الاجتماعي للجزائر«1900 - 1954»م

إن النشاط الكبير للدراسات الاستعمارية التي لعبت في مرحلة أولى دور الاستكشاف لخصائص المجتمع الجزائري لخدمة التغلغل الكولونيالي قد تركَّز في مرحلة ثانية على وضع أسس نظرية متكـاملة حول شخصية الأهالي ومكوّناتهم السوسيولوجية وتوزيعهم إلى ثقافات فرعية وعناصر سكانية متمايزة تتربص ببعضها البعض وتتبادل الحقد والكراهية والتعصب البدائي وهم يشتركون جمـيعًا في الدونية أي النقص الوراثي المتمـثل في التأخر العقلي والتخلخل النفسي الذي يكشف عنه سلوك الأفراد والجماعات، والواقع أن المغالطة ليست جديدة في الإيديولوجية الكولونيالية وهي نفسها التي استعملت لإبادة الهنود الحمر في أمريكا، وقد سيطرت هذه النظرية المشبوهة على مجمل الأبحاث التي نشرت قبل 1954م[1]، فباستثناء عدد قليل من المفكرين المتعـاطفـين مع نضـال الجزائر فإن تلك المدرسـة لن تتخلص أبدًا من تلك المسلّـمات عن البناء الثقافي والانتماء الحضاري لما يسمى السكان الأصليون.

إن دراسة الأصول الاجتماعية والخلفية الثقافية لهذا الرعيل من منشطي الحركة السياسية وتشكيلاتها ستساعد على فهم التطورات التي

1- ولد خليفة (محمد العربي)، المرجع السابق، ص. 52

PDF Compressor Free Version

عرفتها الحركات والأحزاب منذ 1908م حتى 1962م أثناء الفترة الفاصلة بين سنتي (1880–1930)م بلغ الاستعمار الفرنسي في الجزائر أوجه ولم يعد له من رادع سوى ما يفرضه هو على نفسه من ضوابط أو كما عبّر عنه الفرنسيون بمقولة – الرجل الأبيض– حسب تعبير الشاعر الانجليزي (رويدر كيبلينغ): «وآية هذا الانتصار التام هو أنه لم يترك للشعوب الضحية سوى الثورة اليائسة أو الاستسلام للقدر...»[1] عندئذ تسارعت وتيرة تحطيم المجتمع المحلي الذي كان قد فُصل منذ زمن مصيره عن مصير السلطة الذي وجد نفسه مستهدفًا من كل الجهات في عملية غايتها تجريد الفرد من كل حماية جماعية وإعادته قسرًا إلى مستواه الفرداني حيث شيّد بإزائه مجتمع آخر بقاعدته العقارية وبنيته الاقتصادية وأجهزته الإدارية[2]، فهاتين العمليتين الإفنائية من جهة والإنسانية من جهة أخرى أدت إلى تشكيل طبقة برجوازية صغيرة تطورت مع الزمن فصار منها أرباب العمل وملاك الأراضي الشاسعة الذين يمكن اعتبارهم بمثابة الإقطاعيين حتى أصبحوا ينعتون بدورهم بالكولون المسلمين "COLONS MUSULMANS" وأصبحت هذه الفئة المحظوظة من الأهالي الجزائريين تسمى في المصادر الفرنسية بالبرجوازية الكبيرة في مقابل البرجوازية

1– العروي، المرجع السابق ، ج3، ص. 161

2– نفسه، ص. 162. راجع أيضا: العقاد (صلاح)، المغرب العربي من الاستعمار إلى التحرر، ج2، ص. ص. 11–23

PDF Compressor Free Version

الصغيرة المشكَّلة من الموظفين الملحقين بالإدارة الاستعمارية وبعض الضباط الصغار ومن أغلبية أبناء هؤلاء المحظوظين تكوّن جيل فرانكفوني أصبحت تنعته المصادر الفرنسية باسم "الرجال الجدد" ومن أغلبية هؤلاء سيتكون ما سيَعرف فيما بعد باسم جمعية طلبة إفريقيا الشمالية المسلمين[1] وبتكاثر هذه الفئة من أبناء البرجوازية الصغيرة على مرّ الزمن والتي صارت تنعم بالامتيازات بفضل المهن التي تمارسها (الصيدلة – الطب– المحاماة...) تشكّلت طبقة جديدة يمكن اعتبارها وسيطًا بين البرجوازية الكبيرة والتي كان أغلبها جاهلاً وبين البرجوازية الصغيرة التي وصلت إلى مستواها بسبب ولائها لأرباب النعمة في الإدارة الاستعمارية[2].

لكن لسياسة المستعمر حدود لا يمكن تجاوزها حتى ولو خرج الأجنبي من جلده وتقمص جلدًا فرنسيًا وبقيت هذه الطبقة من المثقفين الفرنكفونيين تراوح مكانها، لكنها بالمقابل سعت جاهدة بدافع من

1–Guy (Perville), Les Etudiants Algériens, P. 37

2– Voir:

– Hardy (Geurges), Histoire Sociale de La Colonisation Française, Paris,1953.

– Ageron (Ch.R), Les Classes Moyennes Dans L'Algérie Coloniale. Paris: Ed Gresm, 1980, P.P.52–75

PDF Compressor Free Version

الإدارة الاستعمارية إلى القيام بدور الوسيط لتقريب الشُقة بينها وبين من تسميهم «بالجهلة والبرابرة»[1].

وفي السنوات الأولى من القرن العشرين كان المجتمع الجزائري متأرجح بعد أن عمل فيه بعمق تطور الاستعمار؛ مجتمع يحكمه قانون التبعية الأهلية، مجتمع مفتقر مكوّن من مدن - ثكنات تراقب أريافًا... مجتمع منزوع الثقافة بفعل هدم وإخضاع الأجهزة الثقافية لما قبل الاستعمار[2].

ففي بداية القرن العشرين يستهل المجتمع الجزائري المرحلة الأولى من نهضته التاريخية متلمسًا خطاه، وتظهر العناصر الأولى من انتلجنسيا جديدة تربت جزئيًا على الأقل في الجهاز الثقافي الاستعماري، كانت الجزائر تعد منها عشية الحرب الأولى 240 مدرّسًا، و40 من حملة الشهادة الثانوية و25 محاميًا وطبيبًا .. انتلجنسيا هشَّة دون قاعدة

1- Guy Pervillé, Op.cit., P 37, et Ismail (Homet), Les Musulmans Français dans Le Nord de L'Afrique, Paris: 1906.

2- جغلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث (دراسة سوسيولوجية)، تر. فيصل عباس، بيروت: دار الحداثة، 1983م، ص61. راجع أيضًا: - التميمي (عبد المالك خلف): الخليج العربي والمغرب العربي، الكويت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1986م، ص.ص.194- 197

PDF Compressor Free Version

اجتماعية مهمة، لذا توشك أن تنقطع عن المجتمع الجزائري وتندمج بشكل فردي في المجتمع الفرنسي[1].

وبعملية الإفناء ثم الإنشاء التي مارستها الإدارة الاستعمارية وبتشكل طبقة الكولون المسلمين كوسيط اجتماعي بين الفئة المهددة والفئة المعدة للإنشاء تكون بنية المجتمع الجزائري قد تصدّعت بعامل الصدمة الاستعمارية التي توخى منفذوها تنظيم نصف إقطاعي في التركيب الاجتماعي الجديد «فالاستعمار لم يهتم إلا بما يجلب له الفائدة لوحده »[2]، ومع بلوغ التصدع ذروته أخذت بعض المناطق في الهجرة الجماعية بسبب تدهور أرزاقهم ونزع أراضيهم، زيادة على ذلك فإن أوضاع الحرب الأولى ساعدت على مواصلة العدوان الفرنسي على أملاك الجزائريين بدعوى إخماد المقاومات الشعبية الثائرة.

كما كانت حصيلة إقحام الجزائريين في الحرب الأولى باهظة ومكلفة فكان عدد القتلى من بين سكان الأرياف يفوق عدد القتلى من بين سكان المدن نقيض الفرنسيين والأدهى من ذلك هو معدل سن هؤلاء إذ كانوا جميعًا من الشبان بين العشرين والأربعين من العمر وهي خسارة مضاعفة للسكان فانخفضت عدد الولادات بين المسلمين من

1- نفسه، ص. 70

2- أندري (برنيان)، أندري (نوشي)، إيف (لاكوست)، الجزائر بين الحاضر والماضي، تر. رابح اسطنبولي وآخرون، باريس: د.م.ج، 1960م، ص. 405

PDF Compressor Free Version

125000 سنة 1914م إلى 102000 سنة 1919م فكان النقص العام يقدر بنسبة 134.000 طفلاً كما ارتفع عدد الوفيات بين المسلمين فكان النقص بينهم بمعدل 2100 نسمة مقابل 1133 نسمة لدى الأوروبيين[1].

كان إحصاء عدد السكان في الجزائر مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالجهاز الإداري العسكري الفرنسي فالعسكريون هم من كانوا يقومون بإحصاء عدد السكان إلى غاية 29 مارس 1870م فمنذ سنة 1833م بدأ بجرد الولادات والوفيات حسب كل جنسية.

و في هذه الأثناء ومع أن الجزائر كانت تعيش تحت النظام العسكري إلا أنها أسست إدارة الشؤون المدنية داخل الحكومة في الجزائر، وكانت المكاتب العربية هي التي تشرف على عملية إحصاء السكان مستعينين برؤساء العشائر والقياد والشيوخ الذين هم أعضاء في المكاتب العربية وبين سنتي (1844– 1845) عرف سكان الأهالي أول إحصاء لهم. ونشرت نتائجه سنة 1857م في جدول المؤسسات الفرنسية تحت اسم بيانات إحصائية موجزة، حيث قُدر عدد سكان العشائر الذين قسموا إلى عدة أصناف: (خيالة، مشاة، وغير محاربين، نساء، أطفال، شيوخ) بعشرة آلاف نسمة.

1– نفسه، ص. 415

PDF Compressor Free Version

كما قامت الإدارة العسكرية بإحصاء سنة 1876م وكان بمثابة الإحصاء العام لسكان الجزائر عامة (مسلمون، أوروبيون). وشمل الجزائر الشمالية وبعض الأجزاء من الجنوب: بسكرة، الأغواط، الجلفة، عين الصفراء[1].

كان هذا الإحصاء دون إحصاء منطقتي الصحراء والقبائل لأنهما لم تكونا تحت رقابة السلطات الفرنسية وكان عدد سكان الصحراء أقل من 10% من مجموع سكان الجزائر بينما كان مجموع سكان منطقة القبائل حوالي 30 ألف إلى 50 ألف نسمة. وقد كانت الجزائر البلد الإفريقي الوحيد الذي يتم فيه الإحصاء كل 5 سنوات (1886-1892) وذلك في الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر سواء المعيشية أو الصحية بالإضافة إلى الثورات الشعبية[2].

ومن جهة أخرى فإلى سنة 1954م بقي السكان الجزائريون بنسبة 78% يتعاملون مع الأرض كمصدر أساسي لرزقهم، وكانت بيد (615544 فلاح) جزائري في سنة 1930م ما يقارب 7565967هكتار لتنزل

---

1 - أجيرون: المسلمون الجزائريون وفرنسا (1871- 1919م)،ج1 ، ص.311

2 - كاتب كمال، أوروبيون أهالي يهود بالجزائر (1830 - 1962 م) تمثيل وحقائق السكان، تر.رمضان زيدي، دار المعرفة، الجزائر 2011 ، ص. ص. 33 - 36

PDF Compressor Free Version

عام 1950م إلى 7349100هكتار منها حوالي 70% ملكيات صغيرة تقل عن 10هكتارات.[1]

والمجتمع الريفي الجزائري لم يكن كله على مستوى واحد من الحياة إذ كان يوجد من ضمنه ملاك كبار يمثلون الارستقراطية العقارية والبرجوازية الريفية التي بلغ تعداد أفرادها عام 1954م (3496 مالكًا) تتعدى ملكية الواحد منهم (100هكتار)، أما عن دخلهم السنوي فقد بلغ معدله بنحو 560000 ف.ف، يليهم الفلاحون الميسورون والمكوّنون للطبقة الوسطى والذين لهم دخل يتراوح ما بين 200000 – 500000 ف.ف وملكيات تتراوح مساحتها ما بين 11 و50 هكتار أو ما بين 50 و100 هكتار.

ثم في الأخير تأتي طبقة البروليتاريا الفلاحية المتكونة من العمال والفلاحين المقدر عددهم بنحو 573000 بين عامل دائم وعامل مؤقت والبالغ دخلهم السنوي حولي100000ف.ف ومن أصحاب الملكية المجزأة الصغيرة ومن الخماسين[2]، وإذا كانت هذه النوعية المهنية ضمن الفئة البيروليتارية تحيى في عمومها حياة الفقر والكفاف، فإن الأكثر حرمانًا بعد البطالين والخمّاسين هم العمال والفلاحون المؤقتون.

1- سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات وشهادات مهداة إلى أبو القاسم سعد الله، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000م، ص. 200

2- نفسه، ص. ص.201- 202

PDF Compressor Free Version

وجملة القول فالريف الجزائري خلال الفترة الاستعمارية عرف تمايز طبقي حاد، زادته الأزمات الاقتصادية في سنوات(1920 – 1921)م، (1930 – 1931)م حيث لوحظ تزايد تمركز الأراضي في أيدي الملاك الكبار والمتوسطين في أوساط المعمرين[1]، أن هذه التغيرات تسبّبت في بروز الحركة الوطنية بشكل قوى ولعل هذا هو السبب الرئيسي للنزوح الريفي نحو المدن وقرى الاستيطان.

أما سكان المدن فهم أيضًا طبقات ومستويات فهم يتكونون من البرجوازية الحديثة التي تضم العناصر التي تكونت فرنسيا ومارست الوظيف أو المهن الحرة كالطب والمحاماة التي وصلت في تعداد أفرادها عام 1954م إلى 5000 نسمة لقبوا بالمتطوّرين بالنظر إلى إمكانياتهم المادية وطريقة حياتهم الأوربية تليهم الطبقة الوسطى وهي التي ينتمي إليها صغار الحرفيين والتجار الصغار والعمال المهنيين والبالغ عددهم 18100 عام 1954م وأكثرهم العمال المهنيين بـ 68000 نسمة، وبالتالي فالطبقة الوسطى الحضرية تشكل 70% من مجموع المشتغلين خارج القطاع الفلاحي المقدر بنحو 584000 أي 39,7 % بينما نسبتهم إلى مجموع سكان المدن هي 14 %[2].

1- أكاديمية العلوم، المرجع السابق، ص. 327

2- سعيدوني، دراسات وشهادات، ص. 203

PDF Compressor Free Version

وعلى صعيد آخر فالهجرة الجزائرية إلى فرنسا ساهمت هي الأخرى في خلق الطبقـة الوسطى وترقيتها وتعيش هذه الأصناف كلها مشكلة فسيفساء اجتماعي هش البنيان تنتظره تحديات عدة خصوصًا مع الفصيل الاجتماعي المتشكل داخل الجسم الجزائري (المجتمع الأوروبي).

وأمام هذه الوضعية المتردية للمجتمع الجزائري التي كان سببها الاستعمار الاستيطاني والتناقص المستمر في إمكانيات الجزائريين وهو ما أدى في النهاية إلى اختلال التوازن الاجتماعي والديمغرافي للجزائريين، وتجدر الإشارة إلى أن المجتمع الأوربي قد تحول بالتدريج إلى مجتمع فرنسي بعد اعتناق غالبية العناصر الأوروبية للجنسية الفرنسية وشعورهم جميعا بأنهم جزائريون بحكم أن 79% منهم ولدوا بالجزائر قبل 1954م، فقد كانوا يلقبونهم بالعصافير العابرة أو الباتوس التي تفيد معنى السذاجة، فإلى سنة 1886م كان عدد الفرنسيين (219000) مساويًا تقريبًا لعدد الأجانب (211000) وهذا الخطر المتزايد عالجته السلطات بقانون 1889م الذي يفرض المواطنة الفرنسية على الأوروبيين، وتعد الجالية الإسبانية المتمركزة بالخصوص في الناحية الوهرانية من أكبر الجاليات الأجنبية لكنها ذابت في المجتمع الجديد، أما على صعيد النشاط الاقتصادي فإن السكان الأوروبيين العاملين يتوزعون على مختلف

القطاعات بنسب متفاوتة (القطاع التجاري 57% - الصناعي 28.6 % - الفلاحي 9,16 %)[1].

PDF Compressor Free Version

أما عن مستوى حياة المجتمع الاستيطاني في الجزائر مقارنة بمستوى الجزائريين فقد كان في عمومه مجتمعا برجوازيا، فهذا الوصف كان ينطبق على نحو 560000 نسمة، أي على أكثر من نصف مجموع السكان الأوروبيين، ولقد بلغ عدد السكان الجزائريين في سنة 1954م نحو 870000 نسمة زيادة تصل إلى 2% وهي نسبة عالية[2] تؤهل الجزائر لأن تصبح من أكبر البلدان توفرا على فئة الشباب فأكثر من نصف سكانها شباب (53% عام 1954م)، وهذا راجع إلى :

- ارتفاع نسبة الولادات بحيث بلغت 42% ما بين (1946 – 1950)م.
- تحسن الظروف المعيشية المساعدة على الإنجاب.
- ارتفاع نسبة الزيجات والزواج المبكر وبالأخص عند الإناث.

1- نفسه، ص. ص.187-188

2- رغم أن عددهم لم يكن يتجاوز قبل خمسين سنة المليونان وسبعمائة ألف نسمة حسب رواية بيرم التونسي الذي كانت له زيارة إلى الجزائر عام 1895م. عن ذلك أنظر: - بيرم (الخامس التونسي)، صفوة الاعتبار بمستودع للأمصار والأقطار، مصر: المطبعة الإعلامية، 1311هـ، ص. ص. 6-7

PDF Compressor Free Version

❖ العلاوات الاجتماعية كعامل مشجع على الانجاب (العائلات الحضرية).

❖ انخفاض نسبة الوفيات من 27 % سنة (1947م) إلى 17,5 % سنة (1954م)[1].

لقد ساءت أحوال الشعب الجزائري الاجتماعية بعد ما استعملت السلطات الاستعمارية كل الأساليب الدنيئة من أجل الاستحواذ على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية التي وجدتها في الجزائر وتوجيهها لخدمة المصالح الفرنسية والأوروبية سعيًا منها لتحقيق مشروعها الاستعماري[2].

وفضلاً عن قانون الأهالي[3] الذي يسلط على الجزائريين المسلمين فقد اتخذت مهمة المراقبة السياسية للأهالي مع بداية القرن العشرين بعدا أخر داخل الجهاز الكولونيالي ليصبح أكثر نجاعة وصرامة عن طريق مرسوم 30 ماي 1900م بحيث أسس الحاكم العام لافاريار(laferiere) منصب المفتش الملكي خصيصا للقضايا التي تهم أهالي البلديات ثم توسيع صلاحياته إلى كافة الإقليم المدني ـ وتهتم بقضايا الأهالي الخاصة

1- سعيدوني، دراسات وشهادات، ص. 198

2- خرشي (جمال)، المرجع السابق ، ص. ص. 375 – 376

3 – للمزيد أنظر: – المدني (أحمد توفيق)، هذه هي الجزائر، مصر: مكتبة النهضة المصرية، 2001، ص. 160

PDF Compressor Free Version

عن طريق الشرطة السياسية ومراقبة الأسواق والمدارس والمؤسسات الدينية والإسلامية بعد أن تمت عمليات السيطرة على الأراضي الخصبة والعينة للمناطق الشمالية تمتد مخالب الاستعمار إلى عمق البلاد ليصبح الفلاحون عشية الحرب العالمية الأولى إلى درجة خطيرة من الفقر المدقع في حين يستولي الكولون على معظم الراضي الخصبة[1].

وكان من نتائج الاحتلال الفرنسي أن المجتمع الجزائري قد تغيرت طبيعته وتأثر الفرد بمؤثرات جديدة في الجزائري أصبح لا يخرج من داره إلا وهو ذليل بحيث أصبح الشارع فيه حضارة أخرى وأصبح الجزائري غريبا في وطنه ومجتمعه بحيث حوصر في الأحياء الشعبية الضيقة وحرم عليه الاختلاط والاحتكاك بالمستوطنين ووصف أحد الجزائريين بان تلك الظاهرة العنصرية التي شنها الاستعمار الفرنسي بقوله: «... وقلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى خطواته حدًا معينًا وكانت إدارة البريد هي الحد بين الحياة الجزائرية الحياة الفرنسية»[2].

وأصبح الأهالي يعيشون حالة من الفوضى فلم تعد هناك سلطة تدير شؤونهم كما كانت في السابق قبل دخول الفرنسيين فإن العائلات

---

1 – حروز عبد الغاني: نادي الترقي ودوره في الحركة الإصلاحية بالجزائر من 1927 – 1939م مذكرة تخرج في التاريخ الحديث لنيل شهادة ليسانس قسم تاريخ، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2، 2008، ص. 12

2 – أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ص. ص. 109 – 110

PDF Compressor Free Version

ذات نفوذ في وسط الأهالي هي التي كانت تقوم مقام السلطة الحاكمة قد قل دورها أن لم يختفي كلياَ[1].

كما قام الاستعمار بتحطيم أركان المجتمع الجزائري سواء كانت القبلية أو الهيئات القيادية التي تعتمد على الأصل والمال والزعامة الدينية، وتحول معظم السكان إلى مزارعين في مزارع المعمرين وعمالا في خدمة الرأسمالية الفرنسية الأوروبية، إذ كتب احد الأوروبيين فقال : «.. لقد حطمنا بعض القبائل القوية التي كانت لها مكانة في البلاد عن طريق القوات العسكرية، وبعض الأهالي صودرت أملاكها كما عملنا على تكسير شوكة بعض العائلات ذات السمعة والشهرة..»[2].

وهو ما ذهب إليه مالك بن نبي حينما ذكر ما وصلت إليه بعض العائلات المشهورة في قسنطينة فقال: «.. لم يبقى لعائلة بشتارزي أما عائلة صالح باي فإنها في نزوح إلى تونس وأما أغنياء ابن الفكون فلم يبقى منهم سوى فئة صغيرة ..»[3].

كما أن سياسة القهر الاجتماعي التي تعرض لها أهالي العاصمة زادت من سوء أوضاعهم الاجتماعية كانتشار البطالة وارتفاع نسبة الإجرام وتفشي أفات الاجتماعية وغلاء المعيشة وزيادة المجاعة ووصف

1- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3 ، ص. ص. 297 – 298

2- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص. ص. 27 – 30

3- مالك (بن نبي)، مذكرات شاهد القرن، ط1، بيروت: دار الفكر، 1969، ص. 30

PDF Compressor Free Version

احد الجزائريين هذه الظاهرة بقوله: «.. ونبهني إلى ما رأيت بعين رأسي هذه الأعوام من الزيادة في ارتفاع الأسعار وغلاء الأقوات حتى بلغ رطل البصل المكروه مئة فرنك كما رأيت صبيان ذكورا وإناثا لا يتجاوزون 4 أو 5 من أعمارهم يتقاطرون ويتزاحمون على سلع وصناديق الزبل وسط المتاع يلتقطون من تلك الصناديق بحثا عن موائد الاقتيات...»[1].

وكانت نتيجة هذا التدهور والتغيير الناتج عن القهر الاجتماعي أن أصيب المجتمع بالركود والخمول وتدهورت حالة السكان، وانتشر في أوساطهم الفقر والجهل، وأصبحت مئات الآلاف من العائلات ترزق أراضي غير خصبة تعيش في حالة مأسوية حتى وان كانت هناك أراضي جد خصبة فإن شدة التركز السكاني فيها خاصة العاصمة لا يكفي لسد حاجيات كل السكان من الإنتاج، الأمر الذي جعل المجاعة تفتك بالمعوزين غير القادرين على توفير قوتهم[2].

وفي هذا الصدد يقول فرحات عباس: «.. ستة ملايين من السكان لم يبقى في أيديهم سوى أراضي جرداء قاحلة وبلغ الثلاث من هؤلاء السكان من الجوع والبؤس والفاقة مبلغها. جردت القبائل الغنية القوية من خيراتها لأن أراضيهم وممتلكاتهم أصبحت نهبة الناهب ولم يبقى في

1 – المرجع نفسه، ص. 47

2 – أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ص. 101

وسع العربي الذي أصبح غريبا في أرض الأجداد إلا أن يكون خادما للمعمر ..»[1].

PDF Compressor Free Version

من جهة أخرى وعشية الاحتلال الفرنسي كان المجتمع الجزائري يعيش على هامش التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي بدأت تظهر ملامحها في الدول الغربية حيث كان الهيكل الاجتماعي الموجود في النظام هو النظام القبلي وكان هذا النظام يضمن التضامن بين أفراد العشيرة ويسمح بتأسيس وادخار المحاصيل في مطامير[2].

غير أن الاستعمار أوقف هذا التوازن مما اضعف المجتمع الأهلي خاصة بعد مجاعة(1867- 1868م) ليحدد الاستعمار الفرنسي الشركات الأولى للاحتياط لتعويض المطامير الجزائرية، كانت هذه الشركات تمنح الأهالي المواد الغذائية أثناء الأزمات هذا ظاهريا أما باطنيا فقد كان الجزائريون يموتون من الجوع والبؤس[3].

وكان المجتمع الجزائري يعيش في ضل مجموعة من المؤسسات التي تحافظ على النسيج الاجتماعي تمثلت في أملاك الحبوس التي كانت

1- عباس (فرحات)، الفكر السياسي الجزائري 1830- 1962, تر. أبو بكر رحال، الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ، 2010، ص. 103

2- عدي (الهواري)، الاستعمار الفرنسي بالجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي، تر. جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، 1995م، ص. 37

3 - أجيرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا، ص. 315

PDF Compressor Free Version

تمول التعليم وكذلك الأملاك المسماة أملاك مكة والمدينة لكن الاستعمار حطم هذه الأملاك للمجتمع الجزائري .

كما أن بعد كل انتفاضة أو ثورة ضد الاستعمار الفرنسي يتبعها انتزاع الأراضي من العشائر فمثلت ضريبة الحرب سنة 1871م مثلاً من 8 – 12 ضعف الضريبة على العشائر المتمردة أي 36.6 فرنك بالنسبة للجزائر كلها[1].

لقد تأثرت الحالة الاجتماعية بالأوضاع السياسة التي عرفتها الجزائر منذ دخول الاستعمار الفرنسي، وأدت السياسة الاضطهادية والاقتصادية والقوانين الجائرة التي فرضتها الأنظمة المتعاقبة على حكم الجزائر، إلى تدهور حالة الجزائريين وتفكيك الروابط الأسرية للمجتمع الجزائري.

فمرسوم سنة 1863م الذي أصدره نابليون الثالث، والذي يثبت حق الجزائريين في الأراضي المشاعة بين أفراد العرش الواحد، على أن تقسم الأرض على الأفراد وتملك لهم، وتنشأ على الأرض العروشية دواوير تكون بلديات في حد ذاتها مستقبلا، يبدوا في طاهر يخدم الجزائريين لكنه أدى إلى تفتيت وحدة الأسرة والعرش[2].

---

1 – عدي الهوا ري، المرجع السابق، ص. 72

2– سعد الله (أبو القاسم)، خلاصة تاريخ الجزائر، ص. 69

PDF Compressor Free Version

ومع قيام الجمهورية الثالثة سنة 1870م، زادت معاناة الجزائريين أكثر خاصة بعد تطبيق الإدارة المدنية سياسة استيطان رسمي في الجزائر، حيث رحلت سكان إقليمي الألزاس واللورين اللذان خسرتما فرنسا في حرب 1870م، إلى الجزائر ومنحتهم الكثير من الأراضي الفلاحية مجانا، لكن نظرا لأن اغلبهم من التجار والصناع فقد فشلوا في العمل الفلاحي، ولم يستقر في الأراضي الفلاحية سوى 387 عائلة من بين 1183 عائلة مهاجرة، كلف نقلها وإسكانها 6500فرنك[1].

هذا ما جعل الإدارة الفرنسية تستدعي فلاحي جنوب شرق فرنسا، وفرنسيي الجزائر أنفسهم لتطوير حركة الاستيطان، وهجّرت 4000 عائلة خلال عشر سنوات وتنازلت لهم على مساحة 34.726 هكتار مجانا، وذلك بين سنتي 1881م-1882م، وأنشأت 197 قرية استيطانية اسكن بها 30.000 نسمة نصفهم من أوربيي الجزائر[2]، وكانت تنتظر من ذلك إعماراً ريفيًا فرنسيًا في الجزائر.

ونشط الاستيطان الحر الذي دعمه قانون وارني Warnier الذي صدر عام 1873م، وقانون 22 أفريل 1887م، وهما القانونان اللذان حلا محل المرسوم الإمبراطوري الذي صدر في سنة 1863م، وكان قانون وارني

1- بوعزيز (يحي)، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، ص. 31

2- أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ص. 80

PDF Compressor Free Version

Warnier يهدف إلى تفكيك الشيوع وتسهيل قابلية انتقال أراضي الأهليين الشركاء في الملكية بحجة إلغاء الملكية الجماعية، وعلى هذا فإن الاستيطان الفرنسي حصل في أقل من ثلاثين سنة (1871-1898م) على مليون هكتار في حين لم يحصل من سنة(1830-1870م) سوى على 481.000 هكتار[1] وهو ما يبين شدة وطأة النظام المدني القائم على طرد الجزائريين ومصادرة أراضيهم ومنحها للمعمرين.

ومنذ سنة 1840م بدأت الهجرات الواسعة للمعمرين بتشجيع من الجنرال بيجو الذي شجع سياسة المحراث واستغلال الأوروبيين وتعميرهم لأرض الجزائر كما أكد أن الاستيطان مهمة عسكرية وعليه شجع العسكريين الذين انهوا خدمتهم على الاستقرار بالجزائر وانشأ لهم المستوطنات والمزارع الجماعية وأدت هذه الحركة الاستيطانية الواسعة إلى نفاذ الأراضي فلاجت الإدارة الفرنسية إلا إصدار قرارين سنتين 1844 – 1846م يقضيان بمصادرة الأراضي الجزائرية[2].

وعلى الرغم مما قدمته الإدارة من امتيازات وتشجيع؛ فإن المعمرين ظلوا يطالبون بامتيازات أكبر وذلك للحيازة على خيرات البلاد

1- بوعزيز (يحي)، المرجع السابق، ص. 32

2- عباد (صالح)، الجزائر بين فرنسا والمستوطنين 1830– 1930 م، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991، ص. 14

PDF Compressor Free Version

وحكم الجزائر حكما ميدانيا تخدم مصالحهم وبثت أقدامهم وقد فسح المجال لتحقيق أهدافهم منذ عام 1871م.

وبعد عام 1871 حدثت مستجدات جديدة كان لها أثر كبير في توسيع حركة الاستيطان الفرنسي تمثلت في هزيمة فرنسا أمام روسيا في حرب سبتمبر 1870م. وما نتج عنها من تهجير سكان الألزاس ولورين وقانون كريمبو الذي أعطى الجنسية الفرنسية لليهود سنة 1870م وقوانين وإجراءات مصادرة الممتلكات والأراضي .[1]

و بذلك عرفت الجزائر حركة متزايدة للمهاجرين الأوروبيين الذين تضاعف عددهم بعد ظهور الجمهورية الثالثة سنة 1870م مثلما هو مبين في الجدول التالي: [2]

السنوات	العدد (نسمة)
1870	245500
1880	3768800
1890	500900
1900	610000
1911	792000
1921	400791

1 – عباد (صالح)، المرجع نفسه، ص. 25

2– بوعزيز (يحي)، سياسة التسلط الاستعماري، ص. 48

PDF Compressor Free Version

946000	1936
922300	1948
948000	1958

ونتج عنه هذه الهجرات بناء قرى استعمارية استيطانية جديدة منها واحدة بعمالة قسنطينة والثانية بالجزائر الوسطى ووصل عددهم إلى 126 قرية استيطانية سنة 1870م ثم ارتفعت سنة 1880م إلى 558 قرية .

لقد خلفت السياسة الفرنسية خاصة سياسة الاستيطان ومصادرة الأملاك الجماعية وفرض الضرائب آثار كبرى على أوضاع الجزائريين خاصة على الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني.

ونتيجة لهذه السياسات التعسفية فقد تشرد الكثير من الجزائريين (الأهالي) وأصبحت حالتهم الاجتماعية مزرية للغاية، وكانت الثورات والانتفاضات التي قامت يعد سنة 1870م مثل ثورة المقراني والشيخ الحداد، وثورة بوعمامة فرصة كبيرة للاستعمار ليصادر المزيد من الأراضي ويفرض عليهم غرامات وضرائب كبيرة وينفي العديد منهم خارج البلاد[1].

1- سعد الله (أبو القاسم)، خلاصة تاريخ الجزائر، ص. 80

PDF Compressor Free Version

وساءت الأوضاع الاقتصادية واختلت البلاد بشكل كبير بعد أن استحوذت السلطات الفرنسية على معظم مصادر الثروة القومية في كل الميادين وحولتها لخدمة مصالحها الخاصة ففي الميدان الزراعي بادرت إدارة الاحتلال إلى إصدار جملة من القرارات والمراسيم فيما يخص ملكية الأراضي الجزائرية من بينها قرار 30 أكتوبر 1858م الذي وسع إجراءات المعاملات العقارية وجعلها مطابقة للقانون الفرنسي حتى يتمكن الأوروبيون واليهود من امتلاك الأراضي الخصبة بطرق شرعية[1].

كما عملت السلطات على تنفيذ قانون سيناتوس كونسيلت لعام 1863م الذي كان يقضي بتنظيم أراضي العزل التي كانت تابعة في 1830 إلى سلطة البايلك .

على كل حال فإن نزع الملكية استمر في أشكال متعددة من الفلاحين الجزائريين حتى بداية العشرية الثانية (1852-1871م) وقد تم تقويتها وجرى الطرد المنظم للفلاحين والاستيلاء على أراضي القبائل التي هاجرت إلى المغرب الأقصى ونزعت أراضي الفلاحين .[2]

ولقد أصدرت فرنسا عدد كبير من القرارات والمراسيم لإحكام قبضتها على ممتلكات الشعب ولاسيما منها الأرض ولعل أهمها مرسوم

---

1 – سعيدوني (ناصر الدين)، الجزائر منطلقات وآفاق، ص. 22

2 – السليماني (أحمد حسين)، نزع الملكية العقارية للجزائريين (1830 – 1871)، مجلة المصادر، ع6، الجزائر، 2002، ص. ص. 121– 222

PDF Compressor Free Version

22 جويلية 1834: الذي حدد وضعية الأراضي التي ستطبق عليها النصوص الشرعية الفرنسية لاسيما تلك المتعلقة بانتزاع الملكية التي تجعل من الاستيطان عملا قانونيا على حساب القبائل .[1]

و عندما عُين كلوزيل حاكما عاما للمرة الثانية على الجزائر في ما بين 1835 – 1836 انشأ قرية بوفاريك غرب مدينة الجزائر وأخر يوسع الأراضي وآلات والحيوانات مجانًا على المستوطنين الأوروبيين الجدد تشجيعا لهم على الاستقرار والبقاء في ارض واستمرارهم واستغلالها وصمم الجنرال بيجو من بعده على استعمار الجزائر بالبندقية والمحراث معا حيث اصدر سنة 1841م قرار يقضى بالاستيلاء على أراضي الجزائريين الثائرين ليستفيد منها المستوطنين الأوروبيين[2].

و إلى جانب هذا عملت السلطات الاستعمارية على اغتصاب ملكية القبائل لوضع حد لمقاومة الجماهير وذلك لتخريب وإتلاف الغلات ومصادرة الأراضي وفي هذا الشأن صرح بيجو يوم 13 أفريل 1841م بقوله «.. أن الملكيات الخاصة والحرف التي تعتبر ضرورية للمعمرين ستصادر بسرعة بموجب الصالح العالم ..» الأمر الذي أدى إلى كثرة المصادرات التي مست العديد القبائل في المناطق المحتلة وخاصة الحضرية منها كمتيجة

---

1 – عدي الهواري، المرجع السابق ، ص. 61

2 – بوعزيز (يحي)، سياسة التسلط الاستعماري، ص. 24

PDF Compressor Free Version

والساحل حيث كان الاستعمار بها مكثفًا لينتقل المواطنون على الاستحواذ على الأراضي الريفية بعد ذلك .[1]

أما بالنسبة لمرسوم 21 جويلية 1864م ففرض على كل مواطن أصلي أثبت سندات الملكية وتلك التي لا يستطيع احد إثبات ملكيتها تحولت إلى ملكية الدولة التي سلمتها إلى المستعمر ولهذا الغرض أقرت ملكية الأوروبيين وطالبت بسندات الملكية من الفلاحين وكان من الصعب على هؤلاء الفلاحين الاحتفاظ بهذه السندات في خدمة الحرب كل هذا انتهى بإبعاد أكثر من 2000 أسرة عن منطقة متيجة ونزعت بذلك 30000 ألف من الفلاحين وسلمت للمستوطنين[2]

كما زعزع قانون 16جوان 1851م توازن المجتمع بشكل خطير إذ بدأت الأراضي المخصصة للنظام استراحة الأراضي وللرعي والتي كانت واسعة قبل تطبيق هذا القانون تشهد تناقصا تدريجيا وذلك يعني اختناقا بالنسبة للقبائل[3].

ومع مجيء الجمهورية الثانية ابتداء من ديسمبر 1851م فتحت أبواب الجزائر على مصارعها أمام أفواج المهاجرين فقررت تهجير 100 ألف أوروبي واعتمد المجلس الوطني الفرنسي مبلغ 50 مليون فرنك

---

1 – أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ص. 82

2– بوعزيز (يحي)، سياسة التسلط الاستعماري، ص. 10

3 – عدي (الهواري)، المرجع السابق، ص. 62

PDF Compressor Free Version

لإنشاء مراكز استيطانية فوصل عدد القرى الاستعمارية التي أنشئت بين (1851- 1857)م إلى 68 قرية[1].

وعندما تم تشكيل الحكومة العامة في الجزائر في ديسمبر 1860م وتعيين مارشيل بيليه حاكما عسكريا جديدا على الجزائر عمل هو والأخر على مصادرة الأراضي لصالح الهجرة والاستيطان الاستعماري غير أن نابليون الثالث كان يفكر في سياسة جديدة اتجاه الجزائر خاصة بعد زيارته القصيرة لها عام 1860م .حيث شعر بالقلق نتيجة تجريد المواطنين المسلمين من ملكيتهم الشخصية، فقرروا إصدار قانون يمنحهم حق البقاء في الأراضي يستثمرونها ويعيشون عليها[2].

و تنفيذًا لهذه السياسة اصدر بتاريخ 22 أفريل 1863م القانون المعروف بقرار مجلس الأعيان lois senatus consulte والقاضي بتملك الجزائريين الأراضي التي تحت أيديهم سواء كانت في الأصل ملكا شخصيا لهم أو مشاعة بين الأعراف[3].

بالإضافة إلى قانون وارني warnier الصادر بتاريخ 26 جويلية 1873م حيث تم بموجبه إخضاع جميع الأراضي إلى التشريع الفرنسي ومع

---

1 – عدي (الهواري)، المرجع السابق، ص .ص. 62 ، 63

2 – عبيد (مصطفى)، الجزائر في كتابات توماس (إسماعيل) اوربان(1812– 1884)م، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف: أبو القاسم (سعد الله)، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ، 2008 ، ص. 106

3– الأشرف (مصطفى)، الجزائر الأمة والمجتمع، ص. 32

PDF Compressor Free Version

قانون 1873م سوي تكملة ما بدأه قانون 1863م لكن قانون 1873م لم يحتفظ بالملكية الفردية .[1]

و في تاريخ 22 أفريل 1887م صدر قانون أخر عرف بصواب قرار مجلس الأعيان الثاني واستأنفت بموجبه عملية تحديد أراضي القبائل وتوزيع أراضي القبائل على دواوير وهما عمليتان ضروريتان لتطبيق قانون وارني[2].

ولم يقتصر عمل السلطات الفرنسية على هذا الحد بل قامت بإصدار قوانين أخرى وهذه المرة على صعيد الغابات نذكر منها قانون 17جويلية 1847م الذي صوتت عليه الجمهورية الثانية بعد قيامها وقد مس هذا القانون بطريقة مباشرة الاقتصاد ألمعاشي الضعيف لسكان الجبال. وفي 9 ديسمبر 1885م صدر قانون أخر جاء للتشديد على حياة السكان أكثر حرمانا لفرض عقوبات تعسفية على الأهالي فمثلا كان اقتلاع الأشجار اليابسة ممنوعا وفي هذا الشأن أكد احد الموقعين على عريضة وجهت إلى اللجنة الغابية سنتي (1892-1894)م قوله : «.. على الأهالي الحائزين على مستندات ملك التخلي على مساحتهم المحاطة بالغابة وأما إلقائهم بالمحاضر التعسفية ..».

1- المرجع نفسه، ص. 105

2 - بوعزيز (يحي)، سياسة التسلط، ص. 35

PDF Compressor Free Version

و إلى جانب هذا صدر عام 1903م قانون غابي أخر جاء ليؤكد القوانين السابقة مع تغيير بعض التفاصيل لأن العقوبات الرئيسية لم تتغير إلا نسبيا وإلى جانب هذه القوانين التي استهدفت حياة السكان وحرمانهم من مصادر رزقهم عمدت الإدارة الفرنسية إلى إحراق أراضيهم[1].

ولقد عانى الجزائريون من وقع السياسة الاستعمارية الاقتصادية خاصة بعد مجيء الحكم المدني سنة 1870م فقد أصبح الجزائري الفقير هو المصدر الرئيسي للضرائب الثقيلة فقد ألزموا بتسديد فضلا عن الضرائب الفرنسية المباشرة التي أدخلت إلى الجزائر وكذا جميع الرسوم غير المباشرة وعلى الرغم من مطالب الجزائريين المستمرة للتخفيض منها إلا أن تلك الضرائب قد استمرت في الزيادة[2]

فقد ارتفعت في الفترة من (1900- 1914) بنسبة 15 % لضريبة اللزمة هو 11 % لضريبة الزكاة فبعد أن كانت تمثل 40% كانوا يدفعون 66% من الضرائب المباشرة و26 % من الضرائب غير المباشرة و41 % إضافة إلى أن ملكية الجزائريين في نزول مستمر إذ وصلت الملكيات

1 – سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج2، ص. ص. 99-103

2 – أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ص. ص. 109 – 110

الخاصة للأهالي 88410 هكتار في عام 1883 م إلى 791255 هكتار سنة 1903 ماي بنسبة 23 % في ظرف 20 سنة[1].

PDF Compressor Free Version

كما أصبح الأوروبيون يستغلون معظم المساحات الزراعية في زراعة الكروم فقد مثلت بصورة عامة الثروة الحقيقية للجزائر الأوربية وقد قدرت نسبة زراعتها سنة 1911م بـ 44 % من مجموع الثروة العقارية الأوروبية، من 1900–1914 كان معدل الصادرات السنوي من الخمور يحقق ثلث القيمة الإجمالية للصادرات وهكذا فقد حقق المشروع الفلاحي لزراعة الكروم بالنسبة للاستعمار ما كان يحلم[2]. وزاد قانون الاستغلال المالي من هيمنة فرنسا على إمكانيات الجزائر الاقتصادية، بحيث بلغ استغلال المعادن والغابات 751 ألف في عام 1911م. فانجر عن هذا تعطيل الحياة الاقتصادية وإيقاف التجارية بحيث أصيب الإنتاج بالشلل الذي ترتب عنه تخريب القرى والمداشر[3].

كما عانى الفلاح الجزائري وضعية لا يحسد عليها وهو ما جعله عرضة للأزمات المختلفة مثل الجفاف والجراد خاصة في سنوات 1905-1908 -1912 -1914م وكانت هذه الوضعية فرصة للمعمرين لكي يزدادوا ثراءً، فخلال هذه الأزمات نزح أغلب الفقراء نحو المدن، حيث ألفوا

---

1 – بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر، ص. ص. 208 – 209

2 – أجيرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا،ج2، ص. 98

3 – أجيرون، المرجع نفسه، ص. 191

PDF Compressor Free Version

طبقة كادحة استغلت أبشع استغلال من طرف كبار المعمرين[1] مقابل هذا نجد الفرنسيين خلال الفترة الممتدة من (1900- 1914)م يتحدثون عن التقدم المادي للجزائر، وعن مضاعفة حجم التجارة الخارجية وعن الثروة الفائضة في الجزائر.

والواقع أن السلطات الفرنسية كانت تهدف من وراء تلك السياسة إلى تدمير الكيان الاقتصادي الجزائري بعد أن تمكنت من تدمير كيانهم السياسي حتى تقضي على روح المقاومة في نفوسهم، هكذا تفننت إدارة الاستعمار الفرنسي في السيطرة على أملاك الجزائريين بشتى الطرق والوسائل وتحويل السكان إلى خماسين وأجراء عند المعمرين وكثيرا ما يتعرض الكثير منهم للطرد مما زاد في تفاقم الأوضاع الاقتصادية وانتشرت ظاهرة البطالة في أوساط المجتمع الجزائري بأبشع صورها أو أشكالها .

أما في الميدان الصناعي فقد حارب الاحتلال الصناعة المحلية الجزائرية بكل قوة حتى تبقى سوق مفتوحة للصناعة الفرنسية الحديثة بدون قيود وفي هذا الصدد أوضح مدير الشؤون الاقتصادية في إدارة الاحتلال سنة 1889 قائلاً: «.. ليس علينا الشروع في دعم الصناعة في الجزائر لأن ذلك يضعنا في موقف عدائي ..بالنسبة للصناعة الفرنسية...»[2].

---

1 – خلوف عبد المجيد، الجالية الجزائرية بين المعاناة وأمل العودة، مجلة الجيش، ع165، الجزائر، ديسمبر 1975م ص. 11

2– أجيرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا، ص. 88

PDF Compressor Free Version

ومما لا شك فيه أن محاربة الصناعة المحلية الجزائرية كان الهدف منها إبقاء الجزائر مرتبطة اقتصاديا بفرنسا ومحافظة على امتيازات المعمرين بها أو في الجانب التجاري فقد سيطر الأوروبيون بمساعدة البنوك وشركات الاحتكار الفرنسية الكبرى على التجارية الداخلية والخارجية وشكلوا فيها بينهم شركات متداخلة كانت تسيطر على سائر المرافق الاقتصادية في البلاد وأصبحت الجزائر مع مطلع القرن العشرين سوقا بالنسبة للتجارة الفرنسية وموردا حيوية لجلب المواد الخام التي كانت تحتاج إليها الصناعة الفرنسية[1].

وكان قانون الأهالي الذي صدر سنة 1871م، ووسعت صلاحياته بعد قيام ثورة بوعمامة سنة 1881م، من أشد القوانين جورا وقسوة على الجزائريين واستعمل الفرنسيون هذا القانون ضد الجزائريين الذين رفضوا الحراسة الليلية، أو اجتمعوا بدون رخصة، أو تنقلوا داخل الجزائر دون إذن، أو تأخروا في دفع الضرائب أو أهانوا فرنسا وكان على الجزائريين أن يتحملوا مسؤولية أية خسارة مادية، أو اندلاع حريق ويرغم الجزائريون خمسة عشر فرنكا لارتكابه أية مخالفة، أو يسجن خمسة أيام بأمر من المسؤول الفرنسي، ويحال على المحاكم الرادعة إذا كانت المخالفة كبيرة.[2]

1- بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر، ص. ص. 208 – 209

2 – Mohfond smati : formation de nation algérienne, sarl zioiche imprimerie édition, Alger, p. p.204-205

PDF Compressor Free Version

وانقلب المجتمع الجزائري رأسا على عقب، وتم تحطيمه من كل النواحي وحرم من أدنى الحقوق وابسطها، وأصبح يعاني من الوضعية الاقتصادية والاجتماعية المزرية والصعبة، في حين كان المستوطنون ينعمون بالأمن والاستقرار وترف العيش.[1]

حتى تلك العائلات والشخصيات الكبيرة التي كان لها نفوذ وجاه في وقت سابق، وأغلبها من فئة المرابطين والقياد، وزعماء القبائل والتي استعانت بها الإدارة الفرنسية في تسيير شؤون البلاد، وجمع الضرائب وحفظ الأمن، وضعتها في المكاتب العربية، فإن الكثير منها قد تراجع نفوذها بعد سنة 1870م، وتقلصت ثرواتها[2]، لأن الاستعمار الفرنسي أحكم قبضته على شؤون الأهالي، وقلّت المقاومات والانتفاضات الشعبية فلم تعد هناك حاجة إلى هذه الفئة.

ومع ذلك فإن الاستعمار حافظ على بعض الأسر البرجوازية الموالية له، ومنحها بعض الامتيازات وادخل أبناء إلى المدارس الفرنسية حيث تخرجت نخبة من المفرنسين التائهين بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، اتخذتهم الإدارة الفرنسية واسطة بينها وبين الأهالي

1- قداش(محفوظ)، جزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر)، تر. عمر المعراجي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار 2008، ص. 227

2- صالح فركوس، المرجع السابق، ص. 245

PDF Compressor Free Version

لتسهيل عملية إدماجهم[1]، ورغم أن الكثير من المفرنسين حصلوا على الجنسية الفرنسية، فإنهم لم يتمتعوا بالحقوق التي كان يتمتع بها المستوطنون إلا في إطار محدود.

وأمام هذه الأوضاع الاجتماعية الصعبة والمزرية التي عرفها الجزائريون الذين اعتبرهم الفرنسيون مجرد رعايا ليس لديهم أية حقوق، وقاموا باضطهادهم ومصادرة أراضيهم..؛ فإن الكثير من الجزائريين وجدوا أنفسهم مجبرين على ترك بلادهم والهجرة نحو البلدان العربية والإسلامية مثل تونس والمغرب وسورية وتركيا، ونحو فرنسا نفسها بحثا عن الحياة الكريمة.[2]

فقد غادرت بعض الأسر مدينة مليانة سنة 1899م، وسطيف سنة 1910م، متجهة إلى سورية، كما غادر سنة 1911م الكثير من الجزائريين من قسنطينة وسطيف باتجاه سورية أيضا، وكانت اكبر هجرة جماعية للجزائريين من مدينة تلمسان في السنة ذاتها، حيث غادرت أكثر من 1200 عائلة متجهة إلى سورية، ووصل عدد الجزائريين الذين هاجروا إلى سورة إلى 20.000 بحلول سنة 1911م ونفس العدد في المغرب الأقصى وتونس سنة 1907م.[3]

1- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص. 315

2- المالكي (أحمد)، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ص. 276

3- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص .ص. 123- 124

PDF Compressor Free Version

أما عن عدد السكان الجزائريين في القرن العشرين فقد وصل سنة 1901م إلى 4.072.089 نسمة و4.740.625 نسمة في سنة 1911م، حيث أن الزيادة بين سنتي 1901م و1911م بلغت 668.536 نسمة، مقابل زيادة بلغت 518.022نسمة بين سنتي 1891م و1901م، أين كان عدد السكان سنة 1891م يقدر بـ 3.554.067نسمة، أي نسبة زيادة تقدر بـ16.4% بدل 14.5% [1]، وهذا ما يدل على تحسن طفيف في الحالة المعيشية للجزائريين مع بداية القرن العشرين.

وبلغ عدد السكان سنة 1921م حسب الإحصاءات الرسمية 4.923.186نسمة، أي أن الزيادة بعد عشر سنوات وصلت إلى 182.660نسمة، وهي زيادة ضعيفة ويرجع هذا الضعف إلى الهجرة الجماعية للجزائريين والى الحرب العالمية الأولى التي قتل فيها الكثير من المجندين الجزائيين[2] ومع ذلك فإن هذا الإحصاء لم يشمل الكثير من الجزائريين الفارين إلى الجبال تهربا من التجنيد الإجباري في صفوف الجيش الفرنسي.

وكان أغلب الجزائريين يعيشون في البادية، لكنهم بدأوا في الهجرة إلى المدن بحثًا عن لقمة العيش بسبب الاستعمار الذي سلب منهم

1- أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ج2، ص. 334

2- المرجع نفسه، ص. 335

PDF Compressor Free Version

أراضيهم، وكانت مساكن أهل البادية عبارة عن مساكن من خيام من الصوف والوبر، أما الذين من أراضيهم فإنهم أقاموا في مساكن قصديرية بمحاذاة المدن التي توفر لهم بعض المهن والأعمال التي يسترزقون منها، أما في المدن نفسها، فقد ضاقت المنازل بساكنيها وأصبحت الغرفة الواحدة تقسم على عدد كبير من الأفراد[1] بفعل الضغط السكاني الذي كانت تشهده المدن.

وانتشرت الأمراض الفتاكة بين الكثير من الجزائريين، خاصة مرض السل الذي ضرب أطنابه في البوادي والقرى وأهلك الكثير من الناس، وأمراض العيون التي تذهب بحوالي الثمانين ألفا من المسلمين في السنة، في ظل انعدام المستشفيات والأطباء الخاصة بالأهالي.[2]

4. دلالات الفعل الاستعماري الفرنسي في الجزائر وآثاره:

❖ مدخل:

إن سياسة الاستعباد التي تسخّر كل شيء لصالح المستعمر هي الأساس الذي قامت عليه كل سياسة استعمارية، وتقضي هذه السياسة بأن تعمل الحكومة المستعمرة لنفسها وحدها ولغاية هي ثروتها ونفوذها السياسي، أما حاجة المستعمرة ومصلحتها فهي لا تعتبر،

1- المدني، هذه هي الجزائر، ص.ص. 132-133

2- المصدر نفسه، ص. 134

PDF Compressor Free Version

ويتلخص ذلك في هذا التعبير الذي حددت به الأنسكلوبيديا معنى الاستعمار، إذ قالت :« لقد استغل المستعمِر المستعمرات من أجله..» هذا الأصل الأصيل للاستعمار ظل هو العقدة النفسية التي تسير كل عمل استعماري في الشمال الإفريقي كما في غيره وعلى الرغم من الثورات الفرنسية المختلفة التي كانت تعلن عدائها للاستعمار أو تطالب باحترام الحقوق الطبيعية للإنسان[1]، وعلى الرغم كذلك من الشكل الحاصل في نظام المغرب العربي بمقتضى الظروف والمعاهدات فإن ذلك الطابع لم يتغير في جميع الإجراءات التي اتّبعت في كل من تونس والجزائر ومراكش.

لقد استعمل الاستعمار تاريخ المغاربة القريب والبعيد كسلاح للقضاء على معنوياتهم، كما لو كان لسان حالهم يقول: « إذا جئنا هنا لنعمّر البلاد فلأنكم أنتم الدليل طيلة قرون على تصوّركم وعجزكم»[2] فوصفوا أهل المنطقة بالغدر والتبعية والتملق للأقوى، وهذه أوصاف طبيعية لا تتغير أبدًا في الذّات البشرية والوصف في حد ذاته محاولة لطرد المغربي من مجال التاريخ إلى المجال الإثنوغرافية أي الطبيعة الإنسانية.

1- الفاسي (علال)، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، ص. 36

2 – العروى (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، ص. 162

PDF Compressor Free Version

فالسيطرة القومية تتجلى في العمل على إدماج المغرب العربي، وجعله جزءاً لا يتجزأ من فرنسا وذلك إما بالإلحاق الكلي كما وقع في الجزائر أو بطريق محو الشخصية الوطنية وإضعاف الجنسية كما هو واقع في تونس[1]، وتشغل الجزائر وضعية خاصة في صلب المنظومة الاستعمارية الفرنسية، فقد جرى احتلالها في فترة لم تنضج فيها الامبريالية الاستعمارية بالقدر الكافي، وهو ما يفسر الطابع الشمولي الذي وسم هذا الاحتلال ونزوعه إلى محاكاة الأساليب المركنتلية العتيقة التي رافقت نشوء الإمبراطوريات الاستعمارية في الفترة السابقة للثورة الصناعية.

ويرتبط البناء الزمني لعملية غزو الجزائر وضمّها بشبكة معقدة من الأحداث الداخلية الفرنسية فقد كان استيلاء الفرنسيين على جزء محدود من القطر الجزائري، في أواخر حكم ملوك الاستعراض حادثًا أكثر منه حدثًا، أي مغامرة عسكرية خارجية محصورة، ثم تطوّر الاحتلال تبعًا لانقلاب موازين القوى السياسية بفرنسا إثر انتصار الثورة الليبرالية سنة 1830م، ومع اتساع مجال انتشار الجيش الفرنسي ودخوله في مواجهة عسكرية مسلحة مع المقاومة الجزائرية تأكدت الأطماع الاستعمارية الفرنسية[2]، وبحلول نظامي الإمبراطورية الثانية ثم الجمهورية الثالثة

1- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. 38

2- الدقي (نور الدين)، المغرب العربي والاستعمار الفرنسي، تونس: مطبعة سراس، 1997م.، ص. 06

PDF Compressor Free Version

تحوّل الاحتلال إلى حركة اغتصاب كامل، ثم اقتطاع لأكثر المناطق ملائمة للاستغلال وفتحها أمام استقرار الأوروبيين وانتهى الأمر بتركيز جهاز إداري كامل وإلغاء جميع مقومات الهوية السياسية الجزائرية[1]، ومرّ غزو الجزائر منذ سنة 1830م بثلاث مراحل:

- مرحلة الاحتلال العسكري المحدود لبعض المناطق الساحلية والسيطرة غير المباشرة، دون أن يمتد النفوذ الاستعماري إلى دواخل البلاد (1830- 1839)م.

- مرحلة توسيع مجال النفوذ العسكري والسياسي والدخول في المواجهة مع الأمير عبد القادر (1839–1847)م.

- طور استكمال الاحتلال واحتواء آخر جيوب المقاومة الشعبية (1847 – 1871)م وقد انعكس تقلب الوضع الاحتلال واحتواه آخر جيوب المقاومة الشعبية (1847 – 1871)م، وقد انعكس تقلّب الوضع العسكري على البناء السياسي الاستعماري انعكاسًا سلبيًا بحيث استغرق انتقال السيادة السياسية إلى الفرنسيين بصورة كاملة أكثر من ربع قرن.

لقد تشكلت الوضعية الإدارية الخصوصية للجزائر تدريجيًا تبعًا لتطور موازين القوى بين العسكريين والمعمرين من ناحية، وبين السلطة الغازية والمجتمع الجزائري من ناحية ثانية، إذ جعل الصمود الشعبي

1- نفسه، ص. 07

PDF Compressor Free Version

العنيف الذي واجهه الفرنسيون العنف العسكري القاعدة الأولى والأساسية التي ارتكز عليها الاستعمار بشكليه الإداري والتوطيني فقد طغت على تاريخ الفترة الأولى من الاحتلال (1830-1870)م ظاهرة سياسية ومجتمعيه وحيدة وثابتة هي: تواتر انتفاضات القبائل والمجتمعات القروية لوقف تيار مصادرة الأملاك الجماعية فيما اتسم الرد الفرنسي بتوجيه واضح نحو عسكرة المجتمع الجزائري.

وقد اقترن الخيار العسكري باتجاه ثابت نحو إحلال العناصر الأوربية محل التشكيلات القبلية المهزومة في الأراضي التي تم إخلاؤها من سكانها مما حوّل الجزائر بصورة مبكرة إلى فضاء توطيني في حين حافظت بقية المستعمرات الفرنسية على طابعها الاستغلالي، وقد ساهم هذا الخيار الاستراتيجي في رسم ملامح الوضع الخصوصي المعقد الذي يسبغ الحياة السياسية بالجزائر المستعمرة[1]، في تصريح للرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت، أثناء انعقاد مؤتمر الحلفاء في الدار البيضاء بالمغرب في جانفي سنة 1943م قال: «أن الاستعمار الفرنسي أسوء ما يمكن أن يُنْكَبَ به شعب من الشعوب»[2].

1- للتوسع راجع: - الفاسي(علال)، المغرب العربي منذ، ص. ص. 27 – 28 ؛ - الدقى، المرجع السابق ، ص. 7

2- حلمي (محروس إسماعيل)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2004م، ص. 216

PDF Compressor Free Version

وفي ظل الحكم العسكري منذ بدأ الاحتلال الفرنسي ارتكب الفرنسيون في الجزائر كثيراً من أعمال الإبادة والتخريب والنهب ومظالم وتجاوزات تعسفية أخرى، وجاء بعضها في المذكرتين اللتين قدمهما إبراهيم ولد مصطفى باشا داي الجزائر السابق وكان يقيم بفرنسا ونذكر فيما يلي أهم هذه المظالم والتجاوزات التي أثّرت على أوضاع الجزائر في المجالات المختلفة:

1- أعمال الإبادة الجماعية والتخريب التي انتهجتها القوات الفرنسية بالجزائر، يذكر أن قوات الاحتلال الفرنسي قد فتكت بنحو مليون جزائري خلال عمليات المقاومة الشعبية الأولى للغزو الفرنسي في الفترة (1830- 1857)م.
2- فرض المزيد من الضرائب والغرامات على السكان ومثال ذلك ضريبة قدرها مائة فرنك فرنسي لشراء كميات من الحبوب.
3- الاستيلاء على المساجد وتحويل بعضها لأغراض أخرى مع المؤسسات والأوقاف الخيرية.
4- اضطهاد العلماء ومصادرة أملاك الجزائريين.
5- التدخل في الدين الإسلامي ومحاولات تنصير الجزائريين.
6- تدهور أحوال التعليم بالجزائر وإضفاء الطابع الفرنسي عليه.

PDF Compressor Free Version

تفاقم الحالة الصحية بالجزائر أثناء الحكم الفرنسي، حيث يؤكد مقرر ميزانية الصحة العامة لعام 1954م "غوروبر يسوير" ما يلي: «بلغ متوسط عدد المصابين بالسل الذين قدموا طلبات دخول إلى مستشفى (ليقي) 1440 مريضًا لم يقبل منهم في المستشفى سوى 360 والبقية (1080) حتمًا سيكون مصيرهم الهلاك »[1]، وعلى المستوى الاجتماعي فقد حاول الاستعمار اختراق وتفكيك المجتمع الجزائري بإتباع سياستين هما:

❖ **سياسة تعليمية تقوم على إلغاء مقومات الهوية السياسية الجزائرية:**

لم ينشأ الاستعمار الفرنسي في مجتمع انقسامي تسوده القبلية كما تروّج ذلك الأدبيات الاستعمارية، بل في قطر له مؤسسات اجتماعية وسياسية وهوية ثقافية ثابتة على امتداد قرون عديدة ومع ذلك لم تتعامل السلطة الفرنسية مع الشعب الجزائري ككيان اجتماعي متماسك بل كشتات من الأشخاص والمجموعات المشاغبة، ولعلّ هذا ما يفسر اعتماد الاستعمار بصورة تكاد تكون كلية على العنصر العسكري في تأطير المجتمع وفرض "الأمن العسكري"، وتبعًا لذلك أصبح التعسف والبطش سياسة ثابتة ففرضت الأحكام العرفية واحتكرت المؤسسة العسكرية

1- راجع، محروس: المرجع السابق ، ص. ص. 216 – 238

تسيير البلاد لمدة نصف قرن فأعطت لعنصري القوة والقمع وزناً وظيفياً هائلاً في صلب "جهاز الدولة".

PDF Compressor Free Version

لقد حافظت فرنسا في بداية الاحتلال على النظام السائد في الفترة التركية بل أعانت على إعادة تشكيل القبائل المخزنية فأبقت على امتيازاتها الجبائية، وكانت السلطة العسكرية تتدخل لتعيين رؤساء القبائل وبالتوازي شرع النظام الجديد في القضاء تدريجيا على الهياكل السياسية الموروثة، ثم أخذ يتعقب النخب الاجتماعية وأفضى الأمر إلى الإطاحة بجميع رموز الدولة التركية تمهيدًا لإلغاء جميع مقومات الهوية الوطنية، وعلى هذا الأساس حاول الاستعمار ضرب المقـومات الثقافـية للشعب الجزائري وتجريده من كل انـتماء وطني وقومي بالنيل من لغة البلاد وتاريخها وثقافتها وإثارة النعرة العرقية والطائفية.

❖ **سياسة تعليمية تقوم على الإقصاء والتفرقة:**

من خلال التغييرات الإدارية المتناقضة التي عرفتها الجزائر يمكن أن نتبيّن اتجاهًا عامًا تتفق حوله مختلف الحكومات الفرنسية، وهو أن الجزائر كانت دائمًا كيانًا منفصلاً قانونيًا عن (المتروبول) رغم كل التحريفات اللغوية التي تعتبرها جزءًا لا يتجزأ من فرنسا ذلك أن الجزائر لم تكن مستعمرة بالمفهوم الكلاسيكي، وهي ليست محمية أو جزءًا من المتروبول بل كل ذلك جميعا، ولذلك هناك تفسيرات عديدة لعل أبرزها

PDF Compressor Free Version

هو تبلور رأي عام سياسي واحتجاجي بصورة مبكرة – في صلب الحالية الأوربية– قام بتوجيه السياسة الاستعمارية بالجزائر وجهة أحادية، وتبعًا لذلك فإن الإدماج الكامل[1] بأبعاده السياسية والاقتصادية والتشريعية والجبائية، لم يكن توجهًا ثابتًا أو هدفًا من الأهداف المرسومة، فليس ثمة من شك في أن جميع السياسات التي انتهجت رغم ترددها وتعثرها وتناقضها، كانت ترمي إلى صهر الجزائر اقتصاديًا وسياسيًا في البوتقة الفرنسية، ولكن سياسة الدمج الشامل اصطدمت بمعارضة العنصر الأوربي الذي كان يتطلع للانفراد بوضع قانوني متميز يؤهله لاحتكار التسيير السياسي والاقتصادي للبلاد، ، ومجمل ما أمكن تحقيقه في مجال الإدماج هو تمكين "المستعمرة" من الاستفادة من الأحكام والقوانين الفرنسية التي تتماشى مع مصالح المعمرين والتلويح بالمصالح الخصوصية الجزائرية لتعطيل الأوامر والأحكام المتعلقة بالمساواة السياسية والثقافية.

لقد مثّل مرسوم 1865/07/14م القاضي بالتمييز بين وضع المواطن وغير المواطن أحد دعائم سياسة الإخضاع وأساس النظام السياسي والإداري بالجزائر إلى سنة 1946م، إذ رفض الفرنسيون طيلة هذه الفترة

1- للتوسع يراجع:- جاك (توبي)، الإمبريالية الفرنسية والولايات العربية في السلطنة العثمانية، بيروت، النفائس، 1990م، ص. ص.80-120 ؛ - جغلول (عبد القادر)، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ص. ص. 20-45 ؛ - جغلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث، ص. 30 وما بعدها.

PDF Compressor Free Version

إسناد حقوق المواطنة للأهالي بحجة خضوعهم للشريعة الإسلامية، وبالتوازي فقد رفض الجزائريون بشدة الانصهار في البوتقة الفرنسية والتجنس بجنسية المستـعمر، وقد تزامن هـذا التوجه مع سياسة ثابتة لمحو الأسماء العربية للمدن والقرى وتعويضها بأسماء فرنسية، والقيام بحملات تبشيرية في مناطق جبال القبائل فضلاً عن توظيف المسائل العرقية توظيفًا سياسيًا غايته تمزيق الوحدة الوطنية وفك الترابط بين عناصر الشعب الجزائر، ومع ذلك فإن سياسة التفرقة العنصرية وما رافقها من إقصاء وملاحقة وإجحاف أفضت في نهاية الأمر إلى نتائج عكسية، فبقيت البلاد في حالة غليان مستمرة وتتالت الحركات التمردية والثورات الدامية بحيث لم يتسن للاستعمار السيطرة بصورة كاملة على البلاد إلا بعد أكثر من نصف قرن من الصراع المرير، ويفسر حجم الخسائر البشرية والمادية التي تكبدتها فرنسا بالجزائر عدولها عن تطبيق النموذج الجزائري في كل من تونس والمغرب[1]، حيث عمدت إلى تنفيذ وتطبيق نظام جديد سمته حماية، وهي كلمة تتفق مع عبارة الفرنسي الشهير "قمبيطة" «لا جلاء ولا التحاق» (ذلك أن الرأي العام الفرنسي في هذه الفترة لم يكن متحمسًا لإيجاد مستعمرات، وهو ما دفع فرنسا إلى الاستيلاء على تونس دون إحداث أي حركة مضادة لا من ناحية الاتجاه

1- الدقي، المرجع السابق، ص. 14

PDF Compressor Free Version

المعارض في الداخل ولا من ناحية الرأي العام العالمي في الخارج)[1] «ففي تونس اتخذت العلاقة بين الإدارة الفرنسية وبين بعض الذين أبقت عليهم الحماية من موظفين تونسيين شكلاً سماه الفرنسيون التعاون المباشر، فالموظف التونسي بجانب الرئيس أو المراقب الفرنسي مما يرمز إلى الازدواج في الحكم »[2]، فالإدماج الممتزج أو اللامركزي والتعاون المباشر أو غير المباشر وتخليط السلطة أو تمييزها، تلك هي المبادئ التي تكونت من تعاقبها ومن إلهاماتها السياسية الاستعمارية لفرنسا في الجزائر وتونس.

والواقع أن الجزائر مستعمرة من نوع خاص ومتميز ولاشك، وذلك بقدر الواقع الاستعماري فيها واستيطان مليون من الأوروبيين وعلى رغم هذا كله تظل الجزائر مستعمرة، وهناك استيطان أوروبي وسياسة سميت سياسة تمثل واهتظام[3]، وهذه الإشكالية (مستعمرة وليست بالمستعمرة) عبّر عنها السياسي الشهير "فاضل الجمالي" بقوله «.. أما في الجزائر ذلك البلد الذي تعتبره فرنسا تعسفًا واعتباطًا من التراب الفرنسي، فإن الرصاص وإلقاء القنابل على العُزّل من الناس يجري يوميًا، فإذا كانت الجزائر وهي قطر يقطنه قوم يختلفون عن الفرنسيين ولهم حضارة ولغة

---

1 - Kassab (Ahmed), Histoire de La Tunisie à L'époque Contemporaine. Tunis: S.T.D.1976. p57.

2- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. 37

3- هنري كلود، أندري بريتان، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، ص. 66

PDF Compressor Free Version

تختلف عن حضارة الفرنسيين ولغتهم أقول إذا كانت الجزائر تعتبر من قبل الفرنسيين جزءاً من فرنسا فلمَ إذن يعاني سكانها العرب المسلمون الإذلال والتمييز في المعاملة ؟ أن فرنسا لا تستطيع أن تسلك السبيلين في وقت واحد على ما بينهما من تعارض وتناقض »[1].

ولم يتفق الفرنسيون منذ احتلال الجزائر على الاعتبار الذي يمكن أن يعطوه لهذا البلد المحتل هل هو مجرد مستعمرة كسائر المستعمرات الفرنسية القديمة أم إنما هو امتداد لفرنسا نفسها ؟ وبمقتضى التأرجح بين هاتين الفكرتين قسّمت الجزائر إلى عمالات لها نوابها وشيوخها المنتخبون كما سائر العمالات الفرنسية، ولكن نظمت الجزائر كذلك تنظيماً يختلف في مجموعة عن نظام العمالات[2] واعتبرتها أيضا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر امتدادا لأراضي فرنسا وجزء لا يتجزأ منها، بل لقد اعتبرتها بعض الحكومات الفرنسية موئلا أخيرا تلجأ إليه إذا أصابت فرنسا في القارة الأوربية كارثة أودت بقوتها البرية.[3]

1- الجمالي (فاضل)، صفحات من الكفاح العربي في سبيل التحرير، تونس: الدار التونسية للنشر 1980م، ص. 131

2- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. 27

3- صفوت (محمد مصطفى)، "علاقات فرنسا بشمال إفريقيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، مجلة كلية الآداب، مج6، مج7، الإسكندرية: (1952 – 1953)، ص. ص. 67-36

PDF Compressor Free Version

حقيقةً أعطى احتلال الفرنسيين للجزائر دوي هائل في شمال إفريقيا، فلقد تزلزلت كل النظم الموجودة هناك وتضعضعت، ولم تعد دولتي تونس والمغرب المجاورتين للجزائر في مأمن من الخطر الفرنسي الذي كان يزداد نموًا وعنفًا كل يوم، وانتهى عهد الأمان بالنسبة لتونس التي كانت آخذة في طريق الضعف السياسي والاقتصادي، وكان الخطر عليها عظيمًا نظرًا لقربها وصغر مساحتها وجنوح أهلها للسلم، وهي بعد ذلك لها من الثروة والموارد الطبيعية والمركز الجغرافي في البحر الأبيض المتوسط ما يجعلها أكثر جاذبيةً لجيرانها الجدد الفرنسيين[1]، كذلك لا يوجد حدود طبيعية ولا سياسية ولا عنصرية حقيقية ولا دينية تفصل بينهما وبين البلاد الجزائرية، وإذا كانت الحكومات الفرنسية المتعاقبة قد قرّرت الاحتفاظ بالجزائر فكان لزامًا عليها كما رأت أن تراقب بدقة ما يحدث في القطر التونسي.

ولو ترك الأمر للسلطات الحربية الفرنسية في الجزائر تفعل ما تريد لاستولت بقوة السلاح على تونس بالذات لولا معارضة حكومة "لوي فيليب" و"نابليون الثالث"، التي كانت ترى استعمال الوسائل السلمية لضم تونس إلى الجزائر، وذلك باحتكار المشاريع وإقناع الباي بصداقة

1- سعد الله (أبو القاسم)، " مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي"، الثقافة، ع79، الجزائر: جانفي/فيفري 1984م ، ص. 56

PDF Compressor Free Version

فرنسا، ولكن كل الآراء كانت مجمعة على مد حدود الجزائر الى نهر مجردة، بحيث تكون بنزرت في المنطقة الفرنسية، وذلك إذا أرغمت الظروف فرنسا إلى اتخاذ موقف حاسم، وكانت السلطات الفرنسية الحربية في الجزائر تؤيد بحماس هذه الفكرة وتسعى إلى تنفيذها في أقرب وقت مستطاع لكن انصرفت الأفكار في فرنسا عن تونس مؤقتًا حين عاد الخطر الألماني إلى الظهور شرقي نهر الراين[1]، ثم تأكد الاحتلال الفرنسي على تونس عقب ذلك فترة (عام1881م) ونجح في تزوير الحقائق باتخاذه لذرائع واهية وربطها بشرف فرنسا وجيشها ولعل حادثة قبائل بني خمير المفتعلة تذكّرنا بحادثة المروحة التي ادعت فيها فرنسا أنها أهينت وذلّت بسببها.

لقد اقترن التوسع الاستعماري بجملة من التغييرات الهيكلية الأساسية في مستوى البنية الديمغرافية والاجتماعية التي شهدت تحولاً نوعيًا في مجالي النمو السكاني والتركيبة العمرية والعرقية، فيما أصبح التصنيف الاجتماعي يخضع شيئًا فشيئًا إلى مقاييس مادية بحتة أساسها الدخل ومستوى العيش وبالتوازي مع تغير المراتب الاجتماعية عرفت الجزائر صدمة الحداثة الاستعمارية، وهي ظاهرة ثقافية مجتمعية شاملة الأبعاد، برزت آثارها بصورة جلية في انتشار جملة من السلوكيات والقيم

1- صفوت، " علاقات فرنسا "، مجلة كلية الآداب، مج6، ص. ص. 38-42

PDF Compressor Free Version

الغربية، ومع أن التأثير الأوربي انحصر في مجالات محدودة فلم يطل إلا الشرائح المتعلمة من المجتمع فلابد من الإقرار بأن أطر العلاقات الاجتماعية قد شهدت تغييراً كبيراً في مجال أنماط العيش والأذواق العامة ومراكز النشاط الثقافي والاقتصادي[1].

وعلى هذا الأساس ساهم الاستعمار في احتداد الأسباب الجوهرية للتخلف وأبرزها الأمية والاستغلال والبطء في تأهيل الموارد البشرية الأهلية، أن فرنسا الهرمة بدلاً من أن تنظر إلى الحقيقة وتعترف بالواقع وتغير سلوكها فتجلب لنفسها العطف والتقدير، راحت تُلصق التهم بغيرها ظنًا منها أن تعنّتها وتمسكها باستعمارها ووقوفها لأجله ضد العدو والصديق والخصم والحليف سيضمن لها بقاء إمبراطوريتها كما هي، فإذا بالرأي العام العالمي ينقلب ضدها في هذه القضية[2]، يقول الكاتب السويدي الحر "جونار موليران" بتاريخ 1952/04/01م: «مسكين مسيو بيني* الممثل لفرنسا الضعيفة الهرمة البعيدة عن كل بعث وازدهار ولقد أصبحت فرنسا المثال الأول لما للترميم من عيوب مضحكة، عن فرنسا – كبريطانيا– عرضة لازمة التناقض ولكننا بينما نرى الإنجليز يتبعون سياسة رشيدة أساسها المحبة المتبادلة واحترام التقاليد المتغايرة، نرى الفرنسيين

1– الدقي، المرجع السابق ، ص. 140

2– البلهوان (علي)، تونس الثائرة، القاهرة: المطبعة العالمية، 1954، ص. 08

* بيني: الرئيس المؤقت للحكومة الفرنسية.

يتبعون بالجزائر وتونس سياسة مبناها العنف، كأن فرنسا مازالت دولة
PDF Compressor Free Version
قوية عسكريًا واقتصاديًا وأدبيًا».

وبما أن أساس أعمالهم هو الظلم، فمن الصعب أن نظن أن الخاتمة ستكون لمصلحتها وأن الفرنسيين يكونون إلى جانب من الذكاء لو أنهم قلّدوا الانجليز المتيقظين، ومن الغريب أن الفرنسيين الذين أظهروا تفانيهم في حب الحرية مدة الاحتلال الألماني لبلادهم هم نفسهم الذين لا يحترمون ذلك الحب عند غيرهم.

PDF Compressor Free Version

الفصل الثاني

حركة الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي وخلفياتها

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

1. مفهوم الهجرة عند الجزائريين:

على الرغم من الأهمية التاريخية لموضوع الهجرة المتبادلة بين الجزائريين وأقطار المشرق العربي مجتمعةً لم يحظ هذا الموضوع بالدرس والبحث من قبل الباحثين، ولم يتطرق أي باحث في حدود علمنا من قبل إلى دراسة هذا الجانب المهم في دراسة أكاديمية منفردة خاصة بتاريخ الهجرة بين الضفتين[1].

وقد ظلت الهجرة الدعامة القوية التي تشد الشعوب إلى بعضها بعضًا برغم تقلب العلاقات السياسية في بعض الفترات، فالقرابة وصلة الرحم كانتا في كل الظروف تتجاوزان الخلافات السياسية ونقاط الحدود، لقد تركز اهتمامنا على دراسة موضوع الهجرة لاقتناعنا بما لها من أهمية في الترابط التاريخي بين الشعوب، وخلق نسيج اجتماعي من شأنه تدعيم وتجذير أواصر القرابة وربط جسور التقارب والتعاون المشترك، والكشف

1- كان الدكتور (عمار هلال)- رحمه الله- قد ألَّف كتابًا في الموضوع سماه: "العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية"، وقدم فيه أرقاماً وإحصائيات عن هجرات سابقة منذ القرن الأول الهجري إلى غاية القرن العشرين، لكن هذا العمل القيم اكتفى فيه بالحديث عن فئة واحدة من كل الفئات المهاجرة إلى المشرق العربي، كما أنه لم يذكر أقطاراً عربية أخرى هاجر إليها الجزائريون ووعد رحمه الله في مقدمته بأنه سيولي لها عناية خاصة في أعمال لاحقة. ويدخل في ذلك أيضاً بعض الأعمال التاريخية الجادة التي تناولت ظاهرة الهجرة الجزائرية لكن أصحابها بذلوا جهدهم في حصرها جغرافياً باختصاص قطر مشرقي أو منطقة دون أخرى.

PDF Compressor Free Version

من ثمة عن عمق الروابط التاريخية التي جمعت بين شعوب شقيقة تقاسمت المحن والنضالات ضد الاستعمار الأجنبي.

إن هذه الدراسة لا تدعي الشمول ولا الكمال على اعتبار أن الكمال يُنشد ولا يُدرك، ولكنها محاولة بذلنا فيها أقصى جهد، وقد تكون منطلقًا وحافزًا للعديد من الدراسات والبحوث التي تناول جوانب أخرى من هذا الموضوع.

وكان بإمكاننا أن لا نربط هجرة الجزائريين إلى المشرق وغيره من البلدان غير المشرقية بالموضوع الذي نعالجه وأن نخصص له دراسة مستقلة.. ولكن لما كان للمهاجرين الجزائريين في المشرق والمغرب من مبادرات حسنة متكاملة وأدوار مشهودة في الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية... شكَّلت في مرحلة زمنية سابقة دعمًا قويًا للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية فيما بعد... وسندًا عظيمًا في أنشطتهم المتنوعة.

إن المقصود بالهجرة عندما طرحت خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر هو "الخروج من المنطقة التي تغلَّب عليها الفرنسيون إلى منطقة أخرى ما تزال تحت الحكم الإسلامي" كالمناطق الواقعة تحت حكم الأمير عبد القادر[1]، وقد جعل الأمير حماية المسلمين من الأحكام

1 – سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص. 375

الصارمة في كل معاملاته مع المسلمين ومع الفرنسيين، ففي رسالته
PDF Compressor Free Version
المعنونة بـ«حسام الدين لقطع شبه المرتدين» عام 1843م أجاب الأمير إجابة صريحة بوجوب الهجرة من البلد الذي غلب عليه الفرنسيون، ويقصد الهجرة أو الخروج إلى المناطق التي كانت تحت سلطته.

لم تكن الهجرة غاية في حد ذاتها، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة التي لجأ إليها الجزائريون نتيجة الأوضاع السيئة التي أصبحت عليها البلاد وظروف القهر التي سلكها المستعمر الفرنسي- في المدن والأرياف والتي أصبحت في ضوئها الحياة والتعايش مع القوات الاستعمارية ضرباً من المستحيل وهو ما حدا بالعديد من الأسر والعائلات إلى الهجرة.

إن الهجرة ظاهرة اجتماعية لها ارتباط مباشر بعلم السكان (الديمغرافيا)، وتُعرف في اللغة اللاتينية بـ(MIGRARA)، أي انتقال الإنسان من مكان إقامته إلى بيئة اجتماعية أخرى، ويُعرِف (دافيد سيلي) الهجرة بأنها: «حركة انتقال لأشخاص عبر مسافة طويلة إلى غير موطنهم الذي نشأوا فيه»[1]، والهجرة العادية أو الاختيارية عادةً ما تتم وفق اختيارات المهاجر، وتدخل فيها حسابات المهاجر بالنسبة لاختيار الزمان

1 –David (SILIS), Migration The International, Encylopedia of The Social Sciences, Vol 9, London: macmallan, 1981, P.285

PDF Compressor Free Version

والمكان المناسبين، أما الهجرة القسرية أو الالزامية فإنها تتم نتيجة ضغوط وعوامل عسكرية واجتماعية وسياسية لا دخل للمهاجر في تحديدها.

كما أن الهجرة كمفهوم هو نوع من الدفاع عن النفس، وتبرر هذه الظاهرة خاصة بعد الحروب وعملية الغزو والاحتلال، وهو المفهوم الذي يخص الهجرة الجزائرية إلى البلاد المشرقية، عكس ما يُعرف عن المفاهيم الأخرى التي تُطلق على المهاجر إلى البلاد الأجنبية طلبًا للعيش والعمل[1]، ومن هنا فالجانب الأمني – غريزة الحياة – كانت السبب الرئيسي في هذه الظاهرة، وكانت عوامل الجذب والإغراء المادي والمعنوي عوامل ثانوية فقط؛ وإلا فكيف نفسّر الطابع العام لكل هذه الهجرات إلى المشرق الإسلامي وغيرها والذي كانت ميزته الاستقرار الدائم، فالجزائري عندما كان يعزم على الهجرة كان يبيع كل ما يملك بأزهد الأثمان، ويُودع أرضه وعرشه وعائلته ووطنه من أجل أن يبقى حيًا.

فالهجرة التي قام بها الجزائريون باتجاه دول الشرق والغرب؛ كانت نوعاً من المقاومة السلبية، مثلها مثل الهجرة الاضطرارية الأولى التي تزعّمتها القوات الانكشارية وتلاها خروج الداي حسين وأعيان

1- عطية الله (أحمد)، القاموس السياسي، ط3، القاهرة: النهضة العربية، 1968م، ص. 1343

PDF Compressor Free Version

العاصمة والمدن الكبرى كتلمسان وقسنطينة سنة 1830م، فقد كان عنوان هذه الهجرات هو الرفض المطلق لسيادة الرومي علي المسلم[1].

إن ما نسعى لإيضاحه هنا هو التطور التاريخي لحركة الهجرة الجزائرية إلى المشرق الإسلامي منذ مطلع القرن العشرين، مع تحليل بعض العوامل التي أدت بعدد كبير من أبناء البلد إلى مغادرة الجزائر والالتحاق بالمشرق، إن وجود عدد كبير من العائلات والأسر الجزائرية في المشرق العربي عمومًا، يدفعنا لأن نتساءل عمّا إذا كانت فكرة الهجرة ظاهرة عادية لا تتعدى البحث عن العيش؟ أم أن هناك دوافع أخرى لها جذور عميقة وأسباب غير ظاهرة لنا؟

فغداة الاحتلال خرجت أعداد كبيرة من الجزائريين متجهة نحو البلدان المجاورة مثل تونس والمغرب، وكانت الهجرة في البداية من مدينة الجزائر ثم تلتها المدن الأخرى، حيث شملت في العادة أعيان البلاد وأغنيائها وعلمائها، وفي المراحل التالية للاستعمار شملت الهجرة القرى الريفية أيضًا والمناطق النائية كما شملت غير الأعيان، وكل هذه الأنماط من الهجرة كانت اضطرارية فبعضهم هاجر هروبًا من حكم النصارى الفرنسيين وبعضهم فعل ذلك طلبًا للعيش في كنف الإسلام والحرية

1 – سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1977م ، ص. 62

PDF Compressor Free Version

الدينية، وجل المهاجرين بعد 1850م فعلوا ذلك لأنهم فقدوا أراضيهم التي استولى عليها الكولون بمساندة الإدارة الاستعمارية[1].

فالقول بأن الهجرة نحو المشرق كانت لأسباب سيكولوجية فهي ابتعاد عن الحقيقة، أو بالأحرى لا يذكر كل الحقيقة لأن الابتعاد بالدين والهروب من العيش تحت حكم الفرنسيين لم يكن هو السبب الوحيد في الهجرة، كما يفهم من عبارة سيكولوجية، فجميع القائمين على المقاومات المسلحة أو المقاومات السياسية في الجزائر إلى غاية الحرب العالمية الأولى كانوا يناضلون انطلاقًا من الدين، لا من أجل الدين وحده بالمفهوم الضيق لأن هذا اعترف لهم به الفرنسيون أنفسهم، ولكن من أجل مقومات أخرى، فالجزائريون الذين غلبهم الاستعمار على أمرهم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، اختاروا الهجرة إلى البلاد العربية، وكثير من الأفراد والعائلات والجماعات هاجرت إلى تونس، ذلك أن الوطن في مفهوم هؤلاء واحد، وهو الوطن العربي وهذا الخط، خط الانطلاق من الإسلام قد اتبعه حتى جماعة النخبة الذين تثقَّفوا ثقافة فرنسية، واختاروا وجهة عربية[2].

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج5، ص. ص. 472 – 473

2 – سعد الله (أبو القاسم)،" الاتجاه العربي في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين"، الثقافة،ع31، الجزائر: فيفري/مارس 1976م، ص. 25

PDF Compressor Free Version

ويقول "مارسي": « إن الحياة الاستعمارية الجديدة كانت من الأسباب التي قادت إلى الهجرة الجزائرية، فقد كان ذلك يعني أنه لم يعد في استطاعة الجزائريين أن يتمتعوا بحياتهم القديمة كما كانوا سابقًا»[1]، ذلك أن الإنسان الجزائري ظل متمسكًا بأرضه رغم الظروف الطبيعية والأمنية والسياسية المتغيرة لكن مع امتداد التوسع الفرنسي نحو الداخل وممارسته لأبشع وسائل القمع والحرمان والاضطهاد والقتل الجماعي وجد هذا الإنسان نفسه مخيراً بين أربعة خيارات:

- ❖ الاستسلام للفرنسيين والاعتراف بالأمر الواقع وذلك عن طريق العديد من المعاهدات والاتفاقيات.
- ❖ مقاومة الاحتلال الفرنسي والاعتراف بحياة الحل والترحال للاحتماء من العدو الفرنسي، كما فعلت الكثير من القبائل.
- ❖ موالاة الفرنسيين والتعاون معهم ضد إخوانهم من الجزائريين وهو الشيء الذي أقدمت عليه بعض الأسر والعائلات الكبيرة.
- ❖ الهجرة خارج الوطن بعد أن ضاقت سبل العيش وفقد الإنسان كل ممتلكاته؛ إما بالمصادرة أو بالسطو، وإما بالظروف الطبيعية والمجاعات التي عصفت به، وللعلم فإن هذا الخيار، لم يكن إراديًا

1- نفسه، ص. 128

PDF Compressor Free Version

وبالتالي فهذه الهجرة هي هجرة غير إرادية، فتارة كانت جماعية وتارة أخرى كانت فردية[1].

الواقع أن كل الذين كتبوا عن هجرة الجزائريين رغم قلتهم، كانوا قد قدموا إجابات غير كافية وتضاربوا حول دوافعها بصفتها المحرك للهجرة، فمنهم من أعطى الأولوية للسبب الاقتصادي، وقال إنها وليدة الجوع والحاجة، ومنهم من أرجعها إلى الدافع النفسي- أو الدافع الديمغرافي، لكن رغم ذلك ومما لا شك فيه أن الكشف عن دوافع الهجرة يساعدنا على تصور الوضعية التي كان عليها الجزائريون.

حيث يقول (ج.ج. راجي) «لقد ذهب الوهْم ببعضهم إلى القول بأن تلك الهجرة الجزائرية ما هي إلا مظهر لطبيعة الارتحال البدوي التي تكمن في أعماق سريرة الجزائري وذلك خطأ، لأن الإحصاء دلّ على أن أكبر عدد من المهاجرين الجزائريين هم من أهل الحضر- ومعظمهم من إقليم وهران، وأولئك من أصل بربري مستعرب، فليست تلك الهجرة إذن صدى لنزعة بدوية»[2]، ولعل أشيع تعليل للهجرة الجزائرية في الأذهان، هو القول بأنها تحدث تحت ضغط ازدياد عدد السكان، وذلك هو

1- عميراوي (أحميدة)، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، الجزائر: دار الهدى، 2004م، ص. ص. 172 – 173

2- Rager(J.J), Les Musulmans Algériens en France et dans Les pays Islamiques, Paris: Les belles Lettres, 1950, P.51.

PDF Compressor Free Version

التعليل الرسـمي الذي تقول به الإدارة الفرنسية في الجزائر وليس بخاف علينا مثل هذا السبب، ولكنا لا نراه كافيا لتعليل الهجـرة ولـذلك لا نـرى تقسيم أسباب الهجرة في دراستنا هـذه إلى أسـباب اقتصـادية واجتماعيـة وأخرى ثقافية وسياسية.

إن الشعور بسوء الحياة في الجزائر هو الذي يجعل المهاجر يضيق بوطنه الأصـلي فيصـبو إلى بلـد فيـه مسـتوى للمعيشـة أعـلى، إضـافة إلى ازدياد التوتر بينه وبين فئـة تفصـله عنهـا فـوارق دينيـة وعرقيـة ولغويـة وسياسية وإدارية، بفعل الاحتكاك اليـومي، وهـذا التـوتر بسـبب سـيطرة الـدخيل عليـه، يخلـق في وجـدان الجزائـري الكراهيـة[1]، وعنـدما يتعـرض "شـارل أنـدرى جوليـان" لظـاهرة الهجـرة بالتحليـل يقـول : «إن هجـرة الجزائريين المسلمين التي بدأت منذ عام 1830م، كانت تعتمد على أسـس دينية !!»[2]، وبصفة خاصة منذ السنوات الأولى للاحتلال، فيستطرد ويقول: « أنه بعد سقوط بسكرة وتلمسان تدفّق أعيانهـا عـلى تـونس ومـراكش... وكان دافع الخروج هو أسلوب الاحتلال الفرنسي الذي أحكم قبضته عـلى جميع أجزاء البلاد بالإضـافة إلى امتـداد النظـام المـدني إلى منـاطق كثـيرة،

1 – بوعزيز (يحي)، السياسية الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، الجزائر: د.م.ج، 1995م، ص. 243

2– Ageron (Ch.R), "L'émigration des Musulmans Algériens et L'exode de Tlemcen (1830–1911)"Annales Economiques Sociales, Vol 22, France: 1967, P. 1038

PDF Compressor Free Version

ولذلك وجد هؤلاء الحرية خارج وطنهم ووجدوا فرص العمل الواسعة، مع عدم رغبتهم في معايشة الأوربيين».[1]

وبعد انتهاء ثورة الشيخ المقراني في 1871م، حدثت هجرة أخرى من مناطق وهران والقبائل وقسنطينة، واستمرت حتى عام 1875م، وفي عام 1888م هاجر ما يقارب من 178 أسرة و347 فردًا متأثرين بحركة الجامعة الإسلامية ثم حدثت هجرة أخرى كبيرة في عام 1898م إلى المشرق العربي، هذا بالإضافة إلى نفور الأهالي الجزائريين من قانون الأهالي، وكذلك الدعاية التي قامت بها تركيا وإرسالها سفينتين لحمل المهاجرين إلى سوريا[2]، ثم تمت هجرتي 1910م و1911م، حيث كان معظم المهاجرين من الفلاحين وذلك بسبب استيلاء الأوربيين على أراضيهم الخصبة بأبخس الأثمان.

هذا ويروي بعض المؤرخين أن من أسباب الهجرتين السابقتين أيضًا المجاعة التي حدثت بالجزائر في الفترة ما بين (1905–1908)م ثم ازدادت بعدئذ أعداد المهاجرين حتى بلغت في عام 1913م، ما يقرب من 576 أسرة خرجت من قسنطينة قاصدة تونس ومنها إلى سوريا[3]، وهكذا نرى أن الهجرات الجزائرية التي يرى البعض أنها بدأت لأسباب دينية إنما

---

1 – Ibid, 1049.

2– Ibid, 1050.

3 – دسوقي (ناهد إبراهيم)، المرجع السابق، ص. 59

PDF Compressor Free Version

هي في حقيقة الأمر قد حدثت نتيجة دوافع اقتصادية بالدرجة الأولى تحت غطاء اجتماعي وسياسي.

فلقد لعب العامل الاقتصادي دوراً هاماً في تحريك حركة الهجرة الجزائرية نحو المشرق، إذ مهما كانت المبررات والحجج التي قدمها المدافعون عن الاستعمار الفرنسي- في الجزائر فما عسى- ابن الفلاح أو الخمّاس، إلا أن يبحث عن مصادر العيش أولاً في بلاده، فإذا لم يُفلح في مسعاه بدأ يفكر جدياً في مغادرة هذه البلاد، التي لا تضمن حتى قوته اليومي[1]، ويبدو أن الأزمات الاقتصادية الحادة التي عاشها الوطن خلال السنوات (1836-1847-1850-1867- 1868-..)م كانت السبب الذي دفع بالجزائريين إلى الهجرة، غير أن أزمة 1893م كانت أشد قسوة عليهم، إذ اضطرت الإدارة الاستعمارية أن ترفع مؤقتاً حظر الانتقال من منطقة إلى أخرى على الأهالي وسمحت لهم بالبحث عن مناطق تناسبهم للاستقرار وذلك ما تسبب في نزوح عائلات جزائرية كثيرة إلى تونس وغيرها من الأقطار المشرقية، ولم تتفطن السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى هذه الهجرة الجماعية الجزائرية إلا بعد فوات الأوان[2].

1- هلال (عمار)، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، الجزائر: لافوميك، 1986م، ص. 19

2- نفسه، ص 20. للتوسع أكثر يراجع:

- هلال (عمار)، " الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية"، الثقافة، ع82، الجزائر: 1984م ص. ص.94-96 (147).

PDF Compressor Free Version

لقـد أدى تطـور الاسـتعمار والرأسـمالية الزراعيـة إلى مضـاعفات أوضـح عـلى الاقتصـاد الفلاحـي فـالهجرات الفصـلية نحـو تـونس ضرورة أخــرى، وكــما يلاحــظ "مارســيل لارنــو LARNAUDE " «فقــد ذهــب القبائليون بعدما حدث من تطور في الحضارة المدنيـة للعمـل في المنـاجم القسنطينية والتونسية وأجروا أذرعهم للمستوطنين بالمزارع كما تاجروا في المدن، حيث تـم اسـتخدامهم كيميـاويين»، وسـوف يـتجلى تعمـيم هـذه الظاهرة بوجود مهاجرين قبائليين في كامل الجزائر، وهـو مـا نجـده أيضـا في الوقت الراهن، وفي الواقع فغن حركة الهجرة نحو مراكـز المـدن ونحـو تونس، لم تكن سوى تمهيدا للهجرة نحو المتروبول (فرنسا)[1].

إن الخصوصية التي تميـز بهـا دخـول الرأسـمالية إلى الجزائـر مـن حيث تشكيل ما يشبه الجزر والاستئثار بالأراضي الأكثر خصوبة مـن جهـة أدت إلى جر مناطق بكاملها لاقتصاد في غاية التقلب والهشاشة مـن جهـة أخـرى فهـؤلاء المحشـورون في الأراضي الأقـل خصـوبة يضـغطهم الجـوع وتكاثر الأفواه المتطلعة للقمة العـيش وتلـك القطاعـات الفقـيرة، أو تلـك

- Ageron, L'émigration", Annales, Vol22.P1063.
- Favrod (charles), La Révolution Algérienne, Paris: Plon, 1959, P.P.124-125 – P.P.35-40

1 – بوقصة (كمال)، مصادر الوطنية الجزائرية، تر: ميشيل سطوف، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2005م، ص. 42

PDF Compressor Free Version

الأراضي المتكسرة التي لا يجذب المستوطنين كل هذا سيشكل مناطق وبؤر للهجرة.

ومن جهة أخرى يقول " موراسيول Muracciole " «الهجرة حاجة مطلقة بالتأكيد لهذه البلديات وتغيرات الضغط الديمغرافي تأخذ هنا كامل معناها، فمناطق الهجرة القصوى تتطابق بالطبع مع هذه المناطق ذات الكثافة السكانية القصوى»[1]، إلا أن عامل الضغط السكاني لا يوجد في عمق المسألة ولا يلعب دورا في رحيل المهاجرين إلا في الحدود التي تجعل منه الحالة الاقتصادية ونقص الموارد الكافية أمرا لا مفر منه بالنسبة لقسم من السكان.

فقد استولى الفرنسيون على أخصب بقاع الجزائر، وتركوا للوطنيين الهضاب الشبه جافة، وهم يتزايدون عددا من بدء الاحتلال (2,5 مليون /ن) إلى (10 مليون) سنة 1956م، «فلا يجدون عملا إلا إذا نزحوا إلى السواحل الخصيبة حيث المستعمرين الأوربيين، وهؤلاء يسيئون معاملتهم، ولا بد من الاحتكاك بين طرفين يشعر أحدهما بأن الآخر اغتصب ماله وأرضه وحريته مع فوارق الدين واللغة والعادات والجنس ويفصلهما نظام سياسي يجعل من الفئة المغتصبة محتكمة في

1- نفسه، ص. 66

PDF Compressor Free Version

الأخرى سياسيا واقتصاديا وإداريا[1]، فقد بلغ دخل حوالي 06 مليون فلاح جزائري عام 1954م حوالي 16 ألف فرنك بينما دخل 22 ألف مستوطن 09 مليون فرنك، وهذا يبين مدى الفقر الذي كان يعاني منه الفلاح الجزائري.[2]

ودليل ذلك أيضا دوائر رسمية أفادت سنة 1935م انه منذ الاحتلال إلى سنة 1934م، كان النظام الفرنسي قد أقام 972 قرية ونصب 150.000 معمر ساعدهم على استثمار 1.650.000 هكتار، أي ما يعادل 70% من مجموع الملكية الأوروبية[3]، والملكية الأروبية كان جلّها من أخصب الأراضي وأجودها، إضافة إلى عملية الشراء التي كانت متواصلة حيث يقدر "أجيرون Ageron " المساحة التي حصل عليها الأوربيون عن طريق الشراء خلال هذه الفترة بحوالي (1712000 هكتار) أعادوا بيع حوالي (700000 هكتار) للأهالي[4]، أما الباقي فقد حصل عليه الأروبيون بالتحايل والغصب.

إن إقصاء الأهالي من الأراضي الخصبة، ترتب عليه أيضا نقصان في ثروتهم الزراعية والحيوانية والأسوأ من ذلك أن هذا النقصان رافقته

---

1 – فيليب رفلة، الجزائر، ص. 73

2– دسوقي، مرجع سابق، ص. 61

3 زوزو (عبد الحميد)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربية (1919 – 1939)، الجزائر: م.و.ك، 1985م، ص. ص. 36–37

4– Ageron, L'histoire de L'Algérie. P .63

PDF Compressor Free Version

زيادة سكان معتبرة فخلال سنة 1933م ارتفعت النسبة الطبيعية إلى (93000 ن) ثم إلى (122260ن) خلال سنة 1936م[1]، وتعتبر سنة 1936م والتي بدأ فيها العامل الديمغرافي يدفع بالجزائريين إلى الهجرة، لأن الإنتاج الزراعي المحلي (حبوب – زيتون – تين) أصبح عاجزا عن إطعام كل السكان، أما المرافق التي كان يمكنها استيعاب اليد العاملة الجزائرية فقد كانت هي أيضا في خدمة الأقلية الأوروبية.[2]

هذا عن العامل الاقتصادي من جهة التحفيز على الارتحال من الجزائر، أما عن عامل الجذب في البلد المستقبل لهم؛ فالكثير من الدراسات التاريخية تتحدث عن تحسن المستوى المعيشي والاقتصادي في المشرق بسبب استقرار الوضع الأمني والاقتصادي فيه[3]، وما يمكن قوله إجمالاً أن عامل الطرد كان أكثر قوة وتأثيرًا على عامل الجذب نتيجة نظام اقتصادي شاذ أقيم خصيصًا لصالح الأقلية الأوربية.

1- بوحوش (عمار)، " أسباب الهجرة إلى فرنسا "، الثقافة، ع14، الجزائر: أفريل / ماي 1973م. ص. 66

2- للتوسع راجع:

- بلاسين مرجع سابق، ص. ص. 30 -31
- هلال، " الهجرة "، الثقافة، ع82، ص. 70

3- زوزو (عبد الحميد)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية، الجزائر: م، و، ك، 1985م، ص. 44.

PDF Compressor Free Version

وفي أواخر القرن (18م)، أي بالضبط منذ سنة 1898م كانت حالة الهجرة تدل على تذمر وسخط الجزائريين، ومع ذلك حاول الفرنسيون إعطائها طابعًا آخر، وهو أنها من تأثيرات الجامعة الإسلامية والطريقة الرحمانية، فقد عبّر "كامبون" قبل ذلك بأن تصوير الحياة في الشام أو في المشرق عموماً على أنها رغدة هو الذي جعل المهاجرين يعمدون إلى التوجه هناك، وأن العاطفة الدينية كانت تشجع على الهجرة حيث روي أن إحدى المراسلات جاء فيها: « تعالوا واقضوا بقية حياتكم في بلاد غنية بالخيرات والصلوات والاحترام، وقد وعد الله المهاجرين مكانًا أفضل في الآخرة»، وأضاف "كامبون" أن بعض الذين هاجروا من قبل من زواوة رجعوا إلى دواويرهم الأصلية ليناشدوا إخوانهم في الدين الالتحاق بهم في تلك الأراضي المباركة، وقال أن الطريقة الرحمانية تشارك في هذه الحملة الدعائية[1] ويبدو أن "كامبون" قد تناسى البؤس الذي كان يعانيه الجزائريون والاحتقار وتعسف قانون الأهالي.

وما يمكن قوله إجمالاً، أن عامل الطرد كان أكثر قوة وتأثير على عامل الجذب نتيجة نظام اقتصادي شاذ أقيم خصيصا لصالح الأقلية الأوروبية.

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. ص. 477-478

PDF Compressor Free Version

ومن الأسباب المهمة أيضًا مراقبة المؤسسات الدينية ومصادرة الأوقاف وإدارة الشؤون الدينية من طرف فرنسا، ومن جهة أخرى كانت القومية الإسلامية سببًا آخر هامًا في الهجرة الجزائرية، فالرسائل التي كان يبعث بها المهاجرون الجزائريون في القرن التاسع عشر إلى ذويهم في الجزائر كانت تصف الحرية في الشرق الأدنى، وقد كان التجنيد الإجباري سببًا آخر فيها، مما أدى إلى هجرة جماعية كبيرة في مطلع القرن العشرين، وصفها "فيكتور ديمونتي" « بأنها الهلع الحقيق الذي يوشك أن يكون وباءَ أخلاقيًا».

أما عن الدوافع السياسية والثقافية فالجيش الفرنسي- لم يكن يملك أي صفة من أخلاقيات الحروب التي كانت معروفة آنذاك ولا يملك ضباطه وجنوده شيئا من أخلاق الفرسان أو الأخلاق المسيحية، إذ يقول "حمدان خوجة" «..وفيما يخص فصائل القائد "كلوزيل" نكتفي بنقل بعض أعمال إدارته المشهورة بأفريقية (الجزائر) ففي عهده أخرجت جثث الأموات من قبورها وسمح بالاتجار بعظام البشر، وبيعت أحجار القبور ونقلت إلى باب الوادي لتفكك هناك بالحرارة وتجعل جيرا أو كلسا، واستولى على آجر المقابر.. وهلم جرا...».[1]

1- الخالدي (سهيل)، الإشعاع المغربي في المشرق ودور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، الجزائر: دار الأمة، 1997م، ص. 15

PDF Compressor Free Version

وكتب "المارشال أرنو" على زوجته: «أكتب إليكم، ويحيط بي أفق من النيران والدخان لقد ذهبت إلى أفراد قبيلة البراز فأحرقتهم جميعا ونشرت حولهم الخراب، وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ولكن على نطاق واسع»[1] ولم تكن هذه آخر المجازر بشاعة أو حادثة منفردة بل سبقتها وتلتها طوال 132 سنة من الاحتلال مجازر أكثر بشاعة.

ولم تمر هذه الوحشية الفرنسية دون أن تؤثر على الوحدة الوطنية للشعب الجزائري، فهذا البطش والاستئصال لعروش بكاملها ليس له أن يمر دون أن يؤثر في النفوس البشرية، فقد بلغ تفكك الوحدة الوطنية للشعب الجزائري أن بعض العروش دلّت الغزاة الفرنسيين الذين أغروهم بالأموال على عاصمة الأمير المتنقلة «الزمالة»[2]، وبالتالي أدى تفكك الوحدة الوطنية إلى غياب الأمن في نفسية الفرد الجزائري وعدم الاستقرار وسيادة الفوضى والاضطراب في دواخله، مما جعله خياراته تميل إلى خوض غمار الهجرة، فالأمن كما جاء في موسوعة السياسة أنه «حقيقة ذاتية ونسبية تتعلق بالبيئة الداخلية والخارجية لمجتمع إنساني معين

1- مجاهد مسعود، مصدر سابق، ص. 370

2- فيليب رفلة، جمهورية الجزائر، ص. ص. 36 – 38

PDF Compressor Free Version

والغاية منه تأمين سلامة القطر ضد أخطار داخلية وخارجية قد تؤدي إلى الوقوع تحت سيطرة أجنبية».[1]

إذن من أهم أسباب الهجرة الجزائرية إلى المشرق عموماً هي اضطهاد الفرنسيين للجزائريين خصوصا بعد تعيين "دو روفيقو" حاكماً عسكرياً على الجزائر حيث تبينت نوايا المستعمر الفرنسي من دمار وقهر واستغلال.

كما يعتبر – من جهة أخرى – العامل الديني والإيديولوجي سببا وجيها آخر للهجرة فمبادئ الدين الإسلامي ترد مطلقا إخضاع المسلمين كرها إلى أية قوة كانت أجنبية أو غيرها، بالإضافة إلى الشعور الديني الذي حرك الجماهير إلى المشرق الإسلامي دون غيره، والذي لعبت فيه الطرق الصوفية دورا فاعلا كنشاط الشيخ المهدي في بلاد الزواوة الذي أفتى سنة 1847م، الذي نصح المسلمين بمغادرة هذه الأرض المضطهدة وأن يهاجروا إلى الأراضي الإسلامية ليحافظوا على دينهم ودنياهم، فقد واصلت الجمعيات الدينية تشجيعها لهجرة الأهالي إلى المشرق مما ترتب عنه انتقال أكثر من ألفي عائلة من بلاد القبائل إلى سوريا.[2]

1- الكيالي (عبد الوهاب)وآخرون، موسوعة السياسة، ج1، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990م، ص.131

2- هلال، " الهجرة "، الثقافة، ع82، ص. 69

PDF Compressor Free Version

ومما جاء في تقرير وضعه أحد قواد الحملة الفرنسية على بلاد القبائل، أن الشيخ "سي الحاج عمار"، ظهر في جويلية 1852م، يدعو الناس للهجرة إلى تونس والبلاد الإسلامية في منطقة سور الغزلان وذراع الميزان وهو شيخ الزاوية الرحمانية في قشتولة، وحصل هذا المرابط على إذن بالانتقال إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج واخذ معه كل من يريد مرافقته من أهالي القبائل والعرب، فأرسل لهذا الغرض عدة دعاة ورسل انتشروا بين القبائل يدعونهم للهجرة ويضيف التقرير أنه لم يكن القصد من ذلك أداء فريضة الحج فقط، وإنما الهجرة إلى غير رجعة، وأصبح هذا حديث الناس في المنطقة واندفع 600 شخص إلى بيع ممتلكاتهم للخروج مع الشيخ عمار[1]، ولكن الشيخ فضل في نهاية الأمر الجهاد على الهجرة، وكان الفشل نصيب هذه الثورة، وحسب معلومات أوردها "الرائد والف Wallf"، فإن الشيخ عمار طلب بعد فشل ثورته نفيه إلى بلاد الشام.[2]

1- Revue Africaine, Année de 1884, N°898, «Série d' Articles Sur Les Révolutions on Kabylie » , P .164

2- Revue Africaine, Année de 1899, N° 898, P. 58

PDF Compressor Free Version

والسلطات الفرنسية في الجزائر كانت تخشى أمر المهاجرين إلى تونس والمغرب أكثر من غيرهما، فقد يشكلون خطرا على الحدود لذلك كانت تعطي التعليمات لمراقبة هؤلاء المهاجرين[1].

فالهجرة في هذه الفترة لم تقتصر على أولئك الذين جردوا من أملاكهم، وإنما شملت حتى الأغنياء والعلماء، ولوحظ في بلاد القبائل أن نسبة المهاجرين هم من العناصر ذات التأثير في الجماعة وغالبية الفرنسيين أعطوا تفسيرا واحدا لا غير لظاهرة هجرة أهالي المدن والأرياف الجزائرية إل تونس إذ اعتبروا التعصب الديني وكره المسيحي، هو أهم دافع وراء تخلي المسلمين عن أملاكهم وانزعاجهم من مجرد محاورة المسيحي لهم وسكنه في منطقتهم، وهذا ما دفع حتى بالموظفين الصغار إلى التساهل ومنح رخص الخروج إلى من يطلبها رجاء على لسان أحد الموظفين الفرنسيين أنه: «...ما علي إلا الموافقة على طلبات الهجرة وتلك في نظري سياسة موفقة للتخلص من أولئك المتعصبين...»[2].

---

1 – A.O.M.9H98. Lettre de Ministre Secrétaire d'état de l'Algérie et des colonies au Général Commandant la division d'Alger, Paris: 7 Juin 1860.

نقلا عن :– طرشون (نادية)، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، إشراف محمد خير فارس، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، (1984 – 1985)م، غير منشورة، ص. 27

2– Ibid .

PDF Compressor Free Version

وإذا كانت هذه وجهة نظر الفرنسيين الذين عايشوا الفترة، وهي لا تخلوا من تزييف وتحريف للحقيقة والوضع السيئ الذي أصبح يعيش فيه الأهالي المسلمين في كامل أنحاء الجزائر متناسين فضائع التوسع الاستعماري، الذي ترك الأهالي بدون مأوى وأراضي يزرعونها وحولهم إلى أذلة بعد أن كانوا أعزة في قومهم ووطنهم.[1]

إن تقارير القناصل متضاربة حول جاذبية الهجرة، فهي تارة تذكر دعاية أبناء الأمير عبد القادر الذين تعثمنوا، وتارة تذكر تأثير الجامعة الإسلامية، من جهة أخرى تذكر أن الأراضي التي تمنح للمهاجرين كانوا يكتبون لإخوانهم ثم يحثونهم على الهجرة ويصفون لهم الحياة السعيدة التي هم فيها[2] هذا السبب يركز عليه كثيرا فرحات عباس [3]، ويراه كافيا في هجرة الجزائريين، ذلك أن المراسلات التي كانت بين المهاجرين الأوائل وذويهم في الداخل أو حتى في عودة بعضهم، قد نسجت في أذهان الجزائريين المقيمين أساطير كثيرة عن الوضعية الطيبة والمعيشة الرغدة

1- للتوسع يراجع :

- Revue Africaine, N°885,1883
- Revue Africaine ,N 889.1879 .
- Revue Africaine ,N 899.1900 .

في سلسلة مقالات كتبها رابين (Rabin)، خاصة بالحملات العسكرية على بلاد القبائل بين عامي (1856 -1857) في دراسة له عن ثورة الشريف بوبغلة.

2- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 05، ص. 477

3- Abbas (Ferhat) :La colonie à la province , le jeune algérien , paris :1931 , P.32

PDF Compressor Free Version

التي يعيشها المهاجرون في الخارج فلم يبق للخمّاس حينئذ سوى أن يقف على أثر على المغامرين الأوائل، ويهاجر هو أيضا من « البلد اللعين بل والمهانة والفاقة».[1]

وفي أواخر القرن (18م)، أي بالضبط منذ سنة 1898م كانت حالة الهجرة تدل على تذمر وسخط الجزائريين، ومع ذلك حاول الفرنسيون إعطائها طابعا آخر، وهو أنها من تأثيرات الجامعة الإسلامية والطريقة الرحمانية.

فقد عبر "كامبون" قبل ذلك بأن تصوير الحياة في الشام على أنها رغدة هو الذي جعل المهاجرين يعمدون إلى التوجه هناك، وأن العاطفة الدينية كانت تشجع على الهجرة أو روى أن إحدى المراسلات جاء فيها «تعالوا واقضوا بقية حياتكم في بلاد غنية بالخيرات والصلوات والاحترام، وقد وعد الله المهاجرين مكانا أفضل في الآخرة»، وأضاف "كامبون" أن بعض الذين هاجروا من قبل من زواوة رجعوا إلى دواويرهم الأصلية ليناشدوا إخوانهم في الدين الالتحاق بهم في تلك الأراضي المباركة، وقال أن الطريقة الرحمانية تشارك في هذه الحملة الدعائية[2] ويبدو

1- IBid

2- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص. ص.477-478

أن "كامبون" قد تناسى البؤس الذي كان يعانيه الجزائريون والاحتقار وتعسف قانون الأهالي.

PDF Compressor Free Version

وفي دار المحفوظات التونسية رسائل للأمير عبد القادر وجهها للرسميين التونسيين يحثهم فيها على تقدير المساعدات لأولاد مقران ومن معهم من اللاجئين، ومما قاله في رسالته إلى " مصطفى خزندار": «أنه بلغنا دخول الفئة المقرانية أولاد يلس في دائرة دولتكم السامية، لائذين بحماها المنيع مستضعفين جنابها الرفيع، فالمأمول من الجانب السامي تصديق ظنهم والاعتناء بشأنهم...». وأكد نفس الأمر في رسالة أخرى إلى الوزير خير الدين التونسي بعد أن أشاد بخصاله وخصال السلطات التونسية[1]، كما راسل باي تونس أحمد باشا ووجه إليه هدية من عشرة خيول وبعض التحف، وذلك من أجل ربط الصلة معه، ومما قاله في رسالته إلى محمد بن حسين باي الوزير التونسي: «فإنا بعثنا إليكم مقامنا في التهنئة وعقد المحبة بيننا وبينكم وحسن الجوار معكم فاستوصوا بالحاملين خيرا...»[2]، ولم يتوقف الأمر عند محاولات الأمير عبد القادر نفسه فقد بذل خلفائه

1- بوعزيز (يحي)، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، الجزائر: م.و.ك، 1986م، ص.77

2- نفسه، ص. 78

PDF Compressor Free Version

ونوابه نفس الجهود مع سلطات تونس من أجل تدعيم جهة الكفاح.

ومما قاله الحسن بن عزوز لحاكم المسيلة حمودة باشا باي، كان عبارة عن نصائح الأخ لأخيه، ولم يكتف بذلك بل حذره من مغبّة صداقته للفرنسيين وتعاونه معها ضد إخوانه المكافحين الجزائريين خدمة لصالح العام (وحدة الشعبين التونسي والجزائري) قائلا له: «...كن فطنا لبيبا عاقلا وانظر عاقبة الأمور من جانب الكفر ولا تظن ودّهم من جانب الحب بل من جانب المكر والخديعة لا غير، وما شغلهم عنكم إلا نحن ولولا نحن لرجعوا إليكم وها نحن مشغولون إلا بهم، وأنت منا وإلينا والحب بيننا سابق ولا حق لا ينفك أبدا...».[1]

وبهذه الإستراتيجية كان القادة الجزائريون ينظرون إلى الواقع السياسي والفكري القائم آنذاك، لكن بايات تونس كان لهم موقف آخر معارض ومضاد، فقد كانوا ضد كل الثورات، ولم يسعوا في تقديم العون والمساعدة إلا من باب المملئة على أن يخرجوا

1- نفسه، ص. 79

PDF Compressor Free Version

من دائرة تونس بدون عنف وقوة، كما حدثت لقضية ثورة الكبلوتي.[1]

غير أن هذا الموقف لا يعني بالضرورة هو نفسه موقف الشعب التونسي، بل أن هذا الأخير كان على الدوام ملجأ البايات، كبعض الوزراء والولاة والأغوات، الذين كانت لهم مواقف مشرفة تكشف عنا الرسائل التي يزخر بها أرشيف تونس الوطني.

ولعل هناك سبب آخر محفز للهجرة تغافل عنه كثير ممن تخصصوا في هذا الموضوع هو أنه من بين المهاجرين من كانوا ذوي أصول مشرقية فضلوا الرجوع إلى بلدان أجدادهم بمجرد سقوط الحكم العثماني، وهذا طلبا للأمان.[2]

كما كان لدعوة الجامعة الإسلامية تأثرها العميق على لجزائريين، فبعض الطرق الصوفية كالسنوسية، قد جعلت من سياستها دعوة الجزائريين إلى الهجرة إلى أرض الإسلام، كما كانت تونس تمثل للمهاجرين الجزائريين بوابة الأمان.[3]

ذلك أنه لما أنشأت الجامعة الإسلامية في استانبول تشكلت معها جمعيات سرية في أنحاء العالم العربي، وكان يرأس

1- نفسه، ص. 81

2- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 473

3- دبوز: نهضة، ج2، ص. 186

PDF Compressor Free Version

جمعية تونس الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وهو ممن سعى إلى تكوين فروع لها في أنحاء المغرب. وكان من فروعها الجمعية السرية في وادي ميزاب والقرارة وأنشأها الشيخ صالح بن يحي في عام 1915م في القرارة، وكان يرأسها الحاج بكير العنق، ومن أعضائها البارزين الحاج عمر بن يحي.

وكما هو معلوم أن فرنسا قد تبنت في هذا الجانب سياسة التجهيل والتخلف[1]، فقد بلغ عدد التلاميذ المتمدرسين في المرحلة الابتدائية سنة 1914م (42263 تلميذ) من مجموع (850000) ممن في سن الدراسة، أي بنسبة 5 % !! [2] ليبلغ عددهم (144117 تلميذ) عام 1939م، أي بزيادة سنوية تقدر بـ (2000 تلميذ) كل سنة، وما يُبرز أهمية هذا الدافع هو أن نسبة 15 % من المهاجرين كانت أعمارهم تتراوح ما بين (20 و24 سنة) أما من كانت أعمارهم تتراوح بين (25 و34 سنة) فإن نسبتهم بلغت 50%، فلو كان التعليم متوفرا وفي متناول الجميع لما كانت هجرة الشبان بمثل هذه النسب.[3]

1- المدني (أحمد توفيق)، هذه هي الجزائر، مصر: المكتبة الأنجلو- مصرية، ب.ت. ص. 139 وما بعدها.

2- Ageron , L'histoire, P.70

3- Ibid.

PDF Compressor Free Version

ومن جهة مقابلة فإن المشرق كان يتوفر على معاهد ومدارس وتنظيم تعليمي يحتكم إلى الصرامة، المنهجية والإدارية، وإلى قلة الضغط الاستعماري والحرية التعليمية التي يتمتع بها المشارقة، هذا بالنظر إلى البرامج والمناهج المتبعة، وهو ظرف لم يتوفر للجزائريين في بلادهم.

وكانت هذه من أهم العوامل التي أثرت في الحياة العلمية بالجزائر وشجعت الهجرات الطلابية، لأنها تمثل شكل من أشكال الهجرة المتعددة إليها، ولكن دور هذه المؤسسات اختلف من حقبة لأخرى نتيجة لعدة عوامل، ويمكن تقسيم المؤسسات إلى أربعة أنواع:

- مؤسسات تعبّدية استخدمت للتعليم، وتتمثل في المساجد، وهي أقدم أماكن للتعليم الإسلامي في تونس.
- مؤسسات أوقفت على التعليم وحده، متصلة بالمسجد حينا ومنفصلة عنه حينا آخر.
- مؤسسات تعبدية جهادية مثل الأربطة، ولكنها استخدمت للتعليم.

PDF Compressor Free Version

- التعليم في المنازل وهو إما خاص أو عام في الأول في منازل المؤدبين والثاني في منازل العلماء.[1]

إن تعدد المؤسسات التعليمية وارتباطها بالأماكن التعبدية أو بالشيوخ يدل على أن الجزائريين حرصوا على تعليم أبنائهم، الأسس الصحيحة للدين الإسلامي واللغة العربية.

ومجمل القول فإن سوء الأحوال التي سبق الحديث عنها قد دفعت بالجزائريين إلى مغادرة بلادهم، وكانت وراء هجرتهم التي كانت دوافعها بالدرجة الأولى قساوة ملامح الحكم **الفرنسي**، كقانون الأهالي وفقدان وسائل التعبير لدى الوطنيين، وكانت الأحوال الاقتصادية سببا آخر مهما للهجرة، فقد كانت كثرة الضرائب والسخرة والحراسة الليلية مثار شكوى الجزائريين.

2. خصوصية العلاقة بين الجزائر وبين المشرق العربي:

لماذا الكتابة عن خصوصية هذه العلاقة؟ ولماذا نركّز على البعد العربي والوحدوي في طبيعة الدور الجزائري؟ ولماذا نتكلم عن الوحدة العربية وراء مساهمات الجزائريين؟ وهل هناك فصل بين هذين النوعين من الوحدتين (المغاربية-العربية) من خلال الأدبيات الجزائرية؟ أم أنهما

1- بنت محمد البسام، مرجع سابق، ص. 79

PDF Compressor Free Version

معًا يشكلان بعدًا واحدًا مع اختلاف في المدى؟ على أساس أن الوحدة العربية الشاملة هي وحدة للذات، وبالتالي فالحديث عن الوحدة المغاربية لا يعدو أن يكون إجراءَ منهجيًا ليس إلا، ونُقرّ مبدئيًا أن الحديث في هذا المنحى يعتبر حديثًا ساقطًا لا يتوخى منه سوى الفصل بين الوحدتين، أي إبراز وجود خصوصية في درجة القطيعة[1] قد نشعر بنفس القلق الفكري أيضًا حين نريد مساءلة الوعي القومي لدى الجزائريين خلال هذه المرحلة التاريخية إذن: فلماذا الكتابة بالضبط عن الوعي القومي في الجزائر؟ هـل الوعي القومي العربي وعيـان: مغربي ومشرقي؟ أم كلاهما شيء واحد وعي الأمة العربية بقوميتها ووحدتها؟

إن الحدث القومي بالجزائر خلال هذه الفترة قد أثار جملة من التساؤلات مقارنة مع نظيره بالمشرق تعلقت أساسًا بتاريخ تكوّنه بموضوعاته أيضًا بدرجة تقدمه ومحدوديته ووقعه وفعله.. ومن أهم الموضوعات ظاهرة الاختلاط بين العروبة والإسلام، وأيضًا تداخل الوعي بالانتماء إلى الأمة العربية بالوعي الوطني أي الانتماء القطري!![2] وأنا أدرك تمامًا رغم صلاحية هذه التساؤلات من حيث الطرح المنهجي

1- راجع في هذا المنحى: منير (شفيق)، في الوحدة والتجزئة، بيروت: دار الطليعة 1979م، ص. ص. 20-41

2- للتوسع طالع: م.د.و.ع، "ندوة المستقبل العربي حول الوعي القومي في المغرب العربي"، مجلة المستقبل العربي، ع76، بيروت: جوان 1985م، ص. ص. 126- 144

بصعوبة التعاطي معها لأن الموضوع ذاته مازال يكرا قياسًا لما كُتب حوله
PDF Compressor Free Version
وأنجز، إن ما يربط ما بين الجزائري وإخوانه في المشرق العربي تاريخ ومصير ذا أبعاد عميقة في مدلولاتها وهذا ما يعقّد مسعى إدراك تلك الأحداث المحصورة في المرحلة الزمنية جدًا التي حصرت موضوع الدراسة ولكنها بالمقابل غنية بالإثارة.

وفي الحقيقة فإن الحديث عن خصوصية العلاقة يحيلنا بالضرورة إلى الحديث عن الدور الذي قامت به النخبة الجزائرية مغاربيًا وعربياً من منطلق وزنها الإقليمي والإستراتيجي وهو الوزن الذي جعل الصحفي العراقي –بحري يونس– يقول عام 1958م: «في الواقع فإن الاستعمار الفرنسي في الجزائر إذا بقي هكذا محتفظا بقواته المسلحة على أرض الوطن فإن وحدة المغرب العربي لن تتم ولن يتحقق استقلال تونس والمغرب مطلقًا.. وقد أعجبني ما كتبه المجاهد "عبد المجيد بن جلون" قائلا: «..إن الشيء القليل الذي حققناه في سبيل مراكش وتونس إذا لم ندعمه بتحرير الجزائر سيبقينا منعزلين عن أقطار المشرق والمغرب العربية... ولن نرضى بهذا مطلقا..»[1] فقضية استقلال الجزائر–انطلاقا من هذا المنظور– كانت تمثل حينها ولازالت قضية للمغرب العربي كمجموعة

1– بحري (يونس)، دماء في المغرب العربي، ص. 25

PDF Compressor Free Version

وكأقطار مستقلة، بل هو الضمان الدائم لاستقلال المغرب العربي وحفظ كيانه.

ويجدُر بنا أن نتساءل: ما هي العوامل الأساسية التي جعلت سكان المغرب الأوسط يشعرون بأنهم من أمة واحدة متميّزون عن أبناء الأمم الأخرى:

أ. **وحدة الأصل والمنشأ**: كان الرواد الأوائل لهذا التواصل السياسي والفكري يجّزمون بأن جميع أفراد الأقطار العربية يكونون بمثابة الأشقاء المنحدرين من صلب أب واحد ولذلك نجدهم يكررون في مراسلاتهم وصحفهم وفي كل المناسبات كثيراً من التعبيرات الدالة على هذا الزعم كقولهم «أجدادنا، آباؤنا، إخواننا، أشقائنا...» رغم أن هذا الظن لا يستند إلى أساس صحيح فحقائق التاريخ لم تترك مجالا للشك في أنه لا يوجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من أصل واحد فعلاً ولا أمة خالصة الدم تماما، لكن يرجع جزمهم إذًا إلى أن إمعانهم في الترابط والتواصل ارتقى بهم إلى درجة الأخوّة وكأنهم عائلة واحدة، بمعنى أمة واحدة، «وكذلك اعتـقادهم أن المهم في القرابـة والنسب ليس رابطة الدم في حد ذاتها بقدر ما هو الاعتقاد بها والنشوء عليها»[1]، ذلك أن الاعتقاد بوحدة الأصل

1- الحصري (أبو خلدون ساطع)، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ط2، بيروت: م.د.و.ع.1985 م، ص. 20

PDF-Compressor Free Version

والشعور بالقرابة عمل عملاً هامًا في زيادة روح التضامن والترابط بين الجزائريين وإخوانهم في المشرق، سواءَ أكان ذلك موافقا للحقيقة أم مخالفا لها، فالقرابة بينهما كانت قرابة نفسانية معنوية أكثر مما كانت جسمانية ومادية.

ب. وحدة اللغة والتاريخ: فاللغة العربية كانت هي واسطة التفاهم فعلا عن أنها كانت أداة التفكير والنضال وواسطة لنقل الأفكار وتبادل المكتسبات، مما كان له تأثير عميق على العواطف والمشاعر.. أما التاريخ المشترك فكان بمثابة الشعور بالذات والشخصية المتفردة فوحدة تاريخهما تولّد عنه تقارباً في العواطف والنزعات لأنه أدى إلى تماثل في ذكريات المفاخر السابقة وفي ذكريات المصائب الماضية كما أدى إلى تشابه في أماني النهوض وآمال المستقبل.[1]

وعندما نقول وحدة التاريخ يجب أن لا نفهم من ذلك الوحدة التامة في جميع أدوار التاريخ بل يجب أن نفهم من ذلك الوحدة النسبية والغالبة التي تتجلى في أهم صفحات التاريخ وإلا لما استطعنا أن نجد أمة واحدة كانت موحدة على طول تاريخها توحيدًا تامًا فقد قال أحد المفكرين: « على كل أمة أن تنسى قسمًا من تاريخها لكي تتوحد»، من جهة أخرى أو على مستوى فكرة "المغرب العربي" يذكر عابد

1- نفسه، ص.ص. 21 – 22

PDF Compressor Free Version

الجابري[1] ثلاث عناصر رئيسية أسست وتؤسس فكرة المغرب العربي في وعي أبناء شمال إفريقيا منذ أن ظهرت هذه الفكرة مع أوائل القرن العشرين.

❖ **فكرة الأمة:** والتي تشكل الجانب الاجتماعي السياسي لعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام.

❖ **رد الفعل الوطني ضد الاستعمار:** حيث يتخذون إطاراً مرجعيَا لمطامحهم التحررية.

❖ **هذه المطامح نفسها:** أعني تطلعهم إلى إنجاز نهضة عصرية متقدمة.

فهذه العناصر تحدد كل منها لحظات تطور الوعي بالوحدة لدى أبناء شمال إفريقيا إن هذا يعني أن الأمر يتعلق بمراحل تاريخية متداخلة من الوعي بالوحدة تتعايش وأحيانًا تتنافس ليس داخل الوعي الجماعي فقط بل حتى داخل الوعي الفردي.

ج. عوامل الوحدة ومتغيّرات الظرف والحال:

قد تصعب الكتابة حين نريد قراءة الخطاب القومي الوحدوي لدى الجزائريين وقد تتعقد أكثر حين نستهدف استجلاء الوحدة العربية ضمن بنياته كخطاب، لكن الثابت أنه على الرغم من حداثته وغموض

1- م.د.و.ع، وحدة المغرب العربي، بيروت، م.د.و.ع، 1987م، ص. 17

PDF Compressor Free Version

مضمونه وعدم دقته، فإن الجزائري يحمل عناصر اعتبرت مع التواتر مكونات ثابتة ومنها:

- أن الوحدة لدى الجزائريين ممكنة لأن ماضي المنطقة وتاريخها المشترك وأيضًا لغتها ودينها ومعتقداتها تتضمن من القوة ما يجعل منطق الوحدة هو الغالب على منطق الانفصال، فالمميز خلال هذه المرحلة هو المساندة والتضامن والتنسيق والتفاعل والعمل المشترك، فهذه كلها تعبيرات عن الوحدة وليست مجرد أشكال أقل قيمة من التوحيد.
- أن الوحدة عند الجزائريين كانت ضرورة لأن في المنطقة من الموارد والثروات ما يجعلها تتصدر مكانة خاصة ضمن التوازنات الدولية، حيث تقف في أكثر من مناسبة عند اقتناعهم بصلاحية هذا المدخل للتوحيد وإنجاز مشروع الوحدة العربية.
- إن الوحدة لدى الجزائريين كانت حتمية، لأنها من صلب الوعي القومي ومكوّناته ولأنها أيضًا هم مشترك لدى مختلف النخب التي تصدرت الواجهة السياسية والفكرية.

فالقومية والوطنية من أهم العواطف الاجتماعية وأسمى المشاعر الإنسانية التي تربط أبناء الأمة أو الوطن بعضهم ببعض وتدفعهم للعمل من أجل التضحية في سبيلها والوطنية هي ذلك الشعور الباطني بالارتباط

PDF Compressor Free Version

بالوطن والاعتزاز به فهي عاطفة حب أو تعلق الإنسان بوطنه، وهي غريزة طبيعية تدفع الإنسان إلى حب الأرض التي يعيش فيها والتعصب لها والذود عنها والتضحية في سبيلها.[1]

أما القومية فهي رابطة اجتماعية طبيعية بها ينتسب الفرد لأمة معينة وهذا الانتساب لا يتحقق فعلا إلا بإحساس الفرد بالانتماء للأمة والولاء لها[2]، فالوطنية والقومية من أهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من أجلها ويضحي في سبيلها وبما أن حب الوطن يتضمن بطبيعته حب المواطنين الذين ينتمون إلى ذلك الوطن، فكذلك حب الأمة يتضمن كما الوطن حبا للأرض التي تعيش عليها تلك الأمة، لهذا السبب يتقارب مفهوم الوطنية من مفهوم القومية تقارباً كبيراً.

وبما أن للأمة عدة أشكال حسب تقسيم الحصري...[3]، فيبدو أن الأمة الجزائرية كانت تنتمي إلى الشكل الذي تكون فيه الأمة محرومة من دولة خاصة بها وتكون تابعة لدولة أجنبية عنها وفي هذه الحالة تفرض الدولة الحاكمة على جميع أفراد الأمم الخاضعة لها "وطنية عامة

1- الغويل (سليمان)، الدولة القومية، ط4، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس 1990م، ص. ص. 45 – 46

2- أبو طالب (صوفي)، دروس في المجتمع العربي، القاهرة: دار النهضة العربية، 1966م، ص. ص. 22- 23

3- الحصري (أبو خلدون)، المرجع السابق، ص. ص. 09 – 10

PDF Compressor Free Version

واسعة النطاق" أي الوطنية الفرنسية وتطلب منهم أن يرتبطوا بها وبسائر الأمم الخاضعة لها برباط هذه الوطنية وأن يخدموها بدافع هذه الوطنية، أما القومية فتعارض ذلك وتولد في نفوس الأفراد نزوعًا إلى الاستقلال عن الدولة المذكورة وتجعلهم يصْبون إلى الانفصال عن الأمة الحاكمة ويسعون وراء تكوين دولة خاصة بهم، فيحدث من جرّاء ذلك نزاع وخصام بين الوطنية التي تفرضها الدولة الحاكمة وبين القومية التي يشعر بها أفراد الأمة المحكومة، وهناك من لا يرى فرقًا بين الوطنية والقومية حيث ذهب إلى اعتبار الوطنية شكلا من أشكال القومية؛ ومن هؤلاء "روبرت ماكفير وشارلز بيج" فالقومية عندهما قد تقوم في أحد أشكالها على فكرة الارتباط بأرض الآباء والأجداد.[1]

وإجمالاً فالوطنية لا تتعارض مع القومية، بل هي في الحقيقة قوة دافعة لها فمن فكرة الوطنية تقدم العقل المغاربي لفكرة القومية، بل لقد أصبحت القومية هي الأساس لتحديد مفهوم الوطن وعليه فإن الجزائر خلال تلك الفترة كانت جماعة يمكن اعتبارها ثابتة التكوّن تاريخيًا على أساس أرض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة، رغم أن النظام الاستعماري يفسدها وفي الحياة وفي النضال ضد هذا النظام الاستعماري وفي سبيل

1- الغويل، المرجع السابق، ص. 50

PDF Compressor Free Version

جزائر متحررة من قيودها تتطور الروابط القائمة بين مختلف عناصرها السلالية[1].

لقد كان ابن باديس يؤمن أن المغرب العربي هو وحدة قائمة بذاتها وأنها جزء من الأمة العربية ويجب أن تنظم إلى الجناح الأيسر من العروبة بعد استقلالها لتكوين الوحدة العربية فهو يقول في إحدى خطبه :«...أنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي لأنني أؤمن بأن هذا الشمال لا ينهض إلا بتضامنه مع بعضه بعضا.. وما هذه كلّها إلا وطن واحد ذو لغة وعقيدة وآداب وأخلاق وتاريخ ومصلحة مشتركة ثم هو الوطن العربي الإسلامي».[2]

وما يجب أن نَلحظه هنا هو كيف يميل الجزائري ولنقل الشيخ ابن باديس على سبيل المثال في هذه العبارة إلى الإعلان عن الانتماء العربي للبلاد وللشعب في الوقت نفسه الذي يعمل فيه على تعزيز الشعور الوطني الجزائري، وكيف تختار الوطنية الجزائرية أن تكون عربية دون أن تفقد نفسها (قطريتها)، لا شك أن الخطاب القومي التقليدي لن يستسيغ هذه المعادلة لأنها تقوم على حدين متنافرين

---

1 – فيكس (ليون)، الجزائر حتف الاستعمار، تر محمد عتياني، بيروت: مكتبة المعارف، ب. ت، ص. 40

2– خيرية (عبد الصاحب وادي)، الفكر القومي العربي في المغرب العربي، بغداد: دار الرشيد للنشر، 1982، ص. 160

PDF Compressor Free Version

(قطري/قومي)، لا يمكن الواحد منهما الا أن يلغي الأخرى لكنها في حالة الجزائر معادلة توافقية ومردّ ذلك إلى ظروف التطور التاريخي والسياسي الحديث.

فالانتماء القومي في الجزائر لا يلغي الرابطة الوطنية القطرية بل تعززها عكس نظرة المشارقة لهذه الجدلية، ذلك أن السبب يرجع إلى جذور تكوّن فكرة القومية العربية في كل منها، فيما تأسست فكرة القومية في بلاد الشام مثلاً على رفض الدولة القطرية المستحدثة في مجال طبيعي تاريخي واقتصادي واحد كان يطمح أهله إلى إنشاء دولة "عربية واحدة" قامت فكرة الوطنية في الجزائر أو في المغرب العربي عموما على المطالبة باسترجاع سيادة الدولة الوطنية القائمة ضمن حدودها السابقة على الحدود التي فرضها الاستعمار الفرنسي[1] كما أود أن أشير هنا إلى أمرين هامين هما:

❖ أن الوعي الجزائري -الذي تحدّثنا عنه سابقا- نشأ عن خلفية ثقافية مضمرة في الشخصية الجزائرية وبما أنها ثقافية فهي بالتالي لا تدفع به بالضرورة إلى أن يكون وعيًا سياسيًا والذي هو في الأخير وعي بقضية الوحدة والتوحد السياسي، فإنه لا ينصرف كلية عن التفكير في

1- بلقزيز (عبد الإله) وآخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، بيروت: م.د.و.ع، 1992م، ص. 55

PDF Compressor Free Version

الوحدة فهو: «وعي يؤسسه شعور وإيمان بقيام نوع من الوحدة هي أساسا وحدة العقل الثقافي والإطار الحضاري»[1] وهي وحدة ليست غير ذات قيمة بل لقد شكّلت رهان الوحدة السياسية وخلفياتها العميقة المؤسسة.[2]

❖ أن الوعي القومي في الجزائر نشأ دون صدام مع الوعي الوطني وهذا خلافًا للوعي القومي الذي تأسّس- في المشرق - ضد الوعي الوطني (القطري)، هذا الذي ننظر إليه دومًا بصفته النقيض الموضوعي لذاك -إن هذا التعايش- بين الوعي القومي وبين الوعي الوطني في الجزائر يضفي سمات خاصة على قومية الجزائريين.

ونود أن نرفع التباسًا قد ينجم بسبب عدم التمييز بين التضامن القومي المرتبط بظرف سياسي معين والوعي القومي في مجتمع عربي معين كتجربة اجتماعية سياسية تاريخية، وكفكر انغرس في صلب الفئات الاجتماعية المتصارعة داخل المجتمع بدرجات متفاوتة ولكن الانتماء للعروبة حاصل وبين هذه الفترات المعينة التي ينحسر فيها المد القومي العربي نتيجة لبعض الظروف السياسية القائمة والتي تشكل سببًا مباشرًا لدفع هذا القطر أو ذاك للتضامن مع القضايا القومية.

1- الجابري (محمد عابد)، يقظة الوعي العروبي في المغرب، بيروت: م.د.و.ع، 1986م.، ص. ص. 33 – 34

2- راجع: بلقريز، المرجع السابق ، ص. 17

PDF Compressor Free Version

غير أن النظرة التاريخية الإسلامية في ضبط محتوى القومية على التحليل الاجتماعي قد تغلّبت لدى النخبة الجزائرية، وليس ذلك من باب الصدفة، فلقد وردت الجنسية العربية على أرض المغرب الكبير في جحافل الفاتحين من دعاة الإسلام، ولقد توطّدت اللغة العربية في هذه الديار وغلبت اللغات الأهلية لأنها لغة القرآن وتركّز مذهب الإمام وعمّ الشمال الإفريقي لأنه أقرب المذاهب تمسّكا بالكتاب والسنة.

ولما تكوّنت الحركة الوطنية في مطلع القرن العشرين فإنما كانت تتمسك بالقيم الدينية الإسلامية لا بمبادئ القومية العربية، وهي لم تتوضّح معالمها في ذلك العهد، فلقد كانت جمعية العلماء تعمل بروح الإسلام على أيدي ابن باديس وتنادي بالتعلّق بالدين وترى فيه حصناً منيعًا ضد الاستعمار وردعًا حافظًا من حملات التبشير في بلاد القبائل وتؤكد المواثيق الوطنية للنجم وحزب الشعب على الطابع الإسلامي العربي للأمة الجزائرية[1]، يقول عبد الحميد بن باديس الصنهاجي في الثلاثينات من القرن الفارط «إن الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي هما موجودان، تزول الجبال ولا يزولان بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل

1- الفيلالي (مصطفى)،"مفهوم المغرب العربي تطورا وتصورا وممارسة"، المستقبل العربي، ع77، بيروت: جويلية 1985م، ص. 93

PDF Compressor Free Version

في الغرب ضد العروبة والإسلام»[1]، هذه الصرخة القومية تصعدت في ذروة الكبد الاستعماري لعروبة الشمال الإفريقي وبطشه بالإسلام في الثلاثينات، يوم تصوّر المستعمر أن البربرية يمكن أن تكون حربة في ظهر الإسلام والعروبة، وأن الصليبية يمكن أن تكون البديل في ظل سطوة عسكرية فجاء التحدي باسم (العروبة والإسلام) شعاراً لجمعية العلماء المسلمين.

ويلتقي زعماء الجزائر والحركة الوطنية بالنسبة لهذه القضية التاريخية والمواجهة المشهودة على فكرة واحدة ومنطلقات متحدة، بدون سابق تنسيق أو تخطيط، إنما هي الرسالة الجامعة والعدوّ المشترك. يقول الشيخ الإبراهيمي «عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعية، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء والينابيع التي انفجرت منها الأخلاق والخصائص والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد، وهي أثبت أساسا وأقدم عهدًا.. من إنجليزية الانجليز، وألمانية الألمان»[2]، فهذا الفتى الزواوي باعزيز بن عمر يقول وهو من بلاد القبائل: « وإننا نشعر من قبل ومن بعد بدم العروبة يجري في عروقنا وهو صافٍ لم يمازجه كدر وإن اختلف المظهر، ونسمع صوتها الحنين يرنّ في آذاننا

1- الخرفي (صالح)، في رحاب المغرب العربي، ص. 12

2- نفسه، ص. 13

PDF Compressor Free Version

فنفتح له الطريق إلى قلوبنا وأعماقنا. فالعروبة حيّة فينا ونحن أحياء فيها، مادامت السماوات والأرض».[1]

03 - بواعث الصلة بين المشرق والجزائر:

إن التواصل بين المشرق والمغرب الإسلاميين لم ينقطع عبر مختلف عصور التاريخ فالوحدة الجغرافية واللغة والصلات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية الأخرى إضافة إلى عمق الصلات الفكرية الموغلة في أعماق التاريخ كلها عوامل ساعدت على تقارب الشعبين إلى بعضهما، وفي العديد من الفترات التاريخية يشكل الجناحان وحدة تارة في شكلها الكلي وتارة في شكلها الجزئي.

بيد أن الهجرة المكثفة التي تمت خلال القرنين (19م-20م) بينهما شكّلت حدثًا بارزًا ومُهمًا في تاريخ المنطقة، ونتج عن هذا التمازج التاريخي وعن ذلك التجانس الجغرافي وحدة ثقافية أصلية طبعت المجتمعين من أقدم عصورهما، فتقاربت ألسنتها ولهجاتهما وتوحّدت معتقداتهما وتناسقت بينهما أساليب العيش ومظاهر السعي وخصائص الذوق وملامح المزاج، إن بين أصناف المجتمعين برغم تنوعهما في السمات البشرية من الشرق إلى الغرب، تقاربًا ملموسًا في المزاج وفي المراجع السلوكية تتمثل بالخصوص في المزاج العفوي بين المرح والجد وإن كانت

1- نفسه، ص. 12

PDF Compressor Free Version

ملَكَة التجاوز لا تنفي عن بعضنا بذور العصبية، تلك خصائص ثابتة في الأفق الجغرافي للمنطقة وفي الفترات الحاسمة من تاريخها في السمات البشرية والثقافية من عمرانها وهي تكسب مشروع إنشاء المستقبل العربي المشترك عمقًا تاريخيًا ورعايةً حضاريةً فتبرئه من وصمة الاختلاف وترفع عنه تهمة الاستجابة لأغراض نفعية ظرفية.

وسنتحدث في هذا المبحث عن الدوافع التي خصّت المنطقة دون سواها وزادت من تقارب الشقين وسنحصي كل العوامل والبواعث مهما كان دورها في تنامي العلاقات بينهما، فإذا كان يمكن القول أن عنصرا أو عاملاً ثانويًا عندما لا تتوقف النتيجة على توفره وحده بل يكون له دورًا مكمّلاً فقط أو محسنًا فإنه ينبغي أن نأخذ في عين الاعتبار الظروف التي تعمل فيها هذه العوامل مع مراعاة الاختلافات والفروق والظروف الموجودة في كل منطقة وخصوصيتها، كما أنه ليس من الضروري توافر جميع هذه العناصر دفعة واحدة حتى يمكن فيما بعد أن يحصل التفاعل والتكامل في النضال والكفاح الوحدوي المشترك، وقد يطغى عامل مؤثر قوي على كل العوامل الأخرى فيكون له من القوة ما يدعو إلى التفاعل أكثر من العوامل الأخرى مجتمعة ومن هنا فإن هناك عوامل خاصة ترتبط بالتفاعلات داخل المنطقتين وعوامل ثانوية عامة قد تهيئ وتدفع

PDF Compressor Free Version

للتجمع والاشتراك والمساهمة وربما تسجيل وتبرير عدد أكبر من هذه العوامل:

3. 1- الدوافع الحضارية:

أ- الدين: إن وجود تقارب في القيم الاجتماعية والثقافية لها تأثيرها الإيجابي لتهيئة التفاعل الموحد فوجود أسلوب معيشة متميز ومشترك، وتقارب القيم الثقافية بين الطرفين قد يُوجد الإحساس المشترك بأهمية زيادة الترابط فيما بينهما وأهمية الشعور بأنهم أقرب إلى بعضهم البعض مما يؤدي إلى سرعة الاستجابة النفسية والعاطفية للرسائل والاتصالات التي يوجهها كل طرف للآخر[1]، فقد أدى انضمام الجزائر إلى حظيرة الأمة العربية وانتشار الدين الإسلامي والثقافة والدماء العربية في وقت مبكر إلى صبغها بالصبغة العربية الإسلامية.[2]

كما عرفت المنطقة من حيث الاختيار الديني ما عرفته الأقطار الإسلامية الأخرى غير أن المغرب الأوسط عرف فيما بعد وحدة مذهبية (المالكية)، ويكفي أننا لا نجد فيما بعد القرن الرابع عشر ديناً غير

1- على الدين (هلال)، "إشكالية التوحيد العربي"، شؤون عربية، ع 43، تونس، سبتمبر 1985م، ص. 65

2- مرسى (مصطفى)، "اتحاد المغرب العربي"، التعاون، ع 14، مصر، جوان 1989م، ص. 114

PDF Compressor Free Version

الإسلام[1] وسكان المنطقة يفهمون الدين على أنه أساس الوطنية ولا يقولون مغربي أو جزائري أو مصري أو سوري أو عربي بقدر ما يقولون مسلم، فالوعي إذن كان وطنيًا ولكن بالمفهوم الديني « وأظن أن المستعمرين لو لم يكونوا مسيحيين ولم يمسوا الدين الإسلامي بمحاولة نشر المسيحية في المناطق البربرية على الأخص لكان من الصعب بث الوعي ضدهم في بداية الأمر باعتبارهم مستعمرين يسلبون سيادة الدولة ويتصرفون في مقدراتها».[2]

ومن هنا فقد كان الفكر القومي غير قادر على القيام بنفس الدور الذي قام به الدين الإسلامي في لحم الشعب الجزائري بالمشرق العربي ودفعه للمساهمة والتفاعل، وعلى هذا فالتواصل الحادث هو تواصل معنوي ورباط ديني عقدي أو قل عرقي لغوي أكثر منه تواصل طبيعي ومناخي متوحد« وبالتالي فقد كان الدين الإسلامي على طول

1- الكثيرى (مصطفى)، الخصوصية التاريخية والحضارية لبلدان المغرب العربي، عمان، شركة الشرق الأوسط ، 1986م، ص. 22

2- الأزهر (علال)، المسألة القومية والنزعة الأمازيغية وبناء المغرب العربي، الرباط، دار الخطابي للطباعة والنشر، 1988م، ص. 36. راجع أيضا:- زنيبر(محمد)، "دور الثقافة في بناء المغرب الكبير"، المستقبل العربي، ع 79، بيروت، سبتمبر 1985م، ص. ص. 23-50

PDF Compressor Free Version

التطور التاريخي لهذه المنطقة أهم عامل في توحيد الشعب الجزائري، واستطاع أن يصب كل جماعاتهم في كتلة متجانسة».[1]

وانطلاقًا مما سبق فلقد شكّل الإسلام أهم مقوّم من مقومات الكيان المغاربي ما من شك في ذلك، لقد صهر كل المقومات الأخرى واستوعبها بصورة تركيبية فقد ارتبطت به ثقافة المجتمع وطقوسه اليومية وأعطى الكيان الوطني كل عناصر الوحدة والبقاء ومكّن المغاربة من عناصر تحديد شخصيتهم وصاغ وعيهم الجماعي بالنسبة إلى العالم، وبكلمة أخرى فقد مثّل فضاء تكوينهم الفكري والنفسي والاجتماعي ولاعتبارات تاريخية لم يرقَ شُعور المغاربة بالعروبة إلى مصاف شعورهم بالإسلام[2]، وعدم إدراك العروبة بمعزل عن الإسلام كان يجعل المغاربة يستغربون وجودًا عربيًا مسيحيًا، بل أن إدراك ذلك كان أمرًا مربكًا لهم تمامًا وهو ما لم يحصل إلا في فترات متأخرة فقط.[3]

ب- اللغة والعرق: يقول فرحات بن الدراجي: «... إن ما بيننا وما بين البلاد المشرقية من وشائج الصلة، ومتانة الرابطة لما لا تقوى على فصمه أو توهينه صروف الزمان ولا طوارق الحدثان، فالإسلام يجمع بيننا

1- ألفرد (بل)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر: عبد الرحمان البدوى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ص. 42

2- هنري (كلود) وأندرى (برينان) وايف (لاكوست)، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، تر: محمد عيتاني، بيروت، منشورات المعارف، ص. ص. 133- 138

3- بلقريز، المرجع السابق ، ص. 21

PDF Compressor Free Version

في العقيدة ومظاهرها، والعربية توحّد بيننا في اللغة وآثارها والعقيدة واللغة هما أبرز مظاهر الأمم وأمتن الروابط بين الشعوب...»[1]، واللغة العربية من وجهة أخرى هي كما يقول الإمام عبد الحميد بن باديس: «الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد، وحاضرها الأغر ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين والجنسية والقومية ولغة الوطنية المغروسة...»[2]، وما يميّز ثقافة الشخصية الجزائرية عمومًا أنها:

1- ثقافة عربية تشكل اللغة العربية إطارها وكانت أداة طيّعةً في الزيادة من إنتاجها الثقافي في الميادين الأدبية والعلمية في عصور الازدهار الفكري.

2- أن تراثها خصب ولها آدابها وفنونها الخاصة وآثارها التي انطبعت بطابعها الخاص وتأثرت بظروفها ومزاجها.[3]

إن العروبة تمكنت في هذه المنطقة، وهي دليل على الإحساس الواحد عند الخطر «وهي تعبير عن حنين العرق للعرق، ومجاوبة للروح ونداء الدم للدم...»[4]، ويوجزها الإبراهيمي بقوله:«...كل هذه العوامل

1- البصائر، عدد 89، 1937/12/03، ص. 01

2- البصائر، عدد 171، 1939/06/22، ص. 05

3- تركي (رابح)، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1981م، ص. ص. 58 – 59

4- الإبراهيمي (محمد البشير)، عيون البصائر، ج1، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1971م، ص. 451

PDF Compressor Free Version

صيّرت هذا الشمال عربيًا على الأسس الثابتة من دين عربي ولغة عربية وآداب عربية ومنازع عربية وتشريع عربي وجاء التاريخ وهو الحَكم في مثل هذا فشهد وأدى، وجاءت الجغرافيا الطبيعية فوصلت هذا الشمال بمنابت العروبة من جزيرة العرب وجاء الزمن بثلاثة عشرة قرنا تشهد سنونها وأيامها بأنها فرغت من عملها... وإنما هي الروح عرفت الروح والفطرة سايرت الفطرة والعقل أعدى العقل وكأنّ الأمم التي كانت تغطي هذه الأرض قبل الاتصال بالعرب، كانت مهيأة للاتصال بالعرب... إن الاستعمار-على ذلك كله- يعرف عروبة هذا الشمال ويعترف بها ولكنه ممن يكتمون الحق وهم يعلمون، فقد احتل هذا الوطن فكانت أقواله في الحرب والسلم وأحكامه في العدل والعلم كلها جارية بأنه عربي...».[1]

وغني عن البيان ما أفرزَه هذا الواقع التراكمي والتنازعي من خلفيات لحركة التاريخ ومن أبعاد على مسيرة الوجود والحياة طمست بعض معالم الذات المغاربية وفصَلت ظروف وأحداث معينة بعضها عن بعض وجعلت معرفتها صعبة وسطحية[2] فواقع اللغة والعرق والحضارة

1- نفسه، ص. ص. 469 – 470

2- الكثيري، المرجع السابق، ص. ص. 21 – 22

PDF Compressor Free Version

يبرز ميزات خاصة واختيارات أساسية للحكم لم تخلُ من تأثير واضح وصدى عميق على المنطقة ككل[1].

ج- الشخصية الجزائرية:

إن المتتبع للثورات الجزائرية بداية من ثورة الأمير عبد القادر (1832-1847)م بعد الاحتلال الفرنسي مباشرة، لا يجدها في بعض معانيها إلا امتداداً للجهاد الإسلامي ضد الغزاة الصليبيين، كونهم لا يرون في الحدود التي وضعها الاستعمار الفرنسي إلا حدود فاصلة بين المسيحية والإسلام، ومن هنا كانت الفكرة التي عايشها الجزائريون من أن الدفاع عن أرضهم هو دفاع عن الأمة الإسلامية جمعاء.

ولقد أدرك بعض الفرنسيين بأن المسلمين الجزائريين كانوا يحاربون فرنسا بوحي من شعورهم الديني الذي يقف وراءه انتماؤهم إلى الوطن الإسلامي العريض وسيستمر هذا الشعور إلى غاية سنة 1930م، أين تمتزج نزعتهم الإسلامية مع فكرة القومية العربية[2]، هذا رغم الحصار الذي ضربه الاستعمار الفرنسي حول الجزائريين بُغية عزلهم عن بقية العالم الإسلامي، ولعل الأحداث السياسية التي يمكن أن نعتبرها سببًا

1- يراجع: الجابري (محمد عابد)، المرجع السابق، ص. ص. 19 – 20

2- للتوسع أكثر راجع:

- Merad (Ali), Le Réformisme Musulman en Alegria (1925 à 1940). Paris:1967. P 37.

PDF Compressor Free Version

رئيسيًا في بعث هذه المشاعر كانت ردود أفعال الجزائريين حولها لا تنطلق إلا بعيون مسلمة.[1]

فالفكرة العربية الإسلامية ليست بالجديدة على الجزائريين، فهي موجودة منذ أيام دولة بني زيان، ثم تبلورت فيما بعد خلال الحملات الأوروبية على الجزائر في مطلع القرن السادس عشر (16م) حيث انتهت هذه الحملات بارتباط الجزائر بالدولة العثمانية.. غير أن هذا الاتجاه قد قوي بعد الاحتلال الفرنسي وخصوصًا على عهد الأمير عبد القادر الذي قامت دولته على أساس ديني.[2]

كما يتجسد الوعي العروبي هذا في محافظة الجزائريين على شخصيتهم رغم المسخ الاستعماري للتاريخ واللغة والثقافة والدين، عن طريق تصفية مؤسسات التعليم والعبادة وإحلال الثقافة الفرنسية والمسيحية مكانها فالجزائريون كما قال كاتب من النخبة (عباس فرحات)[3] : «كانوا دائما واعين لعلاقتهم بالعالمين الإسلامي والعربي، وكانوا دائما غيورين على انتمائهـم الإسلامي وجزائر سنة 1830م كانت لا تفكر

1- ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، مج1، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م، ص. 158

2- بلاسي (نبيل أحمد)، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ص. 220

3- عباس (فرحات)، ليل الاستعمار (حرب الجزائر وثورتها)، تر أبو بكر رحال، الجزائر، منشورات أناب 2005م ، ص. 134

PDF Compressor Free Version

في حدودها الطبيعية ولكن في الحدود التي تفصل الإسلام والمسيحية فقط» فهو يقول :«الجزائر ككل كانت جزءاً من كل».

والجزائر قد بادرت إلى ريادة الجامعة الإسلامية بزعامة حمدان خوجة والأمير عبد القادر وابن إسماعيل والشيخ الحداد، والونيسي، وابن الموهوب[1]، وعندما وصلت النسخة الشرقية من الجامعة الإسلامية إلى الجزائ ر في أوائل القرن العشرين كانت قد طوّرت نسختها الخاصة التي بدأت في الحقيقة من القرن الماضي[2] (ق 19م).

ومن أهم دوافع التفاعل هو نضوج آثار مفكري الجزائر والعاملين الأولين فيها، الذين وهبوا حياتهم للتربية الدينية والتعليم ففتحوا المدارس العربية وحرروا الصحف وأرسلوا البعثات وفتحوا المساجد والنوادي، كما أن قساوة الاستعمار الفرنسي وفضاعته وجبروت المستعمرين وعداوتهم الصليبية وتبرمهم من الإسلام والمسلمين في الجزائر كان من أهم هذه العوامل، يضاف إلى ذلك «إقبال الجزائريين الفطري إلى مساندة إخوة الدين والعرق، وبفضل دعاية العلماء والمصلحين فتكوّنت

1- للتوسع راجع: عميراوي (أحميدة)، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، قسنطينة، دار البعث. 1987م.

2- سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 124

PDF Compressor Free Version

في أول القرن العشرين في الجزائر طائفة كبيرة من العلماء أعدوا إعدادًا صالحًا ليكونوا أوتاد النهضة، وشبابها روح الأمة ودرعها..».[1]

فمنذ بدأت اليقظة الفكرية والسياسة في الجزائر، برزت إلى الوجود أفكار نهضوية وإصلاحية تعتمد في مبادئها على الرجوع إلى المنابع الأولى للدين والتاريخ والثقافة العربية الإسلامية وتدعو إلى الارتباط بالحضارة العربية كرد فعل ضد التيارات الأخرى التي بدت في الحياة السياسية والثقافية تدعو إلى الارتباط بفرنسا وحضارتها، وقد تمثل هذا التيار في تلك الطبقة التي ارتبطت مصالحها بمصالح المستعمرين، وزاد من حدته أن دعاته تأثّروا بالثقافة الفرنسية التي أخذوها من المدارس الفرنسية، ومن ثمة كان إحساس هؤلاء بالشرق إحساسًا غير عميق، فظهر اتجاه يدعو إلى التجنيس ليتطور فيما بعد للدعوة إلى مساواة الجزائري بالفرنسي، لكن فيما بعد ظهرت الأحزاب السياسية والصحف والنوادي والجمعيات الثقافية الداعية إلى الإصلاح والتغيير لتتبلور مطالبها وتتضح معالمها من اليسار إلى اليمين بالدعوة إلى الاستقلال والانفصال.

1- دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2. الجزائر، المطبعة العربية، 1971م، ص.ص. 3-5

PDF Compressor Free Version

وبالرغم من وضوح المبادئ السياسية لدى هذه الأحزاب بعد ذلك فإن الذين كانوا يتزعمونها لم يعبروا عن فهم عميق ولا عن وعي واضح بارتباط الجزائر بالمشرق العربي باستثناء القليل منهم (مصالي بعد زيارة جنيف) لكن فكرة الارتباط بالمشرق والإيمان بالوحدة العربية لدى المثقفين خصوصا منهم الذين تثقفوا ثقافة قومية، فمنذ بدأت فكرة الرجوع إلى الجذور الأولى للحضارة العربية في أوائل القرن العـشرين أخذ الكتاب والشعراء يحررون المقالات والقصائد التي تعبّر عن حنين إلى الشرق والماضي العربي الذي يجمع بين الجزائر والأقطار العربية.[1]

إن من يقرأ في هذه المرحلة المتقدمة مشاعر الجزائريين نحو الشرق والعروبة يدرك فعلا أن إحساسهم بانتمائهم إلى الوطن العربي إحساس لم ينبت فجأة أو هو وليد الظروف الحالية، ويصور لنا الشيخ الإبراهيمي هذا الإحساس بقوله: «... داوي الكلوم يا شرق فمنازلنا استشفينا بك نجد الراحة والعافية ونظفر بالأدوية الشافية... ومازالت أفئدتنا تهوى إليك فتصافحها حرارة الإيمان وبرد اليقين وروح الإيمان...»[2]، وإذا استعرضنا أدب الجزائر خاصة الشعر منه في التاريخ وجدنا الشعراء والكتاب يلحون على العروبة وعلى الإسلام الذي أدى دور حامي العروبة

1- ركيبي (عبد الله)، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، الجزائر: م.و.ك. 1983م، ص. 14

2- نفسه، ص. 19

PDF Compressor Free Version

بأقطار المغرب العربي وهذا راجع إلى الحرمان الذي كان يحسّه الجزائري في ممارسة دينه وعروبته بالجزائر فحتى العرب المشارقة كانوا يعتبرون أن الجزائري فرنسيا والجزائر جزء من فرنسا، وهو ما جعل محمد العيد آل خليفة يحس بغربة في بلده ويؤكد دوام عروبته:

إن الذي يبغي إندما جك في سواك لأحمق

لا يمحي شعب بشار ات الـرسول مطوق

ونفس الأمر يحسه حمزة بوكوشة بقوله:

يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجاني قم ناجي قلبي بتغريد وتحنان

فأنـا مثلي كئيب حل في شـرك وأنت مثلي غريب بين أوطاني

في ذات السياق يذكر ابن باديس سنة 1937م «أن الاتحاد الإسلامي، والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي هما موجودان، تزول الجبال ولا يزولان، بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام ..» ويضيف أيضا: «...لو كان لعرب الجزائر حركة مطلقة كغيرهم من الأمم لظهر ذلك الشعور بأوضح المظاهر وأشدها تأثيراً، وحسبهم تاريخهم القديم شاهدًا»[1].

1- الخرفي (صالح)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر : ش.و.ن.ت، 1977م، ص. ص. 139 – 141. للتوسع حول قضية مشاعر الجزائريين الإسلامية والعربية- يراجع مقال:

PDF Compressor Free Version

والهادي الزاهرى صاحب (شعراء الجزائر) يؤكد هذا التعلق بروافد المشرق العربي في فترة كانت فيها القطيعة المفروضة من طرف المستعمر تزيد التعلق عمقًا وترفض جسور التواصل معه ويعدد الزاهري الدوريات التي يسيرها المواطن من الشرق، ويسمى الشعراء الذين كانت دواوينهم ومختارات أشعارهم مثار المناقشات الأدبية ونموذج الصياغة في المدارس والمعاهد، فلا يكاد في تعداده ذلك يغفل شاردة ولا واردة تناقلتها الأندية الأدبية في المشرق حتى لكأن الحصار الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على المنطقة في وجه التواصل العربي الإسلامي تلاشت غيومه وتهاوت أسواره الحديدية[1]، وفي مطلع قصيدة محمد العيد السابقة نلاحظ إلحاحه على الماضي التليد مما يُنمي عن إحساس عميق بالعروبة والارتباط بالأمة الإسلامية ويؤكد ذلك أيضا بقوله أيضا:

وما نحن إلا من سلالة يعرب فمن رام عنها فصلنا باء بالرغم
سلام كأزهار الربى طيب الشذى على قح في عروبته شهم

وفي قصيدة أخرى ينظر إلى العروبة كهدف ومصير:

ما نحن إلا إخوة من أسرة *** كرمت أرومتها وطاب المحتدّ

– عمر بن قدور، "الشعور الإسلامي في الجزائر"، اللواء القاهرية، ع 1945م، س 07، مصر: 07 /1906/02م.

1– الخرفي (صالح)، في رحاب المغرب العربي، ص. 172

PDF Compressor Free Version

إن العروبة أمنا الكبرى التي*** في الأمهات نظيرها لا يوجد

وليحي في ظل العروبة ودنا *** ملء القلوب وعهدنا المتأبـد

أما الشاعر مفدي زكريا فإنه كان أكثر حدة في أسلوب تعبيره عن هذا التفاعل:

يا أمة العرب الكرام كرامة *** لك في الجزائر حرمة وذمام

في كل أرض للعروبة عندنا *** رحم تشابك عندها الأرحام

وفي موضع آخر نلاحظ مفدي زكريا لا يمل من الحديث عن العروبة والوحدة:

وفي الشـرق إخوان كـرام أعـزة عروبتنا كم عبَدت بيننا الطرقـا

هي الوحدة الكبرى فمن رام قطعها فقد رام أن يستل من صلبنا عرقا

رسـول الشـرق قل للشـرق إنا على عهد العروبة سـوف نبقـا[1]

إن الهدف من هذه الإشارات السريعة هو التذكير بأن الحركة الوطنية الجزائرية -التي تشكلت إيديولوجيتها الثورية انطلاقا من أرضية الشمال الإفريقي والواقع الاستعماري-[2] لم تفصل في مجمل مسعاها بين الحرية والوحدة وأن الوطنية تعني في أدبيات تلك الحركة رفضًا لواقع الاحتلال الفرنسي وتطلعًا قويًا للغد الأفضل وتضامنًا صادقًا مع الشعوب

1- ركيبي (عبد الله)، قضايا، ص.ص. 24-28

2- قنانش (محمد)، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية، الجزائر:(ش، و، ن، ت)، ب، ت، ص. 33

PDF Compressor Free Version

العربية والمغاربية وكذا الشعوب المقهورة في إفريقيا وآسيا وعموماً ومن دون الخوض في الأسس التي بُنيت عليها هذه الشخصية وارتباطها الأكيد بالوعي العربي والمغاربي أو تطوراتها مع الشخصيات الوطنية والحركات السياسية على مدار الأرضية التاريخية للجزائر، يمكن أن نستنتج هذا الارتباط من طبيعة تعامل الاستعمار الفرنسي مع الجزائريين « فمن خلال تعامله ندرك حقيقة الشخصية الجزائرية تاريخيًا وثقافيًا وحضاريًا، حيث سماهم بالمسلمين رافضًا تسميتهم بالجزائريين والقصد من ذلك هو إنكار عروبة الجزائر والعمل على محو مقوماتها...».[1]

د- العادات والتقاليد وانعكاساتها على تميّز الصلة:

إن وجود تقارب في القيم الاجتماعية والثقافية له تأثيره الإيجابي في تهيئة التفاعل الموحد فوجود أسلوب معيشة متميز مشترك وحدوث تقارب في القيم الثقافية بين الطرفين قد وحّد الإحساس المشترك بأهمية زيادة الترابط فيما بينهما، وأهمية الشعور بأنهما أقرب إلى بعضهما البعض وهو ما يؤدي إلى سرعة الاستجابة النفسية والعاطفية ممثلة في الرسائل والاتصالات التي كان يوجهها كل طرف للآخر[2] فقد جاء في

1- بلاسي، المرجع السابق، ص. 38

2- مرسي، المرجع السابق ، التعاون، ع14، ص14.- يراجع أيضا:- علي الدين (هلال)، المرجع السابق ، شؤون عربية،ع43، ص. 50. - يراجع أيضاً:

PDF Compressor Free Version

مراسلة للأمير عبد القادر بعث بها للأخوين "أحمد الخضير" و"محمد الشـارف" ردًا على رسالتهما إليه حول رأيه في هجرتهما إلى مستغانم أو الشام ومما قاله لهم -مجبدا ذهابهم إلى الشام- «وأما ما كان من خارجيـتها فالشام أليق لقرب عوائدها وطبائعها»[1] -للجزائريين طبعًا-

3. 2. الدوافع التاريخية:

*** الإمدادات البشرية القادمة من الشرق:**

لقد تلقت هذه المنطقة من المغرب العربي ومن الشرق خاصة عدة إمـدادات لقّحت حضارتها وطعّمت ثقافتها وأنظمتها ثم وحّدتها، وكانت لهذه الإمدادات أعمق الأثر في تكييف عقليتها، وتنمية وجود الحياة فيها وبذلك تعرّض أبناؤها لمؤثرات حضارية واحدة جعلت حضارتهم تنموا نموًا واحداً متجانسًا وجعلت مجتمعهم يتطور تطوراً متماثلاً متكاملاً وعلى رأس هذه الإمدادات الموحدة:

- **الإمداد الفينيقي**: لقد كان المدد القادم من الشرق، بمنزلة السماد للأرض، فقد ساعد على إخصاب العقلية المغاربية وفتح آفاق جديدة واسعة أمامها خلال أحد عشر قرنا دون انقطاع فقد نقل هؤلاء

- Massaudi (A), "Les Algériens Tunisie (1830-1962)". Revue Courpondance N54 Tunis: Jan / Fev 1999. P.10

1- بوعزيز (يحي)، "عودة إلى مراسلة الأمير عبد القادر ومواقفه من رفقاء السلاح بالجزائر"،م.ت.م، ع/ (41- 42)، تونس: 1986م، ص. 139

PDF Compressor Free Version

الفينيقيون حضارات الشرق الأدنى إلى المغرب العربي وبالتالي تعلّم قدماء المغاربة من الفينيقيين كيف يغرسون شجرة الزيتون وكيف يعصرون الزيت وكيف يستخرجون المعادن، وإذا علمنا أن مصادر الرزق في الجزائر كانت تنحصر في هاتين الصناعتين تأكدنا من دور الفينيقيين في توحيد المنطقة وإحداث التواصل بين ساكنيها[1]، وإذا تحدثنا عن الطبائع الأخرى التي صدّروها ولقنوها للمغاربة كالعملة النقدية والحساب التجاري وفن الملاحة وصناعة السفن وعدد من الصناعات والزراعات الأساسية وألف باء الفنيقية التي اشتقت من ألف باءات العالم القديم فاخترعت على غرارها اللغة الليبية الأصلية، وكذا بناء المدارس والمعاهد ودور الكتب باللغة الفينيقية كالمكتبة الكبرى التي أنشأها الفينيقيون بقرطاج، وإذا تحدثنا عن كل ذلك يزداد تأكّدنا رسوخًا بالدور الكبير الذي لعبه الفينيقيون في لحم التواصل بين شعوب المنطقة ومجمل القول: أن عوائد الجزائريين وحضارتهم ولغتهم امتزجت بعوائد الفنيقيين وحضارتهم ولغتهم امتزاجًا بالغًا يساهم إيجابيًا في حقل التواصل بين ساكني هذه المنطقة والشرق العربي.

1- الناصري (محمد المكي)، "وحدة المغرب العربي في ظل الإصلاح"، الثقافة، ع15، الجزائر: جوان/جويلية 1973م، ص. 09

PDF Compressor Free Version

- **المدد الإسلامي:** قال "أغزيل" «.. إن قرطاج أعدت أهالي الشمال الإفريقي لتلقي القرآن الكريم منذ عهد طويل..» وبالتالي جاء الإسلام، فكان دعوة مثالية ونظام سامي زاد من لحمة التواصل بين شعوب المنطقة، ولم يكن استيلاء ولا استغلالاً ولا كبتًا لشعوب المغرب[1]، بل بفضل الإسلام عادت المنطقة إلى سيرة الوحدة التي كانت عليها في عهد الفينيقيين، فلحقت حضارة المغاربة ببدائع من الحضارات الأخرى وأمدّتها بمقوّمات جديدة زادت من روح التماسك والتوحد كمقوم الدين واللغة العربية[2]، فقد قام الإسلام بتنمية الشخصية المغاربية، وساعدها على استئناف نشاطها لتحقيق أهدافها الكبرى وأبرز الإسلام أيضًا مواهب المغاربة وكشف للعالم العبقرية المغربية.

- **المدد الأندلسي**: الذي أمدَّ هذا القطر بخصوبة مادية وفكرية وحضارية وموحدة مازالت ماثلة لحد الآن، ذلك أن الأندلسيين الذين أغلب أصولهم من المنطقة العربية قد تعرضوا في الأندلس لكثير من المتاعب فكان ذلك يُحملهم على الانتقال من وطنهم الثاني إلى وطنهم الأول، لقد تكررت الهجرة الأندلسية عدة مرات خلال فترات متصلة

1- مرسي، " المرجع السابق "، التعاون، ع 14، ص. 114

2- الناصري، المرجع السابق، ص. 12؛ يراجع أيضا: علي الدين هلال، المرجع السابق، شؤون عربية، ع 43. ص. ص.65-69؛ – زنبير، المرجع السابق، المستقبل العربي، ع 79، ص. ص. 49 – 51

PDF Compressor Free Version

وميزتُها أنها هجرة نخبة في أغلبها، هجرة عمال ومحترفين، فكان أغلب القادمين علماء مشهورون أو صنّاع فأضحى لسكان المنطقة إطارات ممتازة في الدولة (وزراء – قضاة – كتّاب...) كما أعطوا لهم عدة صنائع وحرف جديدة دخلت إليهم وانتشرت بينهم مما أدى إلى تحوّل كبير في المنطقة المغاربية[1] ويكفي أنها نقلت إليها شعلة الحماس الديني للإسلام، وروح التحفظ والحذر من العالم الصليبي والمسيحي وزوّدتها بطائفة مختارة من الدعاة المجربين الأكفاء مما قوّى من روح التواصل بين سكان المنطقة لمواجهة الخطر القادم.

- **الهجرة العربية**: إن هجرة بني هلال وبني سليم وبني عامر وبني معقل.. زادت من استقرار العنصر العربي المكثف في المنطقة، مما كان له تأثير حاسم في تكييف المجتمع المغربي المشترك هذه القبائل دخلت إلى تونس ثم انتقلت إلى الجزائر والمغرب فكانت لهذه الظاهرة الجديدة نتائج إيجابية -إن كانت جلّ الدراسات التي تناولت حالتهم يطغي على أصحابها التركيز أكثر في نتائجها السلبية- فمن إيجابياتها أنها ساعدت على تطوير المجتمعين وعلى تعميق العروبة بينها كعامل موحد.

فكان التأثير عميقًا وحاسمًا من الناحية اللغوية ومن الناحية الإثنوغرافية حيث استعرب الكثير من البربر فأضْحوا يتكلمون العربية،

1- الناصري، المرجع السابق ، ص. 15

PDF Compressor Free Version

مما كان له الأثر البالغ على سلوك المجتمع وأسلوب حياته الفكرية والعلمية[1]، كما حدثت الألفة بين هذين العنصرين (العربي والمغاربي) عن طريق المصاهرة والدم فنشأت بفضل عملية التقارب والامتزاج نماذج جديدة من المغاربة هو مزيج بين البربري والعربي وذلك كان له تأثير كبير على مزاج القطرين بالخصوص، مما زاد من لحمة التقارب بينهما.

- **المدد العثماني:** هذا المدد كان تأثيره كبيراً في سير الأحداث وفي تطوير الحياة السياسية والاجتماعية بالجزائر، ذلك أنه بالاحتكاك بالعثمانيين أصبح أهالي هذه المنطقة على احتكاك مباشر بتطورات السياسة الدولية وانعكاساتها المتنوعة[2]، فقد أعاد العثمانيون لحمة التواصل بين الشقين من عدة نواحي فمن الناحية السياسية ساهموا في توحيد-إلى حد ما-السلطة التشريعية الروحية التي يستمدون منها شرعية الحكم وهو تطور جديد يُحسب لصالح النظم السياسي في المنطقة ومن الناحية الحضارية أكسبوا المنطقة (عادات وتقاليد وفنون وعمران ومهن جديدة...).

فحتى وإن انتهى النفوذ السياسي العثماني بالمنطقة فيما بعد فإن النفوذ الروحي ظل قائمًا بها بيد أنه كان يتنوع حسب مقتضيات

1- نفسه، ص. 16

2- نفسه، ص. 17

PDF Compressor Free Version

الظروف القائمة، كان آخرها فكرة الجامعة الإسلامية، كما أنه وإن زال النفوذ التركي فإن الوجود البشري التركي ظل قائمًا وشكّل نخبة لا بأس بها كانت واعية بدسائس أوروبا ومستعدة للوقوف في وجهها مما جعل عمل المحتلين غير سهل كعلي باش حامبه وأخوه محمد وقبلهما خير الدين باشا بتونس وأحمد باي وحمدان خوجة وغيرهما بالجزائر.

3. 3- الدوافع الذاتية:

أ- **طلب العلم:** من أنواع الدراسة التي قد يتلقاها المتعلمون الجزائريون نستطيع أن نحكم على لون ثقافتهم ومرتكزات إيديولوجيتهم وتأثيرها فيما بعد في إنتاجهم واتجاهاتهم فحالة طلب العلم، وحركة المتعلمين بين الجزائر والمشرق العربي وتناغم البرامج والكتب والعلوم وتناسقها بين دور العلم أدت بالضرورة إلى نوع من الوحدة العلمية والفكرية والثقافية وهو ما أثّر بشكل كبير في تقارب الأفكار والأيدلوجيات بين علماء وطلبة المنطقة، وهو المعطى الذي زاد من نماء العلاقات وتميّز الصلات.

عمومًا يمكن القول أن الطابع لثقافتهم كان هو الطابع العربي القديم حيث كانت مراكز تعليمه لا تعدوا أن تكون على صفة الكتاتيب المنتشرة في المدن والقرى لتحفيظ القرآن ووسائل فهمه من نحو وصرف

PDF Compressor Free Version

وبلاغة وتاريخ ومنطق وعروض[1]، يضاف إليها قليل من الرياضيات، وقد جرت العادة أو اقتضت الضرورة في البلاد التي بها معاهد للدراسات القرآنية والثقافة العربية، أن ينتقل الطالب من هذه الكتاتيب إلى الدراسة في المساجد التي تكون في الغالب أوسع مدى وأرقى أسلوباً وأغنى مادةً، ثم يختم الطالب دراسته بالحصول على شهادة أو إجازة ولما كانت الجزائر خالية من مراكز هذا التعليم العالي، فقد اضطر أبناؤها إلى الاغ تراب طلباً للثقافة العربية فكان بعضهم يتجه إلى الأزهر أو مدارس الشام أو القرويين ولكن أغلبهم كان يقصد جامع الزيتونة بتونس، لقرب هذا المعهد وشهرته بينهم والمساعدات المادية التي لا يجدونها في غير تونس إذ ذاك[2] ومن ثم خلقت جيلاً متعلمًا يؤمن بضرورة التواصل الحضاري والسياسي بين شعبي المنطقتين.

أ- **الصحافة والنهضة المشرقية:** لقد كان لنهضة مصر ولزعمائها كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وتلاميذهم ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وأنصارهم، أبلغ الأثر في نفوس الجزائريين وأهل المغرب الكبير «حيث كانت الجزائر في أول القرن

1- للتوسع يراجع: سعد الله (أبو القاسم)، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م، ص. 89

2- بنت محمد البسام (لطيفة)، الحياة العلمية في افريقية، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 2001م، ص. 99

PDF Compressor Free Version

العشرين ترقب وصول بريد المشرق في شوق بالغ فإذا وصل تسارع الناس إلى قراءة ما يصل من كتب المشرق ومجلاته»[1] وكانت مجلة المنار التي تنشر آراء الشيخ محمد عبده وتدعو بدعوته أكبر الأثر في نفوس أهل الجزائر فكانوا يرون في المنار أكبر عون لهم في الإصلاح الذي يقوم به زعماء نهضتهم حيث كان هؤلاء الأخيرين يقرؤون فصولاً من مجلة المنار في نواديهم ومجالسهم للجماهير ويوجهون تلاميذهم وأنصارهم إلى مجلة المنار، ويذكر الشيخ رشيد رضا في كتابه "تاريخ الإمام عبده" أن الإمام محمد عبده عندما زار الجزائر في صيف عام 1903م "وجد له حزبًا دينيًا كوّنته مجلة المنار" فقال: «...ومن خيار العلماء ...الشيخ عبد الحليم بن سماية من الجزائر وقد عهد هؤلاء الفضلاء إلى الشيخ محمد عبده أن يوصي صاحب المنار بألا يذكر دولة فرنسا بسوئها لئلا تمنع المنار...» وقالوا له: «إننا نعده مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة» ثم يضيف رشيد رضا إلى ذلك قوله: « وقد وجد له في الجزائر حزبًا دينيًا ينتمي إليه من حيث لم يكن يعلم، وإنما الصلة بينهم وبينه مجلة "المنار"».[2]

1- دبوز، المصدر السابق ، ج2.

2- تركي (رابح)، " ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية "، الأصالة، ع24، الجزائر، 1975م. ص. 78

يراجع أيضا: - سلمان (إسماعيل)، "المرجع السابق"، الفيصل، ع 284؛ الزبير (سيف الإسلام)، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج4، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م، ص. ص. 97-100

PDF Compressor Free Version

كما كان الشيخ محمد عبده بمجلة العروة الوثقى وبكتبه الأخرى من التأثير في نفوس المثقفين في الجزائر، ما لم يكن لأي زعيم ديني آخر، كرسالة التوحيد التي عكف عبد الحليم بن سماية على تلقينها لتلاميذه في الثعالبية، وكان بعد الشيخ محمد عبده ورشيد رضا في التأثير في نفوس أهل الجزائر الشيخ عبد الرحمان الكواكبي بكتابيه "أم القرى" و"طبائع الاستبداد"، وكذا الشيخ "مصطفى الغلايني" والشيخ طنطاوي جوهري وكتابه (نهضة الأمة وحياتها) والأمير "شكيب أرسلان" بكتابيه (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) و(حاضر العالم الإسلامي)، والشيخ "محي الدين بن الخطيب "ومجلته "الفتح" وثيق الصلة بمصر، تغشاه في كل أسبوع صحفها الحرة، ومجلاتها الراقية فيقرؤها وينتقي لنا منها أكثر حرارة فيقرؤها علينا كل خميس.. كما يُعرفنا بالمجلات والكتب الراقية التي يجب أن تقرأها كجرائد: الشعلة، الصرخة، مصر الفتاة، الشورى، الجهاد، الرسالة المقتطف الهلال.. وكنا نعرف عن كتاب مصر وشعرائها وعلمائها وزعماء مصر السياسيين ما لا يعرفه كثير من تلاميذ مصر في جامعتها، وذلك للعلاقات الثقافية القوية بين مصر وشمال إفريقيا في تلك العهود...».[1]

1- دبوز، المصدر السابق ، ج2. ص. ص. 28 – 32

PDF Compressor Free Version

ويذكر مالك بن نبي في السياق ذاته ما يلي: «..أذكر على وجه الخصوص في خاتمة المطاف أني اكتشفت في مكتبة النجاح كتابين أعتبرهما أبعد المنابع وأكثرها تعيينا لوجهتي الفكرية وهما: "الفشل الأخلاقي للسياسة الغربية في الشرق" لأحمد رضا و"رسالة التوحيد "للشيخ محمد عبده... وأخالُ أنّ ذَينك الكتابين طبعا جيلي كله في المدرسة بطابعهما، وأنا مدين لهما بالتحول الفكري منذ تلك الفترة بأية حال، لقد كانت تلك القراءات تعدل فجري القاتل، فتكشف لي عن شرق تاريخي حق أعياه كما أعيي وجوده البائس الراهن...»[1] وكانت هذه الصحف والكتب والرسائل... تدخل إلى الجزائر عادة عن طريق غير مباشر -أي عن طريق تونس- حيث كانت المراقبة الفرنسية أخف وطأةً وأقل تشديدًا، أو ما بين حقائب الحجاج عند رجوعهم من البلاد المقدسة.. وكان كل عدد من تلك النشرات يزيدهم شجاعة وإيمانًا بمستقبلهم العربي الإسلامي[2]، كما عبّر أحد الكتاب الفرنسيين عن هذه الطرق السرية بقوله: «لقد كان هناك مجرى سري، ولكنه غزير ومتواصل من الصحف والمجلات الشرقية

1- مالك (بن نبي)، مذكرات شاهد القرن، ج1، تر: مروان القنواتي، بيروت: دار الفكر، 1969م، ص. 107

2- بن أبي شنب(سعد الدين)، "النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري"، مجلة كلية الآداب، ع1، الجزائر 1996، ص. 64

PDF Compressor Free Version

التي أعانت المغاربة في مجهوداتهم الإصلاحية وجعلتهم غير مرتبطين أبدًا بالرأي العام الأوروبي».[1]

ج- تأثير التيارات الفكرية:

في سنة 1925م لاحظ المؤرخ "توينبي" أن: «الجزائر منطقة من العالم الإسلامي حيث كان من الصعب على المجتمع الإسلامي أن يحافظ على قواعده الخاصة»، حقًا إن التأثير الغربي كان بالقوة أقوى في الجزائر منه في أي جزء آخر من العالم الإسلامي ولكنه واقعيًا»[2]، كما لاحظ توينبي «أن الحركات الوطنية في مصر وفلسطين وسورية تجد صدى في الجزائر..»، ورغم العقبات الكثيرة التي وضعتها السلطات الفرنسية أمام الصحافة المشرقية فإن هذه الأخيرة قد استمرت في التسرب إلى الجزائر بشتى الطرق وقد أبقت هذه الصحافة النخبة الجزائرية على إطلاع بكل أحداث العالم وفق نظرة محددة واحدة، وتحت عنوان "رسالة من مسافر عراقي نشر بالجريدة البغدادية (العراق) في 18 ديسمبر 1928م صحفي عراقي زار منطقة شمال إفريقيا مقالاً قال فيه «أنه في بعض الحالات يذهب الجزائريون إلى تونس والشرق الأدنى، ويتعلمون اللغة العربية والفكرة القومية ثم يعودون إلى بلادهم...» وقد أنهى كاتب الرسالة

---

1 – Merad (A); " La Formation de La Presse Musulmane en Algérie (1919–139)" IBLA .N5.1964.P.23

2– سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 329

PDF Compressor Free Version

ملاحظاته بإعلان أن الجزائر كانت في طريق التطور مجاربة الخط الذي كان يتطور فيه الشرق الأدنى.[1]

ولقد تنوّعت هذه التأثيرات الفكرية والإيديولوجية التي كان أهم ناقل لها هو الصحافة والمراسلات الخاصة المتبادلة، وسنركّز في هذه الجزئية من منطلق تنمية العلاقات بين النخب الجزائرية والمشرقية، ذلك أن أفكار مثل القومية – الجامعة الإسلامية خَلقت نُخب متنورة مما أدى إلى حدوث شبكة من العلاقات (المتوافقة والمتنافسة) بين هاتين النخبتين.

* **حركة القومية:** ورغم أن الحرب العالمية الأولى قد أوقفت استمرار هذا الاتصال فترة وجيزة من الزمن إلا أنه قد اندفع هذا التلاقي والاتصال بشكل أقوى بعد انتهاء هذه الحرب وبدأ يؤثر بدرجة أقوى بفضل ظهور قادة عرب نضجت الفكرة العربية لديهم بدرجة أكبر من سابقيهم فكان تأثيرهم أقوى ومستوى عملهم أعلى بحيث أصبحت أفكارهم وأعمالهم النبراس الذي يهدي أبناء المغرب العربي للسير في طريق التحرر القومي[2] وقد كانت روافد الاتصال ثلاث:

- نشاط الزعماء المشارقة وتأثيرهم في قادة الحركة القومية في المغرب العربي.

1- نفسه، ص.ص. 335 – 336

2- خيرية (عبد الصاحب وادي)، المرجع السابق، ص. 113

PDF Compressor Free Version

- الزعماء المغاربة الذين زاروا المشرق وتشبعوا بالأفكار القومية العربية.[1]
- الصحف والمجلات المشرقية التي كانت تصل أقطار المغرب العربي.

«وإذا أردنا من كلمة "قومية" المعنى الذي يكونه في النفس الدفاع الذاتي والثورة ضد الهجوم الأجنبي ورد الفعل ضد كل عمل من شأنه أن يمس بالكيان والانتفاضة التي يقوم بها الناس حدًا في البقاء فإن الشعب المغربي[المغاربي] أعطى في جميع عهوده التاريخية أمثلة حية لقوميته الناهضة وروحه المتوثبة».[2]

ويعزو بعض المؤرخين والكتاب تأخّر ظهور الفكرة القومية في المغرب العربي عمومًا وفي الجزائر خصوصًا إلى هذا التدهور الذي أصاب أركان المجتمع القديم وقد يكون ذلك صحيحًا ولكننا نرى أن اندثار الأسس القديمة ساعد في نفس الوقت على ظهور الفكرة القومية بمفهومها الحديث أي ارتباط الفكرة الوطنية بإقليم محدود من الناحية الجغرافية وتبعًا للمبدأ القائل بأن الأشياء تولد نقائضها فقد ولد الاستعمار الحركة

1- للإطلاع على تطور القومية العربية انظر :حوراني (ألبرت)، الفكر في عصر النهضة (1798-1933)، ط3، بيروت: دار النهار للنشر 1977م، ص. ص. 311- 385

2- الفاسي (علال)، المغرب العربي منذ ح ع 1، مصر: المطبعة الفنية الحديثة، 1971م، ص. 77

PDF Compressor Free Version

الوطنية الجزائرية، بعد أن قضت السلطة الفرنسية المركزية القومية على عوامل التفكك القديم ويجعل بعض الكتاب اندثار شخصية الجزائر كدولة من الأسباب العديدة لتأخر ظهور الحركة الوطنية.[1]

إن أوضاع الجزائر كما بيّناها فيما سبق لم تكن تساعد على حركة قومية ثابتة الأركان وهكذا تباينت أهداف القادة السياسيين الذين ظهروا قبيل الحرب العالمية الأولى حتى منتصف القرن العشرين تقريبا، فلم يتفقوا على أهداف قومية واضحة إلى أن برز إلى الوجود قادة الثورة الجزائرية الكبرى وخرجت الجزائر دفعة واحدة من عهد التردد إلى الثورة الوطنية المسلحة، فمحاولات الاستعمار تحطيم الثقافة الوطنية كان أكبر عائق واجه نمو الحركة القومية فقبل ترسّخ الأفكار القومية الحديثة في العالم العربي الإسلامي كانت الرابطة الإسلامية والثقافة العربية، هما العنصران الأساسيان في إيجاد قاعدة تاريخية للانبعاث الجديد، وقد أضعف الاستعمار الفرنسي كلا العنصرين في الجزائر، ذلك بأن ضرب ستارا حديديا عزل البلاد منذ زمن طويل عن محيطها الإسلامي العربي ولكن الجزائر لم تعدم تماما وجود دعاة للقومية العربية يطالبون باستقلال البلاد على أساس عودتها إلى حظيرة العالم العربي.[2]

1- العقاد (صلاح)، الجزائر المعاصرة، مصر: مطبعة الرسالة، 1964م. ص. ص.7-8

2- نفسه، ص. 20

PDF Compressor Free Version

وكان الكتاب الفرنسيون المعاصرون على علم بانتشار فكرة القومية بين الجزائريين وبين أهل إفريقيا الشمالية عموما، ويقول "ديبارمي": «بأن مبدأ القومية قد دخل مرحلة جديدة في الجزائر...»[1] أما الكاتب "شارل جيد" فيقول: « بأن قضية القومية كما عبّر عنها الحلفاء لها بعض الأثر في إفريقيا الشمالية.. وأن القضية، هي هل فرنسا ستعرف بأن القومية في إفريقيا الشمالية لها نفس حق الوجود الذي لقومية بولندا وتشيكوسلوفاكيا، أو هي لا تعترف بهذا الحق؟ وفي هذه الحالة بناء على رأي جيد، كيف يمكن رفض الجنسية الفرنسية لأهل إفريقيا الشمالية ؟

ويعتبر الشعور القومي في الجزائر فريدًا من نوعه بين المشاعر القومية في العالم المعاصر حتى بالنسبة إلى تلك المشاعر الموجودة في البلاد المجاورة للجزائر والواقعة في الشرق الأوسط وإفريقيا، فقد كان الوطنيون الجزائريون بخلاف الوطنيين في كل مكان يطالبون بإجراء أول تبدلات ممكنة ضمن إطار الدولة الفرنسية والأحزاب السياسية الفرنسية.[2]

1- سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 221

2- غليسبي، المرجع السابق، ص. 55؛ راجع أيضا: -الكثيري، المرجع السابق، ص.ص.20-21؛ - عبد العاطي (محمد أحمد)، "الإسلام والعروبة في المغرب العربي"، مجلة قضايا عربية، ع2 ، مصر، جويلية 1979م، ص. 262

PDF Compressor Free Version

* **حركة الجامعة الإسلامية:** هو تيار تجديدي قاده جمال الدين الأفغاني (1838-1897)م بدأ في صورة مجابهة مع المد الاستعماري الغربي على امتداد الشرق العربي الإسلامي بأكمله، وأول أهدافها: تجديد الإسلام ليتحول من شعوذة وخرافة تميت روح الأمة إلى طاقة ثورية تجابه بها الأمة أعدائها[1]، إن هذا التيار لا يعني العداء للجامعة العربية بل أنها تعني عقد لواء واحدة لقيادة الأمة[2]، وبطبيعة الحال فإن الحركة الوطنية الجزائرية لم تكن بمعزل عنها، بل كانت جزءًا منها، لأن الجامعة الإسلامية كانت لا تعتمد على أسس عنصرية أو لغوية، كما كانت قليلة التنظيم مما يعطيها شكل التضامن الإسلامي ويفرق بينها وبين حركات الجامعة الجرمانية والجامعة السلافية.

فقد كان للجامعة الإسلامية وقع هام على الحركة الوطنية الجزائرية، والحق أن مجال الدعاية والإثارة كان قد أعد قبل تطور هذه الحركة في الجزائر فثورتا 1871-1881م والحركة التي تلت احتلال تونس وأشعار "محمد بن إسماعيل" حول تأثير حرب القرم وأشعار محمد

1- عمارة (محمد)، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1968م، ص. ص. 348- 350

2- جلال (يحي)، المغرب العربي (العصور الحديثة)، ج4، بيروت، دار النهضة العربية، 1981م، ص، 310. راجع أيضا: - عمارة (محمد)، مسلمون ثوار، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1979م، ص. 261؛ - عمارة (محمد)، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل، بيروت، دار قتيبة، 1989م.

PDF Compressor Free Version

السعيد عن الجامعة الإسلامية سنة 1897م كانت كلها مع غيرها علامات عدم استقرار وطني إسلامي، ويدل على أن الجزائر كانت حقلا لدعاية الجامعة الإسلامية منذ أواخر الثمانينات من القرن (19م)[1]، كما كان في الجزائر جمعيات سرية لنشر فكرة الجامعة الإسلامية، ويقال أن عدداً من الجزائريين انظموا إلى الجمعيات الدينية التي خلقها دعاة السلطان عبد الحميد التي شجعت حركة الهجرة الجزائرية إلى الشرق[2]، وقد أتيح لهؤلاء المهاجرين فرصة الانضمام إلى لجان الجامعة.

حين يذكر "ديبارمي" أنه قد وجد في منطقة متيجة مجموعة من الشعر المكتوب حوالي سنة 1900م وهي عبارة عن منشورات موصى بها من الخارج تدعو إلى الجامعة الإسلامية، ويصر أندري ميفيل* بثقة أنه كان في الجزائر "غليان موجه من القسطنطينية والقاهرة عبر برلين[3]، وقد تمتّع بعض زعماء الجامعة الإسلامية بسمعة عظيمة في الجزائر، وقع ذلك حقا بخصوص الأفغاني ومحمد عبده، بل أن الأخير زار الجزائر سنة

1- سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 117

2- بلقاسم (محمد)، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910- 1954)م، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر معهد التاريخ جامعة الجزائر، الجزائر، (1993- 1994)م، ص. 18

3- سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 118

PDF Compressor Free Version

1903 م والذي وإن كان لم يؤثر كثيراً على الجزائريين بشخصه[1] فإن أفكاره الإصلاحية والدينية وعن آراء "عبده" عن الشؤون الإسلامية، وكذلك الأمر بالنسبة لجريدة "الإحياء"(1906)م وجريدة "ذو الفقار" (1913–1914)م التي اعتبرت محمد عبده مديرها الديني، وكانت الجرائد والكتب ترسَل من المهاجرين الجزائريين في الخارج أو تهرّب إلى الجزائر، وقد كانت تونس من أهم القناطر التي عبرت عليها دعاية الجامعة الإسلامية إلى الجزائر.. كما كانت فردوسًا للمنفيين الجزائريين[2]، حيث أخذت مساهمة الجامعة الإسلامية في الجزائر أشكالا مختلفة:

- أن الجزائريين قد حصلوا منها على تعويض للصراع ودعم على المعارضة.
- أنها قدمت إليهم أفكاراً وتصورات جديدة من خلال الكتب والصحافة.
- أنها شجعتهم على الهجرة نحو الشرق الأدنى.
- أنها ضغطت على فرنسا لإدخال إصلاحات جديدة.

1- يبدو أن لمحمد قنانش رأي آخر في دور محمد عبده وتأثيره في الجزائر راجع: قنانش (محمد) المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية الجزائر، ش.و.ن.ت، ب ت، ص. ص. 57- 61

2- الشوابكة (أحمد فهد)، حركة الجامعة الإسلامية، سوريا، مكتبة المنار، 1984م، ص. ص. 252 – 263

PDF Compressor Free Version

○ أنها ساعدت على نقل المشكل الجزائري من دائرته القطرية إلى الإسلامية والقومية.[1]

عند البحث عن الجامعة الإسلامية ودورها في الجزائر من خلال أهدافها ومراميها وحتى وسائلها وبما أن الاستعمار الفرنسي كان أول مجابهة من نوعها بين الشرق والغرب في التاريخ الحديث، فإن الجزائريون كانوا أول من نادى بالتضامن بين المسلمين وبإصلاح وضع الإسلام في الجزائر مستفيدين من التجربة الأوروبية وبقيادة جديدة في العالم الإسلامي، وقد كان حمدان خوجة الجزائري أول من نادى بالتفاهم بين الحضارتين الإسلامية والأوروبية، كما برهن الأمير عبد القادر كمحارب ومفكر، أنه كان مصلحًا إسلاميًا في اتجاهه، وكلا الزعيمين بعد نفيهما من طرف السلطات الفرنسية إلى الشرق، قد أثّر كل منهما تأثيراً كبيراً على مُعاصريه، ولا ننسى أصول الجامعة الإسلامية في الأدب الشعبي الجزائري في الخمسينيات من القرن (19م)، على أن الجامعة الإسلامية الجزائرية

1- سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. 124؛ يراجع أيضا: – الشوابكة، المرجع السابق، ص. ص.248-251- 252- 263 ؛ – سعد الله، "مدارس" الثقافة، ع 79 ، ص. ص.73-74

* صحفي معتمد في جريدة إيكودي باري.

PDF Compressor Free Version

كان أغلب نشاطها في الخارج وبذلك اختلطت المساهمة الجزائرية الإسلامية الشرقية في شكلها العام[1].

لقد كان الشرق كما جسَده المثقف الجزائري في أذهان المواطنين مهد الحضارة وحرم العروبة ومهبط الوحي ومن ثمة فهو حلم الخلاص، وطريق الوحدة الشاملة وكان التقاء المشاعر العربية على قضية واحدة في العصور التي ساد فيها الجمود واستولى فيها الأجانب على مقاليد الأمة العربية هو المظهر البارز للعروبة التي عاشت في كيان أمتنا جذوة وهاجة رغم المكائد والاستعمار والحواجز، وقد وقف كثير من الكتاب والأدباء الجزائريين يدعون الشعب، ويوجهون الشباب إلى الشرق لينهل من عمقه ويقتدي بزعمائه ويحفظ تراثه وهم إذ يرسمون هذا الاتجاه لا يعنون بالشرق مصطلحه الجغرافي أو السياسي، وإنما كانوا يقصدون الشرق في مفهومه العربي أو القومي، وذلك في مقابل اتجاه آخر حاول الاستعمار أن يعزى به طبقة من شباب الجزائر المثقفين... اتجاه غربي[2] يؤمن بالغرب في حضارته وماديته، ويعمل للغرب في يومه وغده، وبالتالي كان هذا الاتجاه يرمي إلى فصل الجزائر عن كيان الأمة العربية، وقد

1- الشوابكة، المرجع السابق ، ص. ص. 248-251

2 - A.N.T, Série M.N, C15, Dossier3, N. P.78, D.Ex 1915 «listes des étudiants Zitouniens sympathisant de la turque à surveiller par les contrôleurs civiles pendant les vacances d'été».

PDF Compressor Free Version

تصدى له أكثر من شاعر وأديب جزائري - كما رأينا- يحذرون الشباب أن يقع في الأحبولة، أو يغتر بما في أسلوب هذا الاتجاه من بريق وخداع.

أما عن الهجرات العلمية فإن دوافعها قد تعددت وأسبابها تنوعت ويمكن أن نميز من بينها:

✓ الرحلة فرارا من جور الظالمين، وذلك لاكتساب المدد وإعداد العدة للكرة عليهم، وإخراجهم من البلاد ذودا عن الدين والوطن وخصوصا بعد صدور قانون التجنيد الإجباري للجزائريين في الجيش الفرنسي عام 1912م، وكان الإصرار على رفض هذا التجنيد من أبرز أسباب هذه الهجرة.

✓ الرحلة بقصد زيارة البقاع المقدسة بالحجاز كهدف أولي، حيث كانت هذه الرحلة للحجيج الجزائريين تسمح لهم وهم في طريق ذهابهم أو عودتهم أن يعرجوا على بعض البلدان الشقيقة فيربطوا بعض الصلات الأخوية والثقافية مع بعض رجالاتها مفكرين وأدباء، وكثيرا ما كانوا يستقرون بتلك البلاد أملا في الالتحاق بمعاهدها وجوامعها، كما فعل ذلك ابن باديس أثناء عودته إلى الجزائر من رحلته إلى الحجاز، فقد عرج على سوريا ولبنان ومصر التي مكث بها حوالي ثلاثة شهور اتصل خلالها ببعض رجال العلم والإصلاح، كان من بينهم الشيخ " محمد بخيت المطيعي "، شيخ جامع الأزهر الذي أجاز لابن باديس عندما حضر بعض مجالسه.

PDF Compressor Free Version

✓ ونظرا لارتباط هذه الرحلات بعملية طلب العلم، فإن ذلك يدل على أن الجزائريون قد حرموا من طرف المستعمر من حقهم في طلب العلم، ولهذا نجدهم يشدون الرحال طلبا للعلم ونشدانا للمعرفة معتقدين أنهما من أنجع الأسباب وأمثلها في مساعدتهم على الخلاص من محنتهم فكانوا لذلك يهاجرون إلى البلاد الشقيقة لينهلوا من معين جامعاتها، ومراكز العلم بها ما يروون به ظمأهم للعلوم والمعارف.[1]

وكانت تونس تأتي في المرتبة الأولى كمقصد لطلاب العلم من الجزائريين هؤلاء الذين كان كثيرا منهم قد انخرط في أسلاك التعليم بالزيتونة، وقد استقر ببعضهم المقام في تلك الديار فمكث بها وترقى نفر منهم إلى درجات عالية على سلم المعرفة، وأما غالبيتهم فقد حملوا في صدورهم ما حصلوا عليه من الزاد العلمي، ثم ولو وجوههم شطر أرض الوطن آيبين إلى حماه عاملين على إقالته من عثرته وإنهاضه من كبوته. يقول عبد الله ركيبي[2]: « إن دافعنا إلى الهجرة هو دافع جيل كامل بل أجيالا قبلنا تهدف إلى أن تتثقف ثقافة عربية إسلامية أصلية، خاصة وأن التعليم المتوسط والثانوي لم يكن بالعربية ولكنه كان بالفرنسية، ونحن أبناء الشعب من يعيش منا في الريف أو القرية لا فرصة له ليواصل

1- بن سمينة (محمد)، في الأدب الجزائري الحديث، الجزائر: مطبعة الكاهنة، 2003 من ص. ص. 60 – 61

2- سعيدوني، شهادات، ص. 480

PDF Compressor Free Version

تعليمه بعد الابتدائي فكانت (الزيتونة) ملجأ لمن حرم من ثقافته وتراثه القومي، ولم يكن للجغرافية دخل في هذه الهجرة إلى تونس فهناك التقينا بأمثالنا من شتى أنحاء الوطن».

ومن أوائل القرن العشرين أصبح بعض الجزائريين يهاجرون من أجل العلم ثم العودة في غالب الأحيان، لقد لاحظ محمد بيرم خلال السبعينات من القرن (19م) أن طلب العلم كان أحد أسباب الهجرة التي لا يعود أصحابها بعدها إلى الجزائر، أما المهاجرون في طلب العلم منذ القرن العشرين فكانوا غالبا يغيبون مؤقتا ثم يعودون بعلمهم[1]، وعن هذا الموضوع ودور جمعية العلماء في تشجيعه كتب البشير الإبراهيمي ما يلي:« كما كان من آثار ذلك التعليم المثمر – الذي خاضته جمعية العلماء أن نشأت الرغبة بشباب الأمة في الاندفاع إلى العلم والرحلة في طلبه حيث ما كان فرحلت المئات منهم إلى جامع الزيتونة.. وقد أنساهم الحرص ما يجب من احتياطات فوقع الكثير منهم في المحذور، وجمعية العلماء هي التي أنشأت هذه الرغبة المتأججة في نفوس الشباب، ولا تلومهم ولا تثبّطهم على هذا الاندفاع، وإنما ترى أن الرحلة وقطع آلاف الأميال في سبيل التعليم الابتدائي ليست من العقل ولا من السداد».[2]

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص. 368

2- "إحياء التعليم المسجدي بمدينة قسنطينة "، البصائر: ع 07، س2، 1947/09/09.

PDF Compressor Free Version

ومن خلال سنوات الثورة المسلحة توقفت حركة التربية والتعليم الوطنية وحلت محلها لغة الرصاص والبندقية كما كان الحال في القرن (19م)، لأن الإدارة الاستعمارية أغلقت معظم المعاهد والمدارس التعليمية وطاردت العلماء... والمدرسين والمعلمين.. ومن حسن حظ الشعب الجزائري أن الشيخ الإبراهيمي وجبهة التحرير الوطني أوليا الكثير من الاهتمام بهذا الجانب التربوي والتعليمي وشجعا هجرة الشباب الجزائري إلى الجامعات العربية والأوربية للتزود بالعلوم والمعارف استعدادا للمستقبل الواعد.[1] فالشيخ الإبراهيمي منذ عام 1952م، وهو يجوب بلدان الشرق العربي الإسلامي لفتح أبواب معاهدها، وجامعاتها للطلاب الجزائريين وخلال جولاته هذه سقط من سلم الطائرة بباكستان عام 1957م، وأصيب بكسر في ركبته.

وجبهة التحرير الوطني هي الأخرى كلفت ممثليها في الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بأن يسعوا من جانبهم لفتح أبواب معاهد وجامعات بلدان أوربا، وأمريكا للطلاب الجزائريين خاصة بعد إعلان إضراب 19 ماي 1956م، من طرف الطلبة في الجزائر وفرنسا، ونجحوا في مسعاهم وتحصل المئات من الطلبة الجزائريين على منح

1- بوعزيز (يحي)، "أوضاع التعليم في الجزائر خلال الثورة (1954-1962)"، مجلة الهداية، ع 160 تونس: سنة 29 أفريل 2004 م، ص. 79

دراسية في مختلف التخصصات وكانوا النواة الأساسية لحركة التربية
PDF Compressor Free Version
والتعليم في الجزائر غداة تحررها من الاستعمار نهائيا عام 1962م.[1]

4. طبيعة وظروف العملية الاستعمارية بالمنطقة:

عرّف أحد الاستعماريين المتعصبين الاستعمار بقوله: «بأنه الحركة الوطنية التي تحوّلت صورتها بتأثير ضياء من أماني البشرية العالمية» وعرفها "مونتسكيو" في سياق قوله: «إذا طُلب مني أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدًا فإني أقول: أنّ شعوب أوروبا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم تر بُدًّا من أن تستعبد شعوب إفريقيا لكي تستخدمها في كل هذه الأقطار الفسيحة، والشعوب المذكورة ما هي إلا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدمين إلى قمة الرأس، وأنهما أفطس فطسا شنيعًا ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى قد وضع روحًا في داخل جسم حالك السواد...».[2]

وفي وسعنا أن نذكر أمثلة أخرى لتعريف الاستعمار ولكن هي في الغالب تخضع لنزعات الكتاب وخلفياتهم، فالاستعمار هو العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة،

1- نفسه، ص. 80

2- محمد (عوض محمد)، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، ط3، مصر: دار المعارف، 1957م، ص. ص. 36 – 37

PDF Compressor Free Version

أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم، أو على سكان تلك الأرض والسكان في آن واحد.[1]

إن الاستعمار هو بالأساس حركة توسعية شاملة تستهدف السلطة والأرض والهوية، ولا يقل البعد الثقافي لهذه الظاهرة خطورة عن جوانبها المادية والبشرية فقد واكبت الثقافة الغربية الحركة التوسعية وخضعت للتوظيف السياسي والتسخير الإيديولوجي فساهمت في ترسيخ المصالح المادية الأجنبية، وتدعيم الهيمنة السياسة، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الثقافة سلطة فعلية مارست من خلالها النظم الاستعمارية نفوذًا أوسع على المجتمعات المولى عليها.[2]

إن شكل الاستعمار الاستيطاني الذي غرسته فرنسا بالمغرب العربي كان يحمل منذ طياته بذور الثنائية الثقافية ويجوز أن نتصور أن المغامرة الاستعمارية كانت منذ البداية مخاطرة مقبولة بمواجهة حضارة عريقة لها جذور ضاربة في التاريخ ورغبة واضحة في غرس بنيات ثقافية واقتصادية واجتماعية مغايرة، إلا أنه من الخطأ أن نتصور أن هذه الحركة كانت تندرج ضمن مخططات مرسومة وجاهزة ترمي إلى تقويض المجتمعات التقليدية أو إلى تغيير نمط عيشها، وإنما هي مجموعة من

1- نفسه، ص. 38

2- الدقي (نور الدين)، المغرب العربي والاستعمار الفرنسي، تونس :مطبعة سراس، 1997م، ص. 122

PDF Compressor Free Version

التجارب المتراكمة والإضافات أو التعديلات الظرفية الذي تم ضخها بالتدرج في صلب مجتمعات شبه ساكنة وفقًا لما تقتضيه مصالح الجاليات الأجنبية، ولم يكن دور الأجهزة السياسية كافيا لتكييف المجتمعات التقليدية مع مقتضيات الحداثة الاستعمارية، ولم تلبث المواجهة بين القديم والحديث أن تحوّلت إلى تنافس غير متكافئ بين قوالب ثقافية سلفية ونماذج حضارية عصرية وكان لوسائل الاتصال الحديثة من صحافة مكتوبة ومسموعة ومطبوعة غربية دور في تراجع رموز القديم كاللباس والمسكن التقليدي وانحصار العلوم النقلية القديمة في دائرة ضيقة، كما لعبت المدرسة الأو روبية دوراً في تبلور وضع ثقافي مزدوج يمتاز بتزاوج ثقافتين تستندان إلى أطر مرجعية متضاربة إحداهما تقليدية تشدها إلى الماضي وشائج عديدة والأخرى عصرية تربطها بالمدنية الصناعية روابط متينة.

إن سياسة الاستعباد التي تسخّر كل شيء لصالح المستعمر هي الأساس الذي قامت عليه كل سياسة استعمارية، وتقضي هذه السياسة بأن تعمل الحكومة المستعمرة لنفسها وحدها ولغاية هي ثروتها ونفوذها السياسي، أما حاجة المستعمرة ومصلحتها فهي لا تعتبر، ويتلخص ذلك في هذا التعبير الذي حددت به الأنسكلوبيديا معنى الاستعمار، إذ قالت : «لقد استغل المستعمر المستعمرات من أجله..»

PDF Compressor Free Version

هذا الأصل الأصيل للاستعمار ظل هو العقدة النفسية التي تسيطر على كل عمل استعماري في الشمال الإفريقي كما في غيره وعلى الرغم من الثورات الفرنسية المختلفة التي كانت تعلن عدائها للاستعمار أو تطالب باحترام الحقوق الطبيعية للإنسان[1]، وعلى الرغم كذلك من الشكل الحاصل في نظام المغرب العربي بمقتضى الظروف والمعاهدات فإن ذلك الطابع لم يتغير في جميع الإجراءات التي اتّبعت في كل من تونس والجزائر ومراكش.

لقد استعمل الاستعمار تاريخ المغاربة القريب والبعيد كسلاح للقضاء على معنوياتهم، كما لو كان لسان حالهم يقول: «إذا جئنا هنا لنعمّر البلاد فلأنكم أنتم الدليل طيلة قرون على تصوّركم وعجزكم»[2] فوصفوا أهل المنطقة بالغدر والتبعية والتملق للأقوى، وهذه أوصاف طبيعية لا تتغير أبدًا في الذّات البشرية والوصف في حد ذاته محاولة لطرد المغربي من مجال التاريخ إلى المجال الإثنوغرافية أي الطبيعة الإنسانية.

فالسيطرة القومية تتجلى في العمل على إدماج المغرب العربي، وجعله جزءًا لا يتجزأ من فرنسا وذلك إما بالإلحاق الكلي كما وقع في

1- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. 36

2- العروى، المرجع السابق ، ج3، ص. 162

PDF Compressor Free Version

الجزائر أو بطريق محو الشخصية الوطنية واضعاف الجنسية كما هو واقع في تونس[1]، وتشغل الجزائر وضعية خاصة في صلب المنظومة الاستعمارية الفرنسية، فقد جرى احتلالها في فترة لم تنضج فيها الامبريالية الاستعمارية بالقدر الكافي، وهو ما يفسر الطابع الشمولي الذي وسم هذا الاحتلال ونزوعه إلى محاكاة الأساليب المركنتلية العتيقة التي رافقت نشوء الإمبراطوريات الاستعمارية في الفترة السابقة للثورة الصناعية.

ويرتبط البناء الزمني لعملية غزو الجزائر وضمّها بشبكة معقدة من الأحداث الداخلية الفرنسية فقد كان استيلاء الفرنسيين على جزء محدود من القطر الجزائري، في أواخر حكم ملوك الاستعراض حادثًا أكثر منه حدثًا، أي مغامرة عسكرية خارجية محصورة، ثم تطوّر الاحتلال تبعًا لانقلاب موازين القوى السياسية بفرنسا إثر انتصار الثورة الليبرالية سنة 1830م، ومع اتساع مجال انتشار الجيش الفرنسي- ودخوله في مواجهة عسكرية مسلحة مع المقاومة الجزائرية تأكدت الأطماع الاستعمارية الفرنسية[2]، وبحلول نظامي الإمبراطورية الثانية ثم الجمهورية الثالثة تحوّل الاحتلال إلى حركة اغتصاب كامل ثم اقتطاع لأكثر المناطق ملائمة للاستغلال وفتحها أمام استقرار الأوروبيين وانتهى الأمر بتركيز جهاز

1- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. 38

2- الدقي، المرجع السابق، ص. 06

PDF Compressor Free Version

إداري كامل وإلغاء جميع مقومات الهوية السياسية الجزائرية[1]. ومرّ غزو الجزائر منذ سنة 1830م بثلاث مراحل:

- مرحلة الاحتلال العسكري المحدود لبعض المناطق الساحلية والسيطرة غير المباشرة، دون أن يمتد النفوذ الاستعماري إلى دواخل البلاد (1830- 1839)م.
- مرحلة توسيع مجال النفوذ العسكري والسياسي والدخول في المواجهة مع الأمير عبد القادر (1839-1847)م.
- طور استكمال الاحتلال واحتواء آخر جيوب المقاومة الشعبية (1847 - 1871)م وقد انعكس تقلب الوضع الاحتلال واحتواه آخر جيوب المقاومة الشعبية (1847 - 1871)م، وقد انعكس تقلّب الوضع العسكري على البناء السياسي الاستعماري انعكاسًا سلبيًا بحيث استغرق انتقال السيادة السياسية إلى الفرنسيين بصورة كاملة أكثر من ربع قرن.

لقد تشكلت الوضعية الإدارية الخصوصية للجزائر تدريجيًا تبعًا لتطور موازين القوى بين العسكريين والمعمرين من ناحية، وبين السلطة الغازية والمجتمع الجزائري من ناحية ثانية، إذ جعل الصمود الشعبي العنيف الذي واجهه الفرنسيون العنف العسكري القاعدة الأولى والأساسية التي ارتكز عليها الاستعمار بشكليه الإداري والتوطيني فقد

1- نفسه، ص. 07

PDF Compressor Free Version

طغت على تاريخ الفترة الأولى من الاحتلال (1830-1870)م ظاهرة سياسية ومجتمعيه وحيدة وثابتة هي: تواتر انتفاضات القبائل والمجتمعات القروية لوقف تيار مصادرة الأملاك الجماعية فيما اتسم الرد الفرنسي بتوجيه واضح نحو عسكرة المجتمع الجزائري.

وقد اقترن الخيار العسكري باتجاه ثابت نحو إحلال العناصر الأوربية محل التشكيلات القبلية المهزومة في الأراضي التي تم إخلاؤها من سكانها مما حوّل الجزائر بصورة مبكرة إلى فضاء توطيني في حين حافظت بقية المستعمرات الفرنسية على طابعها الاستغلالي، وقد ساهم هذا الخيار الاستراتيجي في رسم ملامح الوضع الخصوصي المعقد الذي يسطبغ الحياة السياسية بالجزائر المستعمرة[1]، في تصريح للرئيس الأمريكي الأسبق روزفلت، أثناء انعقاد مؤتمر الحلفاء في الدار البيضاء بالمغرب في جانفي سنة 1943م قال: «إن الاستعمار الفرنسي أسوء ما يمكن أن يُنْكَبَ به شعب من الشعوب».[2]

وفي ظل الحكم العسكري منذ بدأ الاحتلال الفرنسي ارتكب الفرنسيون في الجزائر كثيراً من أعمال الإبادة والتخريب والنهب ومظالم

1- للتوسع راجع: - الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. ص. 27 – 28 ؛ - الدقى، المرجع السابق ، ص. 7

2- حلمي (محروس إسماعيل)، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2004 م، ص. 216

PDF Compressor Free Version

وتجاوزات تعسفية أخرى، وجاء بعضها في المذكرتين اللتين قدمهما إبراهيم ولد مصطفى باشا داي الجزائر السابق وكان يقيم بفرنسا ونذكر فيما يلي أهم هذه المظالم والتجاوزات التي أثّرت على أوضاع الجزائر في المجالات المختلفة:

1- أعمال الإبادة الجماعية والتخريب التي انتهجتها القوات الفرنسية بالجزائر، يذكر أن قوات الاحتلال الفرنسي قد فتكت بنحو مليون جزائري خلال عمليات المقاومة الشعبية الأولى للغزو الفرنسي في الفترة (1830- 1857)م.

2- فرض المزيد من الضرائب والغرامات على السكان ومثال ذلك ضريبة قدرها مائة فرنك فرنسي لشراء كميات من الحبوب.

3- الاستيلاء على المساجد وتحويل بعضها لأغراض أخرى مع المؤسسات والأوقاف الخيرية.

4- اضطهاد العلماء ومصادرة أملاك الجزائريين.

5- التدخل في الدين الإسلامي ومحاولات تنصير الجزائريين.

6- تدهور أحوال التعليم بالجزائر وإضفاء الطابع الفرنسي عليه.

7- تفاقم الحالة الصحية بالجزائر أثناء الحكم الفرنسي حيث يؤكد مقرر ميزانية الصحة العامة لعام 1954م "غوروبر يسوير" ما يلي: «بلغ متوسط عدد المصابين بالسل الذين قدموا طلبات دخول إلى

PDF Compressor Free Version

مستشفى (ليقي) 1440 مريضا، لم يقبل منهم في المستشفى سوى 360 والبقية (1080) حتمًا سيكون مصيرهم الهلاك»، وعلى المستوى الاجتماعي فقد حاول الاستعمار اختراق وتفكيك المجتمع الجزائري بإتباع سياستين هما:

أ- سياسة إلغاء مقومات الهوية السياسية الجزائرية:

لم ينشأ الاستعمار الفرنسي- في مجتمع انقسامي تسوده القبلية كما تروّج ذلك الأدبيات الاستعمارية، بل في قطر له مؤسسات اجتماعية وسياسية وهوية ثقافية ثابتة على امتداد قرون عديدة ومع ذلك لم تتعامل السلطة الفرنسية مع الشعب الجزائري ككيان اجتماعي متماسك بل كشتات من الأشخاص والمجموعات المشاغبة، ولعلّ هذا ما يفسر اعتماد الاستعمار بصورة تكاد تكون كلية على العنصر العسكري في تأطير المجتمع وفرض "الأمن العسكري"، وتبعًا لذلك أصبح التعسف والبطش سياسة ثابتة ففرضت الأحكام العرفية واحتكرت المؤسسة العسكرية تسيير البلاد لمدة نصف قرن فأعطت لعنصري القوة والقمع وزنًا وظيفيًا هائلاً في صلب "جهاز الدولة".

لقد حافظت فرنسا في بداية الاحتلال على النظام السائد في الفترة التركية بل أعانت على إعادة تشكيل القبائل المخزنية فأبقت على

PDF Compressor Free Version

امتيازاتها الجبائية، وكانت السلطة العسكرية تتدخل لتعيين رؤساء القبائل وبالتوازي شرع النظام الجديد في القضاء تدريجيا على الهياكل السياسية الموروثة، ثم أخذ يتعقب النخب الاجتماعية وأفضى الأمر إلى الإطاحة بجميع رموز الدولة التركية تمهيدًا لإلغاء جميع مقومات الهوية الوطنية، وعلى هذا الأساس حاول الاستعمار ضرب المقومات الثقافية للشعب الجزائري وتجريده من كل انتماء وطني وقومي بالنيل من لغة البلاد وتاريخها وثقافتها وإثارة النعرة العرقية والطائفية.

ب- سياسة الإقصاء والتفرقة:

من خلال التغييرات الإدارية المتناقضة التي عرفتها الجزائر يمكن أن نتبين اتجاهًا عامًا تتفق حوله مختلف الحكومات الفرنسية، وهو أن الجزائر كانت دائمًا كيانًا منفصلاً قانونيًا عن (المتروبول) رغم كل التحريفات اللغوية التي تعتبرها جزءًا لا يتجزأ من فرنسا ذلك أن الجزائر لم تكن مستعمرة بالمفهوم الكلاسيكي، وهي ليست محمية أو جزءًا من المتروبول بل كل ذلك جميعا، ولذلك هناك تفسيرات عديدة لعل أبرزها هو تبلور رأي عام سياسي واحتجاجي بصورة مبكرة -في صلب الجالية الأوروبية- قام بتوجيه السياسة الاستعمارية بالجزائر وجهة أحادية،

PDF Compressor Free Version

وتبعًا لذلك فإن الإدماج الكامل[1] بأبعاده السياسية والاقتصادية والتشريعية والجبائية، لم يكن توجهًا ثابتًا أو هدفا من الأهداف المرسومة، فليس ثمة من شك في أن جميع السياسات التي انتهجت رغم ترددها وتعثرها وتناقضها، كانت ترمي إلى صهر الجزائر اقتصاديا وسياسيا في البوتقة الفرنسية، ولكن سياسة الدمج الشامل اصطدمت بمعارضة العنصر الأروبي الذي كان يتطلع للانفراد بوضع قانوني متميز يؤهله لاحتكار التسيير السياسي والاقتصادي للبلاد، ، ومجمل ما أمكن تحقيقه في مجال الإدماج هو تمكين "المستعمرة" من الاستفادة من الأحكام والقوانين الفرنسية التي تتماشى مع مصالح المعمرين والتلويح بالمصالح الخصوصية الجزائرية لتعطيل الأوامر والأحكام المتعلقة بالمساواة السياسية والثقافية.

لقد مثل مرسوم 1865/07/14م القاضي بالتمييز بين وضع المواطن وغير المواطن أحد دعائم سياسة الإخضاع وأساس النظام السياسي والإداري بالجزائر إلى سنة 1946م، إذ رفض الفرنسيون طيلة هذه الفترة إسناد حقوق المواطنة للأهالي بحجة خضوعهم للشريعة الإسلامية، وبالتوازي فقد رفض الجزائريون بشدة الانصهار في البوتقة الفرنسية

1- للتوسع يراجع: -جاك (توبي)، المرجع السابق، ص. ص. 80-120 ؛ -جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية، ص. ص. 20-45 ؛- جغلول، تاريخ الجزائر، ص. 30 وما بعدها.

PDF Compressor Free Version

والتجنس بجنسية المستعمر، وقد تزامن هذا التوجه مع سياسة ثابتة لمحو الأسماء العربية للمدن والقرى وتعويضها بأسماء فرنسية، والقيام بحملات تبشيرية في مناطق جبال القبائل فضلا عن توظيف المسائل العرقية توظيفًا سياسيًا غايته تمزيق الوحدة الوطنية وفك الترابط بين عناصر الشعب الجزائر، ومع ذلك فإن سياسة التفرقة العنصرية وما رافقها من إقصاء وملاحقة وإجحاف أفضت في نهاية الأمر إلى نتائج عكسية، فبقيت البلاد في حالة غليان مستمرة وتتالت الحركات التمردية والثورات الدامية بحيث لم يتسن للاستعمار السيطرة بصورة كاملة على البلاد إلا بعد أكثر من نصف قرن من **الصراع** المرير، و**يفسر** حجم الخسائر البشرية والمادية التي تكبدتها فرنسا بالجزائر عدولها عن تطبيق النموذج الجزائري في كل من تونس والمغرب[1]، حيث عمدت إلى تنفيذ وتطبيق نظام جديد سمته حماية، وهي كلمة تتفق مع عبارة الفر**نسي** الشهير "قمبيطة" «لا جلاء ولا التحاق» (ذلك أن الرأي العام الفر**نسي** في هذه الفترة لم يكن متحمسًا لإيجاد مستعمرات، وهو ما دفع فرنسا إلى الاستيلاء على تونس دون إحداث أي حركة مضادة لا من ناحية الاتجاه

1- الدقي، المرجع السابق، ص. 14

PDF Compressor Free Version

المعارض في الداخل ولا من ناحية الرأي العام العالمي في الخارج)[1]، « ففي تونس اتخذت العلاقة بين الإدارة الفرنسية وبين بعض الذين أبقت عليهم الحماية من موظفين تونسيين شكلاً سماه الفرنسيون التعاون المباشر، فالموظف التونسي بجانب الرئيس أو المراقب الفرنسي مما يرمز إلى الازدواج في الحكم »[2]، فالإدماج الممتزج أو اللامركزي والتعاون المباشر أو غير المباشر وتخليط السلطة أو تمييزها، تلك هي المبادئ التي تكونت من تعاقبها ومن إلهاماتها السياسية الاستعمارية لفرنسا في الجزائر وتونس.

والواقع أن الجزائر مستعمرة من نوع خاص ومتميّز ولاشك، وذلك بقدر الواقع الاستعماري فيها واستيطان مليون من الأوروبيين وعلى رغم هذا كله تظل الجزائر مستعمرة، وهناك استيطان أوروبي وسياسة سميت سياسة تمثل واهتظام[3]، وهذه الإشكالية (مستعمرة وليست بالمستعمرة) عبّر عنها السياسي الشهير "فاضل الجمالي" بقوله «.. أما في الجزائر ذلك البلد الذي تعتبره فرنسا تعسفًا واعتباطًا من التراب الفرنسي، فإن الرصاص وإلقاء القنابل على العُزّل من الناس يجري يوميًا، فإذا كانت الجزائر وهي قطر يقطنه قوم يختلفون عن الفرنسيين ولهم حضارة ولغة

---

1 - Kassab (Ahmed), Histoire de La Tunisie à L'époque Contemporaine. Tunis: S.T.D.1976. p.57

2- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. 37

3- كلود، المرجع السابق، ص. 66

PDF Compressor Free Version

تختلف عن حضارة الفرنسيين ولغتهم أقول إذا كانت الجزائر تعتبر من قبل الفرنسيين جزءاً من فرنسا فلمَ إذن يعاني سكانها العرب المسلمون الإذلال والتمييز في المعاملة ؟ إن فرنسا لا تستطيع أن تسلك السبيلين في وقت واحد على ما بينهما من تعارض وتناقض».[1]

ولم يتفق الفرنسيون منذ احتلال الجزائر على الاعتبار الذي يمكن أن يعطوه لهذا البلد المحتل هل هو مجرد مستعمرة كسائر المستعمرات الفرنسية القديمة أم إنما هو امتداد لفرنسا نفسها ؟ وبمقتضى التأرجح بين هاتين الفكرتين قسّمت الجزائر إلى عمالات لها نوابها وشيوخها المنتخبون كما سائر العمالات الفرنسية، ولكن نظمت الجزائر كذلك تنظيماً يختلف في مجموعة عن نظام العمالات[2] واعتبرتها أيضا منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر امتدادا لأراضي فرنسا وجزء لا يتجزأ منها، بل لقد اعتبرتها بعض الحكومات الفرنسية موئلا أخيرا تلجأ إليه إذا أصابت فرنسا في القارة الأوروبية كارثة أودت بقوتها البرية.[3]

1- الجمالي (فاضل)، صفحات من الكفاح العربي في سبيل التحرير، تونس: الدار التونسية للنشر 1980م، ص. 131

2- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. 27

3- صفوت (محمد مصطفى)، "علاقات فرنسا بشمال إفريقيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"، مجلة كلية الآداب، مج 6، مج 7، الإسكندرية: (1952 – 1953)، ص. ص. 36-67

PDF Compressor Free Version

حقيقةً كان لاحتلال الفرنسيين أرض الجزائر دوي هائل في شمال إفريقيا فلقد تزلزلت كل النظم الموجودة هناك وتضعضعت، ولم تعد دولة تونس المجاورة للجزائر في مأمن من الخطر الفرنسي الذي كان يزداد نموًا وعنفًا كل يوم، وانتهى عهد الأمان بالنسبة لتونس التي كانت آخذة في طريق الضعف السياسي والاقتصادي، وكان الخطر عليها عظيمًا نظرًا لقربها وصغر مساحتها وجنوح أهلها للسلم، وهي بعد ذلك لها من الثروة والموارد الطبيعية والمركز الجغرافي في البحر الأبيض المتوسط ما يجعلها أكثر جاذبيةً لجيرانها الجدد الفرنسيين[1]، كذلك لا يوجد حدود طبيعية ولا سياسية ولا عنصرية حقيقية ولا دينية تفصل بينهما وبين البلاد الجزائرية، وإذا كانت الحكومات الفرنسية المتعاقبة قد قرّرت الاحتفاظ بالجزائر فكان لزامًا عليها كما رأت أن تراقب بدقة ما يحدث في القطر التونسي.

ولو ترك الأمر للسلطات الحربية الفرنسية في الجزائر تفعل ما تريد لاستولت بقوة السلاح على تونس بالذات لولا معارضة حكومة "لوي فيليب" و"نابليون الثالث"، التي كانت ترى استعمال الوسائل السلمية لضم تونس إلى الجزائر، وذلك باحتكار المشاريع وإقناع الباي بصداقة فرنسا، ولكن كل الآراء كانت مجمعة على مد حدود الجزائر إلى نهر

1- سعد الله، "مدارس"، الثقافة، ع 79، ص. 56

PDF Compressor Free Version

مجـردة، بحيـث تكـون بنـزرت في المنطقـة الفرنسـية، وذلـك إذا أرغمـت الظـروف فرنسـا إلى اتخـاذ موقـف حاسـم، وكانـت السـلطات الفرنسـية الحربية في الجزائـر تؤيـد بحـماس هـذه الفكـرة وتسـعى إلى تنفيـذها في أقرب وقت مستطاع لكن انصرفت الأفكار في فرنسا عن تونس مؤقتًا حين عاد الخطـر الألمـاني إلى الظهـور شرقـي نهـر الـراين[1]، ثـم تأكـد الاحـتلال الفرنسي على تونس عقب ذلك فترة (عام1881م) ونجح في تزوير الحقائق باتخاذه لذرائع واهية وربطها بشرف فرنسا وجيشها ولعـل حادثـة قبائـل بني خمير المفتعلة تذكّرنا بحادثة المروحة التـي ادعـت فيهـا فرنسـا أنهـا أهينت وذلّت بسببها.

فمنذ سنة 1880م ودخـول الاسـتعمار الفرنسي لتـونس بـدأ هـذا الأخير يتعامل مع الهياكل الإدارية لأقطار المغرب العـربي بشـكل متبـاين، فقـد طبّـق في تـونس نظـام الحمايـة وحـافظ بالتـالي عـلى المؤسسـات التقليدية للدولة المحلية إلى جانب بنائها بعض مؤسسات الدولة الحديثـة والتابعة لها، وبطبيعة الحال لم يكـن لمؤسسـات الدولـة المحليـة أي تـأثير على القرار السياسي والاقتصـادي بـل كـان دورهـا، بـل وجودهـا ضروريًـا للتغطية والتمويه.[2]

1- صفوت، "علاقات فرنسا"، مجلة كلية الآداب، مج 6، ص. ص. 38-42

2- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. ص. 39 – 40

PDF Compressor Free Version

وبالمقابل طبّق في الجزائر -كما رأينا- نظامًا استعماريًا فكّك حلّ المؤسسات التقليد ية والمحلية وميّع بعضها، وصاحَب هذا التفكك تحطيم النسيج الاجتماعي الداخلي نتيجة عمليات ما سمي بإخماد الفتنة العسكرية وإعادة التقسيم الإداري للبلاد والاستحواذ على أراضي الفلاحين وتوزيعها على المعمرين وتفسّر حدّة الهجمة الاستعمارية في الجزائر نحو الموروث الديني والتفاف الشعب حول النخب التقليدية ورفضه كل ما هو تحديثي لارتباطه بصورة وبرمز آخر بالمستعمر.[1]

إن هذا التعاطي المختلف للاستعمار مع الضفتين ستكون له انعكاسات سلبية على مستقبلها سواء في نطاق حركتها الوطنية ونضالها التحرري أو بعد الاستقلال وتحقيق السيادة القطرية، فتكريس النظام البايوي في تونس الذي سيؤول إلى الزوال عقب الاستقلال مباشرة سنة1957م سيكون حجر عثرة أمام مطامح الشعبين خصوصًا بعد تأكد قيام النظام الجمهوري في الجزائر وبروز القوى المعتمدة على الشرعية الثورية.

كما أن احتلال فرنسا للجزائر يقوم على مجرّد الاعتداء المسلح وحكم الغالب فليست هناك معاهدة تربط بين الجزائر وبين فرنسا

1- سمير (أمين) وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي في ظل السياسات الرأسمالية الجديدة، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م، ص. 78

PDF Compressor Free Version

تعطي الحق لهذه بكيفية ما في أن تتصرف في القطر الجزائري أو تراقب أعمال حكومته، أما في تونس فإن الأمر يختلف عن ذلك لأن فرنسا نجحت في إرغام الأيالة على إمضاء اتفاقين يخوّلان لها حق الرقابة وتفرضان عليها واجب المساعدة، "فمعاهدة باردو" تنص على: «تأكيد معاهدات الصلح والمودة والتجارة، وجميع الاتفاقات الأخرى الموجودة بين الجمهورية الفرنسية والباي»[1] كما أنها تنص في مادتها الثانية على إنهاء الاحتلال عندما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنسية والتونسية، على أن الإدارة التونسية أصبحت قادرة على حفظ الأمن، كما تلتزم المادة الرابعة بتنفيذ جميع المعاهدات الموجودة بين تونس والدول الأوروبية، وتنص المادة السادسة على أن فرنسا هي التي تتولى بوساطة ممثليها الدبلوماسيين تمثيل المصالح التونسية في الخارج، غير أنه وفي 10 نوفمبر 1884م أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسومًا يجعل كل أوامر الباي غير نافذة، ما لم يصادق عليها المقيم العام نيابة عن الحكومة الفرنسية[2]، والاختلاف الآخر الحاضر في المنطقة بين القطرين جرّاء التعامل المختلف للاستعمار هو أن العلاقة بين فرنسا وبين تونس كانت ذات صبغة

1- الفاسي، المغرب العربي منذ، ص. 33

2- نفسه، ص. 34

PDF Compressor Free Version

دبلوماسية ترجع الاختصاص وزارة الخارجية الفرنسية نقيض ما هو جاري العمل به في الجزائر.

غير أن التطور الحادث في المحمية وهو أن المقيم العام بتونس أصبح من مهامه أيضا تتويج الباي زعما من فرنسا بأنها حلت محل الدولة العثمانية في التبعية التي كانت للباي نحو الخليفة، قد جعلت الوضع التونسي يقترب إلى حد ما بما هو جاري في المستعمرة وأكثر من ذلك فقد تجرأ بعض المقيمين العامين أكثر من مرة على نفي واعتقال البايات ومحاصرة قصورهم بسبب عدم مسايرتهم لسياستهم.[1]

كما يختلف وضع تونس الثقافي -بناء على ما تطرقنا إليه- على وضع أختها الجزائر[2]، إذ أن الفرنسيين رغم أنهم حرموا تونس من الاستفادة من الصحف والمنشورات العربية والإسلامية الصادرة بالمشرق، لم يفلحوا في ذلك بنفس الدرجة التي أفلحوا بها في الجزائر، فبالإضافة إلى قيمة جامع الزيتونة الأعظم العلمية، فإن التونسيين لم ينقطع مددهم من الشرق فكانوا على اتصال دائم بمنشوراته خاصة منها الإصلاحية مثل

1- نفسه، ص. 40

2- بلحسن (عمار)، المشروعية والتوترات الثقافية، بيروت: م.د.و.ع، 1982 م، ص. ص. 320- 326

PDF Compressor Free Version

مجلة المنار لرشيد رضا[1]، وفي الحقيقة ليس هناك مجال للمقارنة بين الوجود الاستعماري في البلدين حيث أن الفرنسيين اعتبروا الجزائر جزءاً لا يتجزأ من فرنسا بينما تركوا للتونسيين شبح الباي بمثابة بصيص من نور لم يفقد بوجوده الأمل وإن كان مكموماً بكمامة الحماية وأوامرها اللاحقة.[2]

ومن هنا نأتي إلى بيت القصيد في إحداثنا للمقارنة بين القطرين مع تركيزنا على فضاعة الاستعمار في الجزائر وشناعته، مقابل توازنه في تونس، ينضاف إلى ذلك الاختلاف الأكيد في الموروثات الاجتماعية والثقافية والسياسية بين القطرين وميلها لصالح تونس، فالدلالة التي يمكن أن نستقيها من ذلك وهي التي جعلتنا نصف العلاقة بين القطرين بالخصوصية والتميّز رغم كل هذه الاختلافات المستجدة هو أن الجزائريين رغم ما تم سرده من عمليات الإخضاع والتدمير التي مسّت بنية وجوده الحضارية إلا أنهم كانوا من المبادرين للإسهام في تونس ومشاركة تياراتها المختلفة كما سنبيّن فيما بعد مما يعطي الانطباع بشكل جدي أن بواعث تميّز الصلة بين القطرين والتي فصلنا فيها في المبحث السابق كلها تشكل أحد العاملين اللذين أعطى للعلاقة بين القطرين

1- لطفي (عيسى)، مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن 17 م، تونس: دار سراس 1994م، ص. ص. 36-46، 54- 63.

2- للتوسع راجع: - مناصرية، الحزب الحر، ص. ص. 25- 26، - الزبيري، المرجع السابق، ص. 66

PDF Compressor Free Version

خصوصيتها، ثانيهما بلا شك مرتبط بالبناء الشخصي للفرد الجزائري ومتجسّد على العموم في ذهنية المجتمع الجزائري بأكمله وبصرف النظر عن الخصوصيات القطرية يمكن أن نتبين اتجاها عامًا ثابتًا في السياسة الفرنسية بالقطرين يتمثل في العمل الدؤوب على تحقيق هدفين متلازمين:

- **أولهما**: تسخير الجهاز السياسي لخدمة الأهداف التوطينية وفي مقدمتها المنافع المادية للجالية الفرنسية.

- **ثانيهما** : بعث كيانات استيطانية تابعة لفرنسا لغةً وتنظيمًا واقتصادًا.

فقد اقترن التوسع الاستعماري بجملة من التغيرات الهيكلية الأساسية في مستوى البنية الديمغرافية والاجتماعية التي شهدت تحولاً نوعيًا في مجالي النمو السكاني والتركيبة العمرية والعرقية، فيما أصبح التصنيف الاجتماعي يخضع شيئًا فشيئًا إلى مقاييس مادية بحتة أساسها الدخل ومستوى العيش وبالتوازي مع تغير المراتب الاجتماعية عرفت الجزائر كما في تونس صدمة الحداثة الاستعمارية، وهي ظاهرة ثقافية مجتمعية شاملة الأبعاد، برزت آثارها بصورة جلية في انتشار جملة من السلوكيات والقيم الغربية، ومع أن التأثير الأوروبي انحصر في مجالات محدودة فلم يطل إلا الشرائح المتعلمة من المجتمع فلا بد من الإقرار بأن

أطر العلاقات الاجتماعية قد شهدت تغيراً كبيراً في مجال أنماط العيش
PDF Compressor Free Version
والأذواق العامة ومراكز النشاط الثقافي والاقتصادي.[1]

وعلى هذا الأساس ساهم الاستعمار في احتداد الأسباب الجوهرية للتخلف وأبرزها الأمية والاستغلال والبطء في تأهيل الموارد البشرية الأهلية، إن فرنسا الهرمة بدلاً من أن تنظر إلى الحقيقة وتعترف بالواقع وتغير سلوكها فتجلب لنفسها العطف والتقدير، راحت تُلصق التهم بغيرها ظنًا منها أن تعنّتها وتمسكها باستعمارها ووقوفها لأجله ضد العدو والصديق والخصم والحليف سيضمن لها بقاء إمبراطوريتها كما هي، فإذا بالرأي العام العالمي ينقلب ضدها في هذه القضية[2]، يقول الكاتب السويدي الحر "جونار موللِيران" بتاريخ 1952/04/01: «مسكين مسيو بيني* الممثل لفرنسا الضعيفة الهرمة البعيدة عن كل بعث وازدهار ولقد أصبحت فرنسا المثال الأول لما للترميم من عيوب مضحكة، عن فرنسا -كبريطانيا- عرضة لازمة التناقض ولكننا بينما نرى الإنجليز يتبعون سياسة رشيدة أساسها المحبة المتبادلة واحترام التقاليد المتغايرة، نرى الفرنسيين يتبعون بالجزائر وتونس سياسة مبناها العنف، كأن فرنسا مازالت دولة قوية عسكريًا واقتصاديًا وأدبيًا».

1- الدقي، المرجع السابق ، ص. 140

2- البلهوان، المرجع السابق، ص. 08

* بيني: الرئيس المؤقت للحكومة الفرنسية.

PDF Compressor Free Version

وبما أن أساس أعمالهم هو الظلم، فمن الصعب أن نظن أن الخاتمة ستكون لمصلحتها وأن الفرنسيين يكونون إلى جانب من الذكاء لو أنهم قلّدوا الانجليز المتيقظين، ومن الغريب أن الفرنسيين الذين أظهروا تفانيهم في حب الحرية مدة الاحتلال الألماني لبلادهم هم نفسهم الذين لا يحترمون ذلك الحب عند غيرهم.

ج- عوامل الوحدة ومتغيرات الظرف والحال:

قد تصعب الكتابة حين نريد قراءة الخطاب الوحدوي المغاربي لدى الجزائريين، وقد تتعقد أكثر حين نستهدف استجلاء المغرب العربي الموحد ضمن بنايته كخطاب، لكن الثابت أنه على الرغم من حداثته وغموض مضمونه وعدم دقته، فإن الجزائري يحمل عناصر اعتبرت مع التواتر مكونات ثابتة ومنها:

- أن الوحدة لدى الجزائريين ممكنة لأن ماضي المنطقة وتاريخها المشترك وأيضًا لغتها ودينها ومعتقداتها، تتضمن من القوة ما يجعل منطق الوحدة هو الغالب على منطق الانفصال، فالمميز خلال هذه المرحلة هو المساندة والتضامن والتنسيق والتفاعل والعمل المشترك، فهذه كلها تعبيرات عن الوحدة وليست مجرد أشكال أقل قيمة من التوحيد.

PDF Compressor Free Version

- أن الوحدة عند الجزائريين كانت ضرورة لأن في المنطقة من الموارد والثروات ما يجعلها تتصدر مكانة خاصة ضمن التوازنات الدولية، حيث تقف في أكثر من مناسبة عند اقتناعهم بصلاحية هذا المدخل للتوحيد وإنجاز مشروع المغرب العربي الكبير.
- إن الوحدة لدى الجزائريين كانت حتمية، لأنها من صلب الوعي القومي ومكوناته ولأنها أيضًا هم مشترك لدى مختلف النخب التي تصدرت الواجهة السياسية والفكرية.

فالقومية والوطنية من أهم العواطف الاجتماعية وأسمى المشاعر الإنسانية التي تربط أبناء الأمة أو الوطن بعضهم ببعض وتدفعهم للعمل من أجل التضحية في سبيلها، والوطنية هي ذلك الشعور الباطني بالارتباط بالوطن والاعتزاز به فهي عاطفة حب أو تعلق الإنسان بوطنه، وهي غريزة طبيعية تدفع الإنسان إلى حب الأرض التي تعيش فيها والتعصب لها والذود عنها والتضحية في سبيلها.[1]

أما القومية فهي رابطة اجتماعية طبيعية بها ينتسب الفرد لأمة معينة وهذا الانتساب لا يتحقق فعلا إلا بإحساس الفرد بالانتماء للأمة

1- الغويل (سليمان)، الدولة القومية، ط4، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس 1990م، ص. ص. 45 – 46

PDF Compressor Free Version

والولاء لها[1]، فالوطنية والقومية من أهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من أجلها ويضحي في سبيلها، وبما أن حب الوطن يتضمن بطبيعته حب المواطنين الذين ينتمون إلى ذلك الوطن، فكذلك حب الأمة يتضمن كما الوطن حبا للأرض التي تعيش عليها تلك الأمة، لهذا السبب يتقارب مفهوم الوطنية من مفهوم القومية تقارباً كبيراً.

وبما أن للأمة عدة أشكال حسب تقسيم الحصري...[2]، فيبدو أن الأمة الجزائرية كانت تنتمي إلى الشكل الذي تكون فيه الأمة محرومة من دولة خاصة بها وتكون تابعة لدولة أجنبية عنها، وفي هذه الحالة تفرض الدولة الحاكمة على جميع أفراد الأمم الخاضعة لها "وطنية عامة واسعة النطاق" أي الوطنية الفرنسية، وتطلب منهم أن يرتبطوا بها وبسائر الأمم الخاضعة لها برباط هذه الوطنية وأن يخدموها بدافع هذه الوطنية أما القومية فتعارض ذلك وتولد في نفوس الأفراد نزوعًا إلى الاستقلال عن الدولة المذكورة، وتجعلهم يصبون إلى الانفصال عن الأمة الحاكمة ويسعون وراء تكوين دولة خاصة بهم فيحدث من جرّاء ذلك نزاع وخصام بين الوطنية التي تفرضها الدولة الحاكمة وبين القومية التي

1- أبو طالب (صوفي)، دروس في المجتمع العربي، القاهرة: دار النهضة العربية، 1966م، ص. ص. 22- 23

2- الحصري، المرجع السابق، ص. ص. 09 – 10

PDF Compressor Free Version

يشعر بها أفراد الأمة المحكومة، وهناك من لا يرى فرقًا بين الوطنية والقومية حيث ذهب إلى اعتبار الوطنية شكلا من أشكال القومية ومن هؤلاء "روبرت ماكفير، وشارلز بيج" فالقومية عندهما قد تقوم في أحد أشكالها على فكرة الارتباط بأرض الأدباء والأجداد.[1]

وإجمالاً فالوطنية لا تتعارض مع القومية، بل هي في الحقيقة قوة دافعة لها فمن فكرة الوطنية تقدم العقل المغاربي لفكرة القومية، بل لقد أصبحت القومية هي الأساس لتحديد مفهوم الوطن، وعليه فإن الجزائر خلال تلك الفترة جماعة يمكن اعتبارها ثابتة التكون تاريخيًا على أساس أرض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة، رغم أن النظام الاستعماري يفسدها وفي الحياة وفي النضال ضد هذا النظام الاستعماري وفي سبيل جزائر متحررة من قيودها تتطور الروابط القائمة بين مختلف عناصرها السلالية.[2]

جاء في خطاب لموريس توريز « أن ثمة أمة جزائرية آخذة في التكوين، هي أيضا في انصهار مستمر لأجناس مختلفة [3]» وبهذه العبارة توريز قد نفى أي وجود للأمة الجزائرية، حيث وأنها لم تتشكل إلا بعد الوجود الاستعماري بها وبداية أولى موجات الاستيطان حيث يذكر ليون

1- الغويل، المرجع السابق، ص. 50

2- ليون فيكس، المرجع السابق، ص. 40

3- نفسه، ص. 27

PDF Compressor Free Version

فيكس بعد أن يستند إلى تعريف ستالين للأمة والذي هو «الأمة هي جماعة إنسانية ثابتة، تكوّنت تاريخيًا ونشأت على أساس وحدة اللغة والأرض والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي- الذي يعبّر عن ذاته في وحدة الثقافة وفقدان عنصر واحد من هذه العناصر يكفي لكي تكفّ الأمة على أن تكون أمّة»، يقول: «وهكذا يتضح بأن الجزائر كانت عام 1830م بعيدة عن أن تملك صفة الأمة»[1]، لقد كانت مقاومة الغزو الفرنسي أول عنصر حاسم من عناصر الوعي الوطني الجزائري والنضال الذي خاضه الأمير عبد القادر ضد الجيوش الفرنسية، جامعًا تحت سلطته بلادًا شاسعة الأطراف، هذا النضال ولا شك عاملاً مهمًا جدًا في حركة الوعي هذه وهذا ما حدث أيضا، وإن كان على مستوى أدنى في جميع الانتفاضات التي برزت في حركة المقاومة الجزائرية المسلحة بعد استسلام الأمير عبد القادر.

فتاريخيًا ليس هناك شك في أن الدولة الجزائرية قد وُجدت، فأغلب مؤرخي الدولة الوطنية في الجزائر، يجهدون أنفسهم وتحليلاتهم، ولو في نزعة إيديولوجية مناهضة ومضادة للمدرسة التاريخية الاستعمارية في إظهار مؤسسة سياسية ما قبل كولونيالية، كانت تملك

1- خير الدين (شترة)، إسهامات جزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية، ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة: 2002 – 2003 م، ص.171.

PDF Compressor Free Version

مشروعيتها الدينية ضمن الإمبراطورية والخلافة الإسلامية العثمانية، ويحاولون بمقاربات جدالية عرض الشخصية الدولية لجزائر ما قبل عام 1830م والعمق المجتمعي لها اقتصاداً زراعياً مزدهراً، وتنظيمات قبلية تابعة أو مستقلة عن المركز السياسي، وعلاقات دبلوماسية واعتراف دولي وقوة بحرية في حوض المتوسط، إن كثيراً من هذه الخطابات التاريخية هي محقة في ذلك، غير أن تكرار الحديث عنها هل كانت دولة بحدود أم بتخوم ؟ هل كانت دولة بسلطة أم بسلط ؟ إلى غير ذلك من الأسئلة هو في حد ذاته تشكيك في وجود الدولة الجزائرية قبل عام 1830م.[1]

الأكيد أنه كان هناك تخلف ما قبل كولونيالي، وتأخّر تاريخي في البنى الاجتماعية القديمة وعتاقة في العلاقات الإنتاجية وتجمد في مسيرة الإنسان الجزائري وثقافته التي توقفت في بنى ذهنية عتيقة ستعمق وتضخم انعزالها وانقطاعها في التجربة الاستعمارية الفرنسية، ويجب التأكد هنا من باب تبرير ما ذهب إليه ليون فيكس أن الإنغراس العنيف للمؤسسة والنظام الاستعماري الفرنسي[2] وشراسة التهديم المنسق الذي مارسته على الهياكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية من بداية الاحتلال حتى الحرب العالمية الثانية، أدت إلى ظهور بنية مجتمعية

1- نفسه.

2- حمدي (حافظ) والشرقاوي (محمد)، الجزائر، مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، ب.ت، ص. ص.35 – 40

PDF Compressor Free Version

واقتصادية جديدة قد تناقض في مجملها مجتمع الجزائر ما قبل عام 1830م، فالإنسية الجزائرية هي في تكوينها منفتحة على عناصر جديدة (الإسلام – العروبة) مغتنية ومتجددة بهما من جديد « غير أن الجزائري لم يكن ليرضى بأن يكون في مؤخرة القافلة العربية أو بعيدًا عن مركز القيادة منها »[1] ومن المرجح أن شعب الجزائر، كان قد استكمل هذه الخصائص بعد نجاح الفتح العربي وتأكّدت هذه الخصائص بعد فشل الحكم التركي، ولم تتكوّن له وحدة قومية كاملة عند الفتح الفرنسي- لأسباب أهمها.

❖ أن نظام القبائل كان قوي النفوذ وأن العلاقات القبلية ظلت سائدة بين الكثير من السكان وانفصلت الجزائر اقتصادياً فلم تربط بينها سوق واحدة ولم يتكوّن للجزائر مجتمع يسود في داخله تقسيم العمل الاجتماعي، ولذلك ظل الوعي الوطني متأخراَ واهيَا، وزاد الاستعمار الفرنسي في إذابة مقومات الشعب الجزائري وردّد على أسماعه أن الجزائر في الحقيقة هي فرنسا فقام بإنشاء إدارة فرنسية وكبت حريات الشعب الجزائري وتحطيم معنويات الشعب وتفْتيت وحدته وإقناعه بأنه ليس شعباَ قائمًا بذاته[2]، وفي المقابل طبّق سياسة التجهيل والإفقار، ولكي تتمكن

1- بلقريز، المرجع السابق، ص. 47

2- حمدي والشرقاوي، المرجع السابق ، ص. ص. 36 – 39

PDF Compressor Free Version

السلطات الاستعمارية من تأبيد حالة التعبئة في أوساط الجماهير الجزائرية ومن إبقائها في دائرة التخلف فإنها كانت تطبق بكل دقة مبدأ "فرق تسد"، فالجزائر لم تعرف الاستقلال في تاريخها ولم يكن فيها شعب واحد ولا هي قادرة على العيش بدون وصاية أجنبية، أما سكانها فأجناس مختلفة وقبائل متناصرة متناحرة.

لقد استطاع المؤرخون الفرنسيون أن يغرقوا المكتبات بما مفاده، أن العناية الاستعمارية قد جعلت من الجزائريين أمة في طور التكوين أهم عناصرها هم العرب واليهود الأوروبيون، ولأنها لم تكن موجودة من قبل فإنه لا يحقّ لأبنائها أن يموتوا لكي تُبعث من جديد، كما أكّد ذلك السيد فرحات عباس في جريدة الوفاق بتاريخ 1936/02/23م[1] وفي نفس هذا المعنى كتب السيد "بيار مونتانيون" «.. أن فحص ألفي سنة من تاريخ المغرب الأوسط يجعلنا نؤكّد عجز الشعب الجزائري عن بناء أمة وإنشاء حضارة، لقد تساءل المؤرخون حول ذلك فلم يجدوا أثرًا للدولة الجزائرية ولا لثقافة خاصة تتميز بمؤلفاتها الأدبية وآثارها الفنية إن تاريخ الجزائر فارغ مثل أرضها التي ليس فيها سوى آثار الآخرين ».[2]

1- الزبيري، المرجع السابق، ص. 66

2 - Pierre (Montagnon), La guerre d' Algérie génèse et engrenage d'une tragédie, Paris: Ed pymalion.1984. P.29

PDF Compressor Free Version

ولم يقف "مونتانيون" عند مجرد الادّعاء بل إنه حاول إيجاد أسباب للفراغ وللموت المذكورين وفي نظره فإن ذلك يرجع إلى كون الجزائر لم تُنجب أبطالاً يوحّدون شعبها ولا شخصيات علمية وثقافية وسياسية قادرة على إحداث التغيير والتطور التاريخيين.. ومن الواضح أن في ذلك تكمن أسباب التبعية التي عاش فيها الجزائريون والتي دامت مدة ألفي سنة.[1]

إن كل هذه الأوضاع اللاطبيعية هي التي استهدفت سياسة جبهة التحرير الوطني تغييرها جذرياً واستبدالها بما يمكّن شعب الجزائر ليس من استرجاع الاستقلال الوطني فحسب ولكن في المقام الأول من استعادة مقوّمات الشخصية الوطنية التي لا بدّ منها لبناء صرح الدولة الجزائرية التي قوّضت أركانها جيوش الاحتلال عام 1830م.[2]

لا ريب أن الظاهرة الأكثر بروزاً في التاريخ والواقع المجتمعي القريب والآني لبلدان المغرب المعاصر هي طموح الحركات الوطنية والقومية وحماسها واندفاعها لتأسيس أو إعادة إنشاء دول حديثة شكلت وتُشكل حجر أساس البناء الوطني، ومسار تكوين الأمة العصرية، فذلك المشروع السياسي البديل والمناهض للمؤسسة الاستعمارية ونظامها ظهر

---

1 – Ibid, P.10

2– الزبيري، المرجع السابق، ص. 68

PDF Compressor Free Version

كأنه دولة مضادة تجسّد عملية نهوض الأمة وإعادة تبنّيها بطريقة وكيفية جديدة أكثر مما هو مجتمع جديد يحمل علاقات اجتماعية وسياسية مختلفة وعصرية[1]، « فلقد كثُر الحديث عن الحركة القومية في شمال إفريقيا، ولكن قلّما وجدنا من اهتم بتحديد خصائصها كحركة أهلية محلية نبعت من صميم واقع البلاد.. ونجمت عن تطور تاريخي وطني أصيل فهناك ميل لدى الكثير إلى اعتبارها "دخيلة" على البلاد وجعل -العوامل الخارجية- مسؤولة عن نشوء الحركات القومية المغاربية، والحقيقة أن هذه الأخيرة مختلفة في طبيعتها عن حركات الشرق نظرًا لاختلاف أسباب نشوؤها ».[2]

لقد نجحت النّخب التي قادت مسيرة الحركات الوطنية طيلة المرحلة الاستعمارية في أن تستميل المشرق لمعانقة القضية المغربية سياسيًا وإعلاميًا، وتمكنت أيضًا من توظيف هياكل التنسيق والنضال المشترك، لخدمة المسألة الوطنية، الاستقلال والتحرر، لكن الذي تعثّرت في إنجازه هو إسهامها في خلق وعي قومي وحدوي حقيقي، ولا شكّ أن عامل الاستعمار الفرنسي كان من العوامل الطارئة التي زادت في تماسك أهالي المنطقة وفي حتمية الوحدة وضرورة الجهاد والنضال المشتركين،

1- بلحسن عمار، المرجع السابق ، ص. 317

2- الأشرف، المصدر السابق ، ص. 75

PDF Compressor Free Version

فقد كان أحد غُلاة الاستعمار البرلماني الفرنسي "أوجين أتيين" يقول: «إن الأساس الأول لحقوقنا هو الجزائر، إن الجزائر قادتْنا إلى تونس وينبغي أن تقودنا إلى مراكش»[1] وهذا يدل دلالة واضحة على قوة التماسك والترابط بين الأقطار الثلاثة، فقد جاء في رحلة سعيد أبي بكر إلى الجزائر عام 1920م التي نشرها بجريدة لسان الشعب بعنوان (شهران في عمالة قسنطينة)، « شرع الرتل في المسير وبعد عشرين دقيقة على الأكثر كنا في التراب الجزائري، وليس هناك أدنى علامة تفرّق بينه وبين ترابنا وليس من السهل على الإنسان أن يُدرك الحد الفاصل لو لم يكن معه مرشد، وليس من الإنصاف عندي أن يكون هناك شيء يسمى بالبلاد التونسية وآخر يُطلق عليه إسم البلاد الجزائرية وهما في الحقيقة شيء واحد... وما كدنا نصل إلى سوق أهراس حتى خُيّل لي أننا في محطة من البلاد التونسية.. ومن هناك تبدّدت تلك الصورة التي انطبعت عل مخيلتي (من قبل) وأخذْت أدرك أننا شعب واحد خلقنا واحدة وعوائدنا واحدة، إلا أشياء ثانوية هي أصغر من أن تُعد وتُحسب».[2]

1- خير فارس (محمد)، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، دمشق: جامعة دمشق، 1972م، ص. ص. 43

2- الجابري (محمد الصالح)، رحلات جزائرية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص. ص. 77 – 78

PDF Compressor Free Version

وقد كتب بـن العقـون في مذكراته[1]، مستنكراً من الواقع الذي ينفـي الوحـدة بـين الشـمال الإفريقـي ويوغـل في الحـديث عـن بعـض الخصوصيات القطرية التي لا أسـاس حضـاري لهـا مـا يـلي: «مـا يسـؤونا بوجه خاص هو ما نراه فاشياً بين طبقاتنـا الشـعبية في شـمالنا الإفريقـي، فالشرقي مثلاً هو عند العامـة في الجزائـر ومـراكش كـل تـاجر مـن أهـالي الجنوب التونسي لا يستحق التقدير، وهو أن تتعرف إليه فإنما على قاعدة "براني"، أجنبي حقـير، كـما أن الغـربي عنـد عامـة تـونس وهـو الجزائـري والمغربي ليس هو من ذوي الإنسانية الكاملة وأن تتعرف عليه فإنمـا عـلى قاعدة غربي شرير، وهي نزعـة اسـتعمارية كثـيراً مـا فرّقـت بـين شـعوبنا الشقيقة ونوبة سخيفة طالما نخرت هيكـل وحـدة أمتنـا في هـذا المغـرب العربي ولئن ظلّت هذه الظاهرة المؤسفة مسيطرة مدة طويلة مـن الـزمن وتعدّت من العامة إلى الخاصـة، فقـد بـدأنا نـرى الـوعي يعـاود الأفكـار، وصرنـا نسـمع ذيـوع عقيـدة "الوحـدة المغربيـة"، وأخـوّة شـعوبها التـي جمعت بينها عوامل كثيرة.. والتي لم تفصل بينها إلا حدود وهمية أقامهـا الاستعمار وحافظ عليها حتى رسـخت في الأرض والعقـول... لقـد حضرـت واقعـة أثلجـت صـدري وزرعـت روح الأمـل في قلبـي كنـت يومًـا بحـمام قربص بالقطر التونسي للاستشفاء وإذا بأحد مـن عامـة الجزائـريين يلقـى

1- نفسه، ص. 60

PDF Compressor Free Version

عليه القبض بسبب تعديه على بعض المارة وكان مخموراً وأخذ الشرطي الذي قبض عليه يوبّخه حتى قال له: ألا تستحي أنتم المغاربة بصفتكم "برانية" أجانب ثم ترتكبون الخبائث وتعتدون على الناس فكان جواب ذلك المخمور وهو يتلوى -لما كانت ولا شك عقيدة الوحدة تختم في فكرة -لست براني هنا بل أنا هنا في بلدي! وإنما الأجنبي هو ذاك، وأشار لأحد الأوروبيين كان جالسًا في المقهى.. أقول أن هذا المظهر من رجل سكير دليل أي دليل على وجود روح لوحدة في شعبنا.[1]

ويبدو أن الأمير عبد القادر (1808- 1883)م قد تنبّه مبكرًا في مقاومته (1832- 1947)م إلى ضرورة وحدة وتضامن دول المغرب العربي للدفاع عن نفسها، ذلك أن استعمار الجزائر كان يهدّد ضمان استمرارية الدولتين المغربية والتونسية معًا فحاول ربط علاقاته مع سلطان المغرب باي تونس هذه الأخيرة التي صدمها احتلال الجزائر **فشرعت** في إصلاح شؤونها بمساعدة فرنسا، وعندما التفت الأمير عبد القادر إلى تونس، لم يلْق التأييد من الجانب **التونسي** الرسمي، رغم أنها قدّمت بعض الخدمات المتأخرة جدًا للأمير عبد القادر ولكن بعد انتهاء مقاومته وسجنه وإقامته في دمشق، كما لم تلق المقاومة الشعبية التي واصلها الجزائريون بعد الأمير أية إعانة أو مساعدة من طرف البايات والوزراء

1- نفسه، ص. 61

PDF Compressor Free Version

والـولاة، فقـد كانـت مـواقفهم سـلبية إلى أبعـد الحـدود وفي غـير صـالح المقاومـة المسـلحة الجزائريـة إلى سـنة احـتلال تـونس (1881م)[1]، وهـذا بخلاف الشعب **التونســي** الـذي وقـف بمثقفيـه وقبائلـه إيجابيًـا وكانـت عاطفته ملتهبة مع المقاومة الجزائريـة فقـدّم العـون والمسـاعدة والتأييـد رغـم معارضـة حكامـه[2]، أمـا الجزائريـون مـن جـانبهم فـإنهم كـانوا ضـد الاحـتلال الفرنسي- لتـونس لأنهـم كـانوا يعتبرونهـا امتـدادهم الطبيعـي وملجـأهم الآمـن مـن مطـاردة الفرنسـيين.. فعنـد احـتلال تـونس رفعـوا السلاح إلى جانب إخوانهم التونسيين للدفاع عنها.

وفي خضم هذه المعطيات الجديدة على السـاحة المغاربيـة بـدأت بـوادر الوحـدة بـين الشـبان المغاربـة في إطـار فكـرة الجامعـة الإسـلامية وبخاصة مـن طـرف الشـبان التونسـيين والجزائـريين فقـد ذكـرت إحـدى الدراسات[3]، أن علي باش حامبـه أجـرى اتصـالات مـع الشـبان الجزائـريين خلال سنة 1911م من أجل تكوين جبهـة مشـتركة، ورغـم جهلنـا للشـبان الجزائريين الذي اتصل بهم، إلا هناك من ذلك أن التحاور بين الشبان كان

1- بوعزيز (يحي)، " دور تونس في دعم حركات التحرر الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881م"، الثقافة، ع70 ، الجزائر، 1982م، ص. ص. 45 – 57

2- نفسه.

3 - CAGNE (j), " Sur les Relations du Maroc et de Turquie au début du (XXsiecle): Une nouvelle Approche de Mouvement Jeune Marocain " In. R.H.M n° 39-40, Tunis : dec 1985. P.P. 219-224

PDF Compressor Free Version

جارياً إثر الأحداث الدموية بمقبرة الجلاز بتونس، حول إمكانية عقد مؤتمر إسلامي كبير لكل إفريقيا الشمالية، في شكل جمعية تأسيسية ستضع أمة شمال إفريقيا[1]، ومهما يكن فإن "الجبهة المشتركة لم تتم" كما لم يعقد "المؤتمر" بسبب حل حركة الشبان التونسيين، ونفي زعمائها، لكن الأعمال في سبيل وحدة النضال في المغرب العربي تواصلت في المشرق العربي في ظل معطيات جديدة طارئة.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى أصبحت آمال المثقفين الجزائريين معلّقة على الوفاق بين الدولة العثمانية وألمانيا، ومن هنا تولد أفكار ومحاولات وحدوية سواء على مستوى الساحة المغاربية أو في المهجر لدى النخبة المغاربية ونشير إلى أن حركة روّاد الاتجاه الوحدوي **التونسي** الجزائري في المهجر كانت أكثر تنظيماً في حين كانت الأفكار والأعمال الوحدوية على الساحة المغاربية منذ تفرقه وأحيانا مبادرات فردية مبتورة، وتزامنت اتجاهات الوحدة في المغرب العربي مع حركة سياسية عالمية في المهجر بأوروبا، أنشأت جمعية سياسية سميت نجم شمال إفريقيا، ظهرت رسميا في سنة 1926م، وكان الهدف الرئيسي-

---

1- للتوسع يراجع :

- DEPARMET (J), "Contribution à l'histoire Contemporaine de l'Algérie La politique des Oulémas Algériens", In H.F, n° 07, Jui 1937. P.354 - GILBERT (M), L'Algérie Réveillée, Genève: Librairie Droz 1981. P. 249.

PDF Compressor Free Version

والأساسي لهذه الجمعية هو وحدة النضال المغاربي لاستقلال بلدان المغرب العربي الثلاثة.

والملاحظ أن النجم قد وضع كذلك وحدة المغرب العربي كإطار للنضال المشترك في المادة الرابعة، إذا تمّ إقرار برنامجين في إستراتيجية لكل بلد وفق ظروفه الجغرافية والتاريخية والاقتصادية والسياسية الخاصة به وبرنامج بعيد المدى للبلدان الثلاثة تمثل في "الاستقلال الكامل"، كما ورَد في المادتين الخامسة والسادسة أن النجم يسعى إلى تأسيس "منظمات وطنية ثورية" وإلى توحيد الحركة الوطنية الثورية لشمال إفريقيا، أما المادتان السابعة والتاسعة فنصّتا على أن النجم يساند كل الجمعيات المغاربية التي لا تتنافى مع أهدافه[1]، لقد بقي الإيمان بخصوصية الشخصية المغاربية، وبضرورة النظر في أساليب حل مشكلة أقطارها على قاعدة هذه الخصوصية هو الطابع الغالب على نضاليته هذا التنظيم حتى تاريخ تحوّل النجم إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1937م.[2]

ولغاية عام 1936م كانت فكرة نجمة شمال إفريقيا الوحدوية تؤكد نفسها دون تردد ولم تكن تعني الوحدة في النضال وحسب، بل

1- قنانش وقداش، المصدر السابق ، ص. ص. 70 – 76

2 - ADRRON (E), "L'étoile Nord Africain et le Modèle Communist Elements d'une Enquête Comparative". In Cahier de Tunisie t29. n117. P.P. 199-235

PDF Compressor Free Version

أيضا خلق هوية مغربية عربية، وها هو سي الحبلال مدير جريدة الأمة يدعو في(1934/09/03م) المغاربة إلى النضال من أجل "ولايات شمال إفريقيا المتحدة" لكن منذ جويلية 1935م أكّد البعد الوطني نفسه بوضوح فقد صرح معالي: «يجب أن تكون الجزائر للجزائريين وبعد ذلك سنساعد تونس والمغرب، "إلا إذا لم يحدث العكس"».[1]

وهكذا فإن الهدف الأول للنجمة هو تشكيل "إرادة سياسية واحدة" تنتقل إلى الدرجة الثانية وذلك ما يؤكد عليه صالح المثلوثي يقوله: « غالبًا ما قدمت النجمة مطالب عامة لكل إفريقيا الشمالية لكن لأول مرة يوجد تأكيد صريح على الطابع الانعزالي لنضال كل شعب من شعوب إفريقيا الشمالية من أجل استقلاله..»، وكان عيماش عمار وحده ضمن قيادة النجمة الذي واصل المطالبة بالنضال من أجل استقلال الشمال الإفريقي كبديل عن التحالف مع أحزاب الجبهة الشعبية.[2]

وفي عام 1937م عندما أعلن الدستور الجديد الإضراب العام احتجاجًا على توقيف القادة الجزائريين، كان واضحًا أن البعد المغاربي للأحزاب الوطنية لم يكن إلا ورقة رابحة لتعبئة الجماهير في إطار الحدود الوطنية (القطرية)، ومن عام 1937م إلى عام 1947م، دخل المغرب العربي

1- م.د.و.ع، وحدة المغرب العربي، ص. 74

2- المالكي، الحركات الوطنية، ص. 299.

PDF Compressor Free Version

منطقة العواصف في غربة القوى الغربية العظمى، وهكذا توقّفت الروابط بين المنظمات المغربية ويجب انتظار نهاية الحرب لكي تستعاد من جديد.[1]

وبعد سنتين من تأسيس النجمة تكون تنظيم ثاني سمي (بجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين عام 1928م)..[2] إن القراءة المتمعنة لمحاضر أشغال مؤتمرات الجمعية عامة وعلى الأخص مؤتمرها الثاني المنعقد بتاريخ 1935/08/25م، لتؤكّد أهمية الموضوع المركزي الموحد لفصائل هذا التنظيم الحفاظ على الهوية المغربية دينا ولغة وثقافة وتربية وتعليمًا وأخلاقًا..

على أن أهداف هذه الجمعية ظلت مطبوعة بطابع مغاربي واضح مستمر مجسدة وحدة العمل من أجل التحرير ومبلورة فكرة المغرب العربي وعاملةً بوحي منه، حيث سيظل هؤلاء الطلبة يحملون فكرة المغرب العربي التي سرعان ما سيرتفعون بها من مجرد التنسيق في دائرة العمل السياسي الظرفي إلى مستوى التنظير والتأسيس الواعي، حيث نصّ البيان الختامي لمؤتمره الخامس -الذي انعقد بتلمسان في نوفمبر 1935م- « على أنه يجب أن لا يقال أننا نعمل على إنشاء وحدة مفتعلة،

1- م.د.و.ع، وحدة المغرب العربي، ص. 75

2- طالع الفصل الرابع من الباب الأول من هذه الدراسة.

PDF Compressor Free Version

كلا وألف كلا، إننا لا نعمل إلا على بعث وحدة عتيدة سجلها التاريخ وهو ضامنها».[1]

وبعد الضغط الذي مارسته سلطات الاستعمار قصد إفشال أنشطة هذه الجمعية في سنة 1936م، بادر شاب وطني جزائري هو عبد الرحمان اليعلاوي إلى تأسيس جمعية شباب الشمال الإفريقي والتي تشترط في عضويتها «الاعتراف بأن شمال إفريقيا وحدة لا تقبل التجزئة» وأنه «وطن يجب على أبنائه تكوين جبهة واحدة للدفاع عنه».[2]

بالرغم من كل اختلافات النظرية حول مسألة التعقيب السياسي لمسيرة الحركات الوطنية بالمغرب العربي نلاحظ على أن تأسيس هذان التنظيمان واكبته حقبة محددة في الوعي السياسي للحركات الوطنية، إنها مرحلة العشرينات وبداية الثلاثينات التي خلالها تصدّرت واجهة العمل الوطني شرائح ريفية غير مدنية تعتمد المواجهة المسلحة أسلوباً في المقاومة وتستبعد في ذات الوقت طرق المفاوضات مع المستعمر[3]، وفق هذا التحديد أصبح العمل المشترك من خلال تنظيماته المبكرة، يعني

1 – Julien, L'Afrique Nord, P.23

2 –Julien, L'Afrique Nord , P.24

3– م.د.و.ع، وحدة المغرب العربي، ص. 80

PDF Compressor Free Version

النضال من أجل صيانة الذات ثقافيًا، فكريًا وروحيًا، بعنى الدعوة لمقاومة الآخر بحجة الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية.[1]

لقد كان ابن باديس يؤمن أن المغرب العربي هو وحدة قائمة بذاتها وأنها جزء من الأمة العربية ويجب أن تنظم إلى الجناح الأيسر من العروبة بعد استقلالها لتكوين الوحدة العربية فهو يقول في إحدى خطبه :«...أنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي لأنني أومن بأن هذا الشمال لا ينهض إلا بتضامنه مع بعضه بعضا.. وما هذه كلّها إلا وطن واحد ذو لغة وعقيدة وآداب وأخلاق وتاريخ ومصلحة مشتركة ثم هو الوطن العربي الإسلامي».[2]

وما يجب أن نَلحظه هنا هو كيف يميل الجزائري ولنقل الشيخ ابن باديس على سبيل المثال في هذه العبارة إلى الإعلان عن الانتماء العربي للبلاد وللشعب في الوقت نفسه الذي يعمل فيه على تعزيز الشعور الوطني الجزائري وكيف تختار الوطنية الجزائرية أن تكون عربية دون أن تفقد نفسها (قطريتها).

لا شك أن الخطاب القومي التقليدي لن يستسيغ هذه المعادلة لأنها تقوم على حدين متنافرين (قطري/قومي)، لا يمكن الواحد منهما إلا

1- زنيبر، المرجع السابق، المستقبل العربي، ع 79، ص. 55

2- خيرية، المرجع السابق، ص. 160

PDF Compressor Free Version

أن يلغي الأخرى لكنها في حالة الجزائر معادلة توافقية ومردّ ذلك إلى ظروف التطور التاريخي والسياسي الحديث.

فالانتماء القومي في الجزائر لا يلغي الرابطة الوطنية القطرية بل تعززها عكس نظرة المشارقة لهذه الجدلية، ذلك أن السبب يرجع إلى جذور تكون فكرة القومية العربية في كل منها، فيما تأسست فكرة القومية في بلاد الشام مثلاً على رفض الدولة القطرية المستحدثة في مجال طبيعي تاريخي واقتصادي واحد كان يطمح أهله إلى إنشاء دولة "عربية واحدة" قامت فكرة الوطنية في الجزائر أو في المغرب العربي عموما على المطالبة باسترجاع سيادة الدولة الوطنية القائمة ضمن حدودها السابقة على الحدود التي فرضها الاستعمار الفرنسي.[1]

إن الشاعر الجزائري صوّر إحساسه بقضايا المغرب العربي.. وكان صادقًا في إحساسه لأن شعوره كعربي جعله يحسّ بواقع الأحداث، وكأنها وقعت لها، ولم ينس المناسبات السياسية والثقافية والاجتماعية التي لها صلة بقضايا أقطار المغرب العربي وهنا يعرض محمد العيد لتقسيم شمال إفريقيا إلى ثلاثة أقطار بما نصّب الاستعمار من حدود وهمية بقصد التفرقة قائلا:

كفى الآلي قالوا (الشمال ثلاثة) *** ودعو إلى إذلاله بالنار

1- بلقريز، المرجع السابق، ص. 55

PDF Compressor Free Version

نصبوا العصى على الحدود سفاهة *** وسعوا إلى توزيعه لفرار

والمغرب العربي شعب واحد *** ملء العروق دم العروبة جاري

ثم يرسم صورة للمغرب العربي، وكأنه طائر قلبه الجزائر، وجناحاه المغرب وتونس، وهذه الصورة ترددت في أشعار الكثير من الجزائريين وغيرهم ويلحّ الشاعر هنا على وحدة المغرب العربي:

المغرب العربي أنت جناحه *** حرك جناحك يصعد المنطاد

ولتشهد الدنيا هنالك وحدة *** جبارة تفتح لها الآباد[1]

ولكن بعض المتأخرين من الزعماء سعوا إلى أن تكون المقاومة الأخيرة قطرية بدعوى اختيار كل جماعة للظروف المواتية لهم، لقد كان هذا الموقف موقفًا رسميًا، لكن الموقف الشعبي كان خلاف ذلك تماما كان موقفا طبيعيا، فقد كانت وحدتهم تظهر جلية واضحة ومواقفهم منسجمة متكاملة حتى في مقاومة الظواهر الطبيعية القاسية التي كانت تجتاح أقطارهم من حين لآخر، ففي سنين الجد والجفاف وتضاؤل المراعي في قطر من الأقطار كانت القبائل تهاجر إلى القطر المهاجر بسوائمها، وتشارك جارتها فيما توفر لديها من خيرات وتعيش وإياها في تصاف وتوادد منقطع النظير، أما إذا غزا غازي بلدًا من بلدانهم فإن صدى هذا الغزو يتردد بكل قوة في بقية البلدان وسرعان ما ينطلق

1- ركيبي، قضايا عربية، ص. ص. 20 – 121

PDF Compressor Free Version

المتطوعون، يتم التعاون بكل تلقائية من غير أن يحثّ عليه أو يدعو إليه مسؤول، بل هو تجاوب شعبي تلقائي[1]، هذه هي الروح التي كانت تضلل منطقة المغرب العربي زمن السلم والحرب وأيام الخصب والجدب، كانت روح التعاون والتضامن والوحدة تسود بينهم حتى جعلت منهم جسمًا واحدًا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما يقول عليه السلام.

لقد وقف بُناة المغرب العربي موقفًا واحدًا من الاستعمار الأوروبي الحديث فاختلطت دماء التونسيين والجزائريين لمحاربة الاستعمار الفرنسي، فكانت الأرض التونسية دائمًا امتدادًا وخلفيةً للجبهة الجزائرية، كما تطوّع آلاف التونسيين في الثورة الجزائرية، واستشهد منهم كثيرون في ساحات الشرف والحرية.

غير أن الجابري له وجهة نظر أكثر دقة قائلا: « إن وحدة المغرب العربي كانت تعني في أذهان النخبة السياسية والفكرية أثناء فترة الاستعمار وحدة العمل وليس وحدة الهوية، ولا يجوز أن نستثني من هذا قرار توحيد المغرب العربي الصادر عن مؤتمر طنجة فهذا القرار حتى وإن لم يكن موجهًا بكيفية صريحة ضد الآخر الجديد الذي ظهر في

1- الزريبي (الهادي)، ثورة (1915 – 1918 ودورها في تحرير المغرب العربي، تونس: مطبعة الخدمات السريعة، 2002م، ص. 18

PDF Compressor Free Version

المشرق (وحدة مصر وسوريا مثلاً)، فهو بكل تأكيد موجّه ضد "الآخر" التقليدي: الاستعمار الفرنسي»[1]، وهذا ما عبّر عنه الأستاذ عبد الحميد مهري قائلا: «أن قرارات مؤتمر طنجة ترمي في معظمها إلى مساندة الجزائر على تحقيق استقلالها واستكمال تونس والمغرب شروط سيادتهما كاملة..».

وعندما سُئل عن المؤسسات التي أقرّها المؤتمر المذكور كالمجلس الاستشاري للمغرب العربي قال: « أنه لم يتحقق شيء من هذا لأن هذه القضية الهامة لم يوليها المؤتمر عناية كافية عند بحثها».[2]

إذن مؤتمر طنجة (1958)م –كمثال للعمل المغاربي الموحد بين نخبة الأقطار الثلاثة– كان تعبيراً عن الوعي نفسه الذي ظل سائدا من قبل، وإفصاحًا عن أقصى ما يمكن أن يبلُغه هذا الوعي من التطور، وأستطيع أن أقول إنّ وحدة المغرب العربي لدى بعض النخب في فترات متباينة كانت مجرد شعار تضرب به مواعيد معلومة وأهم هذه المواعيد كانت مؤتمرات جمعية طلبة شمال إفريقيا كمؤتمر تلمسان عام 1935م ومؤتمر عام (1937 م) الذي ترأسه أعضائه من النجم، وهو ما عبّر الأستاذ مصطفى الأشرف قائلا: « عن نشوء الشعور الثوري لدى جماهير الشعب

1– م.د.و.ع، وحدة المغرب العربي، ص. 23

2– نفسه، ص. 24

PDF Compressor Free Version

كان بدعوى العاطفة وحب الخير لا الوعي السياسي الخلاق، بعبارة أخرى فإن الفكر القومي التقليدي الذي كان يوجّه المواطن الجزائري -من حيث لا يشعر- هذا الفكر لا يجد ما يغذي به الشعور الثوري القومي سوى بالمواقف المفتعلة والشعارات الغامضة والحلول المرتجلة والألفاظ الجوفاء والعلاقات الأخوية العقيمة، ذلك أنها تصدر في أعمالها عن وعي ضعيف وخوف من المسؤولية ».[1]

عموماً فإن الوعي الجزائري -الذي تحدّثنا عنه سابقا- بضرورة المساهمة والتضامن نشأ عن خلفية ثقافية مضمرة في الشخصية الجزائرية وبما أن ثقافية فهي بالتالي لا تدفع به بالضرورة إلى أن يكون وعيًا سياسيًا والذي هو في الأخير وعي بقضية الوحدة والتوحد السياسي، فإنه لا ينصرف كلية عن التفكير في الوحدة فهو: «وعي يؤسسه شعور وإيمان بقيام نوع من الوحدة هي أساسا وحدة العقل الثقافي والإطار الحضاري»[2] وهي وحدة ليست غير ذات قيمة بل لقد شكلت رهان الوحدة السياسية وخلفياتها العميقة المؤسسة.[3]

1- الاشرف، المصدر السابق ، ص. ص 34-36 ، راجع أيضا: المالكي، الحركات الوطنية، ص. ص. 58-63 ، 84 – 101.

2- الجابري (محمد عابد)، المرجع السابق، ص. ص. 33 – 34

3- راجع: بلقزيز، المرجع السابق، ص. 17

PDF Compressor Free Version

إن الوعي القومي في الجزائر نشأ دون صدام مع الوعي الوطني وهذا خلافًا للوعي القومي الذي تأسس - في **المشـــرق** - ضد الوعي الوطني (القطري)، هذا الذي ننظر إليه دومًا بصفته النقيض الموضوعي لذاك -إن هذا التعايش- بين الوعي القومي وبين الوعي الوطني في الجزائر يضفي سمات خاصة على قومية الجزائريين.

وأود أن أرفع التباسًا قد ينجم بسبب عدم التمييز بين التضامن القومي المرتبط بظرف سياسي معين، والوعي القومي في مجتمع عربي معين كتجربة اجتماعية سياسية تاريخية، وكفكر انغرس في صلب الفئات الاجتماعية المتصارعة داخل المجتمع بدرجات متفاوتة ولكن الانتماء للعروبة حاصل، وبين هذه الفترات المعينة التي ينحسر فيها المد القومي العربي نتيجة لبعض الظروف السياسية القائمة، والتي تشكل سببًا مباشرًا لدفع هذا القطر أو ذاك للتضامن مع القضايا القومية.

غير أن النظرة التاريخية الإسلامية في ضبط محتوى القومية على التحليل الاجتماعي قد تغلّبت لدى النخبة الجزائرية، وليس ذلك من باب الصدفة، فلقد وردت الجنسية العربية على أرض المغرب الكبير في جحافل الفاتحين من دعاة الإسلام، ولقد توطّدت اللغة العربية في هذه الديار وغلبت اللغات الأهلية لأنها لغة القرآن وتركّز مذهب الإمام وعمّ الشمال الإفريقي لأنه أقرب المذاهب تمسّكا بالكتاب والسنة.

PDF Compressor Free Version

ولما تكوّنت الحركة الوطنية في مطلع القرن العشرين فإنها كانت تتمسك بالقيم الدينية الإسلامية لا بمبادئ القومية العربية، وهي لم تتوضّح معالمها في ذلك العهد، فلقد كانت جمعية العلماء تعمل بروح الإسلام على أيدي ابن باديس وتنادي بالتعلق بالدين وترى فيه حصنًا منيعًا ضد الاستعمار وردعًا حافظًا من حملات البشير في بلاد القبائل، وتؤكد المواثيق الوطنية للنجم وحزب الشعب على الطابع الإسلامي العربي للأمة الجزائرية.[1]

حتى في داخل تونس فإن الزعماء الجزائريين الأولين للحركات الوطنية التونسية كانوا ينادون بالتمسك بالدين وبالولاء للخلافة الإسلامية في اسطنبول، وقد فعل ذلك الخضر حسين*، وصالح الشريف والثعالبي.. في أوائل القرن الفارط وكان التصدي لعملية التجنيس من أبرز مظاهر الكفاح التحرير على أيدي الحزب الدستوري وما انفك التمسك بالدين والدفاع عن حُرمته شعاراً للكفاح الوطني داخل الجمعيات الطلابية والهيئات الصحفية والفكرية الأخرى.

يقول عبد الحميد بن باديس في الثلاثينات من القرن الفارط « إن الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى

1- الفيلالي (مصطفى)، "مفهوم المغرب العربي تطورا وتصورا وممارسة"، المستقبل العربي، ع 77، بيروت: جويلية 1985م، ص. 93

PDF Compressor Free Version

الأخوي هما موجودان، تزول الجبال ولا يزولان بل هما في ازدياد دائم، بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام ».[1]

هذه الصرخة القومية تصعدت في ذروة الكبد الاستعماري لعروبة الشمال الإفريقي وبطشه بالإسلام في الثلاثينات، يوم تصوّر المستعمر أن البربرية يمكن أن تكون حرية في ظهر الإسلام والعروبة، وأن الصليبية يمكن أن تكون البديل في ظل سطوة عسكرية فجاء التحدي باسم (العروبة والإسلام) شعاراً لجمعية العلماء المسلمين.

ويلتقي زعماء الجزائر والحركة الوطنية بالنسبة لهذه القضية التاريخية والمواجهة المشهودة على فكرة واحدة ومنطلقات متحدة، بدون سابق تنسيق أو تخطيط، إنما هي الرسالة الجامعة والعدوّ المشترك. يقول الشيخ الإبراهيمي «عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعية، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء والينابيع التي انفجرت منها الأخلاق والخصائص والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد، وهي أثبتت أساسا وأقدم عهداً.. من إنجليزية الانجليز، وألمانية الألمان»[2].

ويقتضي الوفاء لهذه الأصالة، الذي هو في الوقت ذاته، وفاء للذات أن تكون المواقف الوطنية في فترة التحدي.. كتب الشيخ بن

1- الخرفي، في رحاب، ص. 12

2- نفسه، ص. 13

PDF Compressor Free Version

باديس في مجلة الشهاب[1]: «حيثما توجّهنا إلى ناحية من نواحي التاريخ، وجدنا هذا المغرب العربي يرتبط بروابط متينة روحية ومادية، تتجلى بها وحدته للعيان ولسنا نريد هنا أن نتحدث عن التاريخ القديم وإنما نريد أن نعرض صفحة من التاريخ الحديث الجاري».

ومن الاستنتاجات التي يمكن أن نخرج بها هو أن النخب الجزائرية التي قادت مسيرة الحركة الوطنية طيلة المرحلة الاستعمارية نجحت في أن تثري قضية الوحدة المغاربية بأدبيات سياسية وفكرية متنوعة، كما أنها تمكنت أيضا من توظيف هياكل التنسيق والنضال المشترك لخدمة المسألة الوطنية الجزائرية، لكن الذي تعثّرت في إنجازه هو إسهامها في خلق وعي قومي وحدوي حقيقي قوامه الوحدة السياسية بعد الاستقلال، وإلا كيف نفسّر نزوع تونس نحو التفاوض القطري منذ 1949م وحتى لحظة التوقيع على اتفاقيات الحكم الذاتي في 1954/07/31م وفتور الأجهزة الداعية للوحدة المغاربية، وأيضا استقلال منفرد لكل من المغرب وتونس ؟

قد تصعب المقارنة حين تريد البحث في محددات تعثر بروز وعي قومي وحدوي حقيقي لمقتضيات منهجية لعل أهمها أن مفهوم الوعي

1- "وحدة الشمال الإفريقي"، ج 5، مج 13. 1937 م.

PDF Compressor Free Version

القومي ذاته مازال تساؤلا وإشكالية لم تستنفذ بعد، لكن الغالب ودون أن نجزم في ذلك أن العامل الإيديولوجي كان مقدراً لحصول مثل هذا التعثّر بشهادة علال الفاسي «..إن أول مواطن النقص في هذه الحركات هو ما يرجع إلى تكوين النظرية.. وأعني به ما يتعلق بخلق برنامج مفصل للنظام الاقتصادي والسياسي الذي يجب أن يكون المغرب في وقت استقلاله».[1]

1- الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص. ص. 440 – 441

PDF Compressor Free Version

الفصل الثالث

تطور الهجرة الجزائرية ومواقف السلطات الاستعمارية من الهجرة والمهاجرين

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

مدخل:

لا ريب أن نوعية الشخصيات والأسر التي غادرت الجزائر أثناء تلك المراحل الأولى للاحتلال كانت في الغالب على مستوى الرقي والمنزلة، ويكفي أن نستخصر أسماء وسير بعض تلك الشخصيات والأسر المهاجرة ونتعرف على شيء مما قدر لهم أن ينجزوه في ديار مغتربهم وما ظفروا به من تقدير واحترام حيثما حلوا، لندرك حجم الخسارة التي مني بها الوطن نتيجة ظاهرة الهجرة التي عرفها يومذاك فلا نستغرب إذا ما رأينا المفتيين يفتون بعدم جواز هجرة العلماء مخافة أن يلحق الضرر بالناس حين يفتقدون التأطير الفقهي والشرعي.

فقد أفتى الشيخ "علي بن الحفاف" بعدم جواز هجرة العالم عند الضرورة «بقاء العالم للناس خير له من انتقاله لنفسه»[1]، لقد كانت الجزائر قبل الاحتلال تتوفر على احتياط هام من الكفاءات مما يدل على أن العطاء الثقافي في الوطن لم يكن شحيحا ولا عقيما، وإنما على العكس من ذلك كان عطاء مثمرا بدليل أن الزمر من حملة العلم والذين غادروا الوطن في تلك المراحل كانت زمرا مهمة من حيث النوعية والكفاءة، وأنها

1- الحفناوي (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، الجزائر: مطبعة بيير فونتانه، 1907م، ص. 82

PDF Compressor Free Version

أثبتت مستواها ببروزها في البيئات حيث حلت واكتسبت الشأن والمكانة.[1]

ومن خلال تتبعنا للمثقفين الجزائريين من خلال مساهماتهم في المشرق والمغرب، والذين عاشوا خلال القرن (19م) تبين لنا أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف فمنهم من دخل في خدمة الحكومات واستكتب فيها، ومنهم من رحل إلى المشرق لطلب العلم بها وساهم في فترة تعلمه ليرجع بعدها إلى بلاده، أما الصنف الأخير فهو الذي أقام في المشرق إقامة مؤقتة أو دخلها لفترة محدودة، ثم انتقل منها حيث مقصده، أما الصنف الذي كان أكثر فعالية فهو الصنف الذي استقر بالمشرق استقرارا دائما.[2] ويكفي أن نذكر في هذا السياق بأسرة الشيخ محمد بن عزوز البرجي رب تلك الأسرة البسكرية التي استوطنت بالقطر التونسي وأسست زاويتها بها وخرجت أفرادا من بينها- وفيهم من بلغ في الشهرة كل مبلغ.

فقد ارتحل الشيخ "مصطفى بن عزوز" إلى جنوب تونس عام 1837م، وأنشأ الزاوية الرحمانية ومضت الوفود الطلابية من الجنوب الجزائري ومن الشرق القسنطيني وبلاد القبائل وغيرها ومن أقطار تونس

1- عشراتي (سليمان)، العالم الإسلامي خلال القرنين 18م، 19م، الجزائر، دار الغرب للنشر، 2004، ص. 225

2- خير الدين (شترة)، مرجع سابق، ص. ص. 118- 165

PDF Compressor Free Version

وليبيا تتهاطل على الزاوية، تتزود من تعاليمها وتجدد روحيتها وتستمر تلك الزاوية على نشاطها الثقافي والمعنوي وسيبرز دورها القومي والوطني في عهد الاحتلال خاصة، إذ ستتحول إلى قاعدة خلفية يلجأ إليها المكافحون الجزائريون، كلما اشتدت الضغوط عليهم.[1]

وقد كان للزاوية دور مهم، لاسيما في مجال تخريج العلماء والمثقفين، والطبقة المتنورة التي كان لها نشاط تعليمي في الجزائر وغيرها من الأوطان المغاربية وحسبنا أن نحصى أسماء بعضهم من أمثال الشيخ "علي بن عمر (1828- 1892)م صاحب زاوية طولقة[2]، وقاسم بن محمد علي الخيراني الجزائري (1890)م[3]، والعربي بن عطية البوعبدلي الشلفي[4] ولعل أشهرهم على الإطلاق هو الشيخ محمد بن عيسى الجزائري (1828ـ 1892)[5]م العالم باللغة والتفسير، الذي تولى بتونس رئاسة الكتابة العامة ثم خطة الإنشاء سنة 1858م، ثم انتقل إل العلم إلى أن توفي وكانت له مساهمات كبيرة في الحياة الفكرية التونسية.

1- عشراتي، مرجع سابق، ص. 226.

2- راجع ترجمته في : - نويهض، مرجع سابق، ص. 189

3- نفسه، ص. 205

4- نفسه، ص. 189

5- الحفناوي، مصدر سابق، ج1، ص. 528

PDF Compressor Free Version

ومنهم أيضا الشيخ عبد الحفيظ صاحب زاوية خنقة سيدي ناجي والشيخ المدني التواتي والشيخ مبارك بن خويدم وغيرهم كثيرون[1]، وكان شأن الزاوية الرحمانية قد علا بالمكانة التي بلغها الشيخ المكي بن عزوز بن الشيخ مصطفى فقد نال الشيخ المكي منصب مفتي في نفطة ثم ما برح أن أستدعى إلى الزيتونة مدرسا.

ونذكر في هذا السياق أن الزاوية العزوزية نفسها قد نشأت من خلال سيرة روحية تلقت مددها ونالت حاجتها مما حظيت به من أسباب الفتح في ديار الهجرة والمغترب، إذ أورث الشيخ بن عزوز البرجي السر عن شيخه العالم الصالح الولي الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري، لقد بلغ من كثافة المهاجرين الجزائريين إلى الأوطان العربية والإسلامية وإلى تونس بالخصوص حتى قامت لهم معه كيانات بارزة ومتميزة، واكتسبوا المواقع البارزة، بحيث عاشوا جاليات متلاحمة ومتصاهرة.

ويمكننا أن نسترسل في إحصاء أسماء الشخصيات والأسر الجزائرية التي ساقتها ظروف الهجرة إلى المشرق، وكتب لها أن تحقق وجودها بما نالت من علم وأنجزت من أعلام ليس لأن البيئة هناك قد ساعدتها على البروز أو أن الحظ كان على موعد معها، ولكن لأن تلك الشخصيات

1- نفسه، ج2، ص. 320

PDF Compressor Free Version

والأسر كانت مهيأة للظهور وأنه لم يدفعها إلى الإقدام على التغرب إلا ما كان لها من شأن، وإلا ما كانت تشعر به من همة أبت عليها أن تساكن ظروفا لا تفيها حق الإنسانية الكريمة.

1. تطور الهجرة الجزائرية مشرقاً ومغرباً:

إن هجرة العالم لا تعني هجرة فرد أو أسرة إنما هجرة مكتبة تضم نفائس المعرفة إلى موطن الهجرة، وكانت ظروف اجتماعية وسياسية وعلمية ودينية دفعت كثيرا من علماء الجزائر إلى الهجرة، وكانت في مقدمة الظروف الاجتماعية: عدم وجود مدن علمية زاهرة[1]، فمدينة الجزائر العاصمة كانت معدومة النشاط العلمي، وقد وصفها الرحالة العبدري بقوله: «وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف الكربة، وأديب يؤنس الغربة فكأنني أسأل عن الأبلق العقوق أو أحاول تحصيل بيض النوق».[2]

لقد سال حبر كثير حول وجوب الهجرة من الجزائر أو عدمه بعد تغلب الفرنسيين (الكفار) على المسلمين فيها، وقد انقسم أهل العلم والرأي في ذلك ثلاثة أقسام على الأقل :

- ✓ من يقول بوجوب الهجرة مطلقا لعدم وجود الحكومة الإسلامية.

1- عميراوي، قضايا مختصرة، ص. 55

2- يخلف (رمضان)، مرجع سابق، ص. 13

PDF Compressor Free Version

✓ ومن يقول بعدم الهجرة ما دام الفرنسيون قد سمحوا بإقامة الشعائر الإسلامية.

✓ وفصيل يقول إن الهجرة واجبة على المستطيع، سواء منع الفرنسيون إقامة الشعائر أو سمحوا بها، ولكن بعد تصفية الديون وترتيب حياة العائلات وبيع العقار، أي أن النية في الهجرة والإقامة مؤقتة فقط.

والواقع أن الهجرة الجماعية من المدن التي احتلها الفرنسيون أول مرة كالعاصمة ووهران وتلمسان ومعسكر وعنابة وبجاية، لم ينتظر أصحابها فتوى العلماء ولا حكم الشريعة، لقد حمل القادرون أولادهم وأرزاقهم التي خفت، وارتحلوا برا وبحرا، وشرقا وغربا، كما يقول "محمد بن الشاهد": «وقادها جوا على وجوههم حتى لا تحكمهم قوانين الفرنسيين، ولا يخضعون لأحكامهم وقد نص سكان العاصمة وحدها بحوالي الثلثين، وفيهم أصحاب الثروة والحرف والعلم، وقد فرغت مدن كاملة من سكانها مثل: وهران وبجاية وعنابة عند الاحتلال، ومع ذلك زعم الفرنسيون فيما بعد أن الجزائر كانت بدون سكان مدن».[1]

ومع بداية الاحتلال كان الأهالي يعيشون في فوضى، فلم تكن هنا سلطة أهلية تدير شؤونهم، فالعائلات ذات النفوذ في الوسط الأهلي هي

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ص. 356

PDF Compressor Free Version

التي كانت تقوم مقام السلطة الحاكمة، ومع انتهاء دورها كلية أضحت هي التي تقود هذه الهجرات مدعمة رأي علماء القسم الأول بوجوب الهجرة مطلقا.

فقد كتب مالك بن نبي عن هذه الظاهرة: « لم يبق في قسنطينة وجود لعائلة بشتارزي الكبيرة.. أما عائلة صالح باي فإنها أخذت في النزوح إلى تونس وأن أغنياء عائلة بن الفقون فلم يبق منهم سوى فئة صغيرة تملك ورشة متواضعة».[1]

وعلاقة قسنطينة (كمدينة ومقاطعة) بتونس عريقة وموغلة في القدم لهذا نجد أن ثلثي من هاجر منها اتجه صوب تونس فارا من بطش المستعمر.

حيث يذكر العدواني مؤكدا على خصوصية هذه العلاقة: «إن قسنطينة كانت عاصمة إقليمية كبيرة في مختلف العهود خصوصا العهد الحفصي والعثماني، وقد كان أعيانها في العهد الأول يتجهون نحو تونس، ويتلقون العلم في جامعها الأعظم ويستلمون المناصب الإدارية والمخزنية من أمرائها بالإضافة إلى أن بضائع تونس والشرق كانت تجد لها سوقا رائجة في قسنطينة، وكان علماء تونس بدورهم يتولون بها الوظائف المختلفة ويتصاهرون مع عائلاتها، ويحملون إليها الكتب والأفكار، وفي

1- بن نبي، شاهد القرن، ج1، ص. ص. 10- 11

PDF Compressor Free Version

العهد العثماني استمرت قسنطينة على مكانتها كعاصمة لأكبر إقليم في الجزائر وأغناه وأكثره ثقافة وتحضرا وإذا كانت قد شهدت فتنا وتنافسا بين العائلات وحتى بعض الحروب بين جيشها وجيش تونس فلذلك كله يدل على المكانة التي كانت لها في نظر المعاصرين...».[1]

«كما عرفت نفس المصير بعض العائلات الكبيرة الأخرى المنتشرة في المناطق القبائلية، وخصوصا منها التي تزعمت المقاومة المسلحة».[2]

فقد شكلت تونس الجسر الرابط بين الجزائر والشام مدة من الزمن، إذ كثيرا ما تشير المصادر المتعلقة بهذا الموضوع إلى أن المهاجرون الجزائريون إلى الولايات العثمانية، قد اتخذوا تونس ليس فقط كمعبر إلى سوريا، وإنما كذلك كملجأ مؤقت في بعض الأحيان يركنون إليه في أوقات الشدة، أو عندما تشتد هذه التقارير إلى هجرة عدة قبائل جزائرية إلى سورية مرورا بتونس.[3]

1- العدواني (محمد بن محمد بن عمر)ت 1662 م، مشوار الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح : سعد الله أبو القاسم، بيروت : دار الغرب الإسلامي، 2005 م، ص. 8

2- بن نبي، شاهد القرن، ج 1، ص. 11

3- هلال، الهجرة الجزائرية، ص. 26

PDF Compressor Free Version

وكان معظم المهاجرين إلى تونس من النواحي الشرقية كقسنطينة وبجاية ووادي سوف وعنابة وخنشلة والخنقة وسطيف وبسكرة وتبسة والحضنة وسوق أهراس والقالة ووادي ميزاب... وأهل الصحراء (توات).[1]

وبالتالي فإن مسارات الهجرة من الناحية الجغرافية خلال هذه الفترة قد اتجهت غالبا من شرق ووسط الجزائر وجنوبها، ثم تليها منطقة الغرب وإن كان غالبية الراغبين في الهجرة فيها، قد اتجهوا نحو المغرب الأقصى لعوامل جغرافية واجتماعية معروفة، غير أن سنة 1847م قد شكلت متغيرا حاسما في وجهة الهجرات الجزائرية والتي تليها - في الغالب – سوى محطة عابرة ينتقلون منها إلى الشام أو غيرها متأثرين في ذلك بهجرة الأمير عبد القادر وأتباعه.

كما شهدت هذه السنة تزايد الهجرات من مسارات الجنوب الشرقي والجنوب الغربي، فهناك الكثير من الأسر والعائلات التي هاجرت من هذه الأقاليم الصحراوية نحو دول الجوار كتونس مثلا.

ففي الجنوب الشرقي الجزائري نسجل هجرة فرقة اللحالحة ومرداس وبنو صالح، والنمامشة وسيدي يحي بو طالب، والربايع، والهمامة، والزغالمة والفراشيش نحو تونس من الوسط الصحراوي نسجل

1- A.N.T, Série A,C104, Dossier 1/6, NP10, D.Ex 1884-1886.

- A.N.T, Série A,C278, Dossier 7, NP19, D.Ex 1898-1923.

- A.N.T, Série A,C204, Dossier 1, NP18, D.Ex 1923-1956.

PDF Compressor Free Version

أسرة بوعكاز وبنو إسحق، والمكي بن عزوز، ومن الجنوب الغربي الجزائري نسجل العديد من الأسر التابعة لقبائل التخوم الصحراوية الجزائرية المغربية وللصحراء الغربية والتي من بينها: بنو جيل وأولاد جرير وأولاد سيد الشيخ الغرابة...[1]

كانت هذه الهجرات جماعية أحيانا فردية أحيانا أخرى، والهجرة الفردية لم تتوقف بأي حال، فهناك من كانوا يخرجون مهاجرين من الجزائر برضى الحكومة الفرنسية وحاملين جوازات سفر فرنسية وكانت الحكومة العامة في الجزائر تتساهل في أمر الهجرة وتعمل في بعض الأحيان على طرد الجماعات والعائلات ممن كانوا يعارضون سلطاتها وتدخلاتها، ومن الجزائريين من كانوا يخرجون بدعوى أداء فريضة الحج أو التجارة في المشرق.[2]

ونلاحظ أن المقاطعات المكتظة بالسكان في مناطق التل المزدحمة تخرج معظم المهاجرين فمناطق القبائل ومقاطعتي قسنطينة والجزائر العاصمة ثم مدينة تلمسان استحوذت على النسب الأوفر في تعداد المهاجرين نحو تونس.

1- عميراوي، السياسة الفرنسية، ص. 173

2- طروش (نادية)، "الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام"، الرؤية، ع 03، الجزائر، 1997، ص. 169

PDF Compressor Free Version

«فمن مدينة تلمسان خرج حوالي 07 ألاف، بجاية 24 ألف، ومنطقة القبائل وقسنطينة لوحدهما يرسلان 50 % من مهاجري الجزائر، كما أرسلت مقاطعة الجزائر 34% ومقاطعة وهران 5%، أما مناطق الجنوب بأجمعها فقد أرسلت 2 % من مجموع المهاجرين...»[1]، ويدخل في هذه النسب الهجرات المؤقتة والموسمية.

ذلك أنه وفي كل عام يدخل عدد من المهاجرين إلى الجزائر ويخرج آخر لعدة أسباب منها: طلب العلم، الحج والعمرة، الإستطباب والعلاج، مواسم الزيارات الدينية الخاصة بالطرق الصوفية ارتباطات عائلية وعلمية.[2]

وعندما دخل الفرنسيون مدينة عنابة خرجت عائلات متوجهة إلى تونس وتبعتها عائلات أخرى من قسنطينة ووهران، وكان الشيوخ الجزائريون يدعمون هذه الهجرات «حتى لا يموت تحت سلطة كافرة»، وقد تضاعفت أعداد المهاجرين مع كل تغلغل عسكري فرنسي في الداخل الجزائري وما ينجر عنه من سلب ونهب ومصادر وحرب إبادة، وبالمقابل فإن السلطة العسكرية الفرنسية لم تعطي أي اهتمام لهذه الهجرات في

1- فيليب رفلة، الجزائر، ص. 57

2- نفسه، ص. 58

البداية كونها تعتبرها تخلصا من الأعيان والمثقفين، حيث كانت ترتفع أعداد هذه الهجرات بعد كل هزيمة تلحق الانتفاضات الشعبية.[1]

PDF Compressor Free Version

غير أنها خفت بعدها، وكانت من أسبابها الضريبة التي فرضتها السلطات الفرنسية على ما خلفه المهاجرون وراءهم من أملاك وأراضي.[2]

غير أنه وبعد هزيمة 1871م هجرت قبيلة المقراني بأجمعها إلى تونس، وذلك بعد تجريدها من أملاكها واضطهاد أفرادها [3]، وقد أرسل الأمير عبد القادر من الشام إلى باي تونس رسائل عديدة يوصيه فيها خيرا بالمهاجرين الجزائريين [4]، وقد عرفت عائلتي المقراني والشيخ الحداد مصيرا بائسا عقب فشل الثورة مما اضطرها إلى الهجرة الطوعية إلى تونس، حيث يذكر أجيرون مصورا حالة هاتين العائلتين: «...وهذا لا يمنع من ترك أحفاد الشيخ الحداد في فقر مدقع، كما أن أبناء المقراني أصبحوا تجارا صغارا ».[5]

ويذكر "راجي Rager" بأنه منذ 1874م بدأت الهجرة تأخذ أبعادا سياسية بدلا من أبعادها الدينية – حسب قوله – ويرجع هذا

---

1 – Mohamed (Teguia), L'Algérie en guerre 40, Alger, office des publications . Universities , 10 . 88 . 256 .

2– Rager, o p , Cit , p.p. 9–10

3– بوعزيز، ثورة 1871 م، ص. ص. 329 – 331

4– نفسه، ص. 332

5 –Ageron, les Algériens, t 2, p. 820

PDF Compressor Free Version

التحول إلى الدعاية التونسية، ولا ندري ما هي الدعاية التونسية، وتونس كانت تشهد أكبر فترات الضعف في تاريخها، وقد يكون قصده أن مصدر الدعاية المقصودة إنما كان من المهاجرين الجزائريين في تونس والذين كانوا بمراسلاتهم المستمرة مع أهاليهم يثيرون غريزة الهجرة والترحال لديهم.

«وقد جاءت هذه الهجرات – خلال هذه الفترة – من مناطق عدة في الجزائر فكانت أول هجرة كبيرة من الصحراء تلك التي ضمت 300 جزائري قطعوا الجنوب مرورا بالجريد التونسي دون إذن بالسفر، كما تلتها مجموعات أخرى من وادي سوف وتوقرت قدرت بحوالي 2000 فرد و12000 أخرى هاجرت من ميزاب، وللعلم فقد كانت بين سكان الجنوب الجزائري والتونسي علاقات قديمة عن طريق الصحراء ولهم دراية بمسالك الطرق.[1]

وفي ظل الظروف السياسية والعسكرية والاجتماعية التي طبعت مطلع القرن العشرين بدأت هجرات الجزائريين إلى البلاد العربية منها تونس، كهجرة مناطق سطيف وبرج بوعريريج سنة 190م وسكان

1- Roger , Op.Cit , P.P. 13-16

PDF Compressor Free Version

تلمسان سنة 1911م والذين قدر عددهم بـ 800 عائلة، مما خلق هلعا كبيرا لدى الاستعمار فسماها أحدهم بالوباء الأخلاقي.[1]

وبالمقابل فإن هذه الهجرات الجزائرية المتتابعة باتجاه تونس قد قابلتها أيضا هجرات تونسية (فردية وجماعية) باتجاه الداخل الجزائري مدفوعة بعوامل طبيعية (الجفاف – البحث عن المأوى والمراعي) وسياسية (خصوصا بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس، فقد جاء في برقية أرسلها نائب عامل عمالة قسنطينة إلى الحاكم العام الفرنسي للجزائر مؤرخة بتاريخ 27 جوان 1888م ما يلي: «ردا على برقيتكم المؤرخة في 19 من الشهر الجاري المتعلقة بهجرة الأهالي من الهضاب العليا ومناطق سكيكدة إلى تونس، يبدو حسب المعلومات التي زودني بها السادة نائب عامل عمالة قسنطينة في سطيف، والحاكم الإداري لعين مليلة، والعلمة ومسكيانة وتبسة، أنه لم تحدث هناك أية هجرة إلى تونس في المناطق التي يشرفون على إدارتها، والظاهر أن الذي أوحى بهذه الهجرة هو الإنتقال المحسوس لسكان هذه المناطق بحثا عن المراعي الخصبة لدوابهم، لما أصابهم من ضرر بسبب احتياج الجراد لأراضيهم، كما أن التونسيين من جهتهم على الحدود الشرقية يحتاجون مناطق القالة، أخبرني الحاكم الإداري لأم البواقي يوم 24 جوان الجاري أن

1– Ibid, P.46

PDF Compressor Free Version

13 شخصا – بسبب الجفاف الذي أصابهم لمدة ثلاث سنوات متتالية، والفقر الذي يتخبطون فيه – يحاولون أن يغادروا البلاد ليهاجروا إلى سوريا، لقد أعطيت التعليمات اللازمة للسلطات المحلية وللجندرمة لمراقبة سكك الخطوط الحديدية للحيلولة دون ذلك...».[1]

ويذهب جل الباحثين والمهتمين بالحركة الثقافية والعلمية في الجزائر إلى أن رحلة علماء الجزائر وطلاب العلم رحلتان، إحداهما مشرقية وأخرى مغربية، غير أن التعمق في البحث قد يثبت غير ذلك إثباتا قاطعا، ذلك لأننا وقفنا على علماء جزائريين رحلوا إلى الأندلس في فترات متقدمة من دخول الإسلام إلى إفريقيا قبل أن يرحلوا إل المشرق العربي، وأن بعضهم قبل أن يقصد هذا الجزء الأخير من الوطن العربي اتجه إلى العاصمة الأولى العلمية والثقافية التي هي القيروان، وفي فترة متأخرة نسبيا (ق6هـ- ق12م)، أضحت فاس محطة أخرى لعلماء الجزائر وطلابها فقصدها البعض منهم للتفقه في دينه ودنياه.[2]

إن الحديث عن الرحلة العلمية نحو المشرق تفصيلاً وتحديدًا يفرض على الباحث في الموضوع الفصل بين أمرين هامين، وهما الغرضان

1- أرشيف ما وراء البحار، أكس بروفانس، ملف 9، هـ 101، نقلا عن :

- هلال، الهجرة الجزائرية، ص. 378

2- هلال (عمار)، العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية فيما بين القرنين (19-20)م، (3-14)هـ، الجزائر: د.م.ج، 1995م، ص. 60

PDF Compressor Free Version

الأساسيان للرحلات العلمية نحو المشرق العربي واللذان يمثلان طوراً في البحث عن التحصيل والتفقه في الدين، وطوراً آخر في أداء فريضة الحج فقط، ثم الرجوع إلى أرض الوطن.

ومن المحطات المشرقية التي كان علماء الجزائر خلال هذه الفترة يقفون عندها، أو يتوجهون إليها: الإسكندرية والقاهرة والقدس ومكة والمدينة وبغداد والشام ولكل اتجاه من اتجاهات الجزائريين عبر العصور أسباب ومُبررات يصعب حصرها، وإن كان الطابع الذي يغلب عليه هو الطابع الديني-العلمي، وقد يتقدم العامل الديني في العصور الأولى لدخول الإسلام أرض إفريقية العامل العلمي، واستمر الوضع هكذا مدة قرون بل إلى وقت قريب منا، لسبب بسيط هو عدم فصل الجزائريين عامة بين الدين والعلم، ففي نظرهم فإن الأول يُكمل الثاني والعكس صحيح، فالعالم الحق حسب معيار العصر كان عليه أن يكون عالماً وفقيهاً في دينه قبل أن ينصرف إلى الدراسة والتحصيل في أمور دنياه وما يُحيط به من ظواهر مادية وما يتعلق بها فلسفةً وسياسةً واجتماعًا واقتصادًا وثقافةً، ومن المعلوم أن المشرق العربي منذ دخول الإسلام بلاد إفريقية

PDF Compressor Free Version

واتصال العرب بها مباشرة قد جلب أنظار أهل البلاد إليه بمختلف اهتماماتهم ومنازلهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية[1].

لكن لماذا هذه الدراسة حول المهاجرين الجزائريين إلى المشرق العربي؟ إن الأمر لا يعدوا أن يكون محاولة لسد فراغ حقيقي في هذا الجانب لأن الإطار العام لهذه الدراسة يهدف إلى إعادة الاعتبار لبعض الشخصيات الجزائرية التي قادت حركة التربية والتعليم والإصلاح خارج قائمة الأسماء التي اعتدنا الحديث عنها من دون غمط حق الجميع، مع إعطاء مساحة أكبر لطبيعة الأدوار التي قام بها المهاجرون الجزائريون داخل المحيط التعليمي والصحفي والسياسي والثقافي والاجتماعي في كل من الجزائر والوطن العربي.

وتشير بعض المصادر إلى أن الجزائريين المهاجرين إلى الولايات العثمانية قد اتخذوا تونس ليس فقط كمعبر إلى المشرق، وإنما كذلك كملجأ مؤقت في بعض الأحيان يركنون إليه في أوقات الشدة، أو عندما تشدد عليهم الحراسة الفرنسية وذلك ما تلاحظه بشدة التقارير الفرنسية بين سنتي (1855-1860)م[2]، تذكر المصادر الفرنسية تواريخ مختلفة

1- عن هذه العلاقات بين الجزائر والمشرق العربي وخصوصا خلال العهد العثماني راجع: - العيد (مسعود)، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق"، سيرتا، ع1، قسنطينة، 1979م ص. ص.46-54.

1- هلال، "الهجرة"، الثقافة، ع 82، ص. 74

PDF Compressor Free Version

للهجرة الجزائرية فهذا "أوغسطس بيرك" يذكر السنوات التالية كمعالم بارزة في تاريخ الهجرة وهي: (1830- 1832 – 1854 – 1860 – 1870 – 1875 - 1888 – 1898 – 1910 – 1911)، وهناك تواريخ أخرى ألح عليها كل من "أجيرون" و"باردان" وهي (1837 – 1849 – 1864)، ويذكر "باردان" أن حركة الهجرة تكثفت بين (1847 – 1854) والفرق في كثافتها فقط، وفي موقف السلطات الفرنسية من التغاضي عنها أو منعها،[1] وكانت أولى الهجرات تلك التي أعقبت رحيل القوات الإنكشارية إلى تركيا بعد تجريدها من السلاح، وتلاها خروج الداي حسين وحاشيته وأعيان العاصمة، ثم هاجرت مجموعات كبيرة من معسكر وتلمسان عام 1832م[2]، وبدأت تونس والبلاد المشرقية تستقبل المهاجرين الجزائريين، حيث شجعت فرنسا هجرة العائلات الحضرية التي كانت تبحث عن المجد والقيادة في نظرها، كما عرفت الجزائر هجرة عنيفة بعد استسلام الأمير عبد القادر على إثر فشل مقاومته المسلحة عام (1847م) ومنذ 1854م حتى عام 1870م انتقلت قبائل بأكملها إلى تونس قصد الاستقرار بها، أو الارتحال منها بعد حين إلى بلاد الشام.[3]

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص. 474

2- سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر، ص. 56

3- Agéron , Les Algerians' , P. 1080

PDF Compressor Free Version

كما عرفت الجزائر هجرة كبيرة الى تونس بعد القضاء على المقاومة الشعبية المسلحة التي قادها المقراني والشيخ الحداد[1]، لتعرف الجزائر فيما بعد هجرة كبيرة أخرى عقب فشل ثورة الشيخ بوعمامة [2] مطلع القرن الفارط.

ففي أعقاب ثورة الشيخ المقراني والشيخ الحداد عام 1871م، قامت فرنسا بأكبر محاكمة من نوعها في ظل احتلالها للجزائر، حيث أصدرت المحاكم الفرنسية لأحكامها بطرد المئات من العائلات إلى تونس منها فرع أولاد المقراني الذين قادهم إلى تونس " ناصر بن شهرة " وكان عددهم 500 شخص ومنحهم الباي في تونس العاصمة قطعة أرض يعيشون منها.[3]

وجراء القرارات والقوانين التعسفية التي طبقت على الجزائريين خلال الفترة (1871-1900م)، وخاصة منها قانون الأهالي، قرر المئات من الأهالي سنة 1874م الهجرة عن البلاد، وعمت الهجرة هذه المرة كل أنحاء البلاد بما فيها القطاع الوهراني ومنطقة القبائل وحتى مناطق من القطاع

1- بوعزيز يحي، ثورة 1871 م ودور عائلتي المقراني والحداد، الجزائر، ش.و.ن.ت 1978، ص. ص. 92-101

2 -Agéron, Les Algériens, P. 1081

3- GARROT (H), Histoire général de L'Algérie cressenzo, Alger : 1910, P. 986

PDF Compressor Free Version

القسنطيني، وقدر عدد الذين هاجروا من هذا القطاع وحده خلال هذه الفترة حوالي 700 عائلة.

ومن هذه ما تم تحت أعين ممثلي السلطات الفرنسية ومنها ما تم خفية عنها فرارا عبر الطريق البرية إلى تونس وطرابلس، ووصل عدد الجزائريين المهاجرين إلى تونس وحدها سنة 1876م حوالي (16600 شخص)، وأصبحت لهم فيها مصالح من تجارة وزراعة وغيرها وستشهد الفترات الموالية موجهات هجرة جزائرية كثيفة باتجاه تونس.[1]

وفي تقرير وجهه القنصل في دمشق إلى السفير الفرنسي في إستانبول يقول فيه: «... إن هؤلاء الجزائريين (يقصد الذين التحقوا بالشام)، كانوا مقيمين منذ مدة في تونس بصفتهم أجانب فكانوا معفيين من الضرائب الشخصية والخدمة العسكرية وتستعملهم حكومة الباي كحراس عسكريين في بعض المراكز، ولكنه بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس حرموا من هذه الامتيازات وفرض عليهم الخيار بين أمرين، إما التجنس بالجنسية الفرنسية أو باعتبارهم رعايا تونسيين عليهما ما على الرعايا من ضرائب وخدمة عسكرية.[2]

1- Ibid, P. 990

2 -A.A.E , Consulat de France à Damas à ml'ams, 26 Oct 1883, Canton Algériens turque, N° 84.

نقلا عن طرشون، الهجرة الجزائرية، ص. 60

PDF Compressor Free Version

وكانت السلطات الفرنسية في الجزائر قد سمحت على إثر الجفاف الذي اجتاح البلاد خلال هذه الفترة لبعض الأهالي المتضررين[1] بالانتقال إلى مناطق أخرى، وكان منح رخصة الخروج فرصته استغلتها بعض العائلات والجماعات للخروج من البلاد كلها والهجرة إلى تونس ثم إلى بلاد الشام.

والهجرة التي كانت تتم خفية عبر الحدود هي أكبر بكثير من الهجرة القانونية أو المعلن عنها، وكانت الهجرة القانونية قد تمت بجوازات سفر منحتها السلطات الفرنسية لبعض الأهالي بدعوى مساعدتهم للخروج من الأزمة الاقتصادية التي يتخبطون فيها.

«.. وبعد أربعين سنة من حروب لا هوداة فيها ولا فتور مزقت أثنائها القبائل إربا من بلادها شردت، ومن أملاكها جردت ومن رؤسائها فصلت ومن إطاراتها حرمت، إن أجواد الطبقة الشريفة من عرب وبربر أسدل عليهم ستار النسيان، هجر الأعيان والمثقفون المدن وترحلوا إلى المغرب وتونس ومصر وسوريا وتركيا... فمدينة الجزائر وحدها أكثر من (10 ألاف) نسمة، وكذلك وقع في البليدة وملیانة ووهران ومستغانم وتلمسان وقسنطينة وبجاية وعنابة...».[2]

---

1 – عباس فرحات، مصدر سابق، ص. 100

PDF Compressor Free Version

إن حركة الهجرة التي عرفتها الجزائر هي في الحقيقة ليست منعزلة عن الهجرة التي حدثت انطلاقا من تونس نحو الولايات العثمانية في الشرق الأدنى ابتداء من سنة 1898م، أو التي قبلها بعقد من الزمن (حسب تقرير السيد " لوسياني LOCIANI في (4 ديسمبر 1894م)، وهو الشيء الذي جعل المقيم الفرنسي في تونس يخبر وزارة الشؤون الخارجية أن 237 جزائريا، من الذين كانوا مقيمين في تونس قد غادروا وهما على متن باخرة إنجليزية تسمى "برانس لين" نحو سوريا في سرية تامة، وبعد أسبوعين أو ثلاثة من ذلك، حدث أن الشرطة الفرنسية في تونس قد استوفت أكثر من 200 جزائري كانوا يريدون الصعود على ظهر باخرة إنجليزية أخرى كانت متجهة إلى بيروت، وما كان من وزير الخارجية الفرنسي إلا أن وافقه على السماح لهؤلاء الجزائريين بمغادرة تونس لسبب بسيط هو أن هؤلاء المهاجرين الجزائريين كانوا قد غادروا ديارهم في الجزائر منذ مدة طويلـة، واستقروا في تونس، ومن ثم فليس بإمكانهم العـودة إلى وطنهم[1]، ولا تذكر المصادر الفرنسية تفاصيل بالأرقام عن عدد المهاجرين من كل مدينة أو ناحية في الجزائر، سيما قبل

1- هلال (عمار)، أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق العربي، الثقافة، ع. 88، الجزائر، جويلية/أوت، 1985، ص 150. للتوسع يراجع:

- A.N.T, Série A, C2, Dossier1/15, NP3, D.Ex 1938.
- A.N.T, Série A, C280, Dossier9/7, NP3, D.Ex 1930.
- A.N.T, Série A, C290, Dossier1, NP25, D.Ex 1939-1945.

PDF Compressor Free Version

1870م، وما تذكره هذه المصادر هو عادة أرقام يسجلها القناصل عن الواصلين الذين سجلوا أنفسهم، وهي أرقام غير دقيقة، لأنها أحيانا غير صحيحة أصلا.

تقول بعض الوثائق إنه قد وصل رقم كذا وأغـلبهم من ناحية كـذا، ثم أن بعض المهاجرين قدموا من الجزائر وآخرين أقاموا في تونس فترة، ثم بدا لهم أن يتوجهوا إلى المشرق، ولاسيما بعد احتلال تونس كما، كما أن الأرقام القنصلية غير دقيقة من ناحية أخرى، لأنها تذكر من لهم جوازات سفر رسمية فقط، كما أن تقارير القناصل متضاربة حول جاذبية الهجرة.

لا نملك الآن إلا إحصاء يرجع إلى سنة 1936م وآخر إلى سنة 1950م، ويذكر الأول أن عدد المهاجرين الجزائريـين في تونس بلغ واحدا وأربـعين ألفا (41000)، كـما يذكر الإحصاء الثاني خمسين ألفا (50000)، وكانت جالية أهل سوف من أكر الجاليات الجزائرية بتونس، كما كانت لبني ميزاب مهمة، ونفس الحال بالنسبة لأهل نوات، وأهل زواوة وسطيف والذين هاجروا بعد 1871م وكان يطلق عليهم لقب "المقرانيين".[1]

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 292

PDF Compressor Free Version

تقول "أنّا بوزو" في دراستها حول "العلاقات بين قسنطينة وتونس في القرن التاسع عشر قبل الحماية": «أنه انطلاقا من الأحداث المرتبطة بتواريخ مهمة (1837 – 1858 – 1865 – 1870 – 1871)، في هذه الفترة كشفت عدة مؤشرات أن العلاقات التقليدية بين قسنطينة وتونس قد تعززت في كلا الاتجاهين: "رحلات ـ أعمال مصالح ـ انتقال وقتي أو نهائي للأشخاص"، وهذا الأمر سمح بازدياد التكامل بين المدنيين في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، سواء لدى المسلمين أو اليهود، وهذا بالرغم من الانفصال النهائي للجزائريين عن الإمبراطورية العثمانية، مما حسم بظهور حركة اندماج جهوي بين المدينتين وساكنيهما، وكان الاندماج قويا من طرف مسلمي قسنطينة الذين ربطوا علاقة مع تونس والزيتونة، في حين استقطب يهود قسنطينة الطائفة اليهودية بتونس نظرا للامتيازات التي يمنحها قانون "كريميو" لليهود في الجزائر وهي امتيازات تفتقدها الطائفة اليهودية في تونس على الأقل إلى غاية 1910 م.[1]

1- أنا بوزو، "العلاقات بين قسنطينة وتونس في القرن 19 م قبل الحماية "، م.ت.م، ع10/9 تونس: أوت 1974 م، ص. ص.218-236.

PDF Compressor Free Version

وتعد قضية اللاجئين* الجزائريين إبان الحرب التحريرية إلى الدول المجاورة (خصوصا منها تونس) واحدة من أكبر المآسي الإنسانية التي عانى منها الشعب الجزائري على أيدي الجلادين الفرنسيين خلال سنوات الثورة الجزائرية.

لقد اتبع الجيش الفرنسي في الجزائر طريقة تعتبر من أبشع الطرق الاستعـمارية وحشـية واتلي تمثلت في الانتقام من السـكان بعد كل معرة يخوضـها جيـش التحرير الوطني أو بعد أي هجوم يتعرض له على أيدي جنود جيش التحرير، واستمرت معاناة السكان على نفس المنوال لتشهد تصاعدا خلال الفترة (1955 – 1959)م، ففي عمليات الانتقام والتعذيب والاعتداء على شرف العائلات الشيء الذي دفع بأعداد كبيرة منها إلى الفرار خارج الوطن والالتجاء إلى الدول المجاورة، كلما أشتد القمع وازدادت حدة المعارك إلى درجة أن القوات الفرنسية قامت بترحيل السكان من الجبال وإجبارهم على الانتقال إلى محتشدات بلغ عددها 3425 محتشد، وحسب إحصائيات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فإنها تشير إلى وجود 700.000 جزائري في محتشدات ناحية

---

* - **اللاجئ:** إن ما نقصده بكلمة لاجئي هنا هو أي شخص خرج من الجزائر وتوجه إلى بلد آخر للإقامة به، نذكر هروبا من القمع والاضطهاد السياسي في أرض الجزائر، خلال فترة الاحتلال الفرنسي التي امتدت خلال (1830– 1962)م.

PDF Compressor Free Version

قسنطينة و600.000 مواطن في المحتشدات الموجودة بناحية العاصمة و500.000 مواطن في المحتشدات الموجودة ناحية وهران.[1]

كما قامت القوات الفرنسية في نفس الفترة بإقامة أسلاك كهربائية على طول الحدود الجزائرية مع تونس والمغرب وفرضت على السكان المقيمين على بعد 45 كيلومتر من الحدود أن يغادروا ديارهم، وحسب إحصائيات 1958م فقد كان بتونس والمغرب ما لا يقل عن 350.000 لاجئ جزائري منهم 50% أطفال، 35 % نساء وحوالي 15 % من الشيوخ والعجزة.[2]

وقد كان وصول هؤلاء النازحين إلى الحدود المجاورة يتم في صورة يائسة ومعاناة رحلة طويلة في الجبال والطرق الوعرة تحت مطاردة طائرات ومدفعية العدو، فالكثير منهم كان يصل المراكز الحدودية حافي القدمين ممزق الثياب وجروحه تنزف نتيجة إصابات أو سقوط فوق الصخور، وكانت جبهة التحرير الوطني تتولى فورا إيواء هؤلاء الذين أخرجوا من ديارهم بغير ذنب سوى أنهم جزائريون آمنوا بحقهم في العيش الكريم على تراب آبائهم وأجدادهم.[3]

1- El Moudjahid , N ° 62 , 1960

راجع أيضا، بوحوش، التاريخ السياسي، ص. 543

2- محمد عباس، "حوار مع بن يوسف بن خدة "، الشعب، الجزائر 1988/09/19، ص. 06

3- قليل (عمار)، ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، قسنطينة : دار البعث، 1991 م، ص. 14

PDF Compressor Free Version

وقد عاش هؤلاء اللاجئين رغم كل ما بذلته الجبهة من جهود عاشوا مأساة حقيقية داخل خيام لا تحمي من برد الشتاء ولا ترد حرارة الصيف وسط ظروف مؤلمة تخللها نقص في المواد التموينية والطبية والملابس، ومع ازدياد حدة المعارك داخل الجزائر أصبح عدد هؤلاء اللاجئين يتزايد بصورة كبيرة حتى أبحوا يعدون بمئات الآلاف مما تعذر على الجبهة وهيئاتها وكذلك الحكومة التونسية أن تلبي احتياجات هذه الأعداد الهائلة، وقد ساهمت عدة منظمات إنسانية دولية وعالمية في مقدمتها الصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر في مديد المساعدة للاجئين.[1]

ولإعطاء صورة حقيقية عن وضعية اللاجئين بتونس ومعاناتهم نورد ما كتبه صحفي جريدة – لاتريبين جنيف – السويسرية تحت عنوان " آلام يندى منها جبين الإنسانية ".

«قضيت أسبوعا في القطر التونسي، ورأينا أشياء مريعة واستمعنا إلى شهادات مفجعة وشاهدنا ألاما يندى منها جبين الإنسانية حزنا... إني عندما ذهبت إلى تونس اعتبرت نفسي مبعوثا نيابة عن قراء الجريدة – لاتريبين جنيف – وحاولت أن أرى هؤلاء اللاجـئين عوضا عنهم، فأنا إذن تعهدت وسأفي بتعهدي بالرغم من أن ذلك صعب، لأنه يجب على كل

1- نفسه، ص. 15

PDF Compressor Free Version

حال أن نعرف لماذا وفي أي ظروف أخذ 150000 شاب ورجل وامرأة وطفل طريق الهجرة، عندما نسأل اللاجئين الجزائريين لماذا جاؤوا إلى القطر التونسي يدهشهم هذا السؤال ولا نتحصل منهم في الأول إلا على أجوبة عادية مثل: « لكن يا سيدي جئت إلى تونس بسبب الحرب أو بسبب الجيش الفرنسي، أو لأنهم جاؤوا وهدموا المنازل وذبحوا الحيوانات وقتلوا عددا من أبنائي لماذا ؟ لأنها الحرب ؟ [1]

لذلك كانت الهجرة إلى تونس في الأول جزئية ثم تضاعفت بتضاعف العمليات العسكرية ولا سيما منذ سنة 1956م، ففي أكتوبر 1957م قدر عدد اللاجئين نحو 60000 لاجئ وفي أكتوبر 1958م، قدر بـ 70000 لاجئ، وفي أكتوبر 1959م قدر عدد اللاجئين بتونس 150000 لاجئ، وأشهر ملجأ في تونس هو ملجأ " جلمة " بين القيروان وسبيطلة، وهو على كل حال منظم أحسن من غيره.

«إن اللاجئين الجزائريين سيكونون في أكواخ تعيسة لا تقيهم حرا ولا برا وما وزع عليهم من خيام لا يكفي لأن تبنى بسرعة، إنه بدون مجهود مالي ضخم وستبقى مشكلة السكن بدون حل».[2]

1- نفسه، ص. 19

2- نفسه، ص. 20

PDF Compressor Free Version

ومن حسن حظ اللاجئين الجزائريين أنهم تلقوا مساعدات عربية وأجنبية خلال إقامتهم بتونس والمغرب وحسب الإحصائيات الرسمية فقد قامت بمساعدتهم 29 دولة و65 منظمة دولية، وزودتهم بما قيمته 22 مليون دولار أمريكي.[1]

ومن أسباب الهجرة إذ لم يكن أهمها، هدم المنازل والقرى، فقد صرح "كومندان" ونائب فرنسي بالجمعية الوطنية الفرنسية في 13 ماي 1959م مخاطبا النواب: «أيها النواب الفرنسيين إليكم الواقع العسكري، فلكي نمنع العلاقة من التنقل واللجوء إلى القرى، ونحول دون إعانة السكان لهم اضطرارنا إلى الشروع في تطهير جوي لقرى هذه المنطقة، وفي إحدى الأمسيات أسررت بما في نفسي إلى أحد قوادنا العسكريين الكبار، فأجابني لا أستطيع أن أحمي المشاتي وإني مضطر إلى هدمها»[2] ونشرت جريدة "الآوبسرفر" الإنجليزية في مارس 1959م لمبعوثها بالجزائر مقالا جاء فيه: «شاهدت معركة حصار هائل بالمدفعية تعززها الطائرات وفي أقل من 12 ساعة صارت الأرض خرابا يبابا»، وهناك آلاف من التصريحات والمقالات التي نشرت في مختلف الصحف العالمية عن عملية هدم القرى، وطبيعي أن يكون هذا عاملا هاما من عوامل الهجرة وأسبابها.[3]

1- بوحوش، التاريخ السياسي، ص. 547

2- قليل، مصدر سابق، ج 3، ص. 21

3- نفسه، ص. 22

PDF Compressor Free Version

وعن حالة اللاجئين كتب "جان بوللي" في جريدة الجايد السويسرية: «عثرت على سبع إخوان وأخوات يبكون من البرد والجوع، حفاة زرقا من البرد تحت المطر لا يعرفون لماذا هم في هذه الحالة، كل ما يتذكرون أنهم فقدوا أباهم وتركوا أمهم ميتة عند عتبة باب المنزل الذي ولدوا فيه... ذاقوا المرار ليالي وليالي ينامون هنا أو هناك يأكلون ما يجدون في الطريق...».[1]

إن كل المنظمات المهتمة باللاجئين الجزائريين متفقة في أنها لا تستطيع أن تقدم إحصائية مضبوطة عن عددهم نظرا استمرار الحرب من جهة، ولأنهم ليسوا كلهم مجمعين في مراكز الأمر الذي من شأنه إلا يسهل معه إحصاؤهم، ومن جهة أخرى فإن عدد الوفيات من بينهم يجعل إحصائهم أمرا عسيرا.

ورغم الوضعية المزرية التي كان يعيش عليها اللاجئون الجزائريون في تونس والتي شهد العالم أجمع على أنها واحدة من المآسي الإنسانية التي هزت الضمير الإنساني، حتى وهم على هذه الوضعية فقد أبت القوات الفرنسية على شن هجومات مباغته على اللاجئين العزل لتوقع في صفوفهم الكثير من الإصابات بين قتيل وجريح، ولتنشر الرعب

1- نفسه، ص. ص. 22 -23

PDF Compressor Free Version
والذعر وسط هؤلاء الذين جردوا من كل شيء وتعتبر حادثة ساقية سيدي يوسف في تونس أبلغ دليل على ما سبق.

ومنذ أن برزت قضية اللاجئين بتونس إلى الوجود كواحدة من أصعب إفرازات الحرب التحريرية في الجزائر، فمنذ الأيام الأولى لبث تدفق جموع اللاجئين صوب تونس، هيئت قيادة جبهة التحرير بكل مؤسساتها العسكرية والطبية والتموينية والإنسانية للاضطلاع بمسؤولياتها تجاه هذه الجموع التي تمثل جزءا من الشعب الجزائري الذي أخذت الثورة على عاتقها مسؤولية تحريره والدفاع عنه.

لقد تقاسم أفراد جيش التحرير المرابطين بالحدود الشرقية شطف العيش والمأوى مع إخوانهم اللاجئين، وسهروا على تقديم العلاج للجرحى والمرضى الذين وصلوا إلى الحدود في حالة يرثى لها، ونشط الهلال الأحمر الجزائري وإتحاد المرأة الجزائرية في الخارج في حملة إعلامية واسعة شملت الدول الشقيقة والصديقة للتعريف بمأساة اللاجئين وجمع ما يمكن جمعه من تبرعات ومساعدات إنسانية كانوا يقومون بتوزيعها بأنفسهم على اللاجئين في خيامهم، كما سهرت الجبهة على وضعية التعليم بين اللاجئين، حيث خصصت مدرسين ومدرسات للقيام بهذه المهمة تحت أصعب الظروف، كما أجرت الجبهة اتصالات واسعة مع عدد

PDF Compressor Free Version

من الدول لقبول طلاب جزائريين من اللاجئين لمواصلة دروسهم[1]. أما أولئك القادرون على حمل السلاح من الرجال والشبان فقد جرى تدريبهم وإعدادهم لمواصلة مسيرة الثورة.

وبعد توصل الجزائر وفرنسا إلى اتفاق يوم 18مارس 1962م بشأن إيقاف العمليات العسكرية وتشكيل حكومة انتقالية، بدأ اللاجئون الجزائريون في تونس يتهيئون للعودة إلى بلدهم، لكن المشكل العويص الذي واجه اللاجئون في تونس هو أن الفقرة الرابعة من اتفاقيات "إيفيان" تنص على عدم جلاء القوات الفرنسية من مراكزها بالحدود إلى غاية يوم إجراء الاستفتاء الخاص بتقرير المصير واللاجئون لا يمكنهم العودة إلى وطنهم إلا بعد الحصول على موافقة الحكومة الانتقالية التي تسير الجزائر في الفترة الممتدة من وقف إطلاق النار إلى يوم إعلان نتائج الاستفتاء.[2]

وتحقيقا لهذا الهدف قامت الحكومة الانتقالية بتشكيل لجنة جزائرية-فرنسية مشتركة وذلك بقصد تسهيل عودة اللاجئين إلى ديارهم وتمكينهم من الاندماج في الحياة الوطنية، ونظرا لإقدام أعضاء المنظمة السرية للجيش على القيام بعمليات إرهابية ضد المواطنين الجزائريين فقد

1- قليل، مصدر سابق، ج3، ص. 29

2- بن خدة، مصدر سابق، ص. 89

PDF Compressor Free Version

تأخرت عمليات نقل اللاجئين الجزائريين من تونس إلى الجزائر إلى ما بعد أفريل 1962م عقب الاتفاق الشهير بين الحكومة الانتقالية وهذه المنظمة.[1]

والحقيقة التي ينبغي التأكيد عليها هنا هي أن الأغلبية الساحقة من اللاجئين قد عادوا إلى الجزائر قبل أول نوفمبر 1962م[2]، وللتاريخ ينبغي أن نسجل هنا أن اللجان المشرفة على تنقل اللاجئين من تونس قد واجهت صعوبات كبيرة في توفير وسائل المواصلات للاجئين، لن هذه العمليات تتطلب أموالا كثيرة، لكن بفضل التعاون بين اللجان المشرفة على إعادة اللاجئين إلى وطنهم وقسم المواصلات والنقل بجيش التحرير الوطني، عاد اللاجئون إلى الجزائر في سيارات وشاحنات جيش التحرير.

وهكذا فإن اللاجئين رغم مأسوية وضعهم شكلوا دعمًا قويًا للثورة، وزودوا جيش التحرير بالمئات من المجاهدين الذين شاركوا في جل المعارك الحدودية الشرقية وهذا ما يفسر التضخم السريع في أعاد أفراد جيش التحرير على الحدود، الذي أصبح عددهم يقارب عدد أفراد الجيش العامل في الداخل، وكان تنظيم هؤلاء الجنود في الخارج يشابه التنظيم المعمول به في الجيوش التقليدية من حيث الهيكلة والتدرج.

1- بوحوش، التاريخ السياسي، ص. 549

2- Pierre Montagnon, Op. Cit, P.400

PDF Compressor Free Version

إن الحديث عن الرحلة العلمية نحو المشرق تفصيلا وتحديثا يفرض على الباحث في الموضوع الفصل بين أمرين هامين، وهما الغرضان الأساسيان للرحلات العلمية نحو المشرق العربي واللذان يمثلان طورا في البحث عن التحصيل والتفقه في الدين وطورا آخر في أداء فريضة الحج فقط، ثم الرجوع إلى أرض الوطن، ومن علماء الجزائر خلال هذه الفترة يمثل محطات علم وتثقيف، كان يقفون عندها، أو يتوجهون إليها وهي الإسكندرية والقاهرة والقدس ومكة والمدينة وبغداد والشام ولكل اتجاه من اتجاهات الجزائريين عبر العصور أسباب ومبررات يصعب حصرها، وإن كان الطابع الذي يغلب عليه هو الطابع الديني –العلمي، وقد يتقدم العامل الديني في العصور الأولى لدخول الإسلام أرض أفريقية العامل العلمي، وقد استمر الوضع هكذا مدة قرون ببل إلى وقت قريب منا، لسبب بسيط هو عدم فصل الجزائريين عامة بين الدين والعلم، ففي نظرهم فإن الأول يكمل الثاني والعكس صحيح، فالعالم الحق حسب معيار العصر كان عليه أن يكون عالما وفقيها في دينه قبل أن ينصرف إلى الدراسة والتحصيل في أمور دنياه، وما يحيط به من ظواهر مادية وما يتعلق بها فلسفة وسياسة واجتماعا واقتصادا وثقافة...

PDF Compressor Free Version

من المعلوم أن المشرق العربي منذ دخول الإسلام بلاد إفريقية واتصال العرب بها مباشرة قد جلب أنظار أهل البلاد إليه بمختلف اهتماماتهم ومنازلهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.[1]

وبما أن موضوعنا يهتم بحركة المثقفين وطلاب العلم أيضاً فلقد كانت بغداد مقر الخلافة الإسلامية بالنسبة للجزائريين خلال المرحلة الأولى من حركتهم نحو هذا الجزء من الوطن العربي، المحطة الأولى التي بواسطتها اتصلوا فيما بعد بالأقطار المشرقية الأخرى وفي مقدمتها مصر ثم القدس ثم الحجاز، وإن كانت مصر محطة سفر لا بد من المرور بها بالنسبة للجزائريين وخلال القرنين (09-11م) ثبت لنا إحصائيًا أن 40% من الجزائريين قد توجهوا نحو العراق لأغراض مختلفة فمنهم من قصدها طلبًا للعلم، ومنهم من أراد اختبار معارفه وتأكيداته هناك، ومنهم المرتحل والسائح وذلك شأن بكر بن حماد التاهرتي وسعيد الوهراني وعلي القلعي، وكلهم عاشوا فيما بين القرنين (9-11)م[2].

والمميّز في حركة المهاجرين الجزائريين نحو المشرق العربي هو أن فترة تكاثف وجودهم هناك كانت فيما بين القرنين (12-15)م، بحيث

1- عن هذه العلاقات بين الجزائر والمشرق العربي وخصوصا خلال العهد العثماني راجع:

- العيد (مسعود)، "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق"، سيرتا، ع1، قسنطينة، 1979م، ص. ص. 46-54

2-هلال (عمار)، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، الجزائر: د، م، ج، 1995م، ص. 209

PDF Compressor Free Version

نجد عدداً هاماً من الجزائريين هناك، وقد مرت هذه الهجرات بعدة مراحل، لكن ما يهمنا فيها هي المراحل المتأخرة التي لها علاقة بموضوعنا بدءاً بالقرن (19 م) وهو قرن يُشكل حدًا فاصلاً بين مرحلتين: مرحلة التقهقر، ومرحلة إدراك الذات أي الصحوة التي يمكن تحديد بدايتها بشكل أدق بالربع الأخير من القرن (18م)، بحيث برزت في البلاد مؤشرات جديدة ثقافية وعلمية ودينية واجتماعية تمثَلت في بروز عناصر تثقفت أولاً وتشبعت بالثقافة العربية الإسلامية، ثم اهتمت ثانيةً بتعلم لغة المستعمر والاطلاع على حضارته؛ الشيء الذي مكّنها من إدراك وبوعي ما كان يتخبط فيه الشعب الجزائري من جهل وفقر ومرض مدقع، مما جعل هذه الفئة من الجزائريين المثقفين تهتم بقضايا الإصلاح بمفهومه الواسع الديني والاجتماعي والأخلاقي والتربوي وطبيعي أن لا تبرز أسماء هؤلاء في دراستنا هذه لأن جلهم مثل: عبد القادر المجاوي* ابن الموهوب**، بن سماية[1] وغيرهم، إما أنهم لم يرحلوا إلى المشرق العربي

***عبد القادر المجاوي «1848- 1913»**، راجع ترجمته في: الحفناوي (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف،ج2، الجزائر: مطبعة بيير فونتانة، 1907م، ص. 446

****ابن الموهوب (مولود) «1866- 1939م»**، راجع ترجمته في: جريدة النجاح، ع2289، جوان 1939م، الزاهري (محمد الهادي)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، تونس: المطبعة التونسية، 1926م، ص. 31

1- بن سماية (عبد الحليم) «1866-1933م»، راجع ترجمته في : - نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1983م، ص. ص. 178-179- دبوز

PDF Compressor Free Version

وإذا رحلوا فقد رحلوا باتجاه آخر غير المشرق وبالتالي غابت أسماؤهم من قائمتنا التي تخص العلماء الذين لهم علاقة مباشرة بالمشرق فقط.

ومن أبرز مميزات هذا العصر هو إنشاء فكرة الإصلاح بين العلماء الجزائريين وخاصة منهم أولئك الذين تعلموا في المشرق حيث تأثروا بالإصلاح بمفهومه الواسع وبرجاله هناك فنقلوا الفكرة إلى الجزائر فزرع بذرتها ثلّة من العلماء منذ مطلع القرن التاسع عشر (19م) ونبتت في مطلع القرن العشرين وتطورت خلال عشريناته وأعطت ثمارها في ثلاثيناته وعلماء هذا العهد ينقسمون إلى قسمين:

- قسم ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية القديمة، والذي اقتنى ثقافة أساسها العلوم الدينية واللغوية كالحديث والنحو والتفسير.
- وقسم ينتمي إلى المدرسة العصرية التي تمزج العلوم الأصلية مع العلوم الحديثة وفق منهج علمي معاصر[1].

وأشهر من هاجر إلى المشرق خلال هذه الفترة :أنبار محمد بن عيسى (ت ق 19م)، الحاج الدوادي (ت 1854)م، الأغريسي أحمد (1889-1936)م، الخالدي محمد (1813-1866)م، الجزائري أرويلة (ت

(محمد علي)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، الجزائر: المطبعة العربية 1971م، ص. ص. 106-125

1- يراجع، سعد الله (أبو القاسم)، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م، ص. ص. 130-147

PDF Compressor Free Version

1955)م، الدراجي عبد الله (ت 1876)م، الجزائري صالح السمعوني (1868-1924)، معبد القادر الأمير (1807-1883)م، أطفيش إبراهيم بن عيسى(ت 1893)م، المقايسي حمودة (ت 1829)م، الأمين بن علي (ت 1821)م، الجزائري محمد سعيد (ت1861)م، الغابني ابن حسين (1775-1850)م، بن الحفاف (ت 1890)م، المياسي علي (ت 1833)م، الخروبي القلعي (ت 1863)م، ابن عدون يوسف (1745-1808)م لكبابطي مصطفى (ت 1860)م، البراثني المهدي السقلاوي (1786-1861) الجزائري محي الدين بن مصطفى (1776-1834)م، المازوني الصادق (ت 1838)م الجزائري محمد المبارك الحسين الدلسي (1808-1852)م.

وعلى الرغم من أن العصر عصر انحطاط علمي وحضاري فإن ذلك لا يمنعنا من ملاحظة بعض الأسماء المتميزة مثل: صالح السمعوني ومصطفى الكبابطي وحمودة المقايسي[1]، وقد يأتي في مقدمة هؤلاء المهاجرين "ابن عدون يوسف" (1747-1808)م، وكان من أوائل من اعتنق الإصلاح في وقته، ولد ونشأ في بني يسجن وخلف الشيخ عبد العزيز الثميني في إمامة مسجد بني يسجن، شدّ رحاله إلى المشرق واستقر بالقاهرة بعد أداء فريضة الحج مدة أربع سنين حيث لقي أكابر علمائها فأخذ وأعطى قال عنه الشيخ أبو اليقظان: «رأيت له مؤلفات

1- هلال، المرجع السابق، ص. 316

PDF Compressor Free Version

مخطوطة هي غاية في النفاسة وحسن النسج والترتيب منها كتاب في سيرة النبي ﷺ وأرجوزة في بضعة آلاف في الشريعة وأسرارها»، أقام في مصر أربع سنين يَحضر دروس كبار علماء الأزهر، وفي طريق عودته إلى الجزائر عرّج على تونس وبقي فيها مدة حيث شارك في حياتها الفكرية ونهضتها العلمية[1]، ومنهم أيضا "المقايسي" المتوفي سنة 1829م الذي ولد ونشأ بمدينة الجزائر ثم رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة، حيث أكمل تعليمه بالأزهر على يد كبار علمائها[2]. ومن علماء هذا العصر في مصر، "علي بن محمد الميلي الجمالي" المتوفي سنة 1833م ولد في ميلة حيث تعلّم ثم رحل إلى مصر واستقر بها، وتوفي بالقاهرة، له أكثر من اثني عشر مؤلفاً في الفقه وعلْم الكلام[3]، ومن الذين هاجروا إلى مصر في النصف الأول من القرن 19م "محمود بن العنابي" (1775- 1850)م، وهو فقيه حنفي وقاض من أوائل المصلحين لهذا العصر أصله من عنابة ولد وتعلم بمدينة الجزائر وأبوه "الحسين ابن العنابي" المتوفي سنة 1737م، وكان هو أيضًا فقيهًا ومُفسرًا معتبراً ، ولّي الإفتاء في مدينة الجزائر أربع مرات، وتوفي بها شأنه شأن ابنه محمود الذي تولى قضاء الحنفية لمدينة الجزائر

1-دبوز، نهضة، ج1، ص. 282

2-الحفناوي، المصدر السابق، ج1، ص. 140

3-الزركلي (خير الدين)، الأعلام (قاموس التراجم)، ج7، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م ص. 77

PDF Compressor Free Version

عدة مرات وكتب للداي "أحمد باشا" الذي تولى الحكم سنة 1805م. وفي بداية العشرينيات من القرن الماضي شدّ ابن العنابي رحاله إلى المشرق واستقر لمدة في الإسكندرية حيث ألّف كتابه (السعي المحمود) عام 1927م، ومنها انتقل إلى الحجاز فأدى فريضة الحج ثم عاد إلى الجزائر عبر تونس بحوالي سنة قبل احتلالها من قبل الفرنسيين سنة 1830م[1]، وعندما سقطت العاصمة قرر كلوزيل طرده منها حيث توجه صوب الإسكندرية وهناك تولى في عهد (محمد علي) الإفتاء الحنفي حتى سنة (1850)م، حيث عزله (عباس باشا)[2]، وهكذا لاذ بن العنابي بالصمت إلى أن لقي ربه بعد ذلك بنحو سنة تاركًا وراءه في مصر ذكرًا طيبًا وجهدًا كبيرًا.

وفي إطار الاستنزاف البشري الذي استهدفت من خلاله فرنسا إفراغ الجزائر من رجالها المؤثرين في الساحة الاجتماعية والسياسية

1-راجع عنه: سعد الله (أبو القاسم)، المفتي الجزائري بن العنابي رائد التجديد الإسلامي، الجزائر :ش.و.ن.ت،1977م، ص. 19

الزهار(أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تح، توفيق المدني، الجزائر: ش.و.ن.ت،1975م، 127.حمدان بن خوجة (بن عثمان)، مذكرات، تق: ابن عبد الكريم محمد، بيروت: 1972م، ص. ص. 221-224. بن قينة (عمر)، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر: د، م، ج، 1993م ، ص. ص. 19-22

2-نفسه، ص. 21. راجع: - حمدان بن خوجة، المصدر السابق ، ص. 161

PDF Compressor Free Version

والثـقافية، أبعد إلى المشرق قدور بن محمد رويلة (ت 1855)م[1] والخـالدي محمد بن عبد الله (1813-1866)م، كما أبعد إلى مصر بن الكبابطي (ت 1860م)[2]، ومن أصحاب السيف والتعلم في دمشق محمد بن الخروبي القلعي (ت 1862م) ومحمد السعيد بن محي الدين الحسني الجزائري (ت 1861م)، وصالح بن أحمد السمعوني (1824-1868)م ومنهم مصطفى التهامي المعروف بالمغربي (ت 1867م) الذي تولى إمامة المالكية بجامع بني أمية بدمشق وقد تخرّج على يده كثير من علماء دمشق، منهم الشيخ "عبد السلام الشطي" الشهير في زمانه[3].

ومن العلماء الجزائريين المناهضين للاستعمار الفرنسي والذين دخلوا الحجاز ثم عادوا إلى الجزائر العالم "علي بن الحفاف" (ت 1890م)[4]، وهو صاحب الفتوى الشهيرة التي حكم فيها بالكفر على علماء مدينة الجزائر الذين لم يهاجروا بعد الاحتلال الفرنسي لها أو لم يلتحقوا

1- راجع عنه: تشرشل (هنري)، حياة الأمير عبد القادر، ط2، تح: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.

2- للتوسع في الهجرات العلمية الجزائرية إلى جامع الأزهر راجع: الشوكي (عبد الرحمان السيد)، مصر والحركة الوطنية في الجزائر منذ (ح ع 1) حتى الاستقلال، ماجستير في التاريخ الحديث جامعة القاهرة، قسم التاريخ، مصر: 1991م ص. ص. 86-88- 150-155. وعن مكانة الأزهر داخل المجتمع الجزائري ص. ص. 150-153 ، وعن البعثات العلمية ص. ص. 153-155

3-هلال، العلماء، ص. 322

4-للتوسع أكثر يراجع: الحفناوي، المصدر السابق ، ج1، ص. 260

PDF Compressor Free Version

بالجبال، ومن علماء هذا العصر في عُمان، "إبراهيم بن يوسف بن عيسى أطفيش" (ت 1893م)، وهو عالم إباضي له اهتمامات بالغة بعلم الكيمياء، وكان قد أكمل تعليمه بالأزهر، وبعُمان كرّس حياته للتدريس فانتفعت بعلمه أجيال كثيرة ومن طلبة العلم الميزابيين[1] أيضًا هناك من منطقة بني ميزاب "محمد بن عيسى أزبار" الذي رحل إلى المشرق واستقر بعُمان مدة كبيرة، وبعد عودته إلى وادي ميزاب فاز بمشيخة علماء وادي ميزاب حيث توفي[2] وفي نفس السياق هاجر إلى المشرق العربي أيضًا "محي الدين بن مصطفى الحسني" (1776-1834)م وهو ابن الأمير عبد القادر حيث تعلّم بمصر والحجاز والعراق وكذا "المازوني الصادق" (ت 1838م) و"المهدي السقلاوي" الصوفي الرحماني، و"أحمد الأغريسي" الذي تولى خطة القضاء في عدة مدن بالمشرق.

أما في مرحلة القرن العشرين فقد برز في الجزائر بحكم الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المستجدة عناصر مثقفة عصرية منها الصحفي والسياسي والمصلح الاجتماعي والديني، وهي عناصر لا نكاد نجد لها أثرًا في العصور السابقة، وهذه الفئة من المتنوّرين الجزائريين خلا ل هذا العصر تثقفت في أغلبها في المشرق، ولكن بنسب متفاوتة كميًا،

1- دبوز، نهضة، ج2، ص. 284

2- نفسه، ج1، ص. 283

فسوريا قد استضافت مثلا من هؤلاء نسبة 45,71 %، ومصر 25,71 %
PDF Compressor Free Version
أما الحجاز فقد حظي بنسبة 17,14 %[1].

وإذا كان دور كل من مصر وسوريا معروفين في احتضانهما للطبقة المثقفة الجزائرية عبر العصور فإن دور الحجاز غير معروف، وطبيعي أن تضم قائمة المهاجرين من طلبة العلم إلى المشرق شخصيات كان لها أثر كبير في الحياة الجزائرية من كل النواحي الأدبية والفكرية مثل مالك بن نبي، رضا حوحو، البشير الإبراهيمي، حمدان الونيسي، الفضيل الورتيلاني، الطيب العقبي، هواري بومدين، العربي التبسي وغيرهم وإذا رتبنّاهم حسب تاريخ وفاتهم، ففي سوريا يأتي في مقدمتهم "محمد مرتضى الحسن الجزائري" (1827-1901)م، ولد وتعلم بالقيطنة هاجر إلى بلاد الشام وسكن بيروت حيث نشر العلم والمعرفة، وتخرّج على يده كثير من علماء الشام منهم "محمد الحصني" صاحب منتخبات التواريخ وغيره.[2]

ومن بيت الأمير عبد القادر في دمشق أيضًا "أحمد بن محي الدين بن مصطفى الحسيني" (1833-1902)م[3]، وهو عالم فاضل شقيق

1- هلال، العلماء، ص. 328

2- التوسع يراجع- دي طرازي (فيليب)، تاريخ الصحافة العربية، ج2، بيروت: المطبعة الأدبية 1913م، ص. 119

3- الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص. 229

PDF Compressor Free Version

الأمير عبد القادر رحل إلى دمشق، وأخذ عن كبار علمائها وعن شقيقه "محمد سعيد" وابن أخيه مرتضى، ثم أقرأ في داره فنونًا متنوعة وكذلك يقول عنه أحدهم: « كان عالمًا زاهدًا حسن السيرة والسريرة، محبوبًا عند الخاص والعام، ألوفًا متواضعًا في أخريات أيامه جنح إلى التصوف... ومات بدمشق»[1].

ومن رجال الصحافة والسياسة في مصر "محمد الشريف بك الجزائري" الذي كان حيًا سنة 1904م، وهو أديب وكاتب وصحفي من رجال السياسة البارزين في أواخر القرن (19م) عاش في مصر ومُنح لقب البكوية تقديرًا لجهوده وجهاده في خدمة الدولة العثمانية والعالم الإسلامي، أصدر في القاهرة صحيفة "البوستة" سنة(1896م)، وبسبب نشاطه السياسي نُفي من مصر إلى فرنسا سنة(1903م)، واستمر يُراسل صحيفته من منفاه حتى توقفت عن الصدور سنة 1904م[2]، ومن أوائل المصلحين الجزائريين الذين تعلموا في مصر "صالح بن مهنا" (1854-1910م) وهو عالم سلفي مصلح ولد في نواحي القل، ونشأ بقسنطينة وتعلم بها وبتونس، رحل إلى المشرق طلبًا للعلم فدخل القاهرة، وأخذ عن أكابر علمائها وجلس إلى التدريس بقسنطينة وبقي هكذا إلى أن مات

1- هلال، العلماء، ص. 332

2- دي طرازي، المصدر السابق، ج2، ص. 178

PDF Compressor Free Version

بها[1]، ومن طلبة العلم الجزائريين بدمشق في مطلع القرن العشرين "المبارك محمد بن محمد الجزائري" (1847-1912م)، أديب وشاعر صوفي، أصله من دلس، هاجر والده إلى دمشق بعد احتلال الفرنسيين للجزائر، ولد في بيروت ونشأ وتعلم في دمشق ومات بها[2].

ومن طلبة وادي ميزاب الذين دخلوا الحجاز، "أطفيش محمد بن يوسف" (1820-1914م) عالم بالفقه والتفسير والأدب، ولد في بني يسجن وبها نشأ، خرج إلى الحج مرتين وفي كلتيهما اغتنم الفرصة للاستزادة والاطلاع، جلس للتدريس والتأليف والوعظ إلى أن مات في مسقط رأسه، له أكثر من خمسين مؤلفًا في عدة فنون بعضها طبع، والبعض الآخر لا يزال مخطوطًا[3]، ومن العلماء الجزائريين الذين تبنوا العمل السياسي والصحفي في دمشق "محمد التهامي شطة" (ت 1915م)، وهو كاتب وصحفي من دعاة الإصلاح الإسلامي، ولد ونشأ في مدينة الأغواط، ولما احتلها الفرنسيون سنة 1852م انتقل إلى تونس وعندما احتل الفرنسيون تونس سنة 1881م غادرها إلى سوريا، أنشأ جريدة "المهاجر" بدمشق في 11 جانفي 1912م، ثم جريدة "الاتحاد الإسلامي" في 23 جانفي 1915م، انتقل بعدها إلى تركيا، حيث واصل نضاله السياسي دفاعًا عن القضية

1- نويهض، المرجع السابق ، ص. 323

2- الفاسي (عبد الحفيظ)، رياض الجنة، ج1، الرباط: 1350 هـ، ص. 72

3- دبوز، نهضة، ج1، ص. 289

PDF Compressor Free Version

الإسلامية، مات بتركيا، وقد خلّف ولدين هاجرا فيما بعد إلى تونس واستقرا بها[1]، ويذكر أبو القاسم سعد الله بحسب ما ذهب إليه سهيل الخالدي: إلى أن عائلة شطة قد تكون انقرضت من دمشق وأن ثلاثة منها استشهدوا في صفوف الثورة السورية، وقال عن جريدته "المهاجر" أنها كانت يومية سياسية أدبية-علمية-تجارية- فكاهية، تخدم الدولة العثمانية والإسلام[2].

ومن علماء الجزائر في دمشق شهيد القضية العربية "سليم بك بن محمد سعيد الحسيني الجزائري" (1879-1916م)، قائد عسكري وشاعر وعارف باللغات، قتله الأتراك شنقًا لمجاهرته بكلمة الحق وطلب مساواة العرب بالترك، وهو ينحدر من عائلة الأمير عبد القادر، وُلد ونشأ وتلقى تعليمه في دمشق، ثم التحق بالمدرسة الحربية في استانبول وفيها تدَرج في السلك العسكري إلى أن بلغ رتبة عقيد ثم قائد أركان ثم تولى قيادة اللواء السابع خلال الحرب العالمية الأولى، كان له ولوع بالرياضيات فألف كتاباً في المنطق (ميزان الحق)، كما اخترع (بركارًا) صغيراً، وكان يجيد عدة لغات، وقد شغل منصب أستاذ بالمدرسة الحربية باستانبول،

---

1 – نويهض، المرجع السابق ، ص. ص. 85-86. راجع أيضا: – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص. ص . 604 – 605، ه 2.

– BARDIN (Pierre): Algériens et tunisiens dans l'empire Otman de (1848à 1914), Paris: Ed: C.N.R.S,1979,PP(170-171)

2– عمار هلال، العلماء، ص. 334

PDF Compressor Free Version

خاض حروبًا كثيرة، أسر في اليمن، ونجا من الموت بأعجوبة، وكان من مؤسسي جمعية "فتيان العرب"، و"الجمعية القحطانية"، و"جمعية العهد"، حيث أولى اهتمامًا بالغًا للقضية العربية، ونظرا لهذه الحركية المعارضة لمنهج التتريك، قُبض عليه فحكم عليه بالإعدام شنقًا ببيروت وهو لم يبلغ بعد الأربعين من عمره[1].

ومن نفس العائلة في دمشق أيضًا "عبد الباقي بن محمد السعيد بن محي الدين الجزائري" (1850-1916م)،"محي الدين (باشا)" ابن الأمير عبد القادر(1843-1918م)، "أحمد بن محي الدين" (1833-1902)، "السعيد بن محي الدين(1851-1916)، "عز الدين بن محي الدين" (1898-1927)م، "محمد مرتضى الحسين" (1827-1901م)، "الأمير عبد المالك" (ت1924م).

وأشهر علماء الجزائر في دمشق على الإطلاق الشيخ "الطاهر الجزائري" (1852-1920م) كان من وجوه الإصلاح الديني واللغوي في سوريا وواضع الأسس الحديثة البيداغوجية والعلمية للمدرسة السورية، وكان متقنًا للكثير من اللغات الشرقية، وهو أصلاً من زواوة (أوغليس)، هاجر منها والده حوالي سنة 1847م، واستقر في دمشق وبها ولد الطاهر

1- زكي(مجاهد)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ج2، مصر: ب. ت ص.ص. 19-25

PDF Compressor Free Version

ونشأ وتعلم، عيّنه "مدحت باشا" مفتشًا للتعليم وأنشأ (المكتبة الظاهرية) بدمشق و(المكتبة الخالدية) بالقدس، وفراراً من اضطهاد الأتراك بسبب مواقفه القومية حلّ بالقاهرة وأقام بها 18 سنة ولم يرجع إلى دمشق إلا بعد انتهاء الحكم العثماني لها[1].

ومنهم أيضا بالحجاز "أحميدة بن الطيب بن علال الجزائري" (1871-1943م) وهو باحث تاريخي وعالم بالحديث والفقه المالكي، يبدو أنه من الجنوب الجزائري حيث تعلم في زاوية الهامل (بالقرب من بوسعادة) وبسبب اضطهاد الاستعمار الفرنسي له رحل إلى الشام ثم استقرّ نهائيا بالمدينة المنوّرة حيث مات[2].

ومن المهاجرين في طلب العلم إلى مصر، "المولود بن محمد عمر الزريبي" (1897-1925م) كان من رواد الإصلاح في الأوراس، ولد في زريبة الواد (بسكرة)، حيث تعلّم ثم رحل إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر حيث أكمل تعليمه، عاد إلى مسقط رأسه وبدأ حركته الإصلاحية، انتقل بعدها إلى العاصمة وتولى تحرير جريدة (الصديق الإصلاحية) سنة 1920م، وفي نفس الوقت تولى التدريس بالجامع الأعظم، مات في

1- الزركلي، المرجع السابق، ج 3، ص. 320

2- نويهض، المرجع السابق ، ص. 294

PDF Compressor Free Version

"بوفاريك"[1] بعد داء عضال، ومن طلبة العلم المبرزين في المشرق "صالح بن عمر داود" (1881-1928م) وهو من كبار علماء الإباضية في المغرب الكبير، ولد في بني يسجن، حيث نشأ وتعلّم، فقد بصره في الخامسة من عمره حجّ مرتين، فحضر بعض دروس الأزهر وناقش علمائها ثم زار الحجاز، بعدها عاد إلى مسقط رأسه حيث أنشأ معهدا للعلوم الشرعية والعربية وتوفي ببني يسجن[2]، وفي نفس الفترة نجد في دمشق "عبد القادر المبارك " (1887-1945م) أديب حاذق ولغوي[3]، ومنهم أيضًا في الحجاز ومصر "علي الحمامي" (1902-1949م) ، وفي دمشق أيضا نجد الزواوي محمد السعيد أبو يعلى (1878-1952م)[4].

ومن طلبة هذا العهد في الحجاز، "أحمد رضا حوحو" (1895-1956م) كاتب وأديب مجدد ولد في سيدي عقبة (بسكرة) هاجرت عائلته إلى المشرق واستقر بالمدينة المنورة، حيث أكمل تعليمه واشتغل بعدها كمدرس بمدرسة العلوم الشرعية وسكرتير لمجلة "المنهل" إبان

1- ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، مج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م، ص. 228، للتوسع يراجع:-الهادي السنوسي، المصدر السابق، ج2، ص. ص. 99-124

2- هلال، العلماء، ص.340

3- للتوسع في ترجمته، يراجع: دبوز، نهضة، ج2، ص. 144

4- للتوسع راجع: -خدوسي (رابح)، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزائر: دار الحضارة، 2003م، ص. 48. نويهض، المرجع السابق، ص. 164. -البصائر، ع 195- 1948 م،- المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)،ج2 الجزائر: ش. و. ن. ت، 1976م، ص. 130

PDF Compressor Free Version

نشأتها، وفي سنة 1941 عُيّن مترجمًا بمديرية البرق والبريد العامة، عاد إلى الجزائر سنة 1946 م فعيّن أستاذًا بمعهد بن باديس وأصدر جريدة "الشعلة"، وقام برحلات إلى الدول الاشتراكية، في أثناء الثورة التحريرية بالجزائر، قتله الفرنسيون في محنة رهيبة[1]، وفي نفس السياق (العمل الإصلاحي بالجزائر) تأتي شخصية الشيخ "العربي التبسي" (1895-1957م)، وهناك أيضًا في الحجاز "الطيب العقبي" (1890-1960م) كاتب وخطيب وصحفي، ومن مفكري هذا العصر الذين احتضنتهم القاهرة الكاتب والمفكر الإسلامي "مالك بن نبي" (1905-1973م) ولد في تبسة ونشأ وتعلّم بقسنطينة، ومنها انتقل إلى باريس التي واصل بها تعليمه العالي وتخرّج منها مهندسًا ميكانيكيًا من معهد الهندسة العالي، رحل إلى المشرق ودخل مكة، وبعض الأقطار الإسلامية الأخرى واستقر أخيراً في القاهرة حيث أصدر معظم مؤلفاته باللغة الفرنسية وبعضها تُرجم إلى العربية، ساهم في تقديم العون للحركات الطلابية المغاربية، وبعد الاستقلال تولى

1- للتوسع، يراجع:- نويهض، المرجع السابق، ص. 129. - سعد الله، دراسات في الأدب ص. ص. 89-100- مرتاض (عبد المالك)، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الجزائر: ش.و.ن.ت 1983م، ص. ص. 155-185.- دوغان (أحمد)، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، الجزائر، م.و.ص.ك، 1989م ص. ص. 35-40 - وللتوسع في مسيرته بالحجاز يراجع: الخرفي (صالح) - شهيد الثورة الجزائرية احمد رضا حوحو في الحجاز، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1992 م.

PDF Compressor Free Version

إدارة التعليم العالي سنة 1964 م، وكان عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، توفي بالجزائر العاصمة[1].

ومن المهاجرين الجزائريين خلال هذا العصر "حمدان الونيسي" (ت 1912م) بالحجاز و"عبد القادر الخطابي" (ت1916م) بمصر، و"محمد بن يلس" (1852-1927م) بدمشق و"ابن عليوة" (1874-1934م) الطرقي، "والفضيل الورتيلاني" (1900-1959م)، والتلمساني "أحمد بن محمد" (ت1959م) بدمشق، و"السعدي الصديق" (1907-1970م) بمصر، و"الأمير محمد سعيد" (1881-1970م) وهو أديب مهتم بعدة علوم، مات في دمشق.

أما عن الهجرات العلمية باتجاه المغرب العربي فلقد كان للجزائريين (علماء أو طالبي علم)، في كل العهود السابقة لفترة الدراسة أو أثنائها رحلات منظمة تارة وعشوائية تارة أخرى باتجاه مراكز العلم في دول الجوار بالمغرب العربي.. وسنركز في هذا المبحث على قطرين هما (المغرب الأقصى وليبيا) لشهرة مراكزهما العلمية وكثافة وتشابك الروابط بينهما وبين الجزائريين أكثر من غيرهما.

1- للتوسع يراجع: نويهض، المرجع السابق، ص. 282- الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية، 1965م، ص. ص. 64-67 - بن قينة، المرجع السابق ص. ص. 259-274.- الجابري (محمد الصالح)، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1990 م ص. ص.138-140

PDF Compressor Free Version

أ- **المغرب الأقصى:**

قد تختلف هجرات الجزائريين نحو المغرب عن مثيلاتها نحو مناطق أخرى زمنيا ونوعيا وحتى كميا.. ففي المغرب لا يكاد المرء يعثر على أي أثر للعلماء الجزائريين هنالك حتى منتصف القرن (11م / 5هـ)، ولهذا أسباب موضوعية وسياسية وعلمية، ومنها تأخر اشتهار فاس كمركز علمي إلا في القرن (10م)، إضافة إلى عدم تشجيع حكام المغرب لهذا النوع من الرحلات وهو الشيء الذي جعل مراحل وفترات حركة الرحلات العلمية غير واضحة وموجزة ويمكن تحديد مراحل حركة الطلبة الجزائريين نحو المغرب في الفترة الممتدة ما بين القرنين (10م + 20م) كما يلي:

- ✓ المرحلة 01: وتمتد مابين القرنين (11- 12)م - (5 – 6)هـ.
- ✓ المرحلة 02: وتمتد ما بين القرنين (12 – 13)م- (6 – 7)هـ.
- ✓ المرحلة 03: وتنحصر في القرن (14م – 8هـ).
- ✓ المرحلة04: وتمتد ما بين القرنين (14– 15)م - (8 – 9)هـ.
- ✓ المرحلة 05: وتنحصر في القرن (16م – 10هـ).
- ✓ المرحلة 06: وتمتد ما بين القرنين (17– 18)م- (11 – 12)هـ.
- ✓ المرحلة 07: وتنحصر في القرن (19م– 13هـ).

PDF Compressor Free Version

✓ المرحلة 08: وتمتد ما بين القرنين (19- 20م) (13- 14هـ)

ولكل مرحلة من هذه المراحل مميزاتها وخصوصياتها لا من حيث العامل الزمني فحسب ولكن أيضا من حيث الظروف السياسية التي سادت القطرين، والتي لها علاقة بالأوضاع الأمنية والنفسية والثقافية، وفي ضوء هذه المعطيات يمكن التركيز على المرحلتين الأخيرتين حسب هذا التوزيع.

فخلال القرنين (17 – 18)م (11 -12)هـ، شهدت الجزائر ركودا وخمولا فكريا وثقافيا[1]، ورغم ذلك فإننا سنلاحظ بعض الأسماء الجزائرية، وإن كانت قليلة والتي أدت ما عليها علميا وثقافيا لا في الجزائر فحسب ولكن أيضا في المغرب:

ومن علماء هذه المرحلة في المغرب "محمد بن عبد الكريم الجزائري" (ت 1691م) و"المنجلاتي عمر" (ت 1693م) والبطيوي عيسى وابن الكماد محمد بن أحمد (ت 1704م) وعبد الرزاق بن حمادوش (ت 1743م)، وابن الوقاد عبد الرحمان (ت 1647م) والتلمساني عبد الرحمان ابن إدريس (ت 1783م) وأحمد التيجاني (ت 1815م).

ومن أهم هؤلاء في المغرب خلال هذه الفترة وكان لهجرته تأثير في الوسط العلمي المغربي محمد بن الكماد بن أحمد القسنطيني (ت

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 461

PDF Compressor Free Version

1704م) من كبار علماء عصره، استقر بمدينة فاس، حيث اكتسب شهرة فائقة بين علمائها قال احدهم عنها: « له أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهاراته واتساع ملكته «توفي بفاس.[1]

وفي نفس الفترة الزمنية عاش عبد الرزاق بن حمادوش (ت 1747م) رحل إلى المغرب بين سنتي (1743 – 1744)م، حيث ألف كتابه "لسان المقال في البناء عن النسب والحسب والآل" وأثناء تواجده بالمغرب تنقل بن حمادوش عبر عدد من مدن ومناطق المغرب ممارسا نشاطه العلمي في ظروف تكاد تكون عادية[2]، كما استقر في "ترودنت" الشاعر واللغوي الجزائري "عبد الرحمان بن الوقاد" حيث تصدر فيها الخطابة والأمانة والتدريس.[3]

أما عن القرن الثامن عشر (18م) فقد اشتهر فيه "التلمساني عبد الرحمان بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني ثم الفاسي المعروف بالمنجرة (ت 1783م)، وواضح من لقبه هذا أنه ولطول مكوثه في فاس وتأثيره في محيطها العلمي والثقافي أصبح يعرف بالفاسي، وأبو زيد المنجرة

1- هلال، العلماء، ص. 171

2- للتوسع راجع: سعد الله (أبو القاسم)، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، الجزائر: د.م.ج. 1982م.

3- هلال، العلماء، ص. 172

PDF Compressor Free Version

من كبار العلماء المغاربة في عصره، له اهتمامات بالعلوم العربية والمنطق حيث اشتهر بعلمه وعرفانه وسعة اطلاعه، توفي بفاس.[1]

من الجزائريين الذين شدوا الرحال إلى المغرب بقصد طلب العلم خلال القرنين (18-19م) أحمد التيجاني بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف مؤسس الطريقة الصوفية بالمغرب، ولد وتعلم ونشا في عين ماضي بالأغواط (الجنوب الغربي الجزائري)، رحل إلى فاس سنة (1761م) فاخذ منها شيئا من العلوم ثم رجع إلى تلمسان حيث درس بها مدة زمنية ومنها قصد الحجاز لأداء فريضة الحج سنة (1776م)، فمر بتونس وأقام بها مدة قصيرة، ثم عاد ثانية إلى فاس حيث استقر بها نهائيا إلى أن توفي، ولئن كان لأحمد التيجاني نشاط هام في فاس فإن أهمية الرجل وطريقته التي أسسها في فاس قد تبرز أكثر في خارج المغرب الكبير عندما تخطت حدوده وتستقر في قلب غرب إفريقيا حيث جلبت إليها أعدادا وافرة من الأتباع والموردين، وتصدرت الطرق الصوفية هنالك بحيث لعبت دورا مهما.[2]

وعموما فإذا كانت هذه المرحلة فقيرة بعدد علمائها.. فإن المرحلة التي تليها (القرن 19م) قد تستوقف انتباه الباحث بحيث يلاحظ

1- نفسه، ص. 173

2- هلال (عمار)، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافية العربية في غرب إفريقيا السمراء، الجزائر: 1988م، ص. ص. 118 -126

PDF Compressor Free Version

تزايد عدد العلماء الجزائريين في المغرب خلالها، ولكن ما قد يميزها عن غيرها من المراحل هو وضع الفرنسيين أيديهم على البلاد وعزلها لمدة قرن وما يزيد عن نصف القرن من الزمن عن باقي أجزاء الوطن العربي، وقد ضيق الخناق على الأهالي بحيث جعل أجيالا كثيرة تولد وتنشأ في منطقة ما، دون أن تنتقل إلى البلاد الأخرى نظرا للقوانين الردعية الاستعمارية، وهو ما يجعلنا نلاحظ أن طلاب العلم الجزائريين في المغرب خلال هذه المرحلة كلهم تقريبا من مناطق الغرب الجزائري الذي كان في وسعهم أكثر من غيرهم التنقل إلى المغرب وقد يلعب القرن الجغرافي دورا كبيرا في هذا.

وأشهر من هاجر، إلى المغرب من طلاب العلم الجزائريين: الحاج الدوادي (ت 1854م) ومحمد سعيد بن محي الدين (ت 1861م)، الراشدي الطيب بن المختار (ت 1868م) أحمد الأغريسي (1836-1889)م، الشارف بن تكوك (1803- 1880)م، أبو حامد المشرفي (ت 1895)م، الأغريسي محمد بن عبد القادر – عبد الرحمان المجاجي، العربي الشلفي أبو عبد الله المشرفي، عبد القادر المجاوي (1848-1913)م، ابن عليوة (1874- 1934)م.

ومن أشهر علماء الجزائر خلال القرن التاسع عشر في المغرب نذكر محمد سعيد محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري (ت

PDF Compressor Free Version

1861)م وهو الشقيق الأكبر للأمير عبد القادر ولد بقرية القيطنة من نواحي معسكر، رحل إلى المغرب حيث تولى مشيخة الطريقة القادرية، وقد عرضت عليه الإمارة قبل أن تعرض على شقيقه عبد القادر فلم يقبلها ولكنه اشترك مع أخيه في كفاحه ضد الفرنسيين، ودوره العلمي غير بارز لا في الجزائر فحسب ولكن أيضا في المغرب، وعلى عكس ذلك فهو حلي ظاهر في بلاد الشام.[1]

ومن أقرباء الأمير عبد القادر الذين عاشوا في نفس الفترة الزمنية الذين لهم علاقة بالغرب، الراشدي الطيب بن المختار بن الطاهر البشير (ت 1868)م المولود في الراشدية (غريس)، ومنها رحل إلى تلمسان ثم فاس حيث مكث مدة طويلة لطلب العلم ثم رجع إلى مسقط رأسه، رافق الأمير عبد القادر إلى منفاه في بلاد الشام ثم عاد إلى أرض الوطن وتولى الإفتاء بتغنيف إلى أن توفي.[2]

ومن طلبة العلم الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب في هذه الفترة "ابن تكوك" "الشارف بن الجيلاني" (1803- 1890)م، من أتباع المصلح الثائر "ابن السنوسي" ولد في نواحي مستغانم حيث نشأ وتعلم ثم رحل إلى المغرب حيث جلس لطلب العلم في فاس، ثم عاد إلى مسقط

1- هلال، العلماء، ص. ص. 175-176

2- نويهض، مرجع سابق، ص. 145

PDF Compressor Free Version

رأسه وأسس زاوية سنوسية في "بوقيرات" حيث بقي ينشر العلم بها إلى أن توفي.[1]

وقد يكون المجاوي (عبد القادر) (1848- 1913)م من أهم العلماء الجزائريين الذي هاجروا إلى المغرب خلال هذه الفترة، فهو أول من آمن بفكرة الإصلاح السلفي حسب مذهب الإمام عبده في الجزائر.

ولد بتلمسان حيث تلقى جزءا من تعليمه ثم انتقل مع عائلته إلى المغرب فواصل تعليمه في طنجة وتيطوان وأكمله بالقرويين ثم عاد إلى الجزائر فعين مدرسا بالمدرسة الكتابية الرسمية، ومنها نقل إلى المدرسة الثعالبية الرسمية بالجزائر العاصمة، وبعد وفاة المجاوي[2] بعقد من الزمن نجد في المغرب عالما جزائريا آخر لأسباب أخرى غير التي جعلت الأول يرحل إلى المغرب، وهو علي الحمامي* وهو أديب وكاتب وقاض ولد وتعلم في تيارت، رافق عائلته إلى الحجاز عام 1922م قصد أداء فريضة

1- هلال، العلماء، ص. 176

2- جاء في الشهاب عنه ما يلي: «فلا تجد واحدا من هؤلاء في الربع الأول من هذا القرن إلا وهو من تلامذته». أنظر: الشهاب، ع2، مج8، مارس 1932م.

للتوسع راجع:- الحفناوي، مصدر سابق، ج،2، ص. 446.- عمر بن قينة، صوت الجزائر، ص. ص. 69-78.-ناصر، المقالة الصحفية، ح ح، ص. ص. 224- 225

* - **الحمامي علي (1902-1949):** للتوسع في سيرته ومآثره يراجع:

- نويهض، مرجع سابق، ص. 240.
- خدوسي (رابح)، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزائر: دار الحضارة، 2003م ص. ص. 41-42

PDF Compressor Free Version

الحج، إلا أنه مكث هناك لرفضه سياسة الاستعمار بالجزائر، تعرف على الأمير عبد المالك حفيد الأمير عبد القادر، وقبل انتقاله إلى المغرب عمل في باخرة تجارية كانت تجوب العالم بأسره وخلال هذه الفترة اطلع على الأفكار والآراء الحديثة لكبار الكتاب والأدباء الغربيين الشيء الذي فتح عينه على عمل وطني ثوري كما تعرف على الأمير خالد في باريس، وبعد اغتيال الأمير عبد المالك في سنة 1926م واصل نضاله ضد الاستعمار، وشارك في ثورة الريف المغربي التي قادها الأمير عبد الكريم الخطابي*، وبقي إلى جانبه يسانده إلى حين فشل الثورة فرحل إلى باريس، وبعد 1926م قام الحمامي برحلة طويلة في أوربا قادته إلى أغلب عواصمها حيث تعرف على شخصيات أوروبية عالمية وبسبب ملاحقة الاستعمار الفرنسي له لجأ إلى المشرق العربي حيث واصل نضاله ضده، حيث اشتغل

---

* - **الخطابي (عبد الكريم) (1882– 1963):** ولد في أغادير قرب مدينة الحسيمة، التحق بجامع القروين مع نهاية القرن (19م)، وتخرج فيها سنة 1905م، عينته السلطات الاسبانية قاضيا في مدينة مليلية، وفيها تعرف على تقديمي اسبان كما كان يراسل صحيفة " تلغراف ديل ريف " كان أبوه قائد قبيلة بني ورياغل، مات مسموما وواصل نضال أبيه حيث هزم الاسبان في معركة " أنوال " صيف 1921م، ليعلن قيام جمهورية الريف وبعد تحالف اسبانيا وفرنسا ضده، انهزم حيث تم نفيه إلى جزيرة " لارنيون " وقد ظل هناك حتى عام 1947م، فأستقدم إلى فرنسا لابتزاز محمد الخامس وفي طريقه إليها فر عند قناة السويس من الباخرة، حيث منحته مصر اللجوء السياسي ليساهم فيما بعد في توحيد الكفاح الوطني المغاربي. راجع عنه: – بلقزيز، مرجع سابق، ص. 281

PDF Compressor Free Version

بالتدريس في بغداد مدة (11 سنة)، وفي سنة 1946م انظم إلى مكتب المغرب العربي بالقاهرة.

توفي في حادث طائرة في باكستان عام 1949م وهو في مهمة مغاربية رفقة بعض زعماء المغرب الأقصى وتونس[1]، ونقل جثمانه إلى الجزائر حيث دفن إدريس التي نشرت عام 1942م بالقاهرة.[2]

وخلاصة القول فإن عملنا هذا إن كان يهدف إلى شيء فإنما يهدف إلى محاربة النسيان والتذكير بأواصر الأخوة التي ربطت بين شعوب المغرب العربي الكبير منذ عشرة قرون خلت استمر خلالها التواصل العلمي والثقافي بدون انقطاع.

ب-ليبيا:

لم يكن في ليبيا خلال القرن الحادي عشر الميلادي والخامس هجري سوى عالمين جزائريين اثنين، ثم انقطعت أخبارهم في لبيا حتى القرن (15م-9هـ)، بحيث نجد هنالك عالما جزائريا واحدا فقط، وخلال القرن الذي يليه كان في ليبيا مكلفا بسفارة لدى حكامها، كذلك عالم واحد.

1- جغلول، الاستعمار والصراعات، ص. ص. 226 – 231

2- Hamamy (Aly), Idris, Ed2- Alger: E.N.A.L, 1988.

PDF Compressor Free Version

وكذلك الشأن بالنسبة للقرون التي تلي، أي القرون (18- 19- 20)م التي نجد خلالها ولكل قرن عالما واحدا أشهرهم على الإطلاق الإمام "محمد بن علي السنوسي" (1787- 1859)م واضع أسس النهضة الحديثة لليبيا وواضع أركان دولتها الحديثة.

ولم تكن ليبيا أحسن حالا من الجزائر علميا وثائقيا لذلك فلا غرابة إن لم تجلب إليها أنظار العلماء الجزائريين عبر القرون الذين كانوا يبحثون عن المفقود لديهم وفي بلادهم عبر المراكز الثقافية العربية الإسلامية.

ومن أنصار الإمام السنوسي ومذهبه سياسيا واجتماعيا ودينيا في ليبيا خلال القرن (20م-14ه)، "ابن تكوك أحمد بن الشارف" المتوفي سنة (1924)م عالم بالفقه المالكي ورجاله من أنصار محمد بن علي السنوسي، أصله من مستغانم ولد "ببوقيرات" (30كلم شرق مستغانم) وتعلم بمستغانم وبزاوية جغبوب بليبيا حيث استقر إلى غاية سنة 1890م، ثم عاد إلى بوقيرات حيث زاوية أبيه ونشر الطريقة السنوسية في المنطقة فاصطدم بالإدارة الفرنسية بسبب الشعائر الثورية السنوسية التي كان

PDF Compressor Free Version

ينشرها، فنفي إلى كورسيكا حيث بقي ثم عفي عنها وعاد إلى "بوقيرات " حيث مات.[1]

ومن طلبة العلم الجزائريين المتأخرين في ليبيا "محمد إبراهيمي الطرابلسي" (1887- 1947)م شاعر وكاتب من أعضاء جمعية العلماء ومن دعاة الإصلاح في منطقة وادي ميزاب، هاجر أبوه إلي ليبيا واستقر في طرابلس حيث ولد ونشأ، انصرف للتدريس بها وبعد احتلالها من طرف الايطاليين غادرها وعاد إلى "بريان"، حيث اهتم بالتدريس والوعظ ونشر عدة مقالات في الشهاب، ووادي ميزاب والأمة وتوفي "ببريان".[2]

ومن أشهر من هاجر إلى ليبيا خلال العهود السابقة بقصد طلب العلم الدوادي أحمد بن نصر المتوفي سنة 1011م، ومحمد بن عبد الله الأصم (القرن 11م) ويحي العجيسي بن عبد الرحمان (1375- 1458م)، الذي جلس للتدريس بطرابلس الغرب، ومحمد بن علي الطرابلسي الجزائري المتوفي سنة (1556م)، ولكن أشهر هؤلاء على الإطلاق في ليبيا خلال القرن (19م- 13هـ) هو محمد بن علي بن السنوسي الخطابي الإدريسي المجهري (1787- 1859)م مؤسس السنوسية.

1- هلال، العلماء، ص. 495. راجع أيضا: علي المحافظة، مرجع سابق، ص. ص. 149- 163

2- دبوز، نهضة، ج2، ص. 220.

PDF Compressor Free Version

2. مظاهر الهجرة الجزائرية في الوسط المشرقي:

لقد هاجر الجزائريون إلى المشرق العربي عموما خصوصا لا يتنكرون للجزائر ولكن ليجدوا مجالا واسعا حرا يجاهدون فيه، فكانت صلاتهم بها وثيقة يراسلون أصدقائهم وأسرهم في الجزائر كما كانوا يرسلون إليهم طرود الكتب والمجلات العربية النافعة والصحف الوطنية القوية، وكانوا وهم بعيدين يشاركون محن أهاليهم ويشدون من أزرهم ويعرفون بالقضية الجزائرية والمغاربية.

إن تلاحم الجزائري مع إخوانهم المشارقة في النضال ضد الاستعمار الأجنبي ليس وليد الصدفة، أو نتيجة ظرف معين بل هو امتداد لما يربطهما من وحدة جغرافية ووحدة اللغة والدين وصلة الرحم، وقد تجلى ذلك التلاحم منذ أن وطأت أقدام المستعمرين الفرنسيين التراب الجزائري كل مراحل المقاومة.

ويزداد التلاحم بينهما رسوخا على إثر الغزو الأوروبي الذي تعرضت له البلاد العربية منذ منتصف القرن التاسع عشرين ومطلع القرن العشرين، حيث هبّ الشعب الجزائري بما فيه المهاجرون يقدم المتطوعين والمساعدات لحركة المقاومة في كل أقطار العالم العربي والإسلامي.

PDF Compressor Free Version

كما شارك المهاجرون الجزائريون في كل المحن التي عاشتها البلدان العربية السياسية منها والاقتصادية «لقد كان المهاجرون الجزائريون جزءًا لا يتجزأ من التركيبة الاجتماعية والاقتصادية لهذه الأقطار، وقد تأثروا سلبا وإيجابا بكل تقلبات الحياة السياسية بها وساهموا في كل الأحداث السياسية الكبرى التي جدَّت بها بدرجات متفاوتة».[1]وإذا تساءلنا هل حافظ المهاجرون في المشرق العربي بالمناطق التي استوطنوا فيها على تلاحمهم وعاداتهم ولهجاتهم؟

نجد أنه قد لا نستطيع وضع إجابة جازمة لمثل هذا السؤال خاصة وأن التقارير القنصلية تضاربت في هذا الشأن، فمن القناصل من يقول أن الجزائريين اكتسبوا لغة ولباس وعادات المشارقة عموماً ومنهم من عارض ذلك، ويقول أن المجموعات الجزائرية انفردت عنهم بدليل إقامة غالبيتها في أحياء وأماكن خاصة وإقامة المزارعين منهم في قرى خاصة بهم أصبحت مع مرور الأيام مستوطنات جزائرية كاملة، ولكن رغم هذه التناقضات هناك من العوامل ما يسمح لنا باستخلاص فكرة معينة وهي أن المهاجرين إلى تونس مثلاً تشكلت بينهم بحكم دوافع الهجرة ومظاهر الغربة لحمة اجتماعية جعلتهم يحافظون إلى حد ما على عاداتهم وتقاليدهم التي ورثوها في الجزائر، ولكن إذا بقي هذا

1- الجيلاني والمرزوقي، مرجع سابق، ص. 38

PDF Compressor Free Version

التلاحم سائدا بين أفراد المهاجرين الأوائل، فإن الجيل المولود في تونس لا مفر له من التأثر بالوسط الجديد الذي يعيش فيه، ورغم ذلك حافظ الجزائريون على التزاوج فيما بينهم ما زاد في تماسكهم واستمرارهم على عاداتهم، كما بقي المهاجرون على اتصال مستمر بوطنهم وباتصال مستمر مع ذويهم بالجزائر، وبما يستقبلونه من أخبار مع الحجاج والتجار والسياح، وقد ساهم المهاجرون لا في نشر دعاية الجامعة الإسلامية في إفريقيا الشمالية فقط بل في تعزيز الروح الوطنية أيضا.[1]

ولم يكن المهاجرون الجزائريون بحاجة إلى الاتصال بالسلطات المدنية أو القضائية فكل معاملاتهم من زواج وطلاق وإرث وشراء وبيع تتم برعاية شيوخهم، وهذا ما يفسر قلة ورود أسماء الجزائريين في دفاتر المحاكم الشرعية بتونس.[2] وكان التونسيون يطلقون على المهاجرين الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس بعد احتلال الجزائر سنة 830م، أو بعد ثورة المقراني 1871م تسمية " الغرابة " أي القادمين من جهة الغرب.[3]

1- Roger, Op.Cit, P. 46

2- طرشون، مرجع سابق، ص 133 . للتوسع يراجع: A.N.T, Série A, C278, Dossier 3, NP48, D.Ex 1899-1916.

3- التيمومي، مرجع سابق، ص. 19

PDF Compressor Free Version

إن استقرار المهاجرين الجزائريين بالبلاد المشرقية قد اتخذ شكل تجمعات سواءَ حول المدن أو في الأرياف، وقد ساعدتهم هذه التجمعات في الحفاظ على طابعهم الاجتماعي وعلى نمط الحياة التي اعتادوها في الجزائر، وتختلف تجمعات الجزائريين بالمدن عن مثيلاتها في الريف، فالتجمع في الريف عادة يحتوي على مجموعة عائلات ذات نسب واحد، بينما التجمعات حول المدن فتضم مجموعات مختلفة تنحدر من العديد من المناطق في الجزائر.

وكان فشل ثورتي الأمير عبد القادر1847م، والمقراني 1871م سببا دفع في عدد كبير من سكان الجنوب القسنطيني ومنطقة القبائل للهجرة، وفي تقرير للقنصل الفرنسي بتونس وضعه في شهر أوت من عام 1878م موجهاً للحكومة العامة بالجزائـر قدر فيه عدد المهاجرين الجزائريين المقيمين بتونس بحوالي (16000شخص) من مختلف مناطق الجزائر، وهذا معناه أن نسبة كبيرة من المهاجرين خرجوا من دون تصاريح حكومية رسمية فارين عبر الطرق البرية.[1]

وقد توزع الجزائريون في الشام على شكل تجمعات كبيرة بحسب انتماءاتهم الجهوية في الجزائر فهناك "جماعة القبائل" و"جماعة القسنطينيين"، و"أهل سوف".. وغيرهم ويوجد على رأس كل مجموعة

1- قليل، مرجع سابق، ص. 44

PDF Compressor Free Version

شيخ ينتمي إلى هذه الجماعة، ويتم تعيينه بقرار حكومي، ومن مهماته تحصيل الضرائب وتوفير الأمن[1].

وكانت هذه المشيخة تورث أبا عن جد.. ولعلهم احتفظوا بالنظام القبلي الذي كان سائدا في الجزائر، ثم أن الهجرة كانت جماعية تضم قبائل وأسر كاملة وكانوا حين وصولهم إلى مناطق استقرارهم في المهجر يعملون على الحفاظ على نفس عاداتهم وتقاليدهم التي اكتسبوها أيام وجودهم في الجزائر، ويستمرون في المحافظة عليها وتوريثها للأجيال اللاحقة، حيث كانت مهمة الشيخ حل النزاعات بينهم، وكان يشكل الواسطة بينهم وبين السلطة الحاكمة، لكن مع الهجمة الاستعمارية الجديدة على المشرق والمغرب واستيلاءهم على مقاليد الهيمنة تلقى المهاجرون الجزائريون عدة مضايقات من طرف هذه السلطات حيث فرض عليهم التجنيد الإجباري سنة1917م..كما أن الفرنسيين في تونس ولبنان وسوريا.. والمغرب حاولوا أن يجعلوا من بعضهم أداةً تخدمهم في ضرب مختلف المقاومات[2].

ووصل عدد المهاجرين من منطقة القبائل وحدها حتى سنة 1881م إلى (3500) شخص، ولم تعد تونس مركزا لاستقرار المهاجرين فقط

1- طرشون، الهجرة، الرؤية، ع03، ص. 169

2- Rager .op.cit.P17. – A voir: A.N.T, Série A, C278, Dossier 16, NP 314, D.Ex 1912-1916.

بعد السنوات الأولى من فرض الحماية، بل موانئها في كثير من الأحيان إلى جسور اتخذها المهاجرون للانتقال إلى مصر وبلاد الشام.[1]

PDF Compressor Free Version

وبفعل المشاركة والتفاعل مع سكان الأرض الأصليين استطاعوا أن يؤثروا فيهم ويكسبوهم عادات وتقاليد جزائرية ما زالت ماثلة لحد الآن في الممارسات اليومية للمشارقة كما أن أغلب مهن الجزائيين هي: الفلاحة، التجارة، الحرف والمصانع... ففي جانب الحرف والصنائع فقد حملوا معهم مهنهم الحرة من خزف ونحت وحياكة... وغيرها واستطاعوا بفضل شبكة علاقاتهم واندماجهم في الحياة الاقتصادية، أن يؤثروا فيهم، وبذلك أعطوا رافدا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا جديدا للبيئة التي استقروا بها[2]

كما انخرط البعض منهم في الفرق العسكرية، كما تحول البعض منهم إلى ملاكين للأراضي ويعتبر المهاجرون من منطقة قسنطينة هم الأكثر ثراء من الجالية الجزائرية بتونس وكان أقلهم ثراء المهاجرون القادمون من تبسة وخنشلة[3]. ومن العائلات الشهيرة للمهاجرين الجزائيين بتونس (زروق ـ كحالة ـ بن الشيخ ـ بن عيسى ـ بن الحسين ـ الملكي ـ العربي ـ المدني ـ الخنقي ـ الشريف ـ الرزقي ـ الشرفاوي ـ

1- طرشون، الهجرة، الرؤية، ع03، ص. 169

2- Roger, Op.Cit, P. P. 17-18

3 -Ibid, P. 18

PDF Compressor Free Version

الحافظي ـ الجنادي ـ اللقاني ـ السنوسي ـ بوشوشة- الدلسي ـ أوقاسي - المقراني ـ الحداد...

وتركز نشاط المهاجرين الجزائريين في البلاد التونسية مثلاً على العمل الفلاحي كان المجال الأرحب الذي استوعب أعدادا هائلة من الأيدي العاملة، وكانت فرصة العمل متاحة لكافة أفراد العائلة خاصة في مواسم جني الثمار حيث كان النساء والأطفال يشاركون في هذا العمل بأجر يقل عن أجرة الرجل، إضافة إلى أن العمل الفلاحي كان يتيح للكثير من العائلات المهاجرة التي ترتبط بصلة القرابة غصة العيش في مكان واحد حتى تحافظ على لحمتها وترابطها الاجتماعي.

ومن الزراعات التي نجح فيها المهاجرون وأقبلوا على تعاطيها بكل جدية زراعة الحبوب (القمح والشعير)، باعتبارها تمثل العنصر الأساسي لقوتهم اليومي إضافة إلى ما توفره من علف لحيواناتهم، بيد أن ذلك الحماس الشديد الذي أقبل به المهاجرون على تعاطي العمل الفلاحي كثيرا ما اصطدم في بعض المناطق التي حل بها الهاجرون بشيء من الإحباط نتيجة المنازعات والإشكالية التي كانت عليها الأراضي الفلاحية في تونس.[1]

1- Ibid, P. 17

PDF Compressor Free Version

وفي ضوء هذه الوضعية الصعبة للأراضي واجه المهاجرون الجزائريون العديد من مشاكل كان أهمها وأشدها قسوة الأراضي التي أقاموا بها خيامهم لغرض السكن والاستقرار.

يضاف إلى ذلك إشكالية أخرى أخذت حيزا مهما من المناقشات وردود الفعل بين المهاجرين والوزارة الكبرى من جهة، والإقامة العامة الفرنسية من جهة أخرى، هي ربط امتلاك الأرض دون أخذ الجنسية بمعنى آخر لاحق للمهاجرين الجزائريين في امتلاك الأرض دون أخذ الجنسية التونسية، غير أن هذا الموضع لم يعد يشكل أهمية بالنسبة للمهاجرين القدامى، ولاسيما أولئك الذين أنجبوا أبناء، وأصبح أبنائهم داخل معترك الحياة جنبا إلى جنب مع أشقائهم أبناء تونس ولم يعد للهوية الإقليمية أي أهمية تذكر، بيد أن السلطات الفرنسية كانت تثير موضوع الجنسية بين الحين والآخر خدمة لمصلحة فرنسا وحتى تخلق نوعا من التفرقة بين السكان العرب الذين كان يجمعهم هدف واحد، وهو مقاومة الاستعمار الأجنبي، وقد تجلى ذلك في وقفة السكان العرب المسلمين ضد المتجنسين بالجنسية الفرنسية ورفض دفنهم بمقابر المسلمين خلال الثلاثينات.

ولم يقتصر نشاط المهاجرين على حرفة أو مهنة معينة بل مد نشاطهم ليشمل العديد من مجالات الحياة بيد أن الفلاحة ظلت المجال

PDF Compressor Free Version

الذي يستأثر باهتمام أغلب المهاجرين ومن أهم الأعمال التي استوعبت أيدي عاملة جزائرية: المنجم وأعمال البناء وفي الموانئ (عملية الرصيف) والمصانع والمهن الخاصة التي كان بعضها ملكا على ذمة المهاجرين منها المقاهي، الحلاقة، المطاعم...

وكان النظام الإداري المتبع بالنسبة للمهاجرين الجزائريين هو تخصيص عامل من قبل السلطة الحاكمة والراعية في تلك الأقطار يتولى كل شؤون المهاجرين الجزائريين في مختلف المناطق ويخضع لإشرافه سائر مشايخ العروش التي ينحدر منها المهاجرون.[1]

ومنذ بداية تاريخ الاستعمار الفرنسي في تونس سنة1881م لم يعد للمهاجرين عاملهم الخاص بهم بل أصبحوا يخضعون لهيمنة المراقب المدني الفرنسي ولعامل المنطقة وأصبح تعين المشايخ وفقا للأسلوب الإداري الجديد بتونس لا يتم إلا بعد أخذ موافقة المراقب المدني الفرنسي بالمنطقة.

كان هذا الأسلوب يختلف مع الطريقة التي كانت متبعة في اختيار المشايخ فبل تاريخ عهد الحماية. إذ كان الأسلوب المتبع آنذاك هو أن يوكل الأمر للأهالي والأعيان وعلى الخصوص المجلس التأسيسي المصغر للقبلة في اختيار الشخص المناسب الذي تتوفر فيه المواصفات الخلقية

1- Roger, Op.Cit, P. 16

PDF Compressor Free Version

والقدرة في أن يكون شيخا عليهم، يتعاطى أمورهم العرفية ويعتبرون ذلك حقا من حقوقهم لا يمكن التفريط فيه، ويتولى العامل نقل الوثيقة الممضاة من أعيان القبلة لتولية الشيخ الذي تم الإجماع عليه لإصدار أمر لتولية من الوزارة الكبرى، لقد كان الأسلوب الجديد انعكاسه على الشيوخ المهاجرين إذ فقد الكثير منهم وظيفتهم نتيجة إعادة تقسيم المشيخات وتقليص عددها وفقا لسياسة التي توخّتها الإقامة العامة الفرنسية.[1]

وإن احتفظت بعض العروش المهاجرة باختيار شيوخ من بين أفرادها يتولون شؤونها الإدارية والإجتماعية، نتيجة لكثرة عدد أفرادها وهي خاصة ميزت العروش المهاجرة من الشرق الجزائري وهو ما يؤهلها لأن تكون لنفسها مشيخة خاصة فإن عدد آخر من العروش الجزائرية التي ليس لها وزن عددي أو تلك التي توزع أفرادها في مناطق شتى من بلاد المشرق والمغرب، فإنها أصبحت منضوية داخل نطاق مشيخات أخرى حسب المنطقة التي يتبعونها.

وكانت وظيفة الشيخ لها ارتباط مباشر بالجانب الإداري والمالي، وهذا ما جعل الكثير من المشايخ يتعرضون لارتكاب العديد من

1- نصوص تتعلق بكيفية تعيين المشائخ A.NT.S.(A)- B24 –Dos 06

PDF Compressor Free Version

المخالفات المالية والإدارية من خلال مباشرتهم لها وظيفتهم التي ترتكز عل معالجة الجانب الضريبي[1].

إن من أهم المؤسسات التي كانت مناطة بالمشايخ هي استخلاص الضرائب من الأهالي وكان ذلك سبباً في إحداث المشاكل بين المشايخ وأولئك الذين يعطون بيانات غير صحيحة عن ممتلكاتهم ومكاسبهم أو يتقاعسون عن دفع الضرائب في مواعيدها المحددة وغالباً ما تجد هذه المشاكل عندما يحين موسم خلاص المطالب الدولية.[2]

والشيخ يعتبر المسؤول الأول أمام العامل وإدارة المال في جمع هذه الغرائب والإعلان عن الأشخاص الذين تخلدت بذمتهم أموال الدولة وكثيرا ما يلجأ بعض الأفراد الذين تقع خلافات بينهم وبين الشيخ إلى أسلوب الوشاية وتشويه سمعة الشيخ لدى الجهات الحكومية المختصة باتهامه بالسرقة والسطو على أموال الضرائب التي يجمعها ومما جاء في إحدى الوثائق».. وعليه يجب على إدارتكم المباردة بأعلام إدارة المال العام بمباغته الشيخ المذكور لأجراء حساب معه فبلا شك تقبضون على ناحيته متلبسا ويداه ملخة بأموال الدولة...».[3]

1- Ibid.

2- Ibid.

3 - Ibid.

PDF Compressor Free Version

وتميز النشاط الذي اضطلع به المهاجرون الجزائريون منذ مطلع القرن 20م، في جل مراحله بالحيوية والاندفاع والعمل الدائب كما كان هذا نشاطا متلاحقا توارثته الأقلام والأجيال وتفرد فيه كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها.. ومثلما ساهم في توسيع هذا النشاط نخبة من المهاجرين بأفكارهم وآرائهم فقد ساهم في تزكيته ومتابعته بحرص المهاجرين بأنفسهم وأقلامهم معا.

ومع بداية القرن العشرين لعب المهاجرون الجزائريون دورا كبيرا في إرجاع الاستعمار الأوروبي وفي معارضة القرارات الأساسية التي يريد منها فرض استعداده وهي مرحلة اكتنفها من الظروف العويصة والمعوقات المتعددة الكثير كانت نهايتها مأساة دفع ثمنها قلة من رجال الجزائر ممن كان دور بارز سياسيا وعسكريا وفكريا خلال هذه المرحلة.

فالمهاجرون الجزائريون الذين تحدوا الواقع المسلط عليهم، وعانوا من الغربة والخيبة وقسوة المستعمر آلمهم حال وطنهم، وحاولوا أن يتبنوا أساليب جديدة في المواجهة « فبدل النضال السلبي القائم على كتابة المقالات، أقدموا على أسلوب العمل السياسي المباشر الذي يقوم على تأسيس الأحزاب، وإبراز المطالب الوطنية ضمن إطار قانوني يعبر عن إرادة الجماعة.. فالتحموا بالأحزاب والحركات الوطنية في كل الأقطار التي

PDF Compressor Free Version

هاجروا إليها وانضموا تحت لوائها، وأكسبوها طابعا جزائريا هدفه البعيد مكافحة المستعمر».[1]

وتطبيقا لهذا الأسلوب أقبل عدد من المهاجرين المقيمين بتونس على الانخراط في الحزب الحر الدستوري منذ تأسيسه وأبتعثت في مؤتمراته لجان تنفيذية تضم في عضويتها ثلة من الجزائريين بالمولد والجنسية والتكوين، ويكفي أن على رأس أول حركة سياسية وطنية تونسية كان واحدا من المهاجرين الجزائيين وهو الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وأن من قاد حركة طلابية في تونس كان واحدا من المهاجرين الجزائريين ويعد الشيخ الخضر حسين، هو من أسس أول مجلة تونسية (السعادة العظمى)، وأن من أسس أول جريدة تونسية ذات بعد وطني (الحضارة) كان واحدا من المهاجرين الجزائيين وهو الأستاذ علي بوشوشة... وطبعا الأمثلة كثيرة (سياسيا- عسكريا- ثقافيا أدبيا....).

وفي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى خاض المهاجرين الجزائريون نشاطا مميزا على مختلف الجبهات، إذ ساهموا في مؤازرة الحركة الوطنية التونسية «ولعل أهم قضية طرحها الجزائريون في هذه المرحلة هي دعوتهم الجزئية إلى وجوب تحلي الجزائريين بروح الوطنية

1- الجابري، النشاط، ص. 264

PDF Compressor Free Version

والبذل ونكران الذات وإدراك أبعاد الاستعمار والحفاظ على انتماء الشعب الجزائري الحضاري والديني».[1]

وخلال هذه المرحلة أيضاً تتابع تغلغل الجزائريين إلى الأجهزة الإدارية والتنفيذية للأحزاب والجهات والصحف....ليباشروا المقاومة السياسية والفكرية ضد الوجود الاستعماري وضد التخلف والاستبداد والجهل، فالوجود الجزائري كان له دور كبير في تعضيد الحركات الوطنية، كما كان ضروريا بالنسبة لتوزيع الأدوار الوطنية «..وما يلاحظ هو أن الجزائريين المنضويين في الحزب الدستوري (مثلاً) قد التزموا بمبادئه السياسية في تناول الشؤون التونسية دون غيرها..».[2]

ومع الزمن أخذ هذا التأييد صبغة مغاربية تجسد في المطالب السياسية للحزب الدستوري، على أن هذه السلبية المقصودة لم تمنع أعضاء الحزب الجزائريين من القيام بدور بارز في مجال تشجيع الطلاب الجزائريين من الاحتفاء بالقضايا الجزائرية وإدخالها ضمن اهتمامها تهم الأدبية والفكرية وطرحها بقوة ضمن تيار متفرد الملامح في الظاهر، وفي إطار هذه الخطة السياسية صدرت الصحف الجزائرية التي طبعت بالمطابع التونسية، وظهرت المساندة والمساهمة في تحرير الصحف

---

1 نفسه، ص. 221

2 نفسه، ص. 268

PDF Compressor Free Version

التونسية وإجمالا في النشاط الوطني الذي بذله الجزائريون المهاجرون بتونس كان أوضح مواجهة وأشد على الاستعمار من ذلك النشاط الذي بذله الأسلاف في المرحلة السابقة وهذا ما سنبرزه في الفصل الثالث من الباب الأول في هذه الدراسة.

3. آثار وانعكاسات أدوار النخبة المهاجرة في الحياة الجزائرية.

3-1- صراع من أجل الهوية:

عندما يتكوّن لدى مجموعة بشرية الإحساس والاعتقاد والوعي يتقاسم نفس القيم، يمكن القول أنه يوجد داخلها "هوية ثقافية" معينة، وعليه فالهوية الثقافية ليست شيئاً موضوعياً يمكن قياسه من "الخارج" فإذا كان هناك شخص غريب أصلاً عن دين معين أو أثنية معينة، واعتنق فيما بعد هذه الديانة أو شارك الإثنية قيمها، فإنه باستطاعته أن يتقاسم هذه المجموعة الدينية أو الإثنية هويتها الثقافية ونفس الشيء بالنسبة للذي سوف يتخلى نهائياً عن دينه أو مجموعته الإثنية، يمكن أن يفقد هويته الأصلية فالهويات الثقافية لها إطار وحدود هي الفضاءات المادية والجغرافية أو الثقافية التي يحتلها من يتقاسمون القيم المشار إليها، وإنه ليس من السهل دائماً -وأحياناً من المستحيل- التخلي الطوعي عن الهوية الأصلية لتبنّي هوية أخرى ويبدو أنه يوجد في أعماق النفس البشرية تشكل ذهني معين مكتسب منذ مراحل الطفولة الأولى يظل دليلاً

PDF Compressor Free Version

مرجعياً راسخاً والتي تجعل من المستحيل أحياناً حصول نوع من الانتقال الثقافي المتبادل، وهذا العائق هو بدوره ذو طبيعة ثقافية ليس مرتبطاً أصلاً بالتشكل الوراثي للأفراد والتخلي عن الثقافة الأصلية لاعتناق أخرى بصفة إرادية وطوعية طريق للوصول فعلياً لمعرفة الآخر لأنه يتطلب القطع مع الضغوطات البسيكولوجية للثقافة الخالصة لغاية فهم ثقافة الآخر، لكن هل يمكن أن ينطبق هذا الوضع على علاقة المجتمعات ذات الثقافات الغالبة مع المجتمعات ذات الثقافات المغلوبة.

أ/ في مفهوم الهوية:

تجب الإشارة إلى أن مفهوم الهوية متصل إلى حد كبير بمصطلح حديث نسبياً هو مفهوم القوميات، وهو مفهوم ارتبط أساساً بتميز القوميات في القرن (19م)، ومن خلال عملية رصد سريعة لمقالات وأدبيات طلبة جامع الزيتونة وخريجيه تتكرر وتتواتر عديد المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بمفهوم الهوية مثل الأمة والذاتية والشخصية والكيان والسيادة والاستقلال وبالتالي تطرح مسألة الهوية في مختلف تفصلاتها المشدودة إلى الأمة والشخصية والذاتية والثقافية واللغة والدين والتاريخ.

فالأمة تعني جماعة المؤمنين أو المسلمين أو الجماعة الإسلامية كنقيض للانتماء القبلي أو العشائري كما تعني أيضاً مجموع الأفراد في

PDF Compressor Free Version

"دار الإسلام" لا فضاءً جغرافيا محدداً ولقد استعمل رجال السياسة في المغرب العربي ذو اللسان العربي في الفترة المعينة بالمصطلح أو مفهوم الأمة الذي ترجم إلى اللاتينية بمصطلح شعب ووطن.[1]

ولم تتسرب المفاهيم الحديثة ذات العلاقة بالوطن/ الوطنية للتيارات السياسية والإيديولوجية إلى تونس وبلاد المغرب عموماً حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، فليس هناك في ذلك العهد غير الجامعة الإسلامية القادرة على خلق وحدة معينة لمواجهة الهيمنة الغربية.

أما الوطن فيعني قبل القرن (18م) وكما ورد في "لسان العرب"[2] «مسقط الرأس أو مكان الإقامة أو الولادة»، ويمكن أن يعني حسب السياق، البلد والمقاطعة والمدينة أو القرية أو أراضي القبيلة ومدلوله الحديث والحامل مضمون إيديولوجي وسياسي فيعود إلى السنوات الأخيرة للقرن (18م)، وبدأ هذا المصطلح في الانتشار في البلاد العربية الإسلامية منذ منتصف القرن 19م (الطهطاوي، خير الدين ابن أبي ضياف)، فالمعيار الديني لم يعد المعيار الوحيد لتحديد الانتساب كما في السابق، من ذلك أن العناصر المؤسسة للذاتية الجزائرية، إنما هي الإسلام والأرض ومسقط الرأس وسلطة الانتماء بالدرجة الأولى، إن وعي الهوية

---

1 – السيد (رضوان)، مفاهيم الجماعات في الإسلام، بيروت: دار المنتخب العربي، 1993م، ص. ص. 36– 37

2 – لسان العرب، مج4، ص. 574

PDF Compressor Free Version

بمعنى الذاتية الجزائرية بدأ في البروز بين الأهالي الجزائريين في مطلع القرن العشرين عندما امتزجت أوضاع ناجمة عن النظام الاستعماري بظروف سابقة للاحتلال والمتمثلة في وحدة التراب ووحدة اللغة ووحدة الثقافة ووحدة العقيدة التي عززت الروابط بين سكان البلاد وغذّت مشاعر الانتماء لتاريخ مشترك ودعّمت التقارب والوعي بالمصير الواحد ساهم في بروز نوع من اللحمة الوطنية.

غير أن مفهوم الهوية الجزائرية لدى المهاجرين الجزائريين يندرج ضمن المفهوم الواسع للأمة الإسلامية هذا الفضاء الإيديولوجي الذي يشكل ملاذاً وحصناً لمجتمع يتهدده المسخ والذوبان وقد مثل انتشار الحس العروبي في الجزائر ظاهرة ملفتة الانتباه بعد الحرب العالمية الثانية، بعد تراجع الإيديولوجية العربية الإسلامية لدى النخبة الوطنية بانحلال الإمبراطورية العثمانية وإلغاء الخلافة وهذا الاتجاه العروبي ليس إلا أحد الاشتقاقات المعدلة للجامعة الإسلامية، متكيفاً مع التحولات التي طرأت على العالم الإسلامي منذ نهاية القرن التاسع عشر، وبرز هذا الاتجاه العروبي في الجزائر في شكله السياسي بعد ظهور تياران قويان سيطرا على الساحة السياسية والفكرية في الجزائر: التيار الإصلاحي المجسد في جمعية العلماء المسلمين والتيار الاستقلالي المجسد في حزب الشعب الجزائري.

PDF Compressor Free Version

وكلاهما ساهم فيهما فصيل هام وكبير من المهاجرين إلى المشرق والمغرب الذين مثلوا هذا الاتجاه الداعي إلى تحرير الجزائر في إطار يضمن اندماجها في العالم الإسلامي، وأصبح الاتجاهان (السياسي- الثقافي) يسيران على خطة واحدة بعد الحرب العالمية الثانية وإن اختلفت الوسيلة والطريقة فالخطة كانت قائمة على طلب الذاتية القومية الجزائرية ومقوماتها في الاندماج في العالم العربي، وأصبحت الجامعة العربية باعتبارنا حيتها الثقافية والسياسية الغاية التي يتجه كل عمل فكري واجتماعي في الجزائر إلى تحقيقها، وتنشأ الصراعات حول الهوية في غالب الأحيان في بعض المنعطفات التاريخية فصدمتا الحداثة والاحتلال خلقتا جواً من البلبلة هزت القيم والعلاقات وطرق التصور والتنظيم حينها بدأ ولازال حديث الهوية، ويتحدد مفهوم الهوية بناءً على الدلالة اللغوية والفلسفية والسوسيولوجية والتاريخية لهذا المصطلح، فهو يعني الشيء نفسه والتشابه والخصائص الدائمة والأساسية لشخص أو مجموعة كما أن مرادف الهوية هو الذاتية أو الشخصية ومجموع معطيات الواقع والقانون كتلك المتعلقة بتاريخ ومكان الولادة والاسم واللقب التي من شأنها تأكيد أن فرداً ما هو الشخص بعينه دون أن يقع اللبس مع شخص آخر.

PDF Compressor Free Version

وفي التراث الفكري العربي تعريفات كثيرة للهوية إذ عرفها "الجرجاني" بأنها الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار، والهوية عند ابن رشد تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود، وعند الفارابي هي "الشيء أي عينته وشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد لا يقع فيه إشراك" والهوية هي الشفرة (الرمز) الذي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته الاجتماعية التي ينتمي إليها والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون باعتباره منتمياً لتلك الجماعة وهي شفرة تتجمع عناصرها على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها الإبداعي وطابع حياتها وتتجلى الهوية كذلك من خلال تعبيرات خارجية شائعة مثل الرموز والألحان والعادات التي تنحصر قيمتها في أنها عناصر معلنة تجاه الجماعات الأخرى وهي أيضا التي تميز أصحاب هوية مشتركة عن سائر الهويات الأخرى وإن كان من الصعب تقديم تعريف للهوية لاختلاف الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع فإنها على أية حال تتحدد من منطلق العلاقة بين الأنا والآخر، والهوية نسبية وليست أزلية، هوية متفتحة قابلة للتعديل والتكيف والتفاعل مع الهويات الأخرى، شريطة أن يتم ذلك باختيار واع، تفرضه الضرورة وتقرره الإرادة الجماعية.

PDF Compressor Free Version

ب/ مظاهر دفاع النخبة المهاجرة عن مبدأ الهوية:

لقد اضطلع هؤلاء المهاجرون بدور تاريخي، حيث كانت لهم مواقف نادرة في فترة الاستعمار المظلمة، وقد دل ذلك على وعيهم وتفطنهم لوجودهم الرسالي وتنبههم لسائر المشاريع والمخططات الاستعمارية الفرنسية التي كانت تحكيها الصليبية العالمية ضد الوجود العربي الإسلامي في الجزائر كلها كما جسّدت أدوارهم هذه حرصهم وتأكيدهم الدائم للحفاظ على مقومات هويتهم الحضارية.

ومن مظاهر البر والعرفان ذلك الحب العميق الذي يكنّه هؤلاء لوطنهم، وذلك العمل الدائب من أجل التعريف بالجزائر وقضيتها التي أصبحت بواسطة جمعياتهم وصحفهم ونواديهم... قضية معروفة يساهمون بالكتابة عنها في مختلف الصحف وإقامة المهرجانات وجعلها مناسبة لإبراز الجزائر وكذلك لتخليدها على صفحات الأسفار المطبوعة كما فعل طلبة الزيتونة بتونس عند إهداء الثمرة الأولى إلى الجزائر... التي لم ترى من الأبناء الذين يحسبون لحرمة الأمومة حسابها ويفقهون للكرامة معناها- إلا النادر القليل، «إلى الأم الحنون والوطن المفدى بالنفس والنفيس: الجزائر العزيزة الناهضة نهدى كعنوان على الطاعة والولاء والتضحية والجهاد في سبيل مرضاتها وهنائها؛ هاته القطرات المنعشة علها تُثلج صدرها المحترق، وتخفّف نوعاً ما من كمد كبدها

PDF Compressor Free Version

الجريء الملتهب، فتبتسم للمستقبل الزاهر، وتنشرح نفسها للأمل السعيد..».[1]

وعلى الصعيد الثقافي لا يمكن للبلاد الجزائرية التي كانت مركزاً لترديد أصداء المشرق العربي الإسلامي أن تنظر بغير اهتمام إلى النهضة العربية في الشرق.. وهكذا فقد حلّت محل التعلّق التقليدي بالماضي لدى المفكرين تقاليد جديدة محولة وجهتها نحو المستقبل وبالفعل فقد كان الأمر يتعلق بعقلية جزائرية جديدة ظهرت منذ عهد قريب وأصبحت مراجعها الواردة في كثير من الكتابات النثرية والشعرية تتمثل دوماً واستمراراً في المستقبل ومن ناحية أخرى فإن هذه الرؤية النضالية الجديدة الواثقة في المستقبل المنشود قد أقلعت عن التشاؤم والتغني بأمجاد الماضي وأصبحت تمثل شيئاً فشيئاً العقلية الثورية الجديدة التي ينتسب إليها ابن باديس وأضرابه أمثال: الميلي والتبسي والمدني وخير الدين... من الجيل الأول وسعد الله وشيبان ومرازقة من الجيل المتأخر.

وفي الجملة فإن المعركة التي كانت دائرة بين القديم والجديد وبين السنة والبدعة وبين المستقل والمندمج... والتي كانت الجزائر مسرحاً لها، قد ساعدت على بروز نخبة تتميز بنقمتها وثورتها على البرنامج التكويني المتحجر من جهة وعلى أشكال ابتذال الهوية من جهة أخرى،

1 – الثمرة الأولى، ص. 25

PDF Compressor Free Version

وقد كان هذا الاغتراب الذي يتسم به المهاجرون الجزائريون (النخب المثقفة التي قدر لها أن تعود إلى الجزائر) سبباً مباشراً من أسباب إحساسهم "بالدون"، تجاه العناصر المتخرجة من المعاهد والجامعات الفرنسية مثلا وشعوراً منهم بهذا انقص فقد أقبلوا وهم في المشرق زرافاتً ووحداناً على معاهد الشام ومصر والصادقية والخلدونية بتونس وفي الجزائر على المعاهد والمدارس الحرّة التي تُلقن العلوم العصرية واللغة الفرنسية والتي كان قد أنشأها الرعيل الأول من علماء المهجر لتمكينهم من الحصول على ثقافة عصرية كانوا يقدرونها حق قدرها في أغلب الأحيان.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المبحث هذه الملاحظة البليغة التي أبداها "غاستون فلتران" في الفصل المنشور بجريدة الديبيش كولونيال بتاريخ 11 ماي 1910م عقب مظاهرات واعتصامات الطلبة الزيتونيين: « تمثل مظاهرة الطلبة أثراً طبيعياً ومنطقياً من آثار قضية بسيطة وملموسة بالنسبة إلى الجميع أعني هجوم الأفكار الجديدة على معاقل الأفكار القديمة»[1]، وكما دلّت على ذلك التجربة دوماً فإن التاريخ يصلح لتفسير الحاضر بل أنه يمثل البحث عن المستقبل من خلال الذاكرة الجماعية ويمثل –على حد تعبير- "جاك بيرك" «الانعكاس الجدلي

1 – العياشي، الزيتونة، ص. 16

PDF Compressor Free Version

والمتبادل للعنصرين المذكورين»، ولا يمكن أن نكون أكثر تحرراً من "فلتران"، إلا أننا بفضل البعد التاريخي الممتد على نصف قرن قد بدأنا نتصور إشكالية تاريخنا الثقافي عامة وتاريخ النضال الطلابي خاصة حسب رؤية نقدية مفندة للنظريات التبسيطية الكفيلة ويا للأسف بالإساءة إلى تاريخ هذه الفئة الجليلة التي ظلت طوال عدة سنوات محافظة على هويتنا القومية بالإضافة إلى ذلك أليس من المفارقات الكبرى أن يظل الطالب الباديسي أو الزيتوني لحد الآن الجندي المجهول بالنسبة إلى تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية لاسيما ونحن نعلم أن كبار أعلام تاريخنا الثقافي هم في معظمهم من هذه الفئة خريجي جامع الزيتونة أو المدارس الباديسية.

ومن الإنصاف لا يجوز اعتبار تاريخ رجالات هذه الفئة النيرة مجرد تاريخ أنصار الحركة الإسلامية المتزمتة أو أتباع التيار القومي العربي إنما هو تاريخ وطني إصلاحي كان طول فترة الكفاح الوطني بمثابة الحصن بالنسبة إلى المقاومة الوطنية السياسية والثقافية على وجه الخصوص تجاه حركة تسرب القيم الاستعمارية وتأثيراها في البلاد والعباد ومن ناحية أخرى فقد كانت تلك القلعة الوطنية بمدارسها المختلفة وبنضالاتها المتعددة تمثل أيضا المنبر الدائم الذي تنافس في ظله ما كانت تخالج أذهان الأوساط الطلابية آنذاك من أفكار متناقضة ولكنها مثرية

PDF Compressor Free Version

وبناءة إلى أبعد حد، هذا وإن دراسة تاريخ النضال الطلابي الجزائري في جامع الزيتونة بمعزل عن أي اعتبار متميز وبمنأى عن أي خطاب تبريري من شأنها أن تساعدنا بدون شك على حسن إدراك الحركية الاجتماعية والتحولات الذهنية التي صنعت حركة التحرير الوطني، وهذا من شأنه أيضا أن يسمح لنا بالعثور على عناصر الإجابة اللازمة لإدراك بعض التساؤلات المتعلقة بحاضرنا.

2-3- انعكاسات النشاط العلمي والسياسي والاجتماعي والصحفي للمهاجرين:

كثيرٌ من المؤرخين في الجزائر يربطون الإصلاح في الجزائر بجمعية العلماء، والواقع أن مفهوم الإصلاح أوسع من مفهوم جمعية العلماء كما أنه أقدم منها، فهو أوسع من مفهومها لأن عدداً من المثقفين كانوا مصلحين ولكنهم لم يكونوا أعضاء في جمعية العلماء وكانوا يخالفونها في بعض مبادئها وغاياتها، ومن جهة أخرى يعتبر الإصلاح في الجزائر أقدم من جمعية العلماء فالجزائر عرفت عناصر كثيرة نشطت قبل الجمعية ودعت إلى الإصلاح وكانوا متأثرين بالحضارة الفرنسية من جهة وبتيار الجامعة الإسلامية من جهة أخرى، ولعل السبب في الخلط بين الإصلاح وجمعية العلماء كون هذه قد شخصت الحركة الإصلاحية في الجزائر وأعطتها دفعة جديدة ومدرسة جديدة لم يكن الإصلاح القديم قد قام بها

PDF Compressor Free Version

بالإضافة إلى أن جمعية العلماء قد ولدت نتيجة الحركة الإصلاحية وليس العكس.

والمدرسة الإصلاحية التي نقصدها قد ولدت بعد الحرب العالمية الأولى خصوصاً، نتيجة لعدة عوامل لعل أهمها هو عودة النخبة الجزائرية من المشرق بما فيهم الطلبة خريجي الزيتونة بعد أن تسلحوا بثقافة جديدة هدفها نشر التعليم وإحياء اللغة العربية وبث الإصلاح الديني والاجتماعي وإعداد الشعب لتولي مسؤولياته السياسية والقومية ولما كان ابن باديس أسبقهم في العودة إلى الجزائر وأعرفهم بها فإنه شرع في مشروعه انطلاقاً من مدينة قسنطينة التي كانت بوابة الجزائر نحو المشرق حيث تنفتح على تونس مهد جامع الزيتونة وصلة الوصل بين المشرق والمغرب، وبسبب حاجة هذه المدرسة إلى هيئة تمثل الاتجاه العربي الإسلامي التقدمي بمفهوم ذلك الوقت يكون هدفها نقد المجتمع وتطهير الدين وفضح أساليب الاستعمار وبعث الشخصية الوطنية فكان أن تأسست جمعية العلماء المسلمين في سنة 1931م ضامة إليها مختلف العناصر الحية في أول أمرها، ولكنها سرعان ما أصبحت حكراً على الاتجاه الذي كان يمثّله ابن باديس والميلي والإبراهيمي وتلاميذهم خصوصاً منهم خريجو الزيتونة الذين كانوا يشكلون النسبة الأكبر من رواد هذه المدرسة الإصلاحية.

PDF Compressor Free Version

وأهم ميزة تميزت بها هذه المدرسة هو إيمانها بالوطنية الجزائرية، هذا الإيمان والعمل أيضاً هو الذي جعل المعاصرين لا يفرقون بين الإصلاح الثقافي والديني وبين الإصلاح السياسي فقد جعلت همها بعث الشخصية الجزائرية المتمثلة في الثقافة العربية والتعاليم الإسلامية الصحيحة[1]، وقد استخدموا وسائل كثيرة ومتنوعة لنشر دعوتهم منها الصحافة التي افتتحوا بها عهدهم وركزوا عليها لنشر أفكارهم.

ويمكننا القول بأنهم كانوا في نفس الوقت مصلحين وصحفيين فابن باديس ابتدأ بنشر مقالاته في الإقدام ثم أسس المنتقد والشهاب وأنشأ مطبعة، وكانت مقالاته يغلب عليها الطابع الصحفي، كما ابتدأ المدني حياته بإنشاء (تقويم المنصور) في تونس ثم في الجزائر ثم المساهمة في الشهاب والبصائر، ونشر الزاهري معظم مقالات كتابه (الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير) في مجلة (الفتح) المصرية، فالصحافة عند هؤلاء كانت وسيلة رئيسية لبث مبادئهم، ولم تكن الصحافة العربية وحدها التي تحمل مبادئ الإصلاح بل كانت هناك صحف بالفرنسية أيضا، وعلى رأسها جريدة (الدفاع) التي كان يحررها الأمين العمودي ومنها جريدة (الشباب المسلم) التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية كما تميّز خريجي الزيتونة من أصحاب المدرسة الإصلاحية بإنشاء المدارس ونشر

1 – للتوسع يراجع: سعد الله، "مدارس"، الثقافة، ع79.

PDF Compressor Free Version
التعليم فيها وتأسيس المساجد الحرة وبث دروس الوعظ والإرشاد على منابرها وفي حلقاتها، وبهذه الطريقة كثرت المدارس والمساجد الحرّة التي أصبحت معاقل للفكر الإصلاحي، وكان التعليم يقوم على زرع الروح الوطنية في النشىء الجديد وتعليمه اللغة العربية وكان الوعظ يقوم على توعية الجماهير وفصلها عن مراكز الطرقية التي عشّشت في الجزائر طيلة العهد العثماني وركدت وتعفنت في العهد الفرنسي ولو عددنا المدارس والمساجد التي بنيت من أموال الشعب والتي كانت إدارتها تحت لجان محلية من أفراد الشعب لطالت القائمة.

وقد أثّر المهاجرون إلى المشرق تأثيراً كبيراً على الحياة الثقافية عامة، فكان لهم الفضل في نشر البيان العربي السائد عندئذ في المشرق وتصفية اللغة العربية في الجزائر من العجمة التي انتشرت فيها خلال عهد طويل على يد المستشرقين الفرنسيين والعلماء المزدوجين الذين كانت تغلب عليهم اللغة الفرنسية بحكم منطق (الغلبة للأقوى).

وقد ساهمت المبادرات الإصلاحية والتعليمية والثقافية بشكل أعم للنخبة المهاجرة خصوصاً عند إيابها في ربط الجزائري بماضيه وتذكيره بأمجاده وإحياء تراثه عن طريق الكلمة المكتوبة شعراً ونثراً، والكلمة المقولة أما الكلمة المكتوبة فقد نشرها أصحابها عن طريق الوعظ والإرشاد في المدارس وعن طريق تشجيع الخطابة لدى التلاميذ وتمثيل

المسرحيات التاريخية والاجتماعية ونحو ذلك، ويعجزنا المجال لو أننا
PDF Compressor Free Version
حاولنا هنا أن نتقصى كل مظاهر هذا النشاط ورصد أبعاده.

فقد تقدم فن النثر على يد هذه النخبة وأصبح لدينا على الأقل مدرستان لهذا النثر :

- مدرسة الشهاب المتميزة بالأسلوب الصحفي الديني.
- مدرسة البصائر المتميزة بالأسلوب الأدبي الاجتماعي.

وقد ظهر في كلا المدرستين كتاب تركوا بصماتهم في مجالات متعددة، ونذكر من المدرسة الأولى (الزاهري، الزواوي، أبو اليقظان، محمد الصالح رمضان...)، ومن المدرسة الثانية (المدني بوكوشة، عاشور الخنقي، محمد خير الدين...)، وفي ميدان القصة والرواية ظهرت بوادر طيّبة بين الحربين ازدادت نمواً ونضجاً بعد الحرب الثانية ويطول بنا الحديث لو مثّلنا لهذه الأنواع وحسبنا هنا أن نحيل على بعض المراجع المتخصصة.[1]

كما أسهم المهاجرون في الكتابات الإصلاحية وغيرها من الموضوعات الدينية، ويتصل بالنثر أيضا تقدم الخطابة على يد أصحاب

1 – للتوسع راجع: الجابري (محمد الصالح)، الأدب الجزائري في تونس ج1، ج2، ركيبي عبد الله: الشعر الديني الجزائري الحديث –وكتابه– تطور النثر الجزائري الحديث. – سعد الله (أبو القاسم)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث. – مصايف (محمد)، الرواية العربية الجزائرية الحديثة. – وكتابه: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الجزائر: م، و، ك، 1984م.

PDF Compressor Free Version

هذه المدرسة واشتهر في هذا الباب (المبلي، الزاهري، التبسي، المدني...)، وممن عرفوا من خطباء الجيل الثاني: الفضيل الورتيلاني، عبد القادر الياجوري... وقد تركوا لنا ثروة كبيرة في هذا الصدد.

أما في الشعر فقد أصبح شعراء النخبة المهاجرة في مستوى شعراء المشرق العربي ويعود الفضل في بعث الشعر الإصلاحي إلى أمير شعراء المغرب العربي المخضرم محمد العيد آل خليفة، وقد عاصره عدد كبير من الشعراء منهم من تخصص في نظم الشعر ولم ينثر إلا نادراً كالهادي السنوسي ومفدي زكريا وجلواح وحمود رمضان، ومنهم من جمع بين الشعر والنثر كأحمد سحنون وسعيد الزاهري، وهكذا تكون النخبة المهاجرة قد تقدّمت بالجزائر في عدة ميادين دينية وقومية وأدبية وإصلاحية....، وفي نهاية هذه الدراسة نستطيع أن نحدد المجالات العامة التي كانت انعكاساً بارزاً لنشاط النخبة الزيتونية في الجزائر في ثلاثة أمور:

* إيقاظ وبعث الوعي الوطني بين الجزائريين: لقد سعت النخبة الزيتونية عن طريق أنشطتها الوطنية والتربوية والتعليمية والسياسية في أطرها المتنوعة (جمعية العلماء- حزب الشعب- التعليم الحر بمعاهد وادي ميزاب) أن تتناول المواقف البارزة في التاريخ الإسلامي والجزائري وتقوم بعرضها في الحفلات والمهرجانات التي تقوم مختلف المدارس والمعاهد والنوادي بتنظيمها في المناسبات الوطنية والدينية، كما أن

PDF Compressor Free Version

المحاضرات المتنوعة التي كانوا يلقونها في المساجد والنوادي، كانت للجزائريين (عوامّهم ومثقفيهم واقع بلادهم المتردي من جميع النواحي وتدعوهم إلى نبذ الخمول والكسل والخوف من أجل النضال في سبيل تحرير بلادهم واسترجاع مقومات شخصيتهم وقد كان لها تأثيرها البالغ في إيقاظ الوعي الوطني بين الجزائريين.

* ربط الجزائر ثقافياً وحضارياً بثقافة وحضارة اللغة العربية والقرآن: لقد كانت هذه النخبة المتنورة من العلماء والمدرسين والوعاظ والسياسيين تؤمن بدور القرآن الكريم الذي كان تعليمها الحر يجعله محو الدراسة سواء في المنهاج أو البرامج والنظم ومختلف النشاطات الأخرى.[1]

وقد عملت الأجيال التي كونها العلماء على ربط مصير الجزائر ومستقبلها ثقافياً وحضارياً بثقافة وحضارة اللغة العربية وهي في الأساس من ثقافة القرآن وحضارته، وبذلك ساعد هذا التعليم مساعدة فعالة على توجيه دفة السياسة الجزائرية التي كانت تتصارع حولها عدة اتجاهات خلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين تتراوح ما بين الاندماج الكامل في فرنسا ضمن نطاق حضارتها العربية الإسلامية، وقد تبنت

1 – وعن دور القرآن في برامج نظم التعليم راجع: الشيخ ابن باديس في مقال له بجريدة الشهاب، ج4–5، مج14، ع(6– 7)، الجزائر: 1938م.

PDF Compressor Free Version

النخبة مناهج التعليم العربي الحر لأنه اتجاه ينسجم مع رسالتها الثقافية والقومية.

* المحافظة على الشخصية الجزائرية: لقد عملت هذه النخبة على إحياء الشخصية الوطنية والمحافظة عليها، وهي بذلك أدت إلى ذوبان الاتجاهات الإندماحية والمفرنسة في بوتقتها وبالتالي أفشلت السياسة الفرنسية في الجزائر والهادفة إلى فرنسة الجزائريين وتجنيسهم ودمجهم في إطارها الخاص.

يعتقد الأستاذ "عدي الهواري" في كتابه "مأزق الشعبوية" بأن العلماء احتلوا بنضالهم مكانة خاصة ضمن الوطنية الجزائرية، فقد ساهموا في تكوينهم بشكل حاسم، بالرغم من غموض مواقفهم فيما يتعلق بمسألة الاستقلال، ويضيف عدى الهواري، أن المجهودات التي بذلها العلماء لبعث المجتمع الجزائري بدأت بالوقوف ضد الطرقية وفرض اللغة العربية وإبراز الماضي التاريخي للجزائر، وذلك ما يجعلهم بمثابة المؤسسين الأوائل للوطنية الجزائرية، فإذا كان مصالي الحاج يريد بعث الدولة الجزائرية، فإن ابن باديس كان يفكر في بعث الأمة الجزائرية، وكلاهما يكمل الآخر.

والأمة التي يريدها ابن باديس تبحث عن دولة مصالي الحاج الذي لا يوافق ابن باديس في نقطة واحدة هي اعتداله السياسي وسلبيته

PDF Compressor Free Version

وعدم مطالبته بالاستقلال، أما محفوظ قداش فله رأي آخر فهو لا يعتقد أن للعلماء دوراً حاسماً في تجسيد الوطنية الجزائرية بمجرد أنهم رفضوا إدراج فكرة الاستقلال ضمن مطالبهم[1]، ومن جهته يعتقد سليمان الشيخ بأن مساهمة العلماء في سياق نضج الوعي الوطني الجزائري لا يمكن إهمالها لكنه ينتقد مغامراتهم الإصلاحية التي أظهرت استحالة التوفيق بين تأكيد الولاء والاحتكام إلى الوطنية.

أما الشيء الهام في نظري الذي سجّله التاريخ لطلبة المهجر العائدين هو أن هؤلاء أقبلوا على الثقافة العربية يرتوون من منابعها الأصيلة، وذلك في وقت لم تكن فيه هذه الثقافة الأخيرة تضمن لصاحبها حتى قوته اليومي، وفي وقت كانت فيه اللغة الفرنسية هي "لغة الخبز"، وكان بوسع الكثير منهم أن يدرسوا اللغة الفرنسية ويتفوقون في دراستها كما تفوقوا في دراسة اللغة العربية، لكن لم يفعلوا حيث ذكر الأستاذ "أبو القاسم خمار" أن والده منعه من مزاولة دراسته بالفرنسية التي كان متفوقاً فيها، لأن مدارسها لا تحترم مواقيت الصلاة، ولا تسمح للتلاميذ بتأدية صلاتهم في أوقاتها.[2]

---

1 – Kaddache (M), Histoire, P. 420

2 – الشعب، الجزائر: 1984/11/08م.

PDF Compressor Free Version

ومهما يكن فقد تجلى واضحاً الشعور الوطني العميق لمهاجرينا في الأيام الأولى التي اندلعت فيها الثورة الجزائرية وقد عبر عن ذلك أحد الطلاب الجزائريين في سوريا بقوله:«...كان الطالب الجزائري في الشرق العربي عموماً منسجماً مع شعبه متلائماً مع ثورته متضامناً معها، إذ أعلن انضمامه منذ اللحظة الأولى، فقام بتنظيم حملات ومظاهرات ووزّع نشرات وعرائض في جميع الوطن العربي، وكان طلابنا في نشاط دائم وحركة دائبة يوضّحون أهداف الثورة الجزائرية ومبادئها وأخذوا ينظمون صفوفهم في جمعيات وروابط».[1]

4. موقف السلطات الاستعمارية من الهجرة والمهاجرين:

4-1 طبيعة وظروف الاستعمار الفرنسي في الجزائر:

الاستعمار مفهوم قديم ولفظ مرادف للفظ الاستعباد السياسي، والاستعمار يمكن تعريفه على أنه نظام جامع لاستثمار جماهير من الناس نشأ في العنف ولا يثبت نفسه إلا في العنف، والاستعمار ليست له كذلك صورة واحدة في جميع الظروف والأحوال، والاستعمار يتخذ صوراً شتى وله من الرسوم والشارات ما هو متنوع ومتعدد، والواقع أن الحركة الاستعمارية الحديثة قد أثّرت في النظام السياسي للعالم الذي يعيش فيه

1- نشرة الاتحاد العام لطلبة الجزائريين، فرع دمشق، ع1، دمشق: 1960/01/01م، ص. 17

PDF Compressor Free Version

أبلغ تأثير[1]، وأول ما نوّد تأكيده في هذا المجال أن المشكلة الجزائرية لا تختلف من حيث الجوهر والنوعية عن أية مشكلة من مشكلات التحرر الوطني ضد التسلط الاستعماري.

إن القضية الجزائرية كانت دائماً مشكلة استعمارية مترابطة الأجزاء متفاعلة الوجوه لا يمكن بأي حال من الأحوال فصلُ جوانبها الاقتصادية والاجتماعية من طبيعتها ومدلولها السياسي والاستعماري إنها مشكلة استعمارية بحتة، وحاولت فرنسا مراراً أن تغيّر من هذه القضية وأن تنال من تلك البديهية بإدعائها الكاذب أن الجزائر فرنسية وبقولها الساذج بالمقاطعات الفرنسية الثلاث وبممارستها المستمرة للوصول إلى حل للمشكلة عن طريق المساومة والحلول النصفية والإصلاحات الجزئية ومشروعات الاستقلال المظهرية، ولكن الحقيقة الثابتة كانت هي أن العدو الأول هو الاستعمار والمشكلة الأولى هي الذهنية الاستعمارية، هذه هي حقيقة الموقف في الجزائر وجوهر المشكلة الاستعمارية وطابعها الأول.

إن الدول الاستعمارية تنتحل أسباباً تعتبرها حججاً للاستعمار، فالألمان يتزايدون في السكان وتشكو من ازدحامها فلابد لها من مجال حيوي، وإيطاليا تحتج بأنها بلاد فقيرة ليس فيها موارد للرزق متوفرة...

1 – مرتضى، المصدر السابق، ص. 07

PDF Compressor Free Version

أما فرنسا فبلاد ذات موارد غنية وذات تربة خصبة وليس فيها جفاف بل فيها غلات نباتية ومعادن فليس لها حجة للاستعمار ويتذرّع الاستعمار الفرنسي بحجج أخرى منها أن الجزائر لم يكن لها كيان سياسي قد فقدته بالاستعمار الفرنسي، وهذا خطأ لأنه كان لها ممثلين في الجزائر، كما كانت الجزائر تعقِد المعاهدات مع دول العالم، ثم يتذرّع الفرنسيون بأن عناصر السكان متباينة بربر وعرب وهنا خطأ، فالدين الإسلامي يجمع الجميع في وحدة قوية، واللغة العربية أكثر انتشاراً حتى بين القبائل المنعزلة.. ولقد ركّز الفرنسيون جهودهم في التفرقة بين العرب والبربر ورأى الفرنسيون أن الجزائر مفتوحة على الصحراء ولها ساحل طويل ويمكن أن تتصل فرنسا عن طريق الجزائر بمستعمراتها في إفريقيا.[1]

والغريب أن يقول برنارد «أننا أخْضعنا الجزائريين بدون ألمٍ وجعلناهم يتضاعفون وأوْجدنا أمّة لم تكن موجودة، ولم تمس عقائد الوطنيين إلا بحكمة وببطء ولم نحضر للجزائر لإقرار الأمن بل لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية وليست الجزائر مستعمرة كالهند الصينية ولكن جزء من فرنسا كما كانت أيام روما.. إننا نريد أن نجعل

1 – رفلة، الجزائر، ص.147

PDF Compressor Free Version

هناك جنساً يندمج فينا عن طريق اللغة والعادات وسيتم هذا بعد نشر لغة فيكتور هوجو».[1]

إن ما قام به الاستعمار طيلة قرن وربع قرن من ألاعيب ومخازٍ ومآسي قد ع لّمنا كيف نقف في وجهه ونصارعه وندفعُه حتى الانهيار.. إن الاستعمار الفرنسي له ماض أسود عريق الأصل ضارب في أعماق التاريخ، ظهر أول ما ظهر في شكل قرصنة لا يهمّه إلا السلب والنهب والتقتيل، وكانت الحكومات الكثيرة التي توالت على فرنسا تفاخر بهؤلاء القراصنة فتبدي إعجابها بهم، ثم أخذ الاستعمار الفرنسي ككائن حي يتمشى مع سنّة التطور فتطوّر مع الزمن ولبس مُسوح الرهبان وبدأ يبشّر بتحرير الشعب الجزائري في حين أن غرضُه الأساسي غرضٌ افتقادي بحت وإن كان ثمّة فرق بين الاستعمار القديم والاستعمار الحديث فهو أن الاستعمار القديم لم يكن منظماً تنظيماً اقتصادياً، بل كان في صورة نهبٍ وسلبٍ للشعب الجزائري المضطهد، أما الاستعمار الحديث فهو منظم تنظيماً اقتصادياً حديثاً يتماشى مع ظروف الوقت الحاضر وطبيعة الإنتاج والتوزيع والاستهلاك في هذا الزمان[2]، وعلى ضوء هذه المعطيات يتضح لنا

---

1 – نفسه.

2 – مسعود (مجاهد)، المصدر السابق، ص. ص. 18– 20

PDF Compressor Free Version

أن الاستعمار الفرنسي كان احتلالاً بمعنى الكلمة حيث أن الفرنسيين لم يتركوا منكراً إلا فعلوه...

ومما يلاحظ عن الفئة الطلابية التي درست بالمعاهد المشرقية أن الاستعمار الفرنسي قد اهتّم بها اهتماماً خاصاً واعتبرها خطراً يهدّد وجوده في الجزائر في كل مكان وزمان، وبالأخصّ منها الطلاب الذين هاجروا إلى تونس طلباً للعلم والمعرفة فلاحقَهم أينما حلّوا وأخضعهم إلى مراقبة صارمة مستمرة وتتبّع خُطاهم الدراسية في الداخل والخارج، وتحتفظ خزائن الأرشيف في الولايات الجزائرية (قسنطينة- الجزائر- وهران)، على تقارير شخصية تخصّ معظم الطلاب الجزائريين الذين كانوا يدرسون في تونس.

وكانت الإدارة الاستعمارية على علم بكل الطلاب الجزائريين الذين يدرسون في خارج البلاد في المغرب العربي أو مشرقه، ومن ثمة أجبرتهم على الوقوف أمامها في كل مرة يدخلون فيها البلاد أو يخرجون منها، ومعروف الحصار الشديد الذي ضربته فرنسا على المؤسسات التعليمية الحرّة ومدرسيها وتلاميذها والمراقبة الشديدة التي فرضتها على التعليم العربي الحر في المدرسة والشارع والنادي والبيت والقرية والمدينة، ولم يزد ذلك الدارس للغة العربية سوى إصراراً على عدم التخلي عن لغته وثقافته العربية الإسلامية.

PDF Compressor Free Version

وإجمالا فلقد ركّزت السياسة الاستعمارية على الصعيد الثقافي على محو الملامح المميّزة للمجتمع الجزائري وتبعاً لذلك وجّهت ضربتها إلى الثقافة العربية الإسلامية التي تمثّل في نظر الاستعمار القوّة المحرّكة الرئيسية المضادة للمشروع الاستعماري الساعي إلى محو الشخصية الجزائرية... وكانت محاولة المسخ الثقافي تهدف إلى خنق اللغة العربية وتشويه الإسلام، غير أن تعليم الثقافة الفرنسية لم يستمل إليه قلوب الجزائريين وبالتالي لم يُصبح وسيلة نفوذ لأن التعليم كان يفضي أساساً إلى محاربة الهوية الجزائرية ولهذا السبب لم تنتشر الثقافة الفرنسية من جهة، ولأن هذا التعليم كان يقدم للجزائريين بشحّ من جهة أخرى.. لأن الأطروحة الاستعمارية كانت ترى في نشر الثقافة الفرنسية على نطاق واسع بين السكان يمثل خطراً على الاستعمار الاستيطاني.[1]

وبالفعل طبق الاستعمار الفرنسي سياسة التجهيل وفرض على الجزائريين التخلي عن ثقافتهم ومنعهم في نفس الوقت من الارتقاء إلى المساواة مع الأوروبيين وبالتالي إلى ثقافة المستعمر، كانت لهذه السياسة آثار سلبية للغاية على التطوّر التاريخي للجزائر فهي السبب الرئيسي للتخلف والتناقضات والاختلالات وذلك هو النصيب الذي نالته شعوب البلاد المستعمرة، لقد ساهمت هذه السياسة الثقافية في التأثير على

1 – مهساس (أحمد)، الحركة الوطنية، ص. 395

PDF Compressor Free Version

نشاط الحركة الوطنية التي اصطدمت في مرحلة إعادة تشكيل الهوية الوطنية بصعوبات كبيرة ما زالت ظاهرة إلى اليوم؛ إن رفض النخبة الزيتونية ومن ورائها المجتمع الجزائري الجهاز التعليمي الاستعماري لا يعني رفض الثقافة الفرنسية التي تحوي مثل جميع الثقافات رصيداً إنسانياً عالمياً بل أن الاقتباس الثقافي عن الغير يعدّ من الممارسات الإنسانية التي لجأت إليها كل المجتمعات عبر العصور.

2-4- موقف فرنسا من مقوّمات الشخصية الجزائرية:

إن الأغراض الرئيسية التي استهدفها الاستعمار الفرنسي في الجزائر من حرمان أهلها من الثقافة خاصة منها الثقافة العربية هي:

أولا: العمل بكل الجهود والوسائل على تجنيس الشعب الجزائري وتجريده من شخصيته وإحلال اللغة الأجنبية محل لغته وهذا بالنسبة إلى حرمانه من اللغة العربية.

ثانيا: الحيلولة دون تكوين طبقة من صفوَة القوم لاعتقاده أنها خطرٌ عظيمٌ يهدّد النظام ويعود على الاستعمار بالخسارة.

ثالثا: تعميم سياسة نشر الجهالة والبؤس والفاقة للاحتفاظ بأكبر عدد ممكن من الجهلة والأيدي العاملة لاستغلالهم بصفة قاسية تبعث على الأسى.[1]

1 – للتوسع يراجع: محمد الصالح الصديق، المصدر السابق، ص. ص. 40– 43

PDF Compressor Free Version

إذن اتخذت فرنسا تجاه مقوّمات الشخصية الوطنية منذ بداية احتلالها الجزائر في عام 1830م سياسة واضحة وصريحة في هذا الميدان يمكن تلخيص دعائمها فيما يلي:

أ/ **الفرنسية** : ونعني بسياسة الفرنَسة في الجزائر العمل بكل قوة ومكرٍ وخبثٍ على صبغ الجزائر أرضًا وشعباً بصبغةٍ فرنسيةٍ خالصةٍ حتى تنشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة في جوٍ ومحيط فرنسي شامل في التعليم والإدارة والمحيط الاجتماعي بحيث تنسى بمرور السنين أصولها الدينية وثقافتها العربية الإسلامية وبالتالي تصبح لا إرادياً وبدون شعور منها فرنسَة ا للسان واللغة والتفكير والثقافة والذّوق العام والملابس والمفاهيم الحضارية والسلوك الاجتماعي، ومن هنا طاردت فرنسا منذ بداية احتلالها للجزائر –"اللغة العربية"- من المدارس والإدارة والمحيط الاجتماعي حيث أنشأت إدارة جديدة في الجزائر مفرنسة في كل كبيرة وصغيرة، تعتبر امتداداً طبيعياً للإدارة الفرنسية في فرنسا نفسها، كما أنشأت نظاماً تربوياً جديداً فرنسياً في كل شيء هو الآخر يعتبر امتداداً طبيعياً للنظام التربوي الفرنسي فيما وراء البحار، أما المحيط الاجتماعي فقد فُرنس هو الآخر فرنَسة كاملة بحيث أصبحت المدن الجزائرية والقرى الجزائرية وشوارعها وميادينها تحمل أسماء فرنسية لشخصيات وعلماء ومفكرين، وقد توّجت عملها في الفرنَسة بصدور قانون فرنسي في

PDF Compressor Free Version

عام 1938م، يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر لا يجوز تعلمها وتعلّمها إلا برخصة خاصة من إدارة الاحتلال.

ب/ **التنصير:** ونعني بسياسة التنصير محاولة القضاء على الإسلام وثقافته وحضارته ومساجده وأوقافه في الجزائر والعمل على صبغ الجزائر بصبغة مسيحية لاتينية خالصة حتى يتخلى الجزائريون عن معتقداتهم الإسلامية ويستبدلون بها معتقدات مسيحية، ومنذ الأيام الأولى للاحتلال شرعت فرنسا في تنفيذ سياسة تنصيرية واسعة النطاق[1]، بقصْد القضاء على الإسلام الذي هو الدين الوحيد المنتشر في الجزائر وتمثّلت خطواتها في ذلك:

* الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية واعتبارها غنيمة حرب، حتى لا تجد المساجد الإسلامية والتعليم الإسلامي ورجال الدين الإسلامي الأموال اللازمة لنشاطات المؤسسات الإسلامية.

* الاستيلاء على المساجد العامة في المدن الكبرى وتحويلها إلى كنائس أو كاتدرائيات.

* إخضاع كل شؤون الدين الإسلامي من مساجد وأئمة ومفتيين وتعليم في شكله الباهت المحدود إلى سيطرة الإدارة الفرنسية مباشرة.

---

1 – للتوسع يراجع: سعد الله (أبو القاسم)، بحوث في التاريخ العربي، ص. ص(518– 526).

PDF Compressor Free Version

* القضاء على مراكز الثقافة الإسلامية التي كانت تنشر التعليم الإسلامي بين أبناء وبنات الجزائر، بحيث انحصر التعليم الإسلامي في زوايا الطرق الصوفية التي توجد في الجبال والصحاري النائية.

* فتح الباب على مصراعيه في الجزائر للمبشّرين المسيحيين سواء كانوا كاثوليك أو بروتستانت للعمل بكل حرية وتدعيم من سلطات الاحتلال من أجل نشر المسيحية والقضاء على الإسلام بين الجزائريين.

* تقسيم الشعب الجزائري إلى مجموعتين متخاصمتين من السكان إحداهما عربية والثانية بربرية وعملت على عزل البربر عن بقية إخوانهم الجزائريين وأنشأت لهم محاكم خاصة تحكم بينهم بالعرف والتقاليد البربرية القديمة، كما أنشأت لهم مدارس فرنسية خاصة بهم.[1]

* أنشأت أكاديمية خاصة في فرنسا هي الأكاديمية البربرية لمحاولة جمع اللهجات البربرية في كل من الجزائر وتونس والمغرب وكتابتها بالحروف اللاتينية بهدف إبعاد البربر أو الأمازيغ عن اللغة العربية لغة القرآن والإسلام.

* حاولت تشويه التاريخ الجزائري في ظلّ الإسلام والعروبة وصوّرته على أنه عبارة عن حروبٍ وقتلٍ وتدميرٍ لثقافة البربر وأعرافهم وتقاليدهم، وأن فرنسا المسيحية إنما جاءت لإنقاذ البربر من وحشية

1 – رمزي، الاستعمار الفرنسي، ص. ص. 95– 154

PDF Compressor Free Version

العرب المسلمين وفتح أبواب المسيحية في وجوههم لكي يعودوا إلى الحضارة الرومانية والمسيحية التي كانت في الجزائر قبل الفتح العربي الإسلامي لها في النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

ج/ **التجنيس والاندماج:** كانت فرنسا تهدف من خلالها إلى القضاء على الشخصية العربية الإسلامية للأقطار الثلاثة وخصوصاً في الجزائر، وقد نشطت الدعوة إلى تجنيس الجزائريين وخصوصاً النخبة المثقفة منهم بالجنسية الفرنسية تمهيداً لإدماجهم في الأمّة الفرنسية عقب الحرب العالمية الأولى حيث أغلقت فرنسا باب كل الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في وجه الجزائريين إلا الذين يقبلون التجنيس بالجنسية الفرنسية فهم وحدهم نسبياً يحق لهم التمتع بحقوق المواطن الفرنسي أما غيرهم فيعيشون تحت سيف قوانين الأنديجينا التي سبق الحديث عنها.

هذا باختصار وتركيز، دعائم السياسة الاستعمارية في الجزائر التي كانت تهدف إلى سلخ الجزائر من عروبتها وإسلامها وإدماجها في كيان الأمة الفرنسية في نهاية المطاف[1]، يقول مارسيل "أجريتو" في كتابه "الوطن الجزائري"، ما يؤيّد محاربة الاستعمار الفرنسي لمقوّمات الشخصية

1 –للتوسع يراجع: ابن الدوايمة، التعريب في الجزائر، ص. ص. 15–16– حلوش، سياسة فرنسا، ص. ص. 210– 250

PDF Compressor Free Version

الجزائرية ما يلي: «...كانت العلوم مزدهرة نسبياً قبل دخول الفرنسيين إلى الجزائر عام 1830م، وعلى الرغم من تخلّف العرب في مجال الحضارة فإن الميل للعلم والمعرفة كان متأصّلاً في النفوس وكان في الجزائر عدد كبير من رجال الأدب يتمتعون بقسطٍ وافرٍ من الاعتبارات لدى المجتمع، ودلّ التقويم العام الذي عمل في عام 1954م على أنه في الوقت الذي تبلغ فيه نسبة الناشئين الأوربيين 85%، لم تكن تزيد نسبة الجزائريين على 15% !! [1]

ولن يخامرنا أدنى شك أن فرنسا رأت في بقاء الثقافة العربية خطراً يهدد وجودها في بلاد عربية كالجزائر ويقضي على خُططها الرامية إلى فرنسة الجزائريين وخنْق قوميتهم ولذا عمدت إلى محاربتها بشتى الوسائل، وشرعت تضع العراقيل أمام تعليم اللغة العربية فأصدرت في 1904/12/24م قانوناً ينص على «عدم السماح لأي معلم مسلم أن يتولى إدارة مكتب لتعليم اللغة العربية بدون رخصة يمنحه إياها عامل العمالة أو قائد الفيلق العسكري، ويُعدَّ فتح مكتب بدون رخصة اعتداء على حدود القوانين الخاصة بالأهالي»[2]، ولكن كيف يتمكن هذا المعلّم من الحصول على الرخصة القانونية؟، فهناك عراقيل صعبة أمامه، وهناك

---

1 –نفسه، ص. 130

2– نفسه.

PDF Compressor Free Version

شروط مهينة يجب أن يرضخ لها وينفّذ نصًا وروحًا في مدرسته وتتكون هذه الشروط من النقاط التالية:

- اقتصار التعليم على حفظ القرآن لا غير.
- عدم التعرّض بأي وجه كان إلى تفسير الآيات القرآنية خاصة تلك التي تدعو إلى التحرر وعدم الرضوخ للظلم والاستبداد.
- استبعاد دراسة تاريخ الجزائر والتاريخ العربي- الإسلامي، وجغرافيا القطر الجزائري والبلاد العربية.
- استبعاد الأدب العربي بجميع فنونه على حلقات الدراسة كما يحظر تعليم المواد العلمية والرياضية.

« ويُفرض على حاملي (الرخصة القانونية) للتعليم أن يبثّ روح السخط والاشمئزاز بين الناشئة من العربية والإسلامية، وأن يخلُص للإدارة الاستعمارية ويتّبع تعليماتها وتوجيهاتها المتعلقة بالثقافة والتعليم وإلاّ تعرض لما جاء في القانون ذاته: «يجوز لنفس السلطة أن تسحب رخصة التعليم لأجل معين أو نهائياً من المعلمين الذين يرتكبون أي عمل من شأنه أن يمسّ بحُسن السلوك أو الأخلاق، كما يجوز لها أن تأمر بغلق أبواب هذه المكاتب بصفة تأديبية...»[1]، وهكذا تعتبر الحكومة الفرنسية

1 - الخطيب (أحمد)، الثورة الجزائرية، ص. 129

PDF Compressor Free Version

كل عمل خارج عن شروطها المذلّة مساً بحُسن السلوك والأخلاق ويستطرد القانون قائلاً:«... أخيراً فإنه لا يجوز للمكاتب العربية أن تفتح أبوابها للأولاد الذين هم في سن التعليم أثناء ساعات التعليم في المكتب الفرنسي وذلك في القرى التي تبعد ثلاثة كيلومترات عن المدرسة الفرنسية...»[1]، إذن فقد شعر الاستعمار أن التعليم القرآني ينافس الثقافة الفرنسية، فاستصدر هذا القانون حتى يشلّ نشاط الجوامع القرآنية ويجلب إلى مدارسه الفرنسية الأولاد الذين لم يستسيغوا التعليم الأجنبي وقد رأوا فيه خطراً يهدّد دينهم وقوميّتهم.

وظلّت فرنسا مصرّة على قرار المنع إلى أن اندلعت نار الحرب الكبرى، فاضطرت إلى مسايرة الشعب الجزائري ريثما تنتهي الحرب، وتساهلت بعض الشيء في هذا القرار إلا أنها عادت فتذرّعت بمذبحة 08 ماي 1945م مستغلة أيام البطش والإرهاب وأغلقت جميع المدارس الحرّة كما أغلقت غيرها من الجوامع القرآنية، وحتى تُبقي على أبواب هذه المدارس الموصدة، أو تُعرقل التدريس فيها على الأقل أصدرت أمراً في 1945/07/22م «يفرض على معلمي المكاتب العربية معرفة اللغة الفرنسية»، فإذا علمنا أن جلّ معلمي مدارس جمعية العلماء هم من

1 – نفسه، ص. 130

PDF Compressor Free Version

متخرجي جامع الزيتونة في تونس، فكيف تريد فرنسا أن يلمّ هؤلاء المعلمون باللغة الفرنسية ؟

وإن عدد ما أنشأته الحكومة من نوع المدارس التي تعلّم العربية والفرنسية لا يتعدى الثلاثة مدارس في الجزائر وتلمسان وقسنطينة، وأن طلبة هذه المدارس يخضعون إلى شروط استعمارية قاسية.

لقد قام الاحتلال الفرنسي من ناحيته بحملة اعتقالات واسعة للعلماء وتقديمهم للمحاكم الزجرية بدعوى أنهم ينتهكون القوانين لأنهم يعلمون بدون رخصة[1]، وقد بلغ عدد قضايا محاكمات المعلمين التابعين لجمعية العلماء المسلمين بتهمة تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي بدون رخصة من الاحتلال خلال العام الدراسي (1948- 1949)م فقط سبعاً وعشرون ة ضية حُكم في جميعها بالتغريم والحبس وفي واحدة منها بالسجن والتغريم المضاعف.

كتب الزيتوني مصطفى سعد الجيجلي «مقالا في جريدة البصائر يشكو من الظلم والاضطهاد المسلّطين على المعلمين الأحرار جاء فيه ما يلي «في هذا الوقت وقت التقدم والنهوض، وفي هذا العصر عصر النور والمدنية، يُساق المعلم «الحي» ويحاكَم مع أصحاب الإجرام، فقد كان يوم 04 جانفي 1950 م يوماً مشهوداً في قضية مدير مدرسة "إيغيل"

1 – البصائر، ع151، الجزائر: 1939/02/04م، ص. 1

PDF Compressor Free Version

الأستاذ محمد شرفاء الأكحل بدعوى أنه معلم بدون رخصة»[1]، وكتبت "البصائر" في نفس الموضوع فقالت «لم تكتف الإدارة الاستعمارية في "حوز آقبو" بمحاكمة الأستاذ الطاهر الأطرش المعلم بمدرسة «إيغيل إيلف» وإصدار الحكم عليه بتغريم 12000 فرنك بتهمة فتح مدرسة قرآنية بدون رخصة، بل تعدّت ذلك إلى دورٍ جديدٍ من أدوار الاضطهاد والتنكيل (اضطهاد العربية وعلوم الدين والتنكيل بالمعلمين والطلبة الزيتونيين رجال الإصلاح)، ثم قالت: « وهناك أمام محاكم ذراع الميزان وتيزي وزو وبجاية، قضايا أخرى من هذا القبيل».[2]

والواقع أن محاربة العلماء واضطهادهم وإهانتهم قد بدأت منذ سنوات قبل صدور قانون 08 ماي 1938م، ففي عام 1933م كتب الأستاذ عبد الحميد بن باديس في جريدة (الصراط السّوي)[3] مقالا تحت عنوان "بعد عشرين سنة في التعليم نُسأل هل عندك رخصة"، شكا فيه من أنه استدعي إلى الكتابة العامة لعامل عمالة قسنطينة من أجل سؤاله من أنه يعلّم بدون رخصة، وقد قابل العلماء والمنظمات القائمة بالتعليم العربي الحر وعلى رأسها جمعية العلماء ضغط الاحتلال بروح من التحدي والصمود تثير الإعجاب يحدّثنا عنها الشيخ البشير الإبراهيمي فيقول:

---

1 – البصائر، ع104، الجزائر: 1950/01/23م.

2 – البصائر، ع124، الجزائر: 1954/11/26م.

3 – ع7، الجزائر: 1933/10/03م.

PDF Compressor Free Version

بدأت دعوة المعلمين إلى المحاكم ونحن نقدّر أنها ستعمّ، وأن أول الغيث قطرة، وأن الأحكام ستكون بالغرامة فالسجن، ولكننا سندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة.. وحسبَنا شرفًا أن يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا وحسبَنا فخراً أن تكون التهمة (فتح مدرسة دينية أو قرآنية بدون رخصة).[1]

وينبغي أن نشير هنا إلى أن الحرب التي شنها الاحتلال على التعليم العربي الحر، لم تقتصر على التقتير في منح رُخص لمن يطلُبها من المعلمين، كما لم تقتصر على اضطهادهم ومحاكمتهم وسجنهم أو تغريمهم، وإنما تعدى الأمر إلى محاربة المدارس الحرّة التي بناها الشعب بعرق جبينه ومن تبرّعاته بقصد تعليم أبنائه المحرومين من تعلّم لغتهم ودينهم، من ذلك على سبيل المثال أن مدرسة "دار الحديث" التي أسسّتها جمعية في مدينة تلمسان سنة 1937م، وكانت من أحسن وأهم مدارس التعليم العربي الحرّ بالجزائر والتي أسست في شهر سبتمبر سنة 1937م، فما إن بدأت تباشر عملها وظهر الإقبال عليها من المواطنين كباراً وصغاراً حتى هال الأمر إدارة الاحتلال في المنطقة فقامت بتعطيلها في شهر جانفي 1938م ولم يمض على افتتاحها سوى ثلاثة أشهر فقط[2]، والشيء

1 – البصائر، ع64، الجزائر: 1948/01/24م، ص. 2

2 – البصائر، ع100، الجزائر: 1938/02/18م، ص. 3

PDF Compressor Free Version

الملاحظ أن موقف الاحتلال من مدارس التعليم العربي الحر ليس إدارياً فحسب، ولكنه سياسي بالدرجة الأولى، فهو لا يغلق المدرسة لأنها لم تستوف الشروط الصحية اللازمة أو لوقوعها في أماكن غير صالحة لتجمّع التلاميذ، أو غيرها من الأمور الفنية الأخرى، ولكنه يغلقها نكاية في اللغة العربية وحقداً على الإسلام وحرباً على الثقافة العربية الإسلامية التي وقفت عقَبةً في طريق سياسته الرامية إلى محْو الشخصية الوطنية الجزائرية حتى ولو استوفت المدرسة كل الشروط اللازمة مثل مدرسة «دار الحديث» السابق ذكرها.

وقد اعترف الكتّاب الفرنسيون بعد قيام الثورة في الجزائر سنة 1954م عند تحليلهم لأسبابها ودوافعها بما قامت به إدارة الاحتلال من محاربة المدارس العربية وإغلاقها بدون سبب وجيه ووضع معلميها تحت مراقبة الشرطة أو اعتقالهم حيث أعلن ميتران قائلاً: «لقد خرجنا بحقيقة لا غُبار عليها ألا وهي أن الدولة الفرنسية تعمل على قتل اللغة العربية وعلى تحطيم الدين الإسلامي وعلى تجهيل الأمّة والعلماء يعملون على خط مناقض للخط الحكومي فهم يقومون بالجهود المحمودة لإحياء الإسلام وتطهيره من الخرافات ونشر اللغة العربية ورفْع الأمية عن الأمة غير مبالين بالعقبات ووسائل الزجر والتنكيل».[1]

1 – البصائر، ع270، الجزائر: 1954/05/07م، ص. 1

PDF Compressor Free Version

3-4 موقف فرنسا من الهجرة والمهاجرين إلى المشرق والمغرب:

أ. الهجرة عموماً:

نظرا لاستمرار ظاهرة الهجرة الجزائرية إلى المشرق وخطورتها فقد أولاها الفرنسيون اهتماما خاصا بعد أن كانوا يجدون فيها أول الأمر فرصة للتخلص من المسلمين الذين يثيرون فكرة الجهاد في نفوس الجزائريين ضدهم وتوفر لهم الأراضي والأماكن لاستقرار المستوطنين الأوربيين لذلك راحوا يبحثون عن أسبابها وظروفها ونتائجها وكثرت حول هذه الهجرة التقارير الحكومية والمراسلات بين القناصل الفرنسيين في بلاد الشام واسطنبول ووزارة الخارجية الفرنسية والإقامة العامة بتونس والحكومة العامة بالجزائر.

وكما ذكرنا سلفا فهذه الهجرة كانت جماعية أحيانا وفردية أحيانا أخرى والهجرة الفردية لم تتوقف بأي حال فهناك من كانت تتساهل السلطات الاستعمارية في أمر هجرتهم وتعمل في كثير من الأحيان على ترحيلهم وطردهم خصوصا منهم القبائل الثائرة ضدهم.

غير أن موقف الإدارة الفرنسية هذا لم يعمر طويلا إزاء هذه الهجرات التي حدثت حيث لم تلبث طويلا حتى أمرت وفق إجراءات متعددة بوقف الهجرة وإغلاق الحدود الجزائرية ولكن الهجرة رغم ذلك لم تتوقف.

PDF Compressor Free Version

وقد شكل الحاكم العام للجزائر لجنة بحث أوضاع الهجرة ولم تتخذ الإدارة الفرنسية هذه الخطوة إلا بعدان تلقت مطالب من بلدية وهران تدعو إلى معالجة الحالة والتحقيق فيها وقد وصف بعض الكتاب الفرنسيين مثل فيكتور ديموننتي هجرة سنة 1911م بأنها الهلع الحقيقي الذي يوشك أن يكون وباء أخلاقيا[1] وقد عزي الحاكم العام الفرنسي ليتو أسباب هذه الهجرة الجماعية إلى :

- ✓ تحريضات من الخارج
- ✓ التعصب الإسلامي
- ✓ الأزمة الاقتصادية التي تمر بها الجزائر في ذلك الوقت

وكان ذلك أثناء مواجهته لنواب الجمعية الوطنية الفرنسية عن أسباب هجرة الجزائريين إلى الخارج.

ومن الإجراءات التي تبنتها الإدارة الاستعمارية قصد وقف هذه الهجرات إلى تونس هو الترحيل القصري من تونس بعد فرض الحماية عليها وقد رأينا سابقا برقية عامل قسنطينة إلى الحاكم العام بتاريخ 1 جويلية 1882م بخصوص 63 خيمة من بلدية عين مليلة المختلطة تم ترحيلها من تونس حضرة السيد الحاكم العام تطبيقا لتعليماتكم التي احتوتها برقيتكم المؤرخة في 25 جوان رقم 254 لي الشرف أن ابعث إليكم

1- بلاسي، مرجع سابق، ص. 31

PDF Compressor Free Version

رفقة هذه الرسالة قائمة أرباب العائلات الذين هم أصلا من أولاد سي علي دائرة عين مليلة الذين لجأوا إلى تونس منذ سنة 1880..»[1] وكانت هذه القائمة تضم 63 رب عائلة.

كان بعض المهاجرون يحملون جواز سفر من السلطات الفرنسية على أساس الذهاب إلى الحج في أغلب الأحيان ولكن عدم منح الجواز لا يمنع المهاجرون من الخروج بطرق أخرى غير أن السلطات الفرنسية كانت تتدخل وتمنع الحج والهجرة معًا، أما منع الهجرة فقد ثبت تدخل الحكام الفرنسيين فيها عدة مرات مثلاً تدخل الحاكم شانزي سنة 1875م، أما منع الهجرة فقد كان القناصل الفرنسيون أنفسهم يطالبون بمنع الهجرة لأنها تضر بسمعة فرنسا في المشرق.

وفي عام 1895م تدخل الحاكم العام جول كامبون ومنع الهجرة أيضا حيث استصدر فتوى من علماء المشرق لا تشجع على الهجرة من الجزائر باسم الخوف على الدين، وبعد الهجرة الجماعية سنتي 1910

1- أرشيف ما وراء البحار أكس، ملف 9هـ .100، نقلا عن هلال ،الهجرة الجزائرية، ص. 376. للتوسع راجع:

- A.N.T, Série A,C282, Dossier 1/5, NP42, D.Ex 1906-1914.
- A.N.T, Série A,C276 BIS, Dossier 4/2, NP285, D.Ex 1911-1914.
- A.N.T, Série A,C276, Dossier 4/3, NP342, D.Ex 1918-1924.

PDF Compressor Free Version

و1911 م منع الحاكم العام شارل جونار الهجرة أيضًا وأغلق الحدود الجزائرية.[1]

وقد كان بعض الحكام الفرنسيين يرخصون بالهجرة من الجزائر أحيانا لأسباب مختلفة من ذلك الكثافة السكانية وفقر السكان بعد انتزاع أراضيهم ويقول باردن: «أن الحاكم العام كان لا يمانع في هجرة بعض العائلات من زواوة حيث القرى معزولة وكثرة السكان، كما كان الحاكم العام يشترط على رؤساء العائلات الذين يطلبون الرخصة أن يكون لديهم المال اللازم للسفر».

وفي سنة 1896م رخصت السلطات الفرنسية لحوالي مئة 100 شخص بالهجرة من سيدي عقبة، وفي حوالي 1912م رخَّصت أيضاً لحوالي 21 شخصا من عين مليلة بالهجرة بعد دفع عربون من المال لإعادتهم إلى الجزائر مما جعلهم يكتبون شكوى للبرلمان الفرنسي عن ذلك.

وقبيل بداية الحرب العالمية الأولى 1914م طلبت عائلات من بسكرة وقسنطينة الهجرة وهكذا....من جهة أخرى فإن منح الرخصة بالهجرة وعدمها كانت تخضع لأسباب سياسية واقتصادية من جهة الفرنسيين بهدف المحافظة على مصالحهم في الجزائر وسمعتهم في الخارج، ومن ذلك ما ذكره العقيد روبان: «أن عائلات من أعيان زواوة

1- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 476

كانت تستعد للهجرة سنة 1849م ولكن السلطات الفرنسية ثبطتها أو فلنقل منعتها»[1].

PDF Compressor Free Version

وكان زعماء زواوة يتلقون الرسائل التي تحثهم على الهجرة إلى تونس أو إلى الشام وأخذوا يستعدون لذلك، ومن قصص الهجرة أن السلطات كانت تُرخِّص بها للبعض للاستفادة من الأرض التي كان يتركها المهاجرون، وتروي هذه السلطات فيعدد من التقارير الأرشيفية ذات الطابع الأمني أن ناصر بن شهرة من قادة الأرباع – الأغواط- وعمر بن حميدوش من ناحية سباو في زواوة كانا سنة 1860م يعيشان داخل الحدود التونسية، ومن هناك كان يدعوان السكان إلى الهجرة، وحين تقدم الناس جماعيا للهجرة بناحية سور الغزلان رفضت السلطات أغلب المطالب وقبلت فقط طلب قبيلة أولاد خالد التي كانت تقطن على ضفة البردى وتنازلت عن 2600 هكتار من الأرض.

وتقول مصادر فرنسية أخرى: «أن السلطات عوضت بهذه الأرض قبيلة عريب التي كانت تملكها قبل الاحتلال، والتي استولت الإدارة الفرنسية على أراضيها لاستعمارها) أي أعطتها للكولون»[2].

1- نفسه، ص. 479.

2- نفسه، ص. ص. 479- 480

PDF Compressor Free Version

وقد شعر الفرنسيون أن الهجرة الجماعية تدل على تذمر سياسي وعدم الثقة في المستقبل تحت إدارتهم، ولذلك رفضت المطالب السابقة، حيث تتهم بعض المراجع الموثقة فئة المرابين اليهود الذين استغلوا سوء المحصول الزراعي للسكان وأخذوا يبتزونهم في أموال طائلة عن طريق القروض الربوية[1].

لقد جاء "لوشاتليه" بفكرة الحدود الجزائرية المغلقة سنة 1907م، فهو يرى أن منع الهجرة ومنع الحج وعدم استفادة فرنسا من ضرائب حوالي (خمسون ألف جزائري 50000) يعيشون في العالم الإسلامي، وهذه كلها من علامات الضغط الذي تخبطت فيه سياسة فرنسا التي لم تمنع الجزائريين من تنفس الهواء الخارجي كما لم يمنع الباستيل الشعب الفرنسي من تحطيمه وتنفس هواء الحرية[2].

فقد هاجر الجزائريون مع ذلك هجرات جماعية أصابت الفرنسيين بالذعر، ونقصد بالخصوص هجرة الشرق الجزائري حوالي (1910-1911م) وهجرة تلمسان (1911م)، وبالنسبة للهجرة الأولى نذكر أن البلديات والنواحي المتأثرة هي أم البواقي ووسط مسكيانة، وشملت

1- Mellz marty (G), "Les Algériens à Tunis", in IBLA, 1984, P.P. -304-305

2- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص481. للتوسع يراجع:

-A.N.T, Série A,C276, Dossier 13/1, NP324, D.Ex 1896-1912.

- A.N.T, Série التاريخية ,C204, Dossier 57/2, NP103, D.Ex 1824-1886.

PDF Compressor Free Version

طلبات الرخصة بلديات قسنطينة وباتنة وبجاية وفج مزالة وسطيف، وكانت بلديات عين تاغورت هي الأكثر كثافة في الطلبات، وقد وصفهم بعض القناصل الفرنسيين "بالمتمردين" وكان العدد يتراوح بين العشرين والثلاثين يوميا.

أما هجرة تلمسان سنة1911م فقد كتب عنها الكثير، وقد لا نريد أن نتوسع هنا فيها، ولكن نلاحظ أنها كانت هجرة سرية وجماعية، فقد كانت باتجاه الشام، كما لحقت بهم موجة جديدة من نواحي قسنطينة ومن زواوة وقدرت السلطات الفرنسية أن حوالي 700 عائلة غادرت الجزائر بين (1910ـ1912)م، أي ثلاثة آلاف وأربعة آلاف شخص.[1]

ب/ من الهجرة العلمية :

أما عن استئصال عوامل هجرة الطلبة الجزائريين إلى المشرق والحيلولة دون التحاقهم بالمؤسسات التعليمية والثقافية، يرد الحاكم العام الفرنسي للجزائر على وزير الداخلية الفرنسية بما يلي: «أحول دون هجرة الطلبة إذا توفرت لدي الوسائل الناجعة لمنع هذه الهجرة... ولكن هؤلاء الشبان يمتنعون كلهم عن طلب رخص الخروج من الجزائر (أو جواز السفر)... يسافرون بطرق-غير شرعية- وليس لدينا أية وسيلة لمنعهم من مغادرة إقامتهم نحو أي بلد كان، ومما يحول دون فرض

1- نفسه.

PDF Compressor Free Version

رقابتنا عليهم هو أنهم لا يسافرون عن طرق البحر أين نستطيع أن نراقبهم في الموانئ ونلقي عليهم القبض لعدم إحرازهم على جواز سفر ولكنهم يضعوننا أمام مشكلة حقيقية عندما يسافرون عبر البر...».[1]

ولم تتوقف هجرات الطلبة الجزائريين إلى الزيتونة ونيران الحرب العالمية الأولى مشتعلة ورغم الأخطار والصعوبات والعراقيل التي وضعها قانون (1914/07/15)م الذي ألغى نهائيا رخص السفر إلى الخارج، وألزم كل الأهالي بالاستقرار في مناطقهم الأصلية، استمرت هجرة الطلبة الجزائريين إلى تونس والتحق بعضهم بجامع الزيتونة متحديا المخاطر والتعب والإرهاق مشيًا على الأقدام.

واختلفت العقوبات التي سلطتها الإدارة الاستعمارية على هؤلاء المهاجرين إلى تونس مثلاً باختلاف انتمائهم الجهوي، وبالنظر إلى ما لديهم من قوّة مادية وجاه، فمنهم من كان يرمى في غياهب السجون لمدة غير محدودة، ومنهم من كان يسجن لمدة معيّنة بعد إحالته على المحاكم الفرنسية ويُفرج عنه مقابل غرامة مالية، بل فيهم من سجن بدون محاكمة، ومنهم من لم يتعرض لهذا العسف والإجحاف لما كان يلقاها من مساعدة مادية ومعنوية من طرف ذويه وأهله فيَفرج عنه

1- أرشيف ما وراء البحار، أكس. آن. بروفانس، 14هـ - 41 (42). رسالة إلى الحاكم العام إلى وزير الداخلية بدون تاريخ، نقلا عن: هلال (عمار)، " الطلبة الجزائريون"، الثقافة، ع79، ص. 137.

PDF Compressor Free Version

وقت رجوعه إلى الجزائر، وتعتبر قضيته منهية، ولكن الذي يهمّنا هو مدى تأثير هذه الإجراءات التعسفية الفرنسية على المهاجرين الجزائريين، أو بالأحرى على الذين كانوا يرغبون في الهجرة.

أما الجانب الإداري فكان هو الآخر يشكل عائقا أمام الطلبة الراغبين في التنقل من الجزائر إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة، حيث كان يشترط أن تمر طلبات الدراسة على المصالح المختصة التي تحيلها إلى الإقامة العامة الفرنسية بتونس ومن ثم إلى مشيخة الجامع الأعظم، وتتعدد القنوات التي تمر بها طلبات الطلبة الراغبين في الدراسة بالزيتونة وفي تعدد هذه القنوات كثيرا ما تضيع على الطالب الفرصة نتيجة الإجراءات الإدارية الروتينية نظرًا إلى أن بعض الطلبات تكون ناقصة لبعض الوثائق أو تكون على شكل طلب إرشادات.

فقد ورد في مراسلة موجهة من طرف القنصلية الفرنسية بسوق الأربعاء (جندوبة حاليا) إلى وزير الخارجية الفرنسي تحت رقم 3202 بتاريخ: 1900/12/22م، ذكر لعدد من الطلبة الجزائريين تم إبعادهم من تونس في حواجز أمنية قرب الحدود في الداخل التونسي.. حيث تم طرد الطالبين: "اليلمامي محمد" و"بن جبة البشير بن العايب" و"مرزوق ربيعة"، «طبقا للإجراءات المتخذة في 23 نوفمبر الأخير [يقصد سنة 1900] لي الشرف أن أعلمكم بأنه تم رفض وإبعاد الأشخاص الآتي

PDF Compressor Free Version

أسمائهم: اليلمامي ا لصالح بن محمد، وبن حبة البشير بن العابد، حال وصولهم إلى الحدود.. أما المعروف بمرزوق بن ربيعة بن محمد السعيد فلم نتحصل بعد على معلومات شاملة عنه بخصوص وصوله إلى تونس»[1]، ووقّع على هذه المراسلة المراقب المدني بالقنصلية الفرنسية.

وقد سبقت هذه المراسلة مراسلة أخرى تحت رقم 3118 بتاريخ: 1900/11/08م من ذات القنصلية موجهة إلى ممثل الحكومة العامة بخصوص منع الطلبة الجزائريين من السفر في حال عدم حيازة التراخيص المطلوبة وتضمّنت هذه المراسلة شرح مفصل عن الطالب السابق الذكر (مرزوق بن ربيعة) والذي تبيّن أنه طالب بجامع الزيتونة كان قد قطع الحدود مشيًا على الأقدام وبدون ترخيص عن طريق بلدة سوق أهراس، وعندما التحق بالجامع غير اسمه حتى يتملص من رقابة الشرطة الفرنسية وكانت شرطة الحدود قد رمزت له بالمسافر رقم 2796.[2]

ج/ من النضال الصحفي والجمعوي الطلابي في المهجر:

تجدر الإشارة إلى أن حدّة وضخامة الدعاية الصحفية لألمانيا والموجهة نحو العالم الإسلامي فاجأت فرنسا، واضطرتها إلى الرد عليها

1- A.N.T, Série A, C 277, Dossier 6, doc n° 07.

2- A.N.T, Série A, C 277, Dossier 6, doc n° 03.

وللتوسع أكثر في هذه الإجراءات التعسفية ضد الطلبة الجزائريين يراجع:

A.N.T, Série A, C 277, Dossier 6, N°P 70.

PDF Compressor Free Version

بحيوية فائقة، ومعتمدة في ذلك على استفادتها من مساهمة العديد من السوريين واللبنانيين والذين كانوا قد توافد العديد منهم على البلاد التونسية في فترة كانت فيها الإدارة الاستعمارية في السنوات الأولى من احتلالها للبلاد في حاجة إلى من يعرف اللغة العربية إلى جانب لغات أجنبية وخاصة منها الفرنسية.

لقد تعددت مصالح الدعاية في مختلف الوزارات الفرنسية، ففي سنة 1916م كانت هناك مصلحة للدعاية تعود بالنظر إلى وزارة الشؤون الخارجية وأخرى إلى وزارة الحرب إضافة إلى "مجموعة برلمانية للدعاية"، والي كانت أكثر نشاطا، كل ذلك إلى جانب مكتب يعود بالنظر إلى اللجنة الوزارية للشؤون الإسلامية[1]، إن رغبة فرنسا في الحد من تأثير دعاية الزيتونيين المهاجرين، وحرمَها على تجنيب الأهالي مضاعفاتها حتّم عليها المسارعة إلى توخي دعاية مضادة اعتمدت على تشويه الأتراك معتمدة في تحقيق ذلك على الاستفادة من الصحف العربية الموجودة آنذاك وذلك بتوظيف وفتح أعمدتها لحملات عنيفة على تركيا وحليفتها، كما تعدّت السياسة الدعائية لفرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى وتوظيف الصحف العربية سواء الصادرة منها داخل المغرب العربي أو خارجه إلى إصدار مصالح الدعاية الفرنسية نفسها لعديد الجرائد الناطقة باللغة

1- Ageron, Les Algériens, T2, 1177.

PDF Compressor Free Version

العربية والموجهة إلى مسلمي المغرب العربي والشرق العربي كالصباح والتصاوير وأخبار الحرب، وخصوصا جريدة المستقبل التي وقع بعثها خصيصا لتشويه الأتراك والإساءة لسمعتهم بين العرب خصوصا والمسلمين عموما، لذلك فلا غرابة أن يبادر شكري غانم في العدد الأول من المستقبل، وفي مقاله الذي حدّد فيه برنامج الجريدة إلى شنّ هجوم عنيف وشديد اللهجة ضد الأتراك مرتكبا حماقة بتعميم انتقاداته عوض جعلها مقتصرة على الفئة الحاكمة في تركيا.![1]

فالسلطة الفرنسية لم تبقى مكتوفة الأيدي أمام النشاط المكثف الذي كان يقوم به الوطنيون في المهجر للدفاع عن قضيتهم المقدسة، فقد جنّدت أعوانها وعملائها من الفرنسيين والتونسيين للتجسس عليهم وإحباط مساعيهم بجميع الوسائل من ذلك مثلا أن الحكومة الفرنسية قد كلفت الطاهر خيرالدين (ابن الوزير المصلح خير الدين باشا)، بمقابلة محمد باش حانبه بجنيف وتوجيه تقرير حول نشاطه بالخارج إلى الكاتب العام الفرنسي للحكومة التونسية، وبالفعل فقد تمت هذه المقابلة وأرسل الطاهر خير الدين تقريره إلى الكاتب العام في 1917/04/01 م وقد جازته الحكومة الفرنسية على ذلك حيث عيّنته فيما بعد وزيرا للعدل التونسي عام 1921م.

1-العجيلي (التليلي)، صدى الجامعة الإسلامية، ص. ص. 374-376

PDF Compressor Free Version

كما طلبت السلطة الفرنسية بتونس إلى الجنرال محمد بن الخوجة، مدير التشريفات تأليف نشرية للرد على الدعاية التي يقوم بها الشيخ صالح الشريف بالخارج ضد فرنسا، فاستجاب المعني بالأمر وأصدر نشرية دعائية بدون ذكر اسمه أشاد فيها بمحاسن الحماية الفرنسية بتونس واتهم الشيخ صالح الشريف "بالشذوذ الجنسي" والجنون واختلاس أموال الصليب الأحمر بالاشتراك مع علي باشا حانبه[1] ودور السلطات الاستعمارية لم يقتصر توظيفه عند هذا الحد بل عهدت إلى المفتي المقراني -الذي كافأته صحبة زميله على المهمة المذكورة ببعض الامتيازات- بالرد على تأليف صالح الشريف "إرشاد العباد إلى حقيقة الجهاد"، كما تولى المقراني كذلك دحض وتنفيذ ما جاء في كتيب "الإسلام والجيش الفرنسي" المنسوب للحاج عبد الله بوكابوية، وهو ردٌ أنجز تحت إشراف وزارة الحربية التي بادرت إلى طبعه في خمسمائة نسخة قصد ترويجها في كل المستعمرات في إطار الدعاية المضادة.

إن إدراك سلطات الاحتلال الفرنسي لأهمية مواقف الولاء والطاعة لها والصادرة عن رموز لها حضورها في الذاكرة الجماعية أهالي، فضلا عن تمتع مشائخ الطرق بين الأهالي بالقداسة والنفوذ يعد في نظرها شهادات اعتراف من شأنها أن تضفي عليها لدى الأهالي مصداقية وبالتالي

1- حمادي (الساحي)، فصول، ص. 111

PDF Compressor Free Version
تساهم في حمل الأهالي على ملازمة الهدوء والاستقرار والحد من تداعيات وتأثيرات الدعاية المغرضة لكل من ألمانيا وتركيا فلا غرابة أن تبادر –كما أسلفنا- إلى الترويج لها على أوسع نطاق ممكن.

ولم تكتف السلطة الفرنسية بذلك بل أنها دفعت الباي إلى إصدار أوامر عليّة للإذن بحجز أملاك المهاجرين، وبالفعل فقد صدر الأمر الأول بتاريخ 1917/07/05م، وهو يقضي بمصادرة مكاسب علي باش حانبه الذي دخل في خدمة الدول المعادية لفرنسا، كما جاء في نص الأمر ثم صدر الأمر الثاني في 1917/07/12م، ونشر في الرائد الرسمي المؤرخ في 1917/07/18 م وهو ينصّ على حجز أملاك المواطنين التونسيين الآتي ذكرهم: (محمد باش حانبه، صالح الشريف، الطيب جميل)، ولقد أحدثت هذه الإجراءات موجة من الغضب والاستياء في أوساط الوطنيين بالعاصمة.

إن آخر ما نود الإشارة إليه هو أنها في الوقت الذي كانت فيه مختلف الوسائل المذكورة تضرب بقوة ولاء المسلمين عامة وأهالي المغرب العربي خاصة للدولة العثمانية كانت في المقابل –وبالموازاة مع ذلك- تعمل جاهدة ليس فقط على الإبقاء على ولائهم لفرنسا وإنما بالخصوص إلى تحويل ولائهم من الدولة العثمانية إليها، وذلك أن الدعاية الفرنسية كانت في الوقت الذي تُشهر فيه بما فعله الأتراك للعرب من ظلم

PDF Compressor Free Version

واضطهاد في لغتهم ودينهم، لا تتورّع بالموازاة- عن إبراز ما قدمته فرنسا للإسلام والمسلمين في محاولة مفضوحة من طرفها لإحلال ولائهم "لتركيا" بولائهم لفرنسا عندما سارعت إلى توزيع مئات النسخ من بطاقة بريدية طبعتها مجلة العالم الإسلامي تحمل العلم الثلاثي الألوان لفرنسا كتب في أعلاه "تحية للعلم"، وفي أسفله ثلاث أبيات شعرية:

حيّيت يا علماً تحيـَي النفـوس*** والعلم والعدل والمعروف والهمم

لازلت في الحرب خفاقـاً تحن إلى*** تقبيل طياتك الأفـواه والنسـم

ولا برحت شعاراً للعلـى ولمـن *** لاذوا بضـلك فخرَا أيهـا العلم

وكالعادة حرصت مصالح الدعاية الفرنسية على ترويج البطاقة البريدية المذكورة التي سحبت منها (3000) نسخة وجهت (100) منها إلى المقيم العام بالبلاد التونسية، لقد وصل الأمر بالسلطات الفرنسية إلى ترجمة النشيد الرسمي الفرنسي "المارسياز" إلى العربية لجعله متماشياً مع لغة السكان.[1]

تلك هي -في حدود ما اطلعنا عليه- مختلف وسائل وأساليب الدعاية الفرنسية المناهضة لنشاط المهاجرين الجزائريين بأوروبا والمشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى وهي مساعي تهدف في نهاية المطاف إلى تفويض أهم دعائم الجامعة الإسلامية، وبذلك تكون الدعاية الفرنسية

1-A.N.T, Série S, C440, Dossier 18, doc n°43, 1914.

PDF Compressor Free Version

قد ساهمت في إيجاد أرضية لحركة ميدانية مناهضة للأتراك يكون فيها العرب وسيلة لتحقيق أهداف غيرهم.

وبدأت سلطات الحماية الفرنسية منذ أن أحسّت بتحرك بعض العناصر الجزائرية في ممارسة بعض الأنشطة النقابية والاجتماعية بوضع رقابة صارمة لتتبّع تحركاتهم، ورصْد كافة الاتصالات التي يقومون بها، ومما يجدُر ذكره أن حكومة اليمين الفرنسي كانت قد عينت بييرتون مقيماً عاماً بتونس خلال الفترة (1933- 1939)م، وقد تميّز حكم هذا المقيم بالشدة والصرامة وتكبيل الحريات وممارسة القمع والإرهاب ضد المواطنين، حيث توفّرت في الأرشيف الوطني التونسي جملة من التقارير أعدتها المخابرات الفرنسية توضح بجلاء اهتمام الأجهزة الفرنسية بمتابعة نشاط وتحرّكات الطلبة الجزائريين بتونس، لأن سلطات الحماية كانت تخشى أن تنتقل عدوى ما يجري في الجزائر إلى تونس وهو ما سوف يسبّب لها العديد من المشاكل لاسيما وأن أنشطة الطلبة الجزائريين ترتكز أساساً على فضح سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وأول ما عملته المخابرات الفرنسية أنها كوّنت لكل طالب جزائري ملفاً كاملاً عن حياته وعن قبيلته وعن سلوكه وأخلاقه واتجاهه السياسي والفكري، وكانت السلطات الاستعمارية ترى أن أحسن وسيلة للسيطرة على هؤلاء الطلبة هي تعقيد وعرقلة –قدر المستطاع- إجراءات

PDF Compressor Free Version

سفرهم إلى الخارج ومراقبتهم بعد عودتهم مراقبة دقيقة حتى لا يؤثروا على الأهالي بالجزائر وهذا من خلال ما أخذوه من جامع الزيتونة واندماجهم بعد عودتهم بالأوساط الإصلاحية حيث كان أغلبهم يعملون بعد عودتهم على خدمة التعليم العربي ومحاربة التخلف وبدع رجال الطرق الصوفية الذين ساهموا بقدر كبير في تنويم العوام بخرافات وبدع شجعتهم على مواصلة جهلهم بالدين الإسلامي الحنيف وتقرّبهم من المسؤولين الإداريين طلباً للمناصب وهروباً إلى العافية والسكينة بدلا من المواجهة التي ستضطلع بها كوكبة من الربانيين كابن باديس والعربي التبسي ومبارك الميلي... الذين نازلوا الاستعمار بالقلم والصحافة واللسان في المساجد والنوادي والمحافل، وبتكوين وتهذيب الجزائري المسلم، وإعادة إدماجه في مسيرة العمل الإسلامي والوطني يوم الصدام مع فرنسا وأعوانها وجيشها الذي أهلك الزرع والضرع.

وكانت مهمة المخابرات الفرنسية تتمثل في مراقبة نشاطات هؤلاء وتتبّع نشاط جمعية العلماء في كل مكان وأحاطت النجباء من طلاب مدارس الجمعية الذين شرعوا في الهجرة إلى تونس عن طريق أحد المقربين إلى رجال الإصلاح السيد محمد الأمين صاحب المكتبة العربية بتونس العاصمة الذي تصفه الوثائق بأنه كثير الرحلة والسفر والذي كان يشكّل المحطة الأولى لسفر بعثات الجمعية إلى الشرق حسب مراسلات

PDF Compressor Free Version

المقيم العام الفرنسي بتونس إلى عامل عمالة قسنطينة والحاكم العام للجزائر خلال شهر نوفمبر 1938م، وكان «ابن باديس كان محل اهتمام هذه الوثائق وتحاطُ اتصالاته برجال الإصلاح في القاهرة وتونس وسويسرا .. وقد أحاطته المخابرات الفرنسية في تنقلاته ولقاءاته وأعوانه ورجاله في كل مكان يحلّ به وخصّصت له ملفات ضخمة.. وفي أرشيف ما وراء البحار صناديق كبيرة لم تصل إليها بعد الأقلام النزيهة لتنفض عنها غبار السنين»[1]، ومن أكبر الدلائل على حقد المستعمر لطلاب العربية وبغضهم.. هو أن طلاب جامع الزيتونة بتونس كانوا يستنطقون من قبل أعوان الاستعمار حين كانوا يؤوبون إلى أهلهم بالقرى النائية أثناء العطل الصيفية، وكان هؤلاء الأعوان متكالبين على هؤلاء الطلبة تكالباً ضارياً يجعل هؤلاء الطلاب المساكين يقضون عطلهم في جحيم، بحيث لا يكادون يظهرون في الأماكن العامة والأسواق علناً إلا وتربص بهم المراقبون والجواسيس، وقد اشتد هذا وازداد إبان قيام الثورة الجزائرية.[2]

فالطالب مولود قاسم نايت بلقاسم كان من أنشط الطلبة في الحركة السياسية والوعي الوطني الأمر الذي جعل قايد منطقة ابن عباس (بجاية) يتتبع باستمرار تحركاته وكانت لا تمر إلا أيام بعد مقدمه إلى

1- بلغيث (محمد الأمين)، تاريخ الجزائر، ص. ص. 87- 88

2- للتوسع راجع: مرتاض (عبد المالك)، نهضة الأدب، ص. 38

PDF Compressor Free Version

بلدته حتى يجد نفسه في سجن أقبو حيث قضى مرة فترة تقارب الشهر، وعند محاكمته حضر كل طلبة المنطقة إلى جانب أسرته للاستماع إلى نتيجة الحكم، فكان الإفراج عنه فاستحالت الجلسة إلى فرحة واستبشار، ومن هنا بدأت خطواته تدخل المجال السياسي بصورة فعالة، وقد يكون هذا الاعتقال المبكر من الأسباب المشجّعة على مواصلة الدرب بكل ثقة واقتدار[1]، ويذكر يحي بوعزيز ما يلي: «...عندما التحقت أنا بتونس للدراسة أصبح (المتصرف المدني للمدينة) يسأل عن نشاطي وعندما أعود إلى المنزل في عطلة الصيف أدعى إلى الاستجواب وتوضع أمامي عراقيل ضد الرجوع إلى الدراسة وللتاريخ أذكر أن السيد زين العابدين بن حالة قائد الدوار كان يتدخل ليذلّل العقبات لأنه كان يقدّر الوالد ويحترمه كثير».[2]

وللقضاء على النشاط الطلابي الجزائري بالجامع الأعظم اقترح المقيم العام على وزارة الشؤون الخارجية بباريس التخفيض من عدد الطلبة الجزائريين بالعاصمة، بواسطة تحديد قبول المترشحين سواء بجامع الزيتونة ذاته أو بمدارس سكنى الطلبة الموجودة بالعاصمة «وسينجرّ عن ذلك حتماً إقصاء عدد كبير من الشبان عن الجامع الأعظم بتونس وهو

1- بن نعمان، مولود قاسم، ص. 22

2- مقابلة مع الأستاذ يحي بوعزيز.

PDF Compressor Free Version

أمر ملائم لنا إلى أبعد الحدود»، فقد تمّ في 1925/11/28م طرد أربعة (04) طلبة من الجامع الأعظم ضمت بالإضافة إلى الطالب الجزائري عبد الرحمان اليعلاوي كل من: العربي القروي ومحمد النجار، وأحمد الشطي.[1]

وقد تعرّض جميع الطلبة الجزائريين تقريبا إلى القمع والاضطهاد والإبعاد، ففي سنة 1923م أصدرت السلط الاستعمارية في سنة 1923م قراراً بإبعاد الشيخ إبراهيم أطفيش من تونس بسبب نشاطه الوطني ومنعته من العودة إلى بلاده الأصلية الجزائر فاستقر في القاهرة، وتواصلت بعد ذلك قرارات الإبعاد فشملت الشيخ صالح بن يحي، ثم شملت عضوين آخرين من خريجي الزيتونة ومن أنشط المناضلين الدستوريين وهما: أحمد توفيق المدني وعبد الرحمان اليعلاوي اللذان أبعدا إلى الجزائر على التوالي في شهري جوان وديسمبر من عام 1925م.

وورد في إحدى الوثائق الأرشيفية قائمة بأسماء الطلبة المرفوتين من جامع الزيتونة والمتعرّضين للتتبعات العدلية من أجل نشاطهم السياسي خلال الفترة (1910- 1945)م وهذه القائمة تعطينا إحصاء مهم للوجود الطلابي الجزائري وتأثيره القوي في الساحة الزيتونية، قياساً بردّ السلطات عليه (الرفت)، والذي لا يكون إلا نتيجة لتحرك نشيط تراه

1- العياشي (المختار)، الزيتونة، ص. 224

PDF Compressor Free Version

مشوباً بالخطر على مصالحها، واعتماداً على هذه القائمة نجد أنه من مجموع (203) زيتوني مرفوت نجدها تضم (91) طالب جزائري بما يعادل تقريباً 50 % أي نصف المرفوتين من الجامع خلال هذه الفترة وهي نسبة كبيرة جداً، إذا ما قارناها بعدد الطبلة الجزائريين القليل والتونسيين الكثيف في الجامع، وهذا دلالة أخرى على حركية العمل السياسي والنقابي الطلابي الجزائري في رحاب جامع الزيتونة هذا مقابل 105 طالب تونسي وسبعة (07) طلبة مغاربة.[1]

رغم ما بذلت الجماعات المنتمية للحزب الدستوري من الجهود لتمويه هذا الانتماء وما أظهرته من الانسلاخ الظاهري وعدم الاهتمام بالقضية الجزائرية وأطنبت في كل كتاباتها على التأكيد والتشبّه بما يرجّح مواقفها الموالية لانتماءاتها التونسية القريبة، فإن الاستعمار الذي كان يتابع هذه التحركات لم تنطل عليه كل مظاهر التمويه هذه، ولا استنام للحذر الشديد الذي لمسه في تصرفات هؤلاء وما كان منه في الأخير إلا أن عثر على الحجج الملائمة التي أقنعته بوجوب تسديد ضربة قوية لكل العناصر الجزائرية التي انضوت تحت لواء الحزب الدستوري التونسي والعمل على إبعادها وتشريدها الواحد تلو الآخر حتى لا تستثار حفيظة الرأي العام ومن ثم ضرب كل اتجاه نحو توحيد وتكتيل صفوفهما.

---

1 –A.N.T, Série D, C25, Dossier 28.

PDF Compressor Free Version

وتطبيقا لخطة انتهاج سياسة أكثر صرامة تجاه نشاط الجزائريين خاصة شرعت السلطات في إعداد المرحلة الأولى من هذا المخطط وتتمثل في ضرب رؤوس المجموعة الميزابية بالذات التي كانت متعاطفة كل العطف مع اتجاه الحزب، وقد كان بعض أفرادها يشكلون أركاناً أساسية في هذه الحركة عملاً وقولاً، وكان أول من نفذت معه هذه السياسة هو رأس الحركة الميزابية وعمدة الطلبة الشيخ إبراهيم أطفيش «حيث أصدرت قراراً بإبعاده عن تونس بتهمة التواطؤ مع الحزب الدستوري التونسي وحشر أنفه في الأمور التونسية وهو الجزائري الجنسية»[1]، ويضاف إلى ذلك سبباً آخر شخصي وهو تصرف الشيخ أطفيش تجاه المقيم العام الفرنسي لوسيان سان وإظهار عدم الاحترام له علناً تحقيراً له في أعين الناس الأمر الذي حنق المقيم العام، وتوالت بعدئذ قرارات الإبعاد الصادرة بحق الجزائريين المنخرطين في عضوية الحزب الدستوري مما كان لهم نشاط بارز في الحزب وتولوا فيه مراكز قيادية، أو قاموا بعمل ثوري للمساهمة في تأزيم الجو العام وإثارة الناس ضد المستعمر.

ويذكر الطاهر صفر في المقدمة التي قدّم بها كتاب (الفرائد في العلم والأدب والاجتماع) لنفس المؤلف بأن العيد الجباري كان له في «منطقة الجهاد الوطني شأن قاد به إلى الإبعاد إلى الجنوب التونسي أولاً،

1- الجابري (محمد الصالح)، النشاط العلمي، ص. 272

PDF Compressor Free Version

ثم إلى الجزائر ثانياً، وقد تعرفت به أثناء الحركة السياسية الأخيرة فكان من المحرّرين في جريدة (العمل)، ولما عطلت هذه الجريدة كان العيد الجباري من الجماعة الأولى من المبعدين السياسيين فسيق به إلى سجن مدنين فإلى بني قردان ثم إلى برج القصيرة ثم إلى مدنين ثانياً، وذهب بعد ذلك إلى برج القصيرة مرة أخرى عندما قررت الحكومة جمع المبعدين هناك.. ثم ما لبث أن نفته مرة أخرى إلى الجزائر لاتهامه بالمشاركة في حوادث الجامع الأعظم، وقد كان آخر عهد للجباري بالسجن في شهر ديسمبر 1939م عندها أبعد إلى الجزائر للمرة الثالثة باعتبار أصله الجزائري مثلما جرت الأحداث بالنسبة للمبعدين الأوائل.

وجاء في مذكرات السبتي بودوح «كان الطلبة الجزائريون متبوعين ومراقبين من طرف البوليس السري الفرنسي بالأخص الأوراسيون الذين كان مقر سكناهم معروفاً لدى الجميع، فالبوليس السري كان ينتقل من مكان لآخر صاغياً بكل جوارحه ومتتبعاً لما يدور من أحاديث على الثورة من طرف الطلبة الذين كانوا متعطشين وملهوفين لسماع نشاط جيش التحرير الوطني، وكل من سمع خبراً أو حكاية إلا وأسرع ليخبر بها رفاقه وكان له ذلك بمثابة المشاركة في القضية، كما يعتبر ذلك فخراً له حيث أنه يسر كل وطني وكل غيور على بلاده، وفي هذا الجو المليء بالمخاطر كان الطلبة الجزائريون يزاولون التعليم جاهلين ما يحيط

PDF Compressor Free Version
بهم من مخاطر وأعين الاستعمار التي لا تنام ولا تغفل أو تهمل أي صغيرة أو كبيرة، وأكبر دليل على ذلك أنه ذات يوم بوغتنا بغياب أحد زملائنا ألا وهو (رحماني محمد الصغير)، الأوراسي الأصل فقد اختطفه البوليس السري ولسنا نعلم متى؟ وكيف؟ وسافر به من تونس إلى باتنة حيث أودع السجن وأصبح تحت وحشية الجلادين يعذبونه طالبين منه الإدلاء والكشف عن معلومات حول الثورة، وبقي مدة ليست بالقليلة في السجن ثم أطلق سراحه ورجع إلى تونس...».[1]

لقد بذل الطلبة الجزائريون الصحفيون في مطلع القرن العشرين جهوداً مضنية وصادقة لمجاهرة الاستعمار آرائهم الصريحة وتعريفهم بواقع الشعب الجزائري المتطلع أبداً إلى الحرية المعتز بالانتماء للعروبة والإسلام، وعوض أن يأخذ الاستعمار هذه الأفكار بعين الاعتبار ويسترشد في حكمه فيتجنب أكثر من صدام مع الشعب نراه يوجه تهمة التحريض على العصيان أكثر من مرة إلى دعاة هذه الأفكار معتبراً إياهم أعداء له، وكانت الوسيلة الأولى التي التجأت إليها السلطات قصد إخماد أصوات هؤلاء الأحرار وكبت النشاط الفكري والوطني هي مصادرة الصحافة وتعطيلها والاستحواذ عليها وإدارتها وجعلها صحافة إخبارية لا تنشر إلا ما يرضي الاستعمار وما يهدف إلى خدمة سياسته، لكن الطلبة الجزائريون

1- مذكرات، ص. 19

PDF Compressor Free Version

لم يجنحوا إلى الصمت خوفاً من السلطة كما توقع ذلك الاستعمار وإنما قبلوا التحدي، وراح معظمهم يفك الطوق من حوله بمراسلة عدد من الصحف العربية في المشرق أولاً ثم في المغرب العربي وبالذات في الصحف التونسية ذات النزعة الإصلاحية، فعلى صفحات الجرائد التونسية شدّد الطلبة الجزائريون المهاجرون بأقلامهم الخناق على السلطة وأحرجوها بكتاباتهم المثيرة التي تطرقت إلى معظم الموضوعات التي كانت تتستر عنها ولا تريد مناقشتها أو اطلاع الرأي العام عليها والرأي العام في تونس بالذات، لما لذلك من الانعكاس على نفوس التونسيين خاصة الذين كانوا يعتبرون ما يسلّط على إخوانهم الجزائريين من قوانين جائرة إنما يتضمن تهديداً مباشراً لهم.

وكما هي العادة فإن الطلبة الذين كانوا يشعرون بالمسؤولية المناطة بعهدتهم ويتطلعون إلى اليوم الذي تتحرر فيه بلادهم من نير الاستعمار البغيض، كان عملهم يتلخص بصورة أساسية في التأكيد على حرية الجزائر وتطلعاتها، ولم يكن من المستغرب أن يرفعوا إليها الثمرة الثانية مثلما رفع السابقون ثمرتهم الأولى فصدّروا نشريتهم بكلمة إلى الجزائر: « إلى التي شعّ عليها بصيص من الأمل، فاستيقظت وهبّ عليها نسيم الحياة فانتعشت وتطلعت وأنجبت أبناء بررة فعزّت وعظمت، إلى

PDF Compressor Free Version

الأمة الجزائرية العربية المسلمة نهدي هذه النشرية المتواضعة عنواناً على بر ووفاء وتضحية وولاء».[1]

ولئن تغاضت السلطات الاستعمارية في بادئ الأمر عن التبادل الصحفي الحادث بين القطرين واكتفت برصد اتجاهاته وأبعاده وتحديد وتحديد مساراته بين تونس والجزائر فإنها سرعان ما تداركت ذلك، وبدا عليها الانزعاج من اللهجة الجديدة الحادة التي تعبّر بها هذه الصحف عن إرادة الشعبين ومن النبرة القارعة المطالبة بالحرية والاستقلال والمساواة، تلك الأصوات التي تنطق بلسان جديد استيقظ حسّه بعد الحرب العالمية الثانية وتسلّح بالتحدي والجرأة والثقافة الواسعة المنفتحة على ما يرد من المنشورات والصحف والكتب شرقاً وغرباً، ولم تجد السلطة حينئذ مخرجاً لأزمتها إلا بالالتجاء إلى الوسائل القمعية المعروفة كمصادر الصحف، ومنع التبادل بين الصحف والصحفيين بمختلف ألوانها ووضع العراقيل المتنوعة أمام توزيع الصحف التونسية في الجزائر والصحف الجزائرية بتونس، وهو الأمر الذي حمل الصحف التونسية التي تفطنت إلى هذه النوايا المبيّتة على الإصلاح.

بهذه الحقيقة وإحراج السلطة التي رفعت الحجر عن الصحافة ثم ها هي تعود إلى ممارسة عاداتها القديمة فتمنعها من اختراق

1- الثمرة الأولى، ص. 17

PDF Compressor Free Version

الحدوث إلى قرائها في القطر الشقيق فقد بلغ إلى علم جريدة "المنير" ذات النزعة الوطنية من بعض وكلائها ومشتركيها بالجزائر: «أن الصحف التونسية تصل بغير انتظام وربما تخلفت بالمرة، فنستلفت جناب الوالي إلى هذه الحالة المرّة ولنا في أمياله الحرّة وطيد أمل، وسواء كان ذلك من إدارة البريد الجزائرية؟ أو من بعض الأعوان المهووسين الذين يسيئون لدولتهم من حيث يريدون خدمتها فجنابه هو المسؤول عن دولة الجمهورية».[1]

ونفس الإجراءات التعسفية التي منعت الصحف التونسية من الرّواج في الجزائر طبقت في كثير من المرات على الصحف الجزائرية الوطنية أيضاً، وفي مقدمة هذه الصحف جريدة "الإقدام" التي منعت وصودرت لا من الجزائر فحسب ولكن أيضا من تونس لإثارتها الفوضى[2] وليس من باب الصدفة أن نرى السلطات الاستعمارية تقوم بحملات متتالية طيلة هذه المرحلة كسر حدّة هذه الحركة النشيطة التي بلغت الأوج، وخرجت عن أسلوبها الممالئ المجامل إلى طور المواجهة المباشرة وفتح جبهة عريضة من الجزائر إلى المغرب وتونس حيث ظهرت بوادر التلاحم ووحدة التفكير والدوافع الوطنية واضحة بين أرادها الذين كانت

1- الجزائر: 1920/12/03م

2- سعد الله، الحركة الوطنية، ج5، ص. 466

PDF Compressor Free Version

تربطهم وشائج متعددة منها أن معظم رؤساء الصحف التونسية والجزائرية درسوا بالزيتونة، ولعل أهم ما كان يقلق السلطة الاستعمارية في اتجاه هذه الصحافة هو تركيزها على نقد «سلوك الإدارة نحو العنصر الأهلي وارتباطها بالجمهور حيث أصبحت جزءاً من تقاليده اليومية ومشاغله الدائمة، يدل على ذلك سبيل الرسائل التي كانت ترد من القراء في الجزائر وتونس على كل صحيفة شملها التعطيل، أو تتخذ بشأنها إجراءات المنع من الترويج داخل هذا القطر أو ذاك، فما إن يروج خبر من هذا القبيل حتى تنهال الرسائل على إدارة الجريدة للاحتجاج على صنيع السلطة والتعبير عن التقدير الذي يكنه الجميع هذه الصحف الوطنية وإبداء الاستعداد للمساهمة بما يمكن تقديمه من المساعدات، فمثلاً عندما صدر قرار يقضي بتحجير دخول جريدة (النهضة) إلى الجزائر في سنة 1925م بتهمة التدخل في الشؤون الجزائرية إنهالت على إدارة الجريدة رسائل عديدة من الجزائريين مفعمة بعبارات الأسى والاستياء من سلوك السلطة.

د- صراع النخبة المهاجرة مع الإدارة الاستعمارية في الجزائر:

إذا تبلوّر الصراع بين النخبة المهاجرة وبين إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر حول الأمور التالية:

- حرية عمل النخبة في إطار الدعوة بالوعظ والإرشاد في المساجد.

PDF Compressor Free Version

- حرية التعليم العربي.
- مقاومة سياسة التجنيس والتنصير التي اتبعتها فرنسا في الجزائر.
- حرية النوادي تأسيساً وتمويلاً ونشاطاً.

لقد كانت هذه المسائل الأربعة بصفة عامة هي مدار الاحتكاك والصراع بين النخبة المهاجرة (بأشخاصها ونواديها وصحافتها) من ناحية وإدارة الاحتلال على اختلاف المسؤولين عنها من ناحية أخرى، منذ تخرّج كل دفعات التحصيل من جامع الزيتونة وعودتها إلى الجزائر إلى غاية قيام الثورة الجزائرية 1954م، لقد كانت فرنسا قبل بناء النهضة الإصلاحية وبالخصوص قبل منشأ (ج.ع.م.ج) تستهين برجال الدين الإسلامي بوجه عام وتعتبرُهم أناسٌ غير ناضجين سياسياً أو على الأقل تنقصهم الثقافة الحيّة والواعية لمحاربتها والعمل على إفساد خُططها سواءً ثقافية أو اقتصادية أو سياسية تجاه الشعب الجزائري ولذلك لم تعترض في البداية على توجيه الرحلات العلمية إلى جامع الزيتونة أو إنشاء خريجيها بعد عودتهم لمدارس حرة، وصحافة مستقلة أو على تكوين جمعية العلماء ومنحها رخصة العمل، غير أن الأمور تغيّرت بعد تصاعد المد الإصلاحي والتربوي في منتصف الثلاثينات.. حيث بدأت إدارة الاحتلال تغير من سياستها تجاه الأنشطة واعتبرتها فيما بعد معادية للمصالح الفرنسية في الجزائر.

PDF Compressor Free Version

أ/ موضوع التجنيس: نظراً لشدة حماس النخبة المهاجرة في الدفاع عن مقوّمات الشخصية الجزائرية وحرارة أسلوب صحافتها في مقاومة أهداف السياسة الاستعمارية في الجزائر ونشاطها المتواصل في الوعظ والإرشاد في كل أنحاء الجزائر مما جعل أفراد الشعب الجزائري يلفّون حولهم كأفراد أو من حول الجمعيات والنوادي التي أسّسوها، وبالمقابل ينصرفون عن الطرقية ورجال الدين المتعاونين مع فرنسا؛ نظراً لكل ذلك اتخذت إدارة الاحتلال قراراً ضد النخبة المهاجرة أصدره والي الجزائر العاصمة وعمالتها الفرنسي في 1933/02/16 م منشوراً عاماً وُزّع في كامل العمالة هاجم فيه العلماء المصلحين وخصوصاً منهم خريجي الجامعات الإسلامية واعتبرهم أناساً مشوّشين يعملون لجهات أجنبية هي الجامعة العربية والإسلامية اللتان كانت الدعوة إلى قيامهما منتشرة في الصحف والمجلات بالمشرق العربي في ذلك الوقت، ثم أردف منشورة المذكور بقرار مؤرخ في 1933/02/18م يمنع فيه رجال الدين الإسلامي من التدريس بالمساجد وإقامة حلقات الوعظ والإرشاد للمسلمين الجزائريين في المساجد الحرة، كما قام الكاتب العام لعمالة الجزائر بدوره بحلّ الجمعية الدينية الإسلامية في عاصمة الجزائر بتاريخ 1933/02/27م، وكوّن بدلها جمعية دينية إسلامية اختار أعضائها من بعض أعوان الإدارة وتولى هو رئاستها.

PDF Compressor Free Version

ولقد شكا الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء في التقرير الأولي الذي قدمه إلى مؤتمر الجمعية في 1933/09/15م من الحرب التي فتحتها إدارة الاحتلال على رجال الإصلاح بقوله: «وكم كان يسرّني -وأنا رجل مسلم طبعتني تربيتي الإسلامية على الاعتراف بالجميل- لو استطعت أن أذكُر لكم اليوم شيئًا من تحقّق ذلك الأمل لكن بغاية الأسف لا أستطيع أن أقول لكم إلا أنه لم يتحقق شيء منه؛ فالمساجد ما تزال موصَدة الأبواب في وجوه الوعّاظ والمرشدين، والمكاتب العربية مازالت تلقى العراقيل الشديدة، وصحافة الجمعية ما تزال في نطاق المنع والتحجير، وما يزال رجال من أشخاص الجمعية البارزين تحت الرقابة الشديدة بغير ذنب».[1]

وكتب الشيخ مبارك الميلي في البصائر منـدّداً بسياسة إدارة الاحتلال ضد جمعية العلماء ورجالها يقول: «..فكان من القرارات الثلاثة محاربة الحركة الإصلاحية في جهاتها الثلاث هي: "قرار منع العلماء الأحرار من إلقاء المواعظ في المساجد، وقرار النوادي، وقرار المدارس 08 مارس 1938م؛ لما جاء قرار "شوتان" وزير داخلية فرنسا القاضي باعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر أخطر من القرار الذي صدر سنة

1 – الإبراهيمي (محمد البشير)، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجزائر: المطبعة الجزائرية الإسلامية، 1931م، ص. 75

1933 م ومنع الخُطب والمواعظ في المساجد على العلماء من غير الموظفين في الإدارة الفرنسية».[1]

PDF Compressor Free Version

ب/ حرية التعليم العربي: كانت قضية حرية التعليم العربي بمدارسه وبرامجه ومعلميه هي المحور الأهم من محاور الصراع الذي دار بين النخبة المهاجرة وإدارة الاحتلال الفرنسي- ابتداءً من عام 1933م فقد تأكدت فرنسا جيداً بأن حركة التعليم العربي الحر تشكّل في المدى البعيد خطراً داهماً على استعمارها في الجزائر وضرْبةً قاصمةً لسياسة الفرنسة والتجنيس والتنصير التي تسير عليها السياسة الفرنسية في الجزائر منذ عام 1830م.

ولذلك شرعت في مقاومة حركة التعليم العربي الحر ووضع مختلف العراقيل والصعوبات في وجهها، ومن هنا لا تكاد تجد جريدة أو مجلة صدرت من طرف النخبة المهاجرة وهي خالية من الشكوى المرّة أو الاحتجاجات الصارخة، ضد الحرب التي تشنّها إدارة الاحتلال على معاهد التعليم العربي وعلى رجاله والقائمين به وعلى المعلمين الأحرار باعتبارها حرباً موجّهة أساساً إلى مقومات الشخصية الجزائرية وهي الإسلام واللغة العربية والثقافة العربية والتاريخ العربي الإسلامي للجزائر والانتماء الحضاري للأمة العربية وحضارة القرآن وثقافته.

---

1 – مبارك (الميلي)، "التعليم، التعليم"، البصائر، ع 114، الجزائر: 1938/05/20م، ص. 2

PDF Compressor Free Version

وقد كثرت احتجاجات العلماء والمعلمين الأحرار ضد الاضطهادات التي تتعرض لها حركة التعليم العربي الحر كما كثرت احتجاجات جمعية العلماء إلى إدارة الاحتلال في الجزائر وإلى حكومة فرنسا في باريس، وقد جاء في الاحتجاج الذي رفعه ابن باديس إلى الوالي العام الفرنسي على القطر الجزائري «أن الذين يفتحون المكاتب (المدارس) بهذه الكيفية وبهذه الطريقة المعقولة (الرخص) يحاكمون ويساقون أمام المجالس العدلية كأنهم جناة وحيث أن هذا العمل الممقوت تكرّر في عدد كثير من المدن والقرى والعمالات الثلاث كوهران والأغواط وشرشال وبجاية وعدة بلديات بناحية "قالمة" و"الأوراس"».[1]

وقد توالت التضييقات والعرقلة للتعليم العربي الحرّ وإغلاق مدارسه وسجّن معلميه من طرف إدارة الاحتلال كما توالت الاحتجاجات من طرف جمعية العلماء وفروعها فقد أمر متصرّف الحوز (الأوراس)، بإغلاق جميع الكتاتيب القرآنية ونفّذ ذلك حرّاس الدواوير فأصبح الأوراس الذي يضم ما يزيد على الستين ألفاً من السكان لا يوجد فيه مكتب مفتوح للتعليم[2]، وقد بلغت محاربة فرنسا لحركة التعليم العربي ذروتها بصدور قانون 1938/03/08م هذا القانون الذي أصبح بمثابة

---

1 – نفسه.

2 – البصائر، ع128، الجزائر: 1938/08/26م، ص. 1

سيف مسلّط على رقاب التعليم العربي الحر وعلى رجاله ومؤسساته،
PDF Compressor Free Version
ومما يتضمنه هذا القانون أنه لا يجوز لأي شخص أو منظمة تأسيس مدرسة والتعليم فيها إلا برخصة خاصة من إدارة الاحتلال، وكل من يعلّم أو يفتح مدرسة بدون رخصة يعاقب بالسجن أو التغريم أو بهما معاً، وقد ترتّب على صدور القانون المذكور إغلاق عدد كبير من المدارس وسجن عدد كبير من المعلمين الذين واصلوا التعليم عندما رفضت الإدارة منحهم الرخصة، كما تم تقديم عدد كبير منهم للمحاكمة مع اللصوص والمجرمين في قفص واحد ومحكمة واحدة، وسجن واحد، بدون أية تفرقة بين ذنب وآخر، وقد اعتبر الوطنيون على اختلاف مشاربهم السياسية أن الهدف من إصدار هذا القانون هدف سياسي في الدرجة الأولى يُقصد به القضاء على مقوّمات الشخصية الوطنية للجزائر.

جـ/ النوادي والجمعيات التربوية: لقد عملت الإدارة الفرنسية في الجزائر على محاربة النوادي والجمعيات العربية الحرّة التي أنشأها عدد من خريجي الزيتونة، فهي كما يقول الإبراهيمي: «...ترى أن النوادي الإسلامية التي نُؤسسها أو نُشرف عليها وهي وسط جامع بين المدرسة وبين الجامع لأن هناك طائفة عظيمة من شباب الأمة لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغه دعوة الدين والعلم إلا في تلك النوادي، وأن وضعية النوادي تعتمد على دخل مالي خاص، من المشروبات المباحة التي تباع

PDF Compressor Free Version

فيه، فكان من حلقات تلك السلسلة الموضوعة لتطويق التعليم العربي من جميع نواحيه، ذلك القرار الغريب الذي يمنع المشروبات المباحة في النوادي، ونتيجته إفقار النوادي من روّادها لعدم ما يجذُبهم إليها وما يحبّبهم فيها...».[1]

وقد صدر قانون النوادي في 1938/01/20م وملخّصه هو منع بيع المشروبات بها إلا برخصة خاصة وهو يقع في خمسة فصول، وقد ترجمته جريدة البصائر[2]، وتتلخص أهداف الحكومة الفرنسية من وراء إصدار قانون النوادي: «أن الحكومة تعلم أن النوادي ليست محلات اجتماع اعتيادية بل محلاً تُلقى فيه المحاضرات والدروس وتؤسّس الجمعيات وتُرسم الخطط لصالح الأمة وتقرّر الأعمال الهامة لتسيير الحركة فاتضح إذن أن هذا القرا ر اعتداء فظيع على مقدّسات أمتنا العربية المسلمة في إسلامها ولغتها ومقاومة عنيدة للنهضة بكافة الوسائل وفي جميع النواحي.

وجاء في مذكرات الطالب مالك بن نبي أنه هو الذي كان «يقوم بتوزيع منشورات باسم جمعية العلماء احتجاجاً على الإدارة الاستعمارية التي أمرت بمنع أي نشاط إصلاحي داخل المساجد فوزّعها على صحفيين

---

1 – البصائر: ع1 ، الجزائر: 1947/08/25م، ص. 03

2 – ع 108، الجزائر: 1938/04/15م، ص. 03

PDF Compressor Free Version

ونـوّاب وأعضـاء مجلـس الشـيوخ في بـاريس »[1] فـالإدارة الاسـتعمارية بالجزائر ذعرت لنجاح دعايـة العلـماء، وقـد دكّ تعلـيمهم الحـر التعلـيم بالمدارس، حيث كان الأساتذة المنتدبون من إدارة الشؤون الأهلية يعـدّون الناشئة إلى مناصب الموظفين الشرعيين وهـدّد مجهـودهم لبعـث الإسـلام مقدمي الطرق ومشائخ الزوايا ومـوظفي الشـعائر العدليـة... ولم تتحمـل الولاية العامة بالخصوص نمو دعاية لا تراقبها، وهي التي تعوّدت التعامل مع إسلام الطرقية والصوفية الـذي لا يمتنـع عـن مراضـاتها فحـاول الـوالي "كارد" الخروج من هذا الوضع بـإجراءات تعسـفية اكتسـت مـن الوجهـة الدينية خطورة قصوى.

فقد جمعت الإدارة سنة 1930م في كل مقاطعة لجـان استشـارية للشعائر لتلافي سوء سير الشعائر الإسلامية المحدثة تطبيقاً لقانون التفريق بين الدين والدولة، فهناك منشـور بتـاريخ 1933/02/16م عُـرف (بمنشـور ميشال)، الذي نص على تكليف السّلط المحليـة بمراقبـة أعـوان الشـيوعية والعلماء والوهابيين عن كَثب وهم متّهمون "بمحاولـة النيـل مـن مصـالح فرنسا"، وتوجّه التهديد بالأخص ضـد الشـيخ الطيـب العقبـي الـذي كـان لوعظه الصدى البعيد ولم ينل منع الوعظ في شيء من نفـوذ العلـماء كـما

1 – مذكرات شاهد على القرن (الطالب)، ج2، ص. ص. 63– 64

اتضح أثناء الانتخابات المتوالية وقد برز تأثيرهم في مداولات المؤتمر الإسلامي الجزائري وفي تحرير ميثاق الرغائب.[1]

PDF Compressor Free Version

ومن خلال تعامل الاحتلال الفرنسي- الاستيطاني مع النخبة المهاجرة الجزائرية يمكننا أن ندرك حقيقة الشخصية الجزائرية تاريخياً وثقافياً وحضارياً لذلك حشد كل طاقاته وحارب عروبة الجزائر وسمّى الجزائريين بالمسلمين رافضاً أن يسميهم بالعرب نسبة إلى الأمة العربية التي تشكّل الجزائر جزءَ منها، وكان الاستعمار يرمي من وراء ذلك إنكار عروبة الجزائر ومحاولة فصلها عن أشقائها في الأمة العربية، والعمل على محْو مقوّمات الشخصية الجزائرية من ناحية أخرى كي يتمكن من دمجها في الكيان الفرنسي باعتبار الجزائر جزءَ من فرنسا حسب النظم والقوانين التي استنّها الاستعمار الفرنسي- في محاولاته لمسخ الشخصية الجزائرية وتراثها الحضاري[2]، ولقد تمثّلت الخطط الفرنسية -كما مر معنا- المضادة لضرب أعما ل النّخبة المهاجرة ومن خلالها ضرب الشخصية الجزائرية ومقوّماتها.

- استولت على معظم المعاهد والمدارس الحرّة الموجودة بالجزائر وإخضاعها للمراقبة والمتابعة المباشرة.

---

1 - جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ص.ص.137- 138 وللتوسع يراجع: سعد الله (أبو القاسم)، "مدارس"، الثقافة،ع79 ص. ص. 83- 86

2 - بلاسي (أحمد)، الاتجاه، ص. 33

PDF Compressor Free Version

- تصفية معاهد الثقافة العربية وقصرها على شلاث معاهد في قسنطينة والجزائر وتلمسان.
- إحلال الثقافة الفرنسية والمسيحية محل الثقافة العربية الإسلامية.
- عدم الاعتراف بشهادات خريجي الزيتونة خصوصاً في التوظيف التعليمي المسجدي والتضييق على أصحابها واعتبارهم متمرّدين وعُصاة.
- الاستيلاء على أراضي الحبوس التي كانت تموّل المؤسسات التعليمية الجزائرية مالياً وثقافياً مما أدى إلى تصفية الأخيرة.
- محاولة فرنَسة المناطق البربرية بعزلها عن المناطق العربية ومنع نشر الثقافة العربية الإسلامية فيها حتى يسهل بالتالي القضاء على شخصيتهم الوطنية.
- تصفية معاهد تعليم العربية الحرّة واضطهاد معلميها بقصد صرفهم عن العمل في معاهد التعليم الحر، والتقتير في منحهم رُخص العمل، كما قامت فرنسا بتعطيل النوادي العربية الحرّة التي تقوم بنشر اللغة العربية بين الشباب.

PDF Compressor Free Version

- دعم الطرقية الصوفية المنحرفة مما أدى إلى إفساد الفطرة الإسلامية وتفكيك روح الأخوّة الإسلامية والخضوع للاستعمار وتشويه صورة رجالات الإصلاح لدى كثير من أتباع هذه الطرق.
- رفض فرنسا العلمانية منذ 1789م مبدأ فصل الأديان الخاصة بالدولة على الديانة الإسلامية التي أبقتها تحت سيطرتها المباشرة كما حاولت تنصير البربر بمنعهم من تعلّم اللغة العربية ومنع العلماء خصوصاً من خريجي جامع الزيتونة من التدريس إليهم وهكذا تلعب فرنسا دوراً دينياً جديداً مع ديانة لا تَفهمُ فيها شيئاً سوى الاضطهاد.[1]

أما عن نظرة المستوطنين وأوساط الهيمنة الفرنسية في الجزائر وعلى اختلاف انتماءاتهم ومواقعهم يمكن القول أنهم كانوا يرفضون أصلا تمكين الأهالي من تعليم متكامل بمختلف مراحله منذ بداية القرن العشرين، وبالمقابل كان بعض الفرنسيين يرون ضرورة تمكين الأهالي من حد أدنى من التعليم لا يتجاوز المرحلة الابتدائية أو المرحلة الأولى من التعليم الثانوي مع التركيز على التعليم باللغة الفرنسية قصد القضاء على اللغة العربية لتلبية حاجات المعمرين والجاليات الأوروبية كتكوين مترجمين وأعوان يكونون في خدمة الإدارة الفرنسية، لهذه الأسباب كان

1 – للتوسع يراجع: – الجزايرلي، الجزائر، ص. ص. 575– 576. – بلاسي (أحمد)، الاتجاه العربي، ص. ص.33– 49

PDF Compressor Free Version

المعمـرون يـرون أنـه كلـما تقـدّم الأهـالي في درجة التعلّم ازداد وعيهم ورفضُهم للاستعمار وسياسته ونواياه.. لـذلك بـات مـن الثابـت لـديهم أن طلبة التعليم العربي الإسلامي ومنهم الزيتونيون يمثّلون خطراً متأكداً على مصالحهم ووجودهم بالجزائر وبكامل شمال إفريقيا عاجلاً أم آجلاً، يـذكر يوسف بن خدة عن أحد المعمرين وكان ناظراً بمدرسة ابتدائيـة أنـه كـان يردد على مسامعهم دائماً «أنتم كأمواس حادة ضد فرنسـا ويردّدهـا دائمـاً بدون ملل».[1]

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر لاحـظ "فيكتـور دي كارنيـار" أنـه كلما تعلم الأهالي ازدادوا حقداً علينا.. وأن ألد أعدائنا هم هـؤلاء الشـبان المنحدرون من عائلات برجوازية، وقد ازداد موقف هؤلاء المعمرين حـدّة منذ نشأة الأحزاب والجمعيات الوطنية بالجزائر كجمعية العلماء وحـزب الشعب.

هـ -العمل النقابي والاجتماعي.

بدأت سلطات الحماية الفرنسية منذ أن أحسّت بتحرك بعض العناصر الجزائرية في ممارسة بعض الأنشطة النقابية والاجتماعية بوضع رقابة صارمة لتتبّع تحركاتهم، ورصْد كافة الاتصالات التي يقومون بها، ومما يجدُر ذكره أن حكومة اليمين الفرنسي كانت قد عينت بييرتون

1 – بن يوسف (بن خدة)، شهادات، ص. ص. 387– 389

PDF Compressor Free Version

مقيماً عاماً بتونس خلال الفترة (1933- 1939)م، وقد تميّز حكم هذا المقيم بالشدة والصرامة وتكبيل الحريات وممارسة القمع والإرهاب ضد المواطنين، حيث توفّرت في الأرشيف الوطني التونسي جملة من التقارير أعدتها المخابرات الفرنسية توضح بجلاء اهتمام الأجهزة الفرنسية بمتابعة نشاط وتحرّكات الطلبة الجزائريين بتونس، لأن سلطات الحماية كانت تخشى أن تنتقل عدوى ما يجري في الجزائر إلى تونس وهو ما سوف يسبّب لها العديد من المشاكل لاسيما وأن أنشطة الطلبة الجزائريين ترتكز أساساً على فضح سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وأول ما عملته المخابرات الفرنسية أنها كوّنت لكل طالب جزائري ملفاً كاملاً عن حياته وعن قبيلته وعن سلوكه وأخلاقه واتجاهه السياسي والفكري، وكانت السلطات الاستعمارية ترى أن أحسن وسيلة للسيطرة على هؤلاء الطلبة هي تعقيد وعرقلة –قدر المستطاع- إجراءات سفرهم إلى الخارج ومراقبتهم بعد عودتهم مراقبة دقيقة حتى لا يؤثروا على الأهالي بالجزائر وهذا من خلال ما أخذوه من جامع الزيتونة واندماجهم بعد عودتهم بالأوساط الإصلاحية حيث كان أغلبهم يعملون بعد عودتهم على خدمة التعليم العربي ومحاربة التخلف وبدع رجال الطرق الصوفية الذين ساهموا بقدر كبير في تنويم العوام بخرافات وبدع شجعتهم على مواصلة جهلهم بالدين الإسلامي الحنيف وتقرّبهم من

PDF Compressor Free Version

المسؤولين الإداريين طلباً للمناصب وهروباً إلى العافية والسكينة بدلا من المواجهة التي ستضطلع بها كوكبة من الربانيين كابن باديس والعربي التبسي ومبارك الميلي... الذين نازلوا الاستعمار بالقلم والصحافة واللسان في المساجد والنوادي والمحافل، وبتكوين وتهذيب الجزائري المسلم، وإعادة إدماجه في مسيرة العمل الإسلامي والوطني يوم الصدام مع فرنسا وأعوانها وجيشها الذي أهلك الزرع والضرع.

وكانت مهمة المخابرات الفرنسية تتمثل في مراقبة نشاطات هؤلاء وتتبّع نشاط جمعية العلماء في كل مكان وأحاطت النجباء من طلاب مدارس الجمعية الذين شرعوا في الهجرة إلى تونس عن طريق أحد المقربين إلى رجال الإصلاح السيد محمد الأمين صاحب المكتبة العربية بتونس العاصمة الذي تصفه الوثائق بأنه كثير الرحلة والسفر والذي كان يشكّل المحطة الأولى لسفر بعثات الجمعية إلى الشرق حسب مراسلات المقيم العام الفرنسي بتونس إلى عامل عمالة قسنطينة والحاكم العام للجزائر خلال شهر نوفمبر 1938م، وكان «ابن باديس كان محل اهتمام هذه الوثائق وتحاطُ اتصالاته برجال الإصلاح في القاهرة وتونس وسويسرا .. وقد أحاطته المخابرات الفرنسية في تنقلاته ولقاءاته وأعوانه ورجاله في كل مكان يحلّ به وخصّصت له ملفات ضخمة.. وفي أرشيف ما وراء البحار صناديق كبيرة لم تصل إليها بعد الأقلام النزيهة لتنفض عنها غبار

PDF Compressor Free Version

السنين»[1]، ومن أكبر الدلائل على حقد المستعمر لطلاب العربية وبغضهم.. هو أن طلاب جامع الزيتونة بتونس كانوا يستنطقون من قبل أعوان الاستعمار حين كانوا يؤوبون إلى أهلهم بالقرى النائية أثناء العطل الصيفية، وكان هؤلاء الأعوان متكالبين على هؤلاء الطلبة تكالباً ضارياً يجعل هؤلاء الطلاب المساكين يقضون عطلهم في جحيم، بحيث لا يكادون يظهرون في الأماكن العامة والأسواق علناً إلا وتربص بهم المراقبون والجواسيس، وقد اشتد هذا وازداد إبان قيام الثورة الجزائرية.[2]

فالطالب مولود قاسم نايت بلقاسم كان من أنشط الطلبة في الحركة السياسية والوعي الوطني الأمر الذي جعل قايد منطقة ابن عباس (بجاية) يتتبع باستمرار تحركاته وكانت لا تمر إلا أيام بعد مقدمه إلى بلدته حتى يجد نفسه في سجن أقبو حيث قضى مرة فترة تقارب الشهر، وعند محاكمته حضر كل طلبة المنطقة إلى جانب أسرته للاستماع إلى نتيجة الحكم، فكان الإفراج عنه فاستحالت الجلسة إلى فرحة واستبشار، ومن هنا بدأت خطواته تدخل المجال السياسي بصورة فعالة، وقد يكون هذا الاعتقال المبكر من الأسباب المشجّعة على مواصلة الدرب بكل ثقة واقتدار[3]، ويذكر يحي بوعزيز ما يلي: «...عندما التحقت أنا بتونس

---

1 – بلغيث (محمد الأمين)، تاريخ الجزائر، ص. ص. 87– 88

2 – للتوسع راجع: مرتاض (عبد المالك)، نهضة الأدب، ص. 38

3 – بن نعمان، مولود قاسم، ص. 22

PDF Compressor Free Version

للدراسة أصبح (المتصرف المدني للمدينة) يسأل عن نشاطي وعندما أعود إلى المنزل في عطلة الصيف أدعى إلى الاستجواب وتوضع أمامي عراقيل ضد الرجوع إلى الدراسة وللتاريخ أذكر أن السيد زين العابدين بن حالة قائد الدوار كان يتدخل ليذلّل العقبات لأنه كان يقدّر الوالد ويحترمه كثير».[1]

وللقضاء على النشاط الطلابي الجزائري بالجامع الأعظم اقترح المقيم العام على وزارة الشؤون الخارجية بباريس التخفيض من عدد الطلبة الجزائريين بالعاصمة، بواسطة تحديد قبول المترشحين سواء بجامع الزيتونة ذاته أو بمدارس سكنى الطلبة الموجودة بالعاصمة «وسينجرّ عن ذلك حتماً إقصاء عدد كبير من الشبان عن الجامع الأعظم بتونس وهو أمر ملائم لنا إلى أبعد الحدود»، فقد تمّ في 1925/11/28م طرد أربعة (04) طلبة من الجامع الأعظم ضمت بالإضافة إلى الطالب الجزائري عبد الرحمان اليعلاوي كل من: العربي القروي ومحمد النجار، وأحمد الشطي.[2]

وقد تعرّض جميع الطلبة الجزائريين تقريبا إلى القمع والاضطهاد والإبعاد، ففي سنة 1923م أصدرت السلط الاستعمارية في سنة 1923م

---

1 – مقابلة مع الأستاذ يحي بوعزيز.

2 – العياشي (المختار)، الزيتونة، ص. 224

PDF Compressor Free Version

قراراً بإبعاد الشيخ إبراهيم أطفيش من تونس بسبب نشاطه الوطني ومنعته من العودة إلى بلاده الأصلية الجزائر فاستقر في القاهرة، وتواصلت بعد ذلك قرارات الإبعاد فشملت الشيخ صالح بن يحي، ثم شملت عضوين آخرين من خريجي الزيتونة ومن أنشط المناضلين الدستوريين وهما: أحمد توفيق المدني وعبد الرحمان اليعلاوي اللذان أبعدا إلى الجزائر على التوالي في شهري جوان وديسمبر من عام 1925م.

وورد في إحدى الوثائق الأرشيفية قائمة بأسماء الطلبة المرفوتين من جامع الزيتونة والمتعرّضين للتتبعات العدلية من أجل نشاطهم السياسي خلال الفترة (1910- 1945)م وهذه القائمة تعطينا إحصاء مهم للوجود الطلابي الجزائري وتأثيره القوي في الساحة الزيتونية، قياساً بردّ السلطات عليه (الرفت)، والذي لا يكون إلا نتيجة لتحرك نشيط تراه مشوباً بالخطر على مصالحها، واعتماداً على هذه القائمة نجد أنه من مجموع (203) زيتوني مرفوت نجدها تضم (91) طالب جزائري بما يعادل تقريباً 50 % أي نصف المرفوتين من الجامع خلال هذه الفترة وهي نسبة كبيرة جداً، إذا ما قارناها بعدد الطبلة الجزائريين القليل والتونسيين الكثيف في الجامع، وهذا دلالة أخرى على حركية العمل

السياسي والنقابي الطلابي الجزائري في رحاب جامع الزيتونة هذا مقابل
PDF Compressor Free Version
105 طالب تونسي وسبعة (07) طلبة مغاربة.[1]

1 – A.N.T, Série D, C25, Dossier 28.

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

الفصل الرابع

النضال السياسي والجمعوي للوطنين الجزائريين في المشرق العربي خلال الفترة "1900-1939"

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

1- نشاط المهاجرين الجزائريين خلال الفترة (1900- 1919):

لقد كانت المرحلة الممتدة من مطلع القرن العشرين إلى غاية نهاية الحرب العالمية الأولى، مرحلة هامة تكاد تأثيراتها تكون مشتركة بين أقطار المغرب العربي، وإذا كانت ليبيا قد دخلت في حرب شعبية مع الإيطاليين، فإن الأقطار الثلاثة الأخرى (الجزائر-تونس-المغرب)، قد عاشت تجربة متشابهة؛ فالدولة المستعمرة واحدة (عدا إسبانيا في شمال المغرب)، وقد فرض الفرنسيون التجنيد الإجباري على شباب هذه الأقطار لكي يخدموا في جيشها ضد الدولة العثمانية المتحالفة مع ألمانيا، ومن خلال قانون التجنيد الإجباري الذي سنّته فرنسا عام 1912م من أجل استغلال الشباب الجزائري في أية مواجهة عسكرية ضدها نجد أنها قد عاملت طبقة الطلبة الجزائريين معاملة خاصة ؟! «أما الطلبة الجزائريون فقد عوملوا معاملة خاصة وتركوا لإكمال دراستهم، مثلهم في ذلك مثل الطلبة الفرنسيين، إلا أنه لم تتوفر المساواة بينهما»[1]، وكان الاضطهاد والهروب من الخدمة العسكرية والغيرة الوطنية قد ساعدا على خروج عدد من قادة هذه الأقطار إلى المشرق وإلى أوروبا وتأليف لجان وجمعيات لتحرير بلدانهم، وكان ذلك مدعاة للتنسيق فيما بينهم

1 – Sicard(j),Le Monde musulman dans les possessions françaises, Paris,1928, P. 224

PDF Compressor Free Version

والبحث عن الأنصار في الدول الأخرى ومخاطبة الرأي العام العربي والإسلامي بخطاب الاستغاثة والتعاون.

ويمكن القول أن الحرب العالمية الأولى كانت مدرسة تعلّم فيها شباب المغرب العربي الوطنية وقيادة الأحزاب والاعتماد على الإعلام والبحث عن الأصدقاء، لذلك كانت المرحلة التالية لها "1919-1939م" تمثل مرحلة النضج لدى الحركات الوطنية والإصلاحية في المنطقة، لقد اختار الوطنيون الجزائريون والتونسيون الأستانة مقراً لهم، حيث ستكون سياستهم أثناء الحرب العالمية الأولى، هي سياسة الجامعة الإسلامية في أغلبها وفي توافق مع الدولة العثمانية في كل شمال إفريقيا حيث اتصلوا في الأستانة بالأمير شكيب أرسلان، وسليمان الباروني، وعبد العزيز جاويش (التونسي- الأصل) ومحمد فريد وألّفوا هيئة لتحرير شمال إفريقيا، تعاونت مع السنوسيين في برقة، واتصلت بعدد من الطوارق في الجنوب الليبي والجزائري[1]، ووصلت دعايتهم إلى قلب الصحراء الكبرى، وكانت هذه اللجنة وراء إمداد السيد أحمد الشريف السنوسي، ببعض ما يحتاج إليه كما كانت وراء إرسال الباروني[2] إلى طرابلس، الذي عمل هناك

---

1 – جلال (يحي)، المغرب العربي (العصور الحديثة)، ج4، ص. 211

2 – **الباروني(سليمان) (1873–1940)م:** هو بطل الحرب الطرابلسية في وجه الغزوة الإيطالية، درس في جامع الزيتونة وفي وادي ميزاب، أصدر في القاهرة جريدة "الأسد الإسلامي" سنة 1906م،. يراجع عنه في: . حمو (محمد عيسى النوري)، نبذة من حياة الميزابيين، ج1،

PDF Compressor Free Version

على إثارة حركة تحريرية تمتد من طرابلس حتى تونس والجزائر، وحاولت اللجنة أيضًا تجميع قوات من أبناء المغرب الموجودين في أوروبا وإرسالهم إلى شمال إفريقيا والمشاركة في عمليات التحرير[1]، ومنذ حوالي 1910م أسّس الشيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي (1853-1918)م (جمعية الأخوّة الجزائرية التونسية) في إسطنبول وكان لها فرع في دمشق ينشط بين المهاجرين الذين كان أغلبهم من الجزائر، ولها فروع في بلاد الشام والحجاز، ولاسيما فرع المدينة المنورة.

وخلال نفس الفترة شارك العلماء الجزائريون في مصر ـ داخل تنظيم يسمى(الاتحاد المغاربي) وكان صاحب الفكرة فيها هو الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد التي كانت تتبع سياسة الجامعة الإسلامية ومقر هذا التنظيم كان في الإسكندرية، وكان يرأسه محمد شرعي باشا[2] - الذي ربما يكون من أصول مهاجرة- كما كان مدعّما من طرف الخديوي

باريس: دار الكروان، 1984م، ص. ص. 327. 330، . الخرفي (صالح)، عبد العزيز الثعالبي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995م ص. 43، . أبي اليقظان(الحاج إبراهيم) سليمان الباروني في أطوار حياته، ج1، ج2. الجزائر: المطبعة العربية للكتاب، 1956م.

1- المرجع نفسه، ج4، ص. ص. 242. 243. - للتوسع يراجع: - محفوظ (محمد)، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، دار الغرب الإسلامي، 1982م ، ص. ص. 233 - 235

- عليان الجالودي، الشيخ إسماعيل الصفايحي "دراسة في مواقفه وآثاره (1853.1918)م"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع10، الجزائر: سبتمبر 2001 م، ص. 98 وما يليها.

2 - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 602.

PDF Compressor Free Version

عباس حلمي، وقد أرسل الا تحاد موفَدين إلى المغرب العربي وخاصة إلى المنطقة الوهرانية بالجزائر للاتصال بصف ضباط جزائريين كانوا يؤيدون الجامعة الإسلامية[1].

ونظرًا لعدم اقتناع الجزائريين بالتجنيد في الجيش الفرنسي، فإنهم بدأوا يفرون من الخدمة العسكرية من جبهة الشرق الأدنى، والجبهة الأوربية زرافات ووحدانًا والتحقوا بمواطنيهم الثائرين في الجزائر، ومن هناك واصلوا نشاطهم في شكل حرب عصابات معلنين الثورة على الاحتلال الفرنسي[2] وقد بقي بعضهم خارج الجزائر، وشكلوا مع بعض التونسيين لجانًا وطنية في جنيف وبرلين والأستانة ومصر والحجاز للدعوة لاستقلال شمال إفريقيا، ولقد وظّفت حركة الجامعة الإسلامية في مرحلتها الأخيرة العديد من رجالات الجزائر وتونس سواء من المهاجرين أو من الزعماء الذين اختاروا الشرق مستقرًا، كما جنّدت الدولة العثمانية بعض أبناء الأمير عبد القادر كمحي الدين الذي أصبح له شأن في تلك الفترة.

1- Bardine (p), Algériens et tunisiens dans l'empire ottoman de(1848 à 1914). Paris : ED.du C.N.R.S, 1979, P.P.230-231

2 -حجاج(السعيد زروق)، العالم الإسلامي في الحرب العالمية الأول ، ط1، مصر: مطبعة الأمانة، 1989، ص. 68

PDF Compressor Free Version

وقد ساعدت هجرة الوطنيين الجزائريين إلى المشرق أمثال الخضر حسين والمكي بن عزوز، وصالح الشريف[1] وكذا التونسيين أمثال محمد بيرم وإسماعيل الصفايحي[2] وعلي باش حامبه، على بلورة السياسة الإسلامية نحو شمال إفريقيا[3]، ويجب أن نلاحظ أن هؤلاء جميعًا كانوا يعملون في إطار الوطن (الجزائري التونسي) وليس في إطار القطرية الضيقة، وكانت جهودهم متضافرة مع المجاهدين السابقين وأحفادهم وكانت لهم صحفهم ومنشوراتهم ونواديهم الخاصة.

ومن عاصمة الخلافة انطلقوا مجاهدين إلى الدول الأوروبية مع بداية الحرب وبخاصة إلى ألمانيا وسويسرا، حيث كانت هجرة هؤلاء المغاربة أسلوباً من أساليب الكفاح ووسيلةً لتجميع وتوحيد القوى في جبهات خارجية، من أجل القضية المغاربية الإسلامية، وقد كان لذلك

---

1 – **الشريف (صالح)**، (1862– 1920)م. من أُصول جزائرية، ولد بتونس، كان جده الشيخ العربي بن كبار أدباء جامع الزيتونة ومن الذين أولاهم أحمد باشا الأول التدريس بجامع الزيتونة. دخل الشيخ صالح جامع الزيتونة عام 1881م ونال فيها شهادة التطويع سنة 1888م، تولى التدريس في الطبقة الأولى سنة 1894م ثم ليُسمى مدرساً بالمدرسة العصفورية سنة 1897م، ونظراً لنشاطه السياسي المكثف تعرض لمضايقات من طرف السلط الاستعمارية، اضطره إلى الهجرة إلى إستانبول سنة 1906م، كانت له أنشطة سياسية وتعليمية مكثفة في المشرق العربي وكان له دور كبير في النضال المهجري الجزائري التونسي بأوربا أثناء الحرب العالمية الأولى توفي بموفترو وعمره 58 سنة.

2 – **إسماعيل الصفايحي** (1853.1918) م، تونسي من شيوخ الزيتونة، تولى القضاء الحنفي بتونس العاصمة.

3 – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 520

أثره العميق على القضايا السياسية والفكرية لهذه الأقطار، وفي طليعة هذه النخبة المهاجرة الجنرال زروق الجزائري الذي اقترح على الباب العالي برنامجا لإرجاع سلطة السلطان على تونس والجزائر، لتحقيق ذلك إقتراح الاعتماد على الجزائريين الذين هم على أتم الاستعداد للثورة.[1]

PDF Compressor Free Version

ومن العلماء الجزائريين الذين حلّوا بإسطنبول في مطلع القرن العشرين الشيخ المكي بن عزوز (1854-1915)م سنة 1905م، الذي انتقل من إسطنبول إلى الحجاز وأسس بالمدينة المنورة "جمعية الشرفاء"سنة1913م، وهي جمعية إسلامية كان من أهدافها إثارة مناطق في إفريقيا الشمالية، فخلال أحد اجتماعاتها التي حضرها مغاربة من الجزائر وتونس ومراكش منهم القائد الأخضر- من تلمسان ومحمد بن الزاوي جلول من قسنطينة تقرر إرسال مبعوثين إلى الجزائر والمغرب الأقصى بغية تحقيق أهداف الجمعية[2]. ولا ندري لقلة مصادرنا مصير هذه الجمعية، ولا إلى ما آلت إليه، ولكن الأكيد أنها كانت تضم بعض الوطنيين التونسيين الذين سيكون لهم دور في الحركة السياسية التونسية أمثال : البشير الفورتي (1882- 1954)م ومحمد باش حامبه* (1881-1921) م. ومن الجزائريين الذين نشطوا في إطارها الشاذلي السنوسي،

---

1 –Bardin, Op.Cit, P.P.116–117

2 – المرجع نفسه، ص. ص. 230– 233 . ينظر: . سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 603

ومحي الدين السنوسي، ومحمد البشير زروق، والشيخ محمد عبد السلام التيجاني.

PDF Compressor Free Version

إن الجمعية التي أسّسها صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي سنة 1910م كانت لها فروع من أهمها فرع دمشق ومن أعضائه الشيخ الحسين ومحمد بن الصغير وكلاهما من مدينة سدراته (الجزائر) والدراجي بن الحسين والحاج إسماعيل بن محمد وكلاهما من قسنطينة ومحمد بن شطة من الأغواط[1] وفي سنة 1916م، قرّرت الحكومة العثمانية أن تؤسس في الأستانة هيئة لغزو شمال إفريقيا بالاتفاق مع رجالها اللاجئين[2].

ولما عيّن سليمان الباروني واليًا عامًا على المناطق المحرّرة في طرابلس الغرب، انتظمت مقاومته ضد الإيطاليين، ومن بين ما قام به الباروني [تلميذ محمد أطفيش الجزائري] هو أنه بعث رسُله في نشر الدعوة للجزائر وتونس، وربط الصلة بين أنْور باشا وحسن قلاتي (الجزائري)، أحد الذين بقوا في تونس من حزب علي باش حامبة، كما كان للصحفي الجزائري المحامي "محمد قدري الجزائري" دور هام في إقليم طرابلس الغرب حيث هاجر والده، وفيها أكمل دراسته وتعليمه ومنها

---

1 –Bardin, OP. Cit. p.230

2 – الفاسي (علال)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص. 53 . يراجع : بن ميلاد إدريس، "مرجع سابق "، م. ت. م، ع(1)، ص. 164

PDF Compressor Free Version

انتقل إلى اسطنبول حتى تخرج من كلية الحقوق ولما عاد الى طرابلس أصدر جريدته التي كانت تنطق باللغة التركية وعنوانها (تعميم حريت) وهذا لأجل قراء اللغة التركية الموجودين في الولاية، وقد توقّفت الجريدة عن الصدور خلال نوفمبر 1911م بسبب الغزو الإيطالي للبلاد، كما كانت له زيادة على ذلك عدة أنشطة ونضالات لم ينسى فيها خدمة القضية الجزائرية[1].

وبالنسبة لمشاركة العلماء الجزائريين في الحرب الليبية الطرابلسية، فإذا كنا لا نعرف الكثير عنهم أمثال: مصطفى عوني والأخوة محمد ومولاي وعلي بن حميدة بن خير والحاج قاسم أبو خطوة، وأبناء بن جلول، وأبناء عائلة جبارة، وغيرهم كثيرون وخاصة من جهات الشرق الجزائري وجنوبه فإن ذلك لا يعني قلة المتطوعين من الجزائر في ميادين الجهاد الطرابلسية، ولكن نحن لم نتمكن من الحصول على أسماء الأكثرية منهم لأن البحث في هذه النقطة لم يتسع كثيرا خاصة على الصعيد الميداني[2].

لقد أسّس الجزائريون بصفتهم الطليعة المغاربية في المشرق العديد من الجمعيات السياسية والخيرية التي تهتم بالمغرب العربي

---

1 – سعيدوني(نصر الدين)،دراسات وشهادات مهداة ص. ص. 289 .290

2– نفسه، ص. 285

PDF Compressor Free Version

كقضية سياسية، وبأحوال المهاجرين منه كقضية اجتماعية، كما لم تفصل هذه الجمعيات بين قطر مغربي وآخر،إذ مارسوا فيه أجمل وأرقى الممارسات الوحدوية المغربية وبرهنوا واقعيًا على إمكانية قيام هذه الوحدة فإنهم لم يفصلوا هذه الجمعيات ونضالها عن نضالهم في الأقطار التي هاجروا إليها. وقد ساندت هذه الجمعيات بشكل ملحوظ النضال ضد الاحتلال الفرنسي لتونس، فمن المعروف أن الجزائريين الذين هاجروا إلى تونس شاركوا في هذا النضال بل كانوا من مؤسسي الحركة الوطنية فيها وأسهموا أيضا في حركتها الثقافية ومثلها شكلت هذه الجمعيات كشافة الأمير عز الدين الجزائري، فإنها أسّست نادي عمر المختار إذ كانت تساهم في الحركة الوطنية الليبية كما يدلنا على ذلك كتاب الليبيون في سوريا، وأسهمت في الحركة الوطنية في مراكش، وكل ذلك جنبًا إلى جنب مع إسهامها في الحركة الوطنية السورية والفلسطينية، ومن أشهر هذه الجمعيات جمعية مهاجري شمال إفريقيا.

نشرت جريدة المقتبس الدمشقية في عددها رقم 462، (اجتمع الجزائريون والتونسيون المقيمون في الأستانة وقرّروا تأسيس جمعية مختصة بهم وقد خطب كثيرون منهم وأبانوا شكرهم لأحرار العثمانيين)[1]

1 – الخالدي (سهيل)، الإشعاع المغربي في المشرق ودور الجالية الجزائرية في الشام، الجزائر: دار الأمة، 1997م ، ص. 164

PDF Compressor Free Version

وتُفيدنا الوثائق أن الأمير علي ترأس في دمشق جمعية مهمة اسمها جمعية مهاجري شمال إفريقيا كان لها رابط بين الجمعية الخيرية الإسلامية لأيالة الجزائر المحمية، التي أسّست لمعاضدة ثورة المقراني؛ وكانت جمعية مهاجري شمال إفريقيا بمثابة حزب سياسي دعا علنًا لاستقلال الجزائر وتحالفه مع الألمان ضد فرنسا، وإن رئيسها الأول الأمير على بن عبد القادر يزور الأسرى الجزائريين الذين كانوا يُساقون إلى الخدمة في الجيش الفرنسي، فيأسَرهم الجيش الألماني، وكان هؤلاء الأسرى ينظرون إلى الأمير على بن عبد القادر كأمير وطني، ولعلّ أهم وثيقة حتى الآن تدلّنا على نشاط هذه الجمعية هي الجريدة التي كانت تُصدرها باسم المهاجر، وقد صدرت هذه الأسبوعية كما يقول دي طرازي، في 1912/01/21م، وكان رئيس تحريرها كما هو وارد على صفحتها الأولى التهامي شطة الأغواطي وكان مقرها نفس مقر جمعية مهاجري شمال إفريقيا، ويبدو أن الأمير سعيد بن علي ترأس هذه الجمعية اعتبارًا من عام 1915م[1]، ويبدو أن هذه الجمعية ظلت قائمة إلى ما بعد 1946م، وإنني اعتقد أن دراسة جمعية مهاجري شمال إفريقيا دراسة تفصيلية هي أمر ضروري لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، والحركة المغاربية، وإني أرى أنه من الأهمية بمكان التركيز على دور طلبة العلم في المشرق

1- الخالدي، المرجع نفسه ، ص. 165

PDF Compressor Free Version

وأدوارهم المشرقة من خلال هذه الجمعية؛ ذلك أن من أعضاء هذه الجمعية القياديين الأمير خالد في الجزائر، والأمير عبد المالك في المغرب وغيرهما، ومنها أيضًا انبعثت الجمعيات المغاربية في مصر والشام، ومن أبرزها أيضًا:

❖ **الجمعية الخيرية الإسلامية:** مقرها الأستانة، ولكن لم يكن «هدفها الرسمي فقط مساعدة المهاجرين الوافدين على تركيا...»، لقد كانت اللجنة المسيّرة للجمعية المذكورة تحت رئاسة محمود شوكت وتضم بين أعضائها يوسف شتوان – أصيل طرابلس الغرب- إلى جانب صالح شريف وإسماعيل الصفا يحي وكذلك عبد العزيز جاويش[1]. لقد أصدرت الجمعية الخيرية الإسلامية، جريدة "عالم الإسلام" "Djham Islam" الناطقة بعدة لغات كالتركية والفارسية والهندية فضلاً عن العربية، وقد دأبت على حث المسلمين على رفض دفع الضرائب[2].

❖ **جمعية الإخاء للجزائريين والتونسيين** L'Association Fraternelle des Algéro-**Tunisiens:** ظهرت هي الأخرى بالقسطنطينية حوالي سنة 1915م على يد كل من صالح شريف وإسماعيل الصفايحي والفرنسي-

1 – Centre de documentation National, B-3-6 , Le Panislamisme en Tunisie,

2 – Ibid, P.3

PDF Compressor Free Version

"تادي قـز توفـت Thadee gasztovt"[1]، وعـلى حـد قـول جريـدة "الشـهاب التـركي" "Le jeune turque" فـإن ثمـانين شخصًـا بـين جزائـريين وتونسـيين مقيمين بالقسطنطينية حضرو الاجتماع مع العلم أن للجمعية عدة فروع بالمشرق العربي، أهمها فرع دمشق، الذي كان يضـم العديـد مـن الأعيـان والوجهاء الجزائريين الذين تولوا تمويل نشاط الفرع المذكور[2].

من أهداف هذه الجمعية، مدّ يد المساعدة للمهاجرين والتـدخل لفائـدتهم لـدى السـلطات العثمانيـة كـما كانـت تتـولى تحريـر نـداءات عملت على تسريبها بين سكان الجزائر لتشـجيعهم عـلى الهجـرة بواسـطة إغرائهم ليس فقط بالتسـهيلات الموضـوعة عـلى ذمـتهم، وإنمـا بخصـوص الامتيازات التي سيحصلون عليها ورغم هذا الوجـه الاجتماعـي الظـاهري لجمعية الإخاء فإنها مثّلت وسيلة تأطير ودعاية للجامعة الإسلامية[3].

❖ **جمعية الإتحاد المغربي L'Union Maghrébine:**

ظهرت في القاهرة سنة 1910م، على يد العديد من الوجهاء وكبـار الأثرياء من المالكين العقاريين ومن ذوي النفوذ المـالي والمعنـوي كرئيسـها

---

1 – **تادي أرتور موريس قزتوفت:** عون ألماني من أصل بولوني، ولد بباريس في 8 جوان 1881م، اعتنق الإسلام وتسمى باسم " سيف الدين العسكرية بتونس، عدّته سلطات الاحتلال في تونس مناصرا لأفكار الشبان الأتراك.

2 – Bardin, Op.cit, P.230

3– العجيلي (التليلي)، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، تونس: دار الجنوب للنشر،2005م، ص. 204

PDF Compressor Free Version

الأمير محمد شرعي باشا والشيخ علي يوسف صاحب جريدة "المؤيد" وكان أمين مالها العالم الجزائري أمين باي المغربي[1]، وعلى حدّ قول خوالدية صالح فإن الجمعية المذكورة كانت جمعية إغاثة وإعانة للجزائريين والمغاربة عموما[2]. ومن جهته فإن دي فرانس De France الوزير الفرنسي- المفوض بالقاهرة - أوضح أن ألمانيا تعوّل كثيراً على جمعية الاتحاد المغربي في إثارة مسلمي شمال إفريقيا ضد فرنسا في صورة اندلاع حرب.

❖ **جمعية الشرفاء (أو الأشراف):** تشير المصادر الفرنسية إلى أنه تأسست في أواخر سنة 1913م جمعية جديدة للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وهي جمعية الشرفاء، على يد العالم الجزائري محمد المكي بن عزوز وحسب المصادر المذكورة فإن جمعية الشرفاء تزمع إثارة الاضطرابا ت في بعض واحات أقصى الجنوبين الجزائري والتونسي وأنّ أحد

1- العجيلي، نفسه، ص. 206

2- Bouyoc R ."L'Union Maghrébin, société de secours mutuels", La Tunisie Française, du 27/11/1912. P.1

- Archives Nationales (Tunis).., Série E, C550, Dossier 30, Sous dossier 15. doc n°1,14,18,21.

PDF Compressor Free Version

مبعوثيها قد أوفد إلى الإسكندرية في مهمة تقضي بتوجهه إلى كل من الجزائر وتونس[1].

إن تضخيم السلطات الفرنسية لنشاط مثل هذه الجمعيات وصعوبة تتبعها بدقة لتحركات مختلف عناصرها وفروعها جعل المعلومات حوّلها لا تخلو من التضخيم والتحامل وغياب الدقة، وحمّل الأمور دائما محمل المبالغة بتهويل الأحداث وسبقها بتوقّعات تصل أحيانًا إلى حد الجزم، ثم تأتي الوقائع لتكذّبها وتؤكّد أن ما ذهبت إليه تلك المصادر لا يعدو أن يكون من قبيل التخمين والظن الذي لا يغني من الحق شيئًا، من ذلك أنّ تلك المصادر ذهبت إلى أن محمد المكي بن عزوز كُلّف من قبل عبد العزيز جاويش بالاتصال -في تونس- بعدة شخصيات موالية للجامعة الإسلامية قصد تنظيم دعاية نشيطة مناهضة لفرنسا وتبعًا لذلك فإن محمد المكي بن عزوز سيتحول إلى تونس، وأنّه لابد أن يتصل بصهره مصطفى بوخريص وضُربت حراسة مشددة على منزل هذا الأخير لكن بن عزوز لم يتحوّل إلى تونس أصلا.[2]

1- Archives Nationales (Tunis)., Série E, C550, Dossier 30/23, doc n° 5. "Le gérant de l'Agence et du consulat général de France au Caire au ministre des affaires étrangères à Paris, Le 10/10/1913.

2- Ibid., Série E , C550, Dossier 30 / 23, note datée du 6/11/1913, doc n°6.

❖ **الاتحاد الإسلامي :** نشأت بمبادرة من الجزائري خوالدية صالح[1] - السابق الذكر - الذي نشر مقال بإمضائه تحت عنوان "نداء الثورة" صدر بعدد يوم الاثنين 1جانفي 1906م من جريدة La Dépèche Tunisienne ذهب فيه إلى أن أوروبا تتّبع خطّة مُحكمة هدفها تقويض ركائز الإسلام، الأمر الذي يحتّم -حسب رأيه- على العرب تكوين جبهة موحّدة للوقوف في وجهها، ويختم دعوته الموجهة إلى بني جلدته في الجزائر بحثهم على الثورة على الاحتلال الفرنسي مؤكدًا لهم أنّه عند اندلاع المعركة الحاسمة ستجدون في مقدمتهم "الشرفاء المكوّنين للجنة المركزية للاتحاد الإسلامي لتحمّل المسؤولية[2] مُبرزًا أن كل قضية عادلة لابدّ لها من شهداء مؤكدًا في الختام أن على أوربا أن تعْلم بأنّ الأمة الإسلامية تمتلك قوّة رهيبة تمكّنها من تقرير مصيرها.[3]

وفي مقال له بعنوان "الإسلام" نشرته له L'Egyptien Gazette ليوم 02/ 04/ 1906م أوضح خوالدية تعلّقه الشديد بالجامعة الإسلامية، موضحًا ما تقوم به القوى الاستعمارية من مساعي لتشتيت المسلمين قصد إضعافهم، مؤكدًا أنه ليس لهؤلاء من حل "سوى الوقوف كرجل

---

1 –Bouyoc, Op.Cit , P.1

2– هلال(عمار)، "مساهمة الخالدي صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية مغربيا وعربيا وإسلاميا"، الثقافة، ع 99 الجزائر: 1987م، ص. 120

3 – نفسه.

PDF Compressor Free Version

واحد ضد المحتلين الغاصبين"، إن دراية خوالدية بشؤون السياسة الأوروبية وتيقّنه القطعي صحبة أعضاء لجنة الاتحاد الإسلامي من حقد الغرب على المسلمين، واحتقاره لهم جعله يجزم بأنّ أوروبا تسعى جاهدة إلى القضاء المبرم على الإسلام الذي يعيق مصالحها، كما أنها تهدف-على حد قوله- إلى تقويض الخلافة الحالية واستبعاد المسلمين[1]، إن إيمان خوالدية بجدوى فكرة الجامعة الإسلامية جعلته يعتبر أنه "لا مجال لتقّدم المسلمين وانتعاشهم حضارياً وثقافياَ واقتصادياً إلا في الابتعاد عن الضغائن الثانوية وتوحيد صفوفهم "مقدماً لهم "اليابان" كمثال على ما يقول!! [2]

إن تشبّع الخالدي بمبادئ الجامعة الإسلامية جعلته ليس فقط يؤُسسَ أو من بين مؤسسي هيئة سياسية تحت اسم "الاتحاد الإسلامي" فحسب، وإنما دفعه عملياَ إلى الدخول في مفاوضات مع السنوسيين «الذين وافقوه على دعم خطة هيئة الاتحاد الإسلامي وتنفيذها»[3]، ولئن ذهب البعض إلى أن مقر الهيئة المذكورة كان يوجد - آنذاك - في باريس وليس بتونس « إذ تؤكد عدّة وثائق أنّ نداءَ مماثلاً كان قد وُجّه بتاريخ 28 ديسمبر 1905م إلى الجزائريين انطلاقًا من باريس من طرف الهيئة

1- Bouyoc, Op.Cit, P1.

2 – هلال، مساهمة الخالدي، الثقافة، ع 99، ص 121.

3- نفسه، ص 120.

PDF Compressor Free Version

المذكورة ووُزّع على نطاق واسع بـالأخص في القـرى والأريـاف الجزائريـة.. فإنه أمكنَنا من خلال بعض مراسلات صالح خوالدية نفسه الوقـوف عـلى تركيبة جمعية الاتحاد الإسلامي وأسماء بعض العـناصر التي كانت تنشـط في إطارها.

يبدو أن الجمعية المذكورة كانت تتكـون مـن عـدة لجـان محليـة وواحدة مركزية يرأسها خوالدية وهي صـفة أمضى- بهـا بياناتـه ونداءاتـه التي نشرَها في الصحف وخَتَم بها حتـى مراسـلاته الخاصـة، في حـين كـان المسمى زكي باي يشغل خطة الكاتب العام المسـاعد، أمـا المـدعو "الحـاج العربي المكّاوي" القاطن بطنجة، فيعتبر مندوباً للجنة المركزيـة التـي كـان يترأسها الخالدي!، كما تكشف المراسلات -الخاصة- للخالدي عن تبـايُن في طرق العمل داخل اللجنة المذكورة، حيث مثّلـت علاقـات بعـض أفرادهـا بألمانيا المحور الأساسي للاختلاف بينهم، إذ احتج الخالـدي عـلى العلاقـات الحميمة التي كانـت تـربط زميليـه -الحـاج العـربي المكّـاوي، وزكي بـاي- بممثلي ألمانيا في المغرب الأقصى[1]، فهل كان الخالدي مناهضًا بالفعل لألمانيا التي تدعّمت علاقاتها لـيس فقـط بالدولـة العثمانيـة وإنمـا بالعديـد مـن الوطنيين الذين كانوا آنذاك ينشطون في إطار الجامعة الإسلامية ؟

1- A.N.T, Série E, C550, Dossier 30 /12, Salah ben omar el Khaldi- Président du Comité Central de L'Union Islamique- au consulat de France à Malte, Valetta le 19/10/1906, doc n° 78.

PDF Compressor Free Version

إن صالح خوالدية كانت له علاقات وطيدة مع الأوساط الدبلوماسية الفرنسية في أعلى مستوى وهي مكانة أهّلته لثقة الأوساط المذكورة فيه، حتى أنها كلفته بالقيام بعدة مهام سرية لفائدة كل من وزارتي المستعمرات والشؤون الخارجية الفرنسية، وأمْكن لخوالدية سنة 1903م تقديم دراسة عن الإسلام، الأمر الذي جعل الرجل يطمح إلى تعيينه في إحدى المراكز التابعة للمصالح الفرنسية بالمشرق لكن تطوّر الأحداث في غير صالحه، وصدور حكم عليه بالجزائر -كما ذكرنا آنفا- دفعه إلى مغادرتها إلى تونس أين نَشَر نداءه الشهير - نداء الثورة- يوم 1906/01/01م في محاولة منه-كما ذهبت إلى ذلك بعض الصحف آنذاك- إلى لفْت الأنظار إليه والحصول على المكانة التي أوشك على نيلها.

إن خيبة الخالدي في الأوساط الدبلوماسية الفرنسية وتخلّي "الكي دورسي" عنه دفعته إلى ردّة فعل هدفها وضع نفسه تحت الأضواء فأمضى مقاله "نداء الثورة" بصفتين سياسيتين: أولاهما بصفته "رئيس اللجنة المركزية للاتحاد الإسلامي وثانيتهما بصفته مكلّف -سابقا- بمهمّة لدى وزارتي المستعمرات والشؤون الخارجية الفرنسية".[1]

كما أن خوالدية عندما وصل إلى تونس - أين قضى ثلاث سنوات- دخل في علاقات مع "نادي قز توفت" -السابق الذكر- وعندما حلّ بمصر-

1 . العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية، ص. ص. 214 – 215

PDF Compressor Free Version

لأول مـرة دخـل أيضـا في علاقـة مـع البـارون "ماكس خـون أوبنهـايم" (مستشار البعثة الألمانية بالقاهرة)، وهو ما عزّز فرَضية الفرنسيين من أنّ خوالدية أصبح عونًا ألمانيَا يعمل جاهدًا عـلى إثـارة الاضـطرابات في وجـه الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا، لكن يبدو أن هذه التحالفات ولاعتبارات لم نتمكّن من تحديدها قد تغيّرت ابتداءَ مـن مفتـتح سـنة 1907م، حيـث اعترف خوالدية بعد الحملة الصحفية التي شـنّها في جرائـد القـاهرة عـلى "البارون أوبنهايم" بأنّه بالفعـل اغـترّ بالسياسـة الإسـلامية لألمانيـا، لكنّـه انتهى إلى الوقوف على حقيقة زيفها واستغلالها لمشـاعر المسـلمين الـذين كانوا -آنذاك- يبحثون عن نصير يتشبّثون به في مواجهتهم للتحديات التي كانت تتوالى عليهم.

ومن خلال هذا نتبيّن الحرص الشديد لخوالدية صـالح عـلى نفْـي أيّـة صـلة لـه بألمانيـا في تأكيـد منـه عـلى "اسـتقلالية جمعيتـه "الاتحـاد الإسلامي" والتي لا يُنكر وقوع بعض عناصرها تحـت هيمنـة ألمانيـا التـي عملت على توجيههم وتوظيفهم في خدمة مصالحها.

إنّ حرص صالح خوالدية عـلى التأكيـد عـلى اسـتقلالية اختيـارات لجنته ونفْي كلّ صلة لها بألمانيا جعله لا يؤكد فقط تصـميمه عـلى اتخـاذ "إجراءات لمقاومة التدخل الأجنبي في الشؤون السياسية والدينية للجْنتـه[1]

1- A.N.T, Série E, C550, Dossier 30 /12, doc n 78.

PDF Compressor Free Version

فحسب، وإنما على إخبار السلطات الفرنسية بتباينه -في طرق العمل- مع بعض العناصر العاملة معه في صُلب جمعية الاتحاد الإسلامي وإحاطتها علمًا حتى بالتحرّكات التي تنوي تلك العناصر القيام بها في المستعمرات الفرنسية، وهو إخبار لا يؤكّد فقط افتقار الجمعية المذكورة إلى مؤسسات ذات نظر يقع الرجوع إليها للحسم في مثل تلك الاختلافات، وإنما يُبرهن على أنّ خوالدية لم يقطعْ صلته نهائيًا بالسلطات الفرنسية التي قد يكون تقديمه لخدمات لها من قبيل ما ذكرنا مدعاةً لها لرد الاعتبار إليه !!

ومن جهته فإن محمد الخضر حسين، الذي كان قد غادر البلاد التونسية سنة 1912م، قد كتب في العديد من الصحف والمجلات، مؤيدًا الخلافة العثمانية، داعيًا إلى توثيق عُرى الألْفة بين العرب والأتراك، وقد كُلّف صحبة أخيه بدمشق والطيب التواتي بحَلَبْ بمهمّة تقضي- بالتحرّك بين المهاجرين ببلاد الشام للقيام بينهم بدعاية ضد فرنسا وتنفير الناس منها ودعوتهم إلى مقاطعة البضائع الفرنسية.[1]

لقد كانت لتلك المجهودات الدّعائية نتائجها وصداها خصوصًا مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ودخول الأتراك إلى جانب الألمان، ففي بيروت-مثلا- بادر الوالي إلى الاجتماع بأهمّ العلماء وعلي رأسهم القاضي والمفتي، نقيب الأشراف، وأمدّهم بالفتوى الشريفة التي جعلت "الجهاد

1 – العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية، ص. 199.

PDF Compressor Free Version

فرضًا على كل مسلمي الأرض للدفاع عن الإسلام والأمّة والخلافة ضد القوي المعادية..."[1]، كما تمّت يوم الجمعة قراءة الفتوى من أعلى منابر كل المساجد على أن تُعاد قراءتها في الجامع العمري الكبير[2]، كما تمّ كذلك تحرير نداء موجّه إلى المسلمين الخاضعين لكل من بريطانيا وفرنسا وروسيا[3]، وكان من بين الممضين "عمر الورغلي" (الورقلي) الجزائري وكذا أحمد الشريف السنوسي.

إنّ حرص الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا على تجاوز كل الحدود، واختراق كلّ ضروب الرقابة للوصول إلى المسلمين أينما كانوا قصْد تثْويرهم ضدّ الحلفاء والعمل على إيجاد اضطرابات في مستعمراتهم جعلَها لا تقتصر فقط على وسائل دعائية مختلفة، وإنّما تحرص على الاستفادة من وجاهة العديد من الوطنيين من "المهجّرين" وضحايا السياسات الاستعمارية في مختلف البلدان بكسْب تأييدهم ووُقوفهم في صفّها وتشريكها لهم ليس فقط في حملات دعائية شديدة اللهجة وإنما إشراك بعض "الرموز" التي لها وجَاهتُها والمعروفة بصيتها ووزنها، في عمليات عسكرية شكّلت دليلاً عمليًا على ولائها للدولة العثمانية حيث

1 - I.S.H.M.N, -A.M.A.E, Bobine 75, C 1651, F 68, Affaires musulmanes II,
Dossier unique.

2- IBID, F 65.

3- Ibid., F 68.

PDF Compressor Free Version

أضفى وقوفُها إلى جانب الخلافة مصداقية على دخول الخلافة إلى جانب ألمانيا.

وأبرز مثال على ما نقول كان الأمير عبد المالك بن الأمير عبد القادر الجزائري، للتذكير فإن وجاهة عائلة الأمير عبد القادر، وما كان لها من نفوذ في المشرق عامة وخاصة على المهاجرين الجزائريين المستقرين في بلاد الشام، دفع كل من فرنسا والدولة العثمانية إلى التسابق لكسب ودّها والحصول على تأييدها لاستغلاله في دعايتها.

2. **نشاط المهاجرين الجزائريين خلال الفترة (1920م ـ 1939م):**

لقد غادرت الجزائر خلال هذه الفترة أفواج عديدة من العلماء والوطنيين بدءًا بفوج المكي بن عزوز وأمزيان التلمساني والخضر حسين..، الذين عاشوا متنقلين بين المشرق العربي وتركيا وألمانيا وكان شعارهم في ذلك "إما النّصر أو الشهادة "، وقد تعالت أصواتهم جريئة تهزّ آفاق الجزائر كلها لم تخمد ثورتهم بنادق المستعمرين الفرنسيين، فقد عاهدوا الوطن على الموت مادام في أرضه موطأ لقدم مستعمر[1] ثم تتالت من بعدهم خلال فترة ما بين الحربين أفواج العلماء الوطنيين المهاجرين والمهجّرين سرعان ما أكملت ملحمة النضال الطويلة، وبدأت اتصالاتها

1- الطاهر (عبد الله)، الحركة الوطنية التونسية، ط2، تونس: دار المعارف للطباعة، 1990م، ص. 25

PDF Compressor Free Version

خصوصا مع طلاب المغرب العربي في أوروبا، فكان من نتائج عملهم أن تأسّست في باريس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي راحت تُصدر النشرات الوحدوية وتعقد المؤتمرات والاجتماعات الدورية، وتقوم باتصالات واسعة لتُطلع الرأي العام الفرنسي- على قساوة الاستعمار الفرنسي وتبثّ الوعي وروح الثورة بين كافة صفوف الطلبة المغاربة.

ومما تجدر ملاحظته أن العلماء والطلاب الجزائريين في نضالهم المستديم ضدّ الاستعمار لم يفصلوا بين الأقطار المغاربية الثلاثة، وذلك منذ تأسيسهم لأول منظمة طلابية بالجزائر العاصمة في شهر مارس من سنة 1919 م، والتي عُرفت في مرحلتها الأولى تحت اسم "ودادية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا" " Amicale des Etudiant Muscleman's Nord-Africaine"، غير أنّ هناك تجمّع مغربي آخر قدّر له أن يلعب أيضًا دورًا هامًا في بعث فكرة المغرب العربي الموّحد، ليس في فرنسا فحسب ولكن أيضا في جميع أقطار المغرب العربي الموحّد، وهو "جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا"[1]، التي تأسّست في مطلع السنة الدراسية (1927-1928)م بباريس، وقد عقدت هذه المنظمة الطلابية المغربية عدّة مؤتمرات ثقافية وسياسية... وحضارية بقيت خالدة في تاريخ نشاطها،

1 – الجامعة التونسية، بناء المغرب، ص. 18

PDF Compressor Free Version

حيث يذكر الشيخ السعيد الزاهري أنه «اطلع على قانون هذه الجمعية فإذا هو يحتفظ بما في الجزائر من قومية ودين...».[1]

وفي الوقت الذي عزم فيه الطلبة الجزائريون بتونس على تجديد منظمتهم الطلابية (جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين) وإعطائها نفسًا جديدًا يتلاءم مع التطورات الخطيرة التي شاهدتها الساحة السياسية في الجزائر طرحت فكرة "توحيد الشبيبة المغربية" بكل معانيها: السياسية والاجتماعية والثقافية، وقد طرح هذه الفكرة "محمد العيد الجباري "وهو أحد الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة، وتحمّس لها بقوة حتى نقلها من الميدان النظري البحت إلى ميدان الواقع الملموس، بحيث تمكّن في شهر ديسمبر 1936م من إنشاء منظمة طلابية مغاربية جمعت شمل طلاب أقطار المغرب الثلاث وقد عُرفت المنظمة في وقتها تحت اسم "شبيبة شمال إفريقيا الموحدة.."[2].

إننا لو تتبعنا آثار العلماء والطلبة الجزائريين في بلاد المشرق العربي ومساهمتهم في الأحداث السياسية فيها لربما انتهينا إلى وضع

1- الزاهري (محمد السعيد)، الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير، ط2، دمشق: مطبعة الاعتدال، 1934 م، ص. 29

2 - ISHMN , A.N.O.M, Bob ,A46 , C 25 H32 , Dossier 13 , F (1212-1213-1214-1215-1216-1217-1218)

وهذه الملفات هي عبارة عن تقارير أمنية صادرة من سلطات الاستعمار الفرنسي بخصوص نشاط لحساسنة محمد العيد الجباري (السياسي والمغاربي)

PDF Compressor Free Version

مجلد، ومن لا يعرف أنشطة عبد العزيز الثعالبي في مؤتمر القدس الأول سنة 1931م، وعلاقته الوطيدة بمفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني وبمحب الدين الخطيب ورياض الصلح وغيرهم من أعيان الشام، وقد كان بينهم تعاون وثيق من أجل صياغة جديدة للمشروع الإسلامي والقومي ومواجهة الهجرة اليهودية والإيديولوجية الصهيونية[1].

وقد حطّ محمد الخضر حسين رحاله بأسرته في بلاد الشام قبل أن يصبح من كبار علماء الأزهر ثم شيخًا للأزهر أيام الثورة المصرية، ولمحمد الخضر تآليف دينية وأدبية وفكرية، وله باع في الصحافة والتدريس، وقد استقر أخوه زين العابدين في دمشق وساهم في نشر آثار أخيه، أما محمد البشير الإبراهيمي فقد أخذه الأتراك من المدينة المنورة سنة 1917م، أي بعد الثورة العربية، وفضّل الإبراهيمي في دمشق التدريس على السياسة، رغم أن الأمير فيصل الذي كان يعرفُه من المدينة المنورة عرض عليه بعض الوظائف إلا أنّه أبى وكان له رأي مختلف عن مسيرة الأحداث لم يفصح عنها إلا قليلاً، رغم أن مدّة إقامة الإبراهيمي في دمشق كانت قصيرة إذ رجع إلى الجزائر سنة 1920م، فإنه ترك بصماته على بعض تلاميذه الذين أصبحوا من المؤثّرين في الرأي العام ومنهم الأستاذ جميل صليبا[2]. فإذا

1- الثعالبي (عبد العزيز)، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1988.

2- سعد الله، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، ص. 147

PDF Compressor Free Version

نظرنا إلى ما سقناه بإمعان وبإنصاف خلال المرحلة السابقة والحالية والتي تليهما، فإننا نلاحظ أن العلماء المهاجرين من أبناء الجزائر كانوا في المشرق في طليعة العاملين من أجل النهضة العربية والاستقلال العربي، كما كان آباؤهم في طليعة المحافظين على رموز الثقافة العربية والإسلامية في المغرب العربي نفسه.

على أن أشهر الجزائريين الذين قدّموا الكثير في المشرق العربي هو الجزائري مصطفى عبد القادر الأحول التفراوي، وهو سادس إخوته، ومن أهالي باب على بمدينة معسكر، رقم 94 شارع سيد يعلي الذين يعتز أهله بانتمائهم إلى أسرة الأمير عبد القادر الجزائري، ولد سنة 1892م بالجزائر، وتوفي يوم الجمعة 1982/8/6م بمنزله في مدينة طرابلس الغرب التي قدم إليها في نوفمبر 1914م[1].

ومن الصحف الجزائرية التي قامت بدور مشرّف في المشرق العربي "مجلة المنهاج" وقد أصدرها مؤسّسها الشيخ "أبو إسحاق إبراهيم أطفيش" في أكتوبر1925م، وكانت تُطبع بالقاهرة وتوزّع بالمغرب العربي وجميع أقطار البلاد العربية، تعالج قضايا المغرب العربي والجزائر خاصة، وتخصّص قسمًا كبيراً من صفحاتها لمعالجة القضايا الإسلامية العامة،

1- محمد (ميلاد مبارك)، "المجاهد مصطفى الجزائري، شيء عن حياته وجهاده"، مجلة الشهيد، ع9/8، طرابلس: مركز الجهاد الليبي، أكتوبر (1986-1987)، ص. 305

PDF Compressor Free Version

وكانت صادقة اللهجة، سلفية المنهج، عربية النّزعة على غرار مجلة "الفتح" التي كان يصدرها الأستاذ: محب الدين الخطيب، أو مجلة الرابطة القلمية التي كان يحرّرها الأستاذ محمد على طاهر، وما أن انقضت سنة من عمرها حتى ناجزتها السلطة الفرنسية العداء فمنعت نشْرها بالجزائر وتونس، كما منعت إيطاليا نشرها بطرابلس، وقد كان أنشأها الشيخ أبو إسحاق أطفيش وهو زيتوني نفته فرنسا من تونس بقرار إداري، حيث كان من أبرز الأعضاء العاملين في اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري ومن أكبر أعضائها بعد الشيخ عبد العزيز الثعالبي[1].

فبعد نفيه واستقراره بالقاهرة، اشتغل بالتأليف وطبع الكتب النافعة ومن جملتها "الدعاية في سبيل المؤمنين" و"رسالة النقد الجليل على العتب الجميل" وجدّد طبع كتاب "النيل المعتمد في المذهب الإباضي للمؤلف الشيخ عبد العزيز الثعالبي بشرح الشيخ محمد أطفيش" كما طبع كتاب "الذهب الخالص" وغيره من تآليف له في الفقه الإباضي، وألف كتاباً ضخمًا في عدة أجزاء عن تاريخ الإباضية كما اشترك في عدة جمعيات إسلامية كجمعية "الشبان المسلمين"، و"الهداية الإسلامية"

1- مفدي (زكريا)، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تح. أحمد حمدي، الجزائر : منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، 2003م ص. 135

PDF Compressor Free Version

و"الرابطة الشرقية" التي كان يرأسها الأستاذ "أحمد زكي باشا" كما شارك في عدة مؤتمرات إسلامية، كالمؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بالقدس في سنة 1936م[1].

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية توظّف في القسم الشرعي بدار الكتب المصرية ويُعدّ من أبرز المصححين في القسم الشرعي بها، حيث عُهد إليه بتصحيح الطبعة الثانية من تفسير القرطبي، وكذا بعض الأجزاء من نهاية الأرب.. وجاء في تقريظها بجريدة المنتقد (13 أوت 1925م) على أنها "مجلة راقية وأنها أول نشرة جزائرية في الشرق، تقوم بنشر الحقيقة عن حالة الجزائريين في ظل الاستعمار الفرنسي وهي مجلة علمية اجتماعية وسياسية نصف شهرية تصدُر بالقاهرة غرّة كل شهر مؤقتًا عنوانها: المطبعة السلفية بشارع خيرت رقم 40 -بالقاهرة- وكتبت عن المنهاج مجلة الوفاق التي كانت تصدرها شهرياً البعثة الجزائرية بتونس، وذلك في عددها الممتاز رقم30، المؤرخ في 01 محرم 1344هـ حيث قالت: "مجلة المنهاج" تحت هذا العنوان أصدر أستاذنا الجليل مجلته فتقبّلها الشعب المصري وشعب شمال إفريقيا بغاية الإعجاب والثناء وقد أسّهمت الصحف في الكلام عنها وتفنّنت ما شاءت في تقريظها وقد اتصلنا بالجزء الأول من هذه المجلة "والوفاق تحت الطبع" فإذا بالمنهاج قرّة

1- نفسه، ص. 136

PDF Compressor Free Version

عين الكمال وغرّة مفرق الأجيال، علم ناضج، أفكار سامية فلسفة دقيقة، أدب غض، جهاد مجيد، ولا عجَب فمؤسّسها هو ذلك النابغة الذي أخذت عنه الأمّة دروسًا في التضحية الوطنية فنرجو لمجلتنا الرواج وسعة الانتشار ولأستاذنا سداد الخطى، وعوّن الله الذي لا يضيّع أجر العاملين، وسنعود إلى المنهاج في عدد آخر"[1].

3. النشاط المهجري الطلابي خلال الفترة 1900-1939:

لقد اهتمت ألمانيا بحُكم علاقتها التاريخية مع دولة الخلافة الإسلامية بالعالم العربي قبل الحرب العالمية الأولي، وترجمت الكثير ن أدبياته لمعرفتها، ومعرفة عدوّها المتمثل في القوتين الفرنسية والانجليزية، وازداد تبني هذا الاتجاه في السياسة الألمانية بعد زيارة وليام الثاني إلى المشرق العربي (1898م) ثم المغرب الأقصى في (1905م)، وكان هدفها من ذلك إثارة المناطق الإسلامية ضد أعدائها، لهذا نجدُها تجمَع كل المعلومات عن المنطقة لتضع خطّة ذكية للدعاية التي تؤدى إلى هذا الهدف فبدأت بجلب الوطنيين العرب إلى ألمانيا، ولقدْ أوضحت ألمانيا منذ 19 مارس 1913م أنّ هدفها المساعدة على إحداث ثورة عامة في كامل إفريقيا الشمالية، رغم معارضة بعض المستشرقين الألمان لهذه الفكرة بحجّة أن هذه الأخيرة لم تكن لها في تلك الفترة لا فكرة وطنية ولا

1- نفسه، ص. ص.137-138

PDF Compressor Free Version

عواطف شعبية، غيرَ أن ألمانيا أخذت بالرأي الأخير الذي يدعو إلى القول بأن: "عرب شمال إفريقيا يعملون لتحطيم فرنسا، ويُشكّلون خطراً عظيماً عليها، وأنّ فرنسا لا تستطيع التوفيق بين المسيحيين والمسلمين خلال الحرب، فجاءت عملية قنْبلة مينائي عنابة وسكيكدة في 4 أوت 1914م، وعملية تخليص الأسرى المغاربة من معسكر قرب مدينة "بادربورن"Baderborn"، ويمكن إدراج هذا العمل ضمن مخطّط ألمانيا لإثارة المنطقة ضد التواجد الفرنسي بها، ولقد تأكّد هذا التوجه مع دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا.[1]

وهو ما جعل آمال المثقفين المغاربة معلّقة على الوفاق، فتولّدت أفكار ومحاولات وحدوية سواء على الساحة المغاربية أوفي المهجر، التي كانت أكثر تنظيماً، نقيض الأولى التي كانت في مجملها متفرّقة ومتقطعة لأنها في أغلبها كانت عبارة عن مبادرات فردية، كان نشاط هؤلاء المهاجرين خلال الحرب العالمية الأولى، يندرج في نطاق حركة الجامعة الإسلامية التي ترمى إلى توحيد كلمة المسلمين كافة تحت سلطة الخليفة لمحاربة أعداء الإسلام، وكانوا بمساندة من تركيا وألمانيا يقومون بدعاية

1- Ageron, Les Algériens Muslmans, TII, P.1175

PDF Compressor Free Version

حثيثة بين أبناء شمال إفريقيا في الجيش الفرنسي الذين وقعوا في الأسر عند الألمان بدعوتهم إلى الانضمام إلى الصفوف التركية.[1]

وفي هذه الدعاية للوحدة الإسلامية كان يقع التركيز على ما تسلكه ألمانيا خليفة الخليفة من حسن معاملة في سياستها اتجاه المسلمين مع التأكيد على أن هذا يخالف موقف الحلفاء الذين ما انفكوا على مرّ الأزمنة معادين للإسلام، وانطلاقًا من هذه الوجهة مارس هؤلاء المهاجرين أمثال: (صالح الشريف[2]، محمد الخضر حسين[3]، إسماعيل الصفايحى[4]، عبد العزيز جاويش[5]..) نشاطهم طيلة الحرب العالمية الأولى، ولهذا الغرض تكوّنت ببرلين في نهاية سنة 1916م لجنة لاستقلال الجزائر والبلاد التونسية برئاسة صالح الشريف وبمشاركة شاب جزائري يدعى

---

1 – المحجوبي، جذور الحركة الوطنية، ص. 154

2– للاطلاع على ترجمته ومجمل نشاطاته : I.S.H.M.N. (A.M.A.E) (214.213) –,Bob p76,C1654.F

3 – للاطلاع على ترجمته ومجمل نشاطات A.N.T, Série E, C550, F(336 et 886) – Dossier30/15.

4– للاطلاع على ترجمته ومجمل نشاطاته :

A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15 F881–doc n°120–Note Comerçant Si Ismail Séfaihi ancien cadi –hanéfite à tunis, Le 14/2/1921

5– للاطلاع على ترجمته ومجمل نشاطاته :

–A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15 F336, doc n° 5 ,"Fouchet – général de l'agence de France au Caire à Point caré président du conseil, ministre de affaires étrangères Le Caire " Le 12/19/1912.

PDF Compressor Free Version

محمـد مزيـاني التلمسـاني، وفي سـنة تأسيسـها بالـذات بمناسـبة انعـقاد الندوة الاشتراكية المنعقدة ببيرن (سويسرا) أصدرت هذه اللجنـة نشرية بعنـوان "مطالب الشعب الجزائري-التونسي".[1]

وجماعة المهجر هؤلاء هم من ذوي التكوين الزيتـوني ومعتنقـون بقوّة لتيار الجامعة الإسلامية وكانت نظرتهم إلى الاستقلال تقليديـة، فقـد كـانوا يتصـورونه في شـكل حكـم ذاتي في نطـاق الإمبراطوريـة العثمانيـة. ولتحقيق أهدافهم، كانوا يراهنون على تأييد إمبراطوريات الوسط، فهم لا يتصورون استقلال شمال إفريقيا خارج نطاق السلطنة العثمانية.

وفي سنة (1917م) بدأت هيئة شمال إفريقيا في عملهـا المتمثـل في جمع أسرى الحرب من المغاربة في ألمانيا وتركيـا، وتنظـيمهم ضـمن فرقـة واحدة تزوّد بالسلاح والذخيرة وترسل عن طريق الغوّاصات إلى طـرابلس، وكان مقرّرًا أن يرأسها على باش حامبه بنفسه، ولكن قبل أن يبدأ في نقـل أركان هذه الحملة من عثمانيين ومغاربة إلى طرابلس، أصيب باش حامبه بمرض خطير مات على إثره بأسبوع قبل هدنة (مدرس)[2]، وبذلك «فقـدت النخبة التونسية، دماغها المفكر ورأسها المدبر..».[3]

---

1 – الآجري (محمد الصالح)، تطور الحركة التونسية، ج1 تونس: الدار التونسية للنشر، 1974، ص. 163

2 – الحاج عثمان الشريف، المصدر السابق، ص. 196

3 – المدني، حياة كفاح، ج1، ص. 73

PDF Compressor Free Version

وفي المؤتمر الثالث الذي عقد في لوزان سنة 1916م، مثّل قضية الجزائر وتونس السيد محمد باش حامبة، هذا الأخير الذي أخبر المؤتمرين بأنّ الجزائريين الذين أصبحوا فرنسيين بعد ثمانين 80 سنة من الاحتلال الفرنسي، لا يعدّون 500 أو 600 شخص، وقد طالب باش حامبه باسم القومية بالحكم الذاتي لكل إفريقيا الشمالية، وشاركه في هذا النشاط المعادي لفرنسا الجزائري الشيخ الخضر حسين.[1]

كما كان من قادة هيئة التشكيلات الجزائري على رضا، وكذا القائد الجزائري محمد برالي الذي كان يتمتّع بنفوذ كبير في منطقة الحدود المشتركة بين ليبيا والجزائر وتونس[2]، وقد كان الأمير على ابن الأمير عبد القادر، زعيم المهاجرين الجزائريين شخصية هامة في تلك الفترة، وامتدت الدعاية بين الجزائريين إلى النشاطات السياسية، فبيّن سنتي (1915-1916م) أنشئت في برلين اللجنة الإسلامية لاستقلال إفريقيا الشمالية، وكان من منشئيها الأمير علي، وعدد من الفتيان الجزائريين الذين كانوا يضمون مثقفين ساخطين، وفي سنة 1916م اجتمعت لجنة استقلال إفريقيا الشمالية في برلين، ووضعت خطة عمل ضد فرنسا في

– يراجع حمادي الساحلي، "الوطنيون التونسيون "، م .ت .م، عدد (33-34).

1 – سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص.220 . يراجع أيضا :

-Bach-Hamba (M) , Le Peuple Algéro-Tunisien et La France, Tunis : Fondation Nationale, 1991, P.P.124-127

2- Mahdjoubi, OP .cit ; P.147

PDF Compressor Free Version

المغرب العربي، حيث وقعت اتصالات بينهم وبين مولاي حفيظ سلطان المغرب الأقصى المخلُوع والمسؤولين في كل من الجزائر والمغرب الأقصى- فتسرّبت بعض المناشير والكتيبات مع نغمة الجامعة الإسلامية إلى الجزائر من طرابلس وتونس، تنادي بالثورة ضد فرنسا.[1]

وترأس لجنة استقلال الجزائر وتونس، الجزائريان صالح الشريف ومحمد مزيان التلمساني بالإضافة إلى التونسي- إسماعيل الصفايحى وتفرّعت هذه اللجنة عن لجنة تحمل نفس الاسم أسّسها في نفس السنة على باش حامبه بإسطنبول، ثم ظهرت لجنة فرعية أخرى بجنيف برئاسة محمد باش حامبه[2] وكلّ هذه اللجان تضمّ أعضاء جزائريين ناشطين[3]، وأعمال هذه اللجنة برزت خصوصًا في مجلة المغرب (la Revue du Maghreb)، الناطقة باللغة الفرنسية والتي أسّسها محمد باش حامبه في شهر ماي 1916م بجنيف[4]، حيث كانت تُسحب في ألف نسخة وتصْدر

---

1 – سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص. ص. 257–259. – ينظر أيضا : عليان الجالودي "الشيخ اسماعيل الصفائحي" الجامعة الإسلامية، عدد 10، ص. 113

2– Augeron, Histoire de l'Algérie, TII, P. 263

الهادي الحسني، "الشيخ صالح الشريف الجزائري المجهول"، جريدة الشعب، عدد 7023 الجزائر: 17 مارس 1986 م.

3 – سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، ص. ص. 220–221

4– Ageron, Histoire de l'Algérie ,TII .P.263

PDF Compressor Free Version

شهرياً ولكن بصفة متقطعة ومتنامية أحياناً الى نهاية سنة 1918م [1]، حيث جاء في ديباجة مجلة المغرب أنها "منبر مطالب أهالي الجزائر وتونس ومراكش وطرابلس"، وفي عددها الثاني كتب أحد الجزائريين قائلا: «إننا جزائريون وسنبقي جزائريين مسلمين..».[2]

وقد تدعّم نشاط الجزائريين وإخوانهم التونسيين بقدوم شخصية فذّة هي شخصية محمد الخضر حسين (1873-1958م) الذي وُلد بقرية من قرى الجزائر في أسرة تعتزّ بعراقة النسب، وقد راعه أن يرى الاحتلال الفرنسي يأخذ بمقبضه الحديدي على أعناق المسلمين في أصقاع المغرب، فطفق يدعو إلى اليقظة والتحرّر وأنشأ مجلة السعادة العظمى، لنشر محاسن الإسلام وفضْح أساليب الاستعمار فآذاه الاستعمار وحكَم عليه بالإعدام[3]، حيث اضطر إلى الفرار إلى الأستانة هو وإخوته الأربعة من بينهم زين العابدين (الذي سيجمع تراث أخيه)، ومحمد المكي ولكنه فوجئ بانهيار آماله حين وجد عاصمة الخلافة مسرحًا للدسائس المغرضة

---

1 – الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص. 55. ينظر :

–Tlili (B), La Grande Guerre et les questions tunisienne, Les Groupements de la Revue du Maghreb(1916–1918)", In S.H ,T26 ,N°(101–102)Tunis 1978 ,P.P. 66–70

2 –Merad," Op.Cit " , I.B.L.A , N:° 2 Vol .27,P.16

3 – بن عاشور (محمد الفاضل)، أركان النهضة الأدبية بتونس، تونس: مكتبة النجاح، 1381هـ، ص. ص. 40–42

PDF Compressor Free Version

والمؤامرات الرخيصة، فهاجر إلى دمشق وحرص على البقاء بها مدرّسا للعربية في المدرسة السلطانية[1]، وكان من ضحايا الحاكم التركي لبلاد الشام جمال باشا، لكنّه أفْرج عليه بعد ستة أشهر من ذلك ليَستدعى إلى الأستانة سنة 1915م ويعيّن منشئًا عربيًا بوزارة الحربية، وقد يكون وراء هذا التعيين على باش حامبة، ليكون الشيخ الخضر- قوة تعاضدهم بالعمل من أجل تحرير المغرب العربي، حيث يعملون على إعداد حملات تحريرية مسلحة ضد الاستعمار الإيطالي والفرنسي- وكانوا يتحركون بين العواصم ولهم اتصالاتهم السرية وأنصارهم الكثيرون في تونس والجزائر.[2]

بعدها كُلّف الشيخ الخضر بمهمة في ألمانيا، حيث كان عدد أبناء الشمال الإفريقي المجنّدين في الجيش الفرنسي يزيدون عن المائتي ألف جندي، ملخّصه هدفه في بثّ الدعاية في صفوفهم لحمْلهم على القتال ضد فرنسا، حيث حل الخضر في ألمانيا مع بعثة من العلماء المسلمين من بينهم الشيخ الجزائري صالح الشريف، ومكث في ألمانيا زهاء تسعة أشهر،

- يراجع أيضا: - الطويلي (أحمد)، شخصيات تونسية، تونس، الشركة التونسية للنشر، 2004، ص.ص. 60-67

- الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، ص. ص. 166-172

- أبو خليل (شوقي)، الإسلام وحركات التحرير العربية، ص. ص. 117- 19

1 - البيومي (محمد رجب)، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، بيروت : منشورات المكتبة العصرية 1980م، ص. ص. 65-70

2- كرو (محمد أبو القاسم)، محمد الخضر حسين، ص. 74

PDF Compressor Free Version

ثم تردّد بين الأستانة وبرلين إلى أواخر الحرب العالمية الأولى، حيث أقام مرة أخرى زهاء السبعة أشهر[1]، ولا نملك بالقدر الكافي معلومات دقيقة حول حركة تنقلات الوطنيين الجزائريين خلال هذه الفترة وذلك راجع إلى:

-كثرة تنقلاتهم المتتالية بين الحواضر الأوروبية والمشرقية.

- قلة المعلومات بسبب السرية التي طبعت تنقلاتهم نظرًا لحالة الحرب.

- غلَبة بروز الإطار السياسي والديني(الجماعي) على النشاط الفردي، وهذا بدوره راجع إلى محاولة تغليب العمل الجماعي على العمل الفردي من أجل تنسيق الجهود والوصول إلى تحقيق الهدف بسهولة وبسرعة.

وعندما كان الجو ملائما في ألمانيا وسويسرا تنقّل التونسيين والجزائريين إلى برلين وجنيف وغيرها من المدن الأوروبية لمواصلة النشاط السياسي من أجل تحرير المغرب العربي ككل، حيث كانت التسهيلات من طرف السلطات العثمانية والألمانية، إضافة إلى وجود عناصر عربية ذات اتجاه إسلامي كانوا سندًا لإخوانهم المغاربة.[2]

ومن الجزائريين الذين هاجروا إلى برلين الشيخ الصالح الشريف الذي حل في نوفمبر أو ديسمبر من سنة 1914م، برفقة الأمير على باشا

---

1 – المرجع نفسه، ص25 يراجع أيضا : محمد الخضر حسين : تونس67 عاما تحت الاحتلال الفرنساوي: تح: كمال العريف تونس: منشورات الجوية، 1989 للاطلاع على ترجمته راجع = –A.N.T , Série E , C550 Dossier 30/15 .F (1367, F336 et 886.

2 – وارنير آنده "الوطنيون العرب ونشاطهم الصحفي حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، الأصالة، ع52، ص. ص. 55–57

PDF Compressor Free Version

الجزائري، ثم تعاقبت أسفاره إلى برلين انطلاقًا من اسطنبول حيث سعى في سنة 1916م بالصلح بين أمراء نجد من آل السعود وآل الرشيد الذين دخلوا في قتال قبلي[1]، وصالح الشريف (1862- 1920م) من بيت جزائري عريق[2]، وهاجر من تونس إلى المشرق حوالي 1916م ونشط في اسطنبول ودمشق، وكان على صلة بأعيان المهاجرين من أبناء الأمير عبد القادر وغيرهم، وقيل أنه عارض الفكرة الإصلاحية المعتدلة التي دعا إليها رشيد رضا حتى أنهّم عزوْا محاولة اغتيال رشيد رضا سنة 1909م إلى اعتراضاته عليه[3] ، ثم نشط الشريف مع جماعة الاتحاد والترقّي وشارك في حرب طرابلس إلى جانب أنْور باشا حيث أصبح فيما بعد مستشاراً في شؤون المغرب العربي لتكلّفه الحكومة التركية بعدها بالقيام بمهمات خاصة في ألمانيا صحبة الشيخين إسماعيل الصفايحي والخضر حسين، والتي تتمثل

---

1 – التميمي (عبد الجليل)، "من أعلامنا البارزين والمنسيين" الشيخ صالح الشريف" م.ت.م، عدد (23–24) تونس: م.أ.ع.ش.ت، نوفمبر 1981م .ينظر محمد الفاضل بن العاشور، "الشيخ صالح الشريف"، المجلة التونسية، مج08، تونس: أفريل 1954م، ص. ص. 118–125

2– C.D.N.Série .M.N, Dossier, Salah Chérif Ettounsi, B 2.84 doc N°01

– الطيب بن عيسى، "حياة الشيخ صالح الشريف"، جريدة الوزير، عدد 16، 17 ذي القعدة 1338هـ/2 أوت 1920م.

3– بيتر هاين، قوم من شمال أفريقيا في برلين أثناء الحرب العالمية الأولى (صالح الشريف التونسي)، م.د.ت.ع الجزائر :1984 يراجع بيتر هاين، "صالح الشريف التونسي"، ح.ج.ت، عدد 24. تونس: 1985م، ص. ص. 101–106

PDF Compressor Free Version

بالخصوص في الاتصال بأسرى حرب المغاربة وتنظيمهم ضمن فرقة واحدة تُرسل إلى طرابلس عن طريق الغواصات[1]، وما إن وصل صالح الشريف إلى برلين حتى كوّن رفقة بعض الجزائريين والتونسيين لجنة استقلال تونس والجزائر-السابقة الذكر-، وبناءً على ذلك فقد اعتبرته الحكومة الفرنسية (من أخطر الدّعاة العاملين في خدمة ألمانيا وتركيا)[2]، نتيجة التأثير العميق الذي أحدثته نشاطاته في الساحة السياسية خصوصًا التونسية، وأول ما يلاحظ على هذه الشخصية الجزائرية الفذة، هو وعيه الدقيق للأخطار التي كان يمرّ بها العالم الإسلامي، وإدراكه لأطماع الدول الأوروبية وهذا ما يفسّر دعوته للجهاد وحثّه للدفاع عن طرابلس الغرب والمجهود الحربي والمساعدات المالية التي قدّمها لمسلمي رأس الرجاء الصالح والأفغان والهنود، كما نلاحظ اعتزازه بهويته العربية-الإسلامية، كما أنّ مطالبته بالاستقلال منذ سنة 1910م تعتبر شيئًا مثيراً وهامًا جدًا،وهو القائل «فلتتيقظْ يا أيها المسلم ولتتبصرّ ولتجتمعْ في جنب الحق ولترفعْ جلباب الانخداع عن بصرك ولتقاوم هؤلاء الأفاعي فوق

---

1 – حمادي الساحلي، "الوطنيون التونسيون ."م.ت.م، ع 33–34، ص. ص. 184–184
ينظر أيضا :
بيتر هاين، "صالح الشريف"، ح.ج.ن عدد 24، ص. 107 – سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 616

2 – حمادي الساحلي، "الوطنيون التونسيون "، م.ت.م، ع (33–34)، ص. 185

مقاومتك للوباء ولتطهر بني البشر- منهم ليهْنأ عيشك، وتعيش حرًا في سعادة..».[1]

PDF Compressor Free Version

ومن أشهر الجزائريين الذين التحقوا بإسطنبول أيضا وقدّموا خدمات جليلة للقضية المغاربية الشيخ محمد مزيان التلمساني الذي يمتّ بصلة القرابة إلى عائلة المرحوم عبد المجيد مزيان رئيس المجلس الإسلامي الأعلى السابق[2]، وكذا الشيخ محمد الشيبي التونسي الذي قال عنه المؤرخ الفرنسي.Goldstein «أنه جزائري رغم اسمه»[3]، وحمدان بن على الجزائري، محمد ببراز (بويراز) - خال توفيق المدني[4]-، الذي كان ضمن القوات العثمانية، التي أتت لنجدة طرابلس، وجميع هذه الأسماء التي ذكرناها عاشت في ديار الهجرة مع نهاية الحرب العالمية الأولى متعاونة فيما بينها، غير أن نشاطات هؤلاء وحياتهم تبدو مغمورة، إذ لا نستطيع الوقوف عند كل أعمالهم، وإن كنا نجد أسماءهم مقرونة بنشاطات إخوانهم المغاربة، وخصوصًا منهم التونسيين.

1- التميمي، "صالح الشريف التونسي "، م.ت..م،ع (23-24) ينظر :
-SDN-Dossier, Salah Chérif. B2.84 Doc.N°1 ISHMN, Guere (1914-1915) –Bob P76, C1654, F(213-214)

2 – ذكر ذلك – بلقاسم (محمد)، المرجع السابق ، ص. 41

3 –Goldstein (Daniel) , Libération ou annexion , aux chemins croises de l'histoire Tunisienne (1914-1922) Tunis. M.T.E 1975,P .270

4- المدني، حياة كفاح، ج1، ص. 73

PDF Compressor Free Version

الملاحظ أن لجنة استقلال الجزائر وتونس كانت في سنة 1916م معتدلة في مطالبها لكن مع سنة 1917م، اختلف الأمر عقب نداء الرئيس الأمريكي ويلسون «السلام من دون انتصار»، ووصول كليمنصو إلى رئاسة الوزراء الفرنسية حيث استعادت بعض الأمالي وطالبت باسم الشعب - الجزائري التونسي من خلال مجلة المغرب «بنظام ملائم لأماله»[1]، وفي نفس الوقت طلب صالح الشريف من قيصر ـ ألمانيا الحصول على الاستقلال لكلا القطرين، حيث تلقت لجنة من القوات المركزية الضمان للاستقلال المستقبلي، وتمّ تسجيل قضية «جمهورية شمال إفريقيا في لاهاي»[2]، ثم طالب اللجنة بالاستقلال في إطار الخلافة العثمانية حيث أصدرت حينها نشرية بعنوان «شكاوى الشعوب المضطهدة تونس والجزائر»، وطالبت بالاستقلال الكامل[3]، كما حضر وفد جزائري- تونسي ـ ضمّ صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي لنفس الهدف إلى جانب ممثلي الدول الإسلامية الأخرى، أمام مؤتمر اللجنة الهولندية الاسكندينافية[4]، المنعقد في شهر نوفمبر1917م باستكهولم[5] وشاركها في هذه الدعاية الحاج عبد الله الجزائري "رابح بوكابوية حيث كانت لهم مجلة أخرى تدعى

1 –Goldstein, OP.cit, P.269

2 –Goldstein ,OP.cit, P.P.266–267

3 –Tlili ,OP.Cit ,C.T,T 26 ,N:°(101–102), P.P. 162–163

4– الساحلي، "مرجع سابق"، م.ت.م، ع (33–34)، ص. 186

5– مناصرية، الحزب الحر، ص. 43

PDF Compressor Free Version

(الجهـاد) ظهـرت لأول مـرة في شـهر مـارس 1915م[1]، وكـان عـدد الأسرى التونسيين والجزائريين بمعسكر الهـلال سـنة 1919م حـوالي 2500 جزائـري و500 تونسي- أدمـج مـنهم حـوالي 800 جنـدي ضـمن القـوات العثمانيـة المعروفة بهيئة التشكيلات[2]، وبهذه النسـبة العدديـة نعـرف مـدى التـأثير الذي مارسه هؤلاء الجزائريين، وفي سنة 1918م تكوّنـت اللجنـة الجزائريـة التونسية والمتألفة مـن أعضـاء أغلبيـتُهم جزائـريين هـم صـالح الشـريف، الخضر حسـين، محمـد مزيـان التلمسـاني ومحمـد الشـيبي ومحمـد بـيراز وحمدان بن على إضافة إلى التونسي محمـد بـاش حامبـه، حيـث أرسـلت برقية إلى الرئيس ولسون في جانفي 1919م، ترجمت المشاعر الموحّدة بـين الجزائريين والتونسيين اتجاه المبـادئ الويلسـونية، حيـث طالبـت بإرسـال مفوضين إلى مؤتمر السلام ليمثّلوا الشعب -الجزائري التونسي- ويطالـب بحقّه بتقرير مصيره بكل حرية[3]، ومن أعمال الجزائريين والتونسـيين شـنّ الحملات الصحفية والانتقادية ضد السياسة الاستعمارية في المغرب العربي حيث أصدروا جريدة أسبوعية ابتداء من 11 جانفي 1912م"المهاجر"، وقد

1- وارنير آنده، "مرجع سابق"، الأصالة، ع 52، ص. ص. 59-60

2 -Goldstein ,OP.Cit ,P.279

3 -Tlili ,"OP.Cit,T26 N:° (101-102) , P.P. 97-101

- طالع نص الرسالة في:

-S.D.N Dossier.Mohamed Bach-Hamba, B.1.28, doc N° 56 in la revue du Maghreb du 9& 12/1918, in l'action Tunisienne du 20/02 /1986.

PDF Compressor Free Version

تبنّت في أهدافها الدفاع عن مصالح المسلمين المغاربة، وتشجيع حركة الهجرة والدعاية لها[1]، وترأسها محمد التوهامي بن شطة الأغواطي هذا الأخير الذي أسّس أيضا أثناء الحرب الإيطالية الليبية جمعية كانت تجمع التبرعات من الجزائر وأنحاء العالم لصالح الليبيين ودامت جريدة المهاجر ثلاث سنوات، ليصْدر بعدها التهامي شطة جريدة "الاتحاد الإسلامي" في جانفي1915م[2] ، وكانت جريدة المهاجر مموّلة من طرف الأمير على باشا، واتخذت من "نادي جمعية مهاجري إفريقيا الشمالية" مقرَا لإدارتها، أما مرشد الجريدة فهو الأمير محمد سعيد بن الأمير على الجزائري[3]، الذي قال عن هذه الجريدة أنها: « آية من آيات البيان، ودرّة من قلائد العقيان»[4]، ويذهب باردان (Bardin) إلى أنّ الأمير سعيد كان يوقّع المقالات المكتوبة له لضُعف ثقافته ونحن نفْهم أن السلطات الفرنسية قد مَنعت هذه الجريدة من التداول في الجزائر وتونس، مما يجعلنا نتوقّع أنّ نشرها كان يتم مع الحجّاج والزوّار والبريد العام[5]، كما أصدر إبراهيم أطفيش لنفس الهدف مجلة "المنهاج" في مصر سنة 1924م، وقد

1- Bardin ,Op.Cit ,P.P. 226-228

2- الخرفي، الجزائر والأصالة، ص. 164

3 Bardin ,Op.Cit , P.228

4 - الأمير(محمد سعيد)، مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الإسلامي،ج1، ط2، الجزائر: دار ومكتبة الشركات الجزائرية، 1968، ص. 46

5- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص. 604

PDF Compressor Free Version

ذكر الشيخ أبـو يعـلي الـزواوي أيضـا أنـه كـان ينشُـر مقالاتـه في جريـدة "البرهان" التي كان يُصدرها عبـد القـادر المغـربي، وربمـا اسـتقطبت هـي الأخـرى كتابًـا آخـرين مـن المهـاجرين الجزائـريين مثـل الشـيخ طـاهر الجزائـري، إضـافةً إلى جريـدة "المقتـبس" وجريـدة "المفيـد" وكلتـاهما اهتمت بشؤون الجزائر وتونس.[1]

كما أصدر الوطنيون التونسيون والجزائريون المهاجرون في المهجـر خلال نفس الفترة عدة كتب ونشريات، ترجمت إلى لغات عديـدة وذلـك للتعريـف بقضـايا الشـعوب المغاربيـة وفضـح السياسـة الاسـتعمارية الفرنسية، فقد ألّف الشيخ الصالح الشريف: "حقيقـة الجهـاد" (بالألمانيـة سنة 1912م وبالفرنسية سنة 1916م) وكتاب "تـونس والجزائـر" بالاشـتراك مع إسماعيل الصفايحي (النسخة الألمانية سـنة 1916م النسـخة الفرنسـية بلوزان 1916م)، وعـدّة كتـب أخـرى منهـا: «حجـج دامغـة حـول وجـوب خروج الفرنسيين من تونس»، والذي كان له وقع عميـق عـلى التونسـيين، وكـذا «دعـوة البشرـية إلى الحقيقـة سـنة 1918م» و« شرح دسـائس

1- المرجع نفسه، ج5، ص. ص. 605 – 606

الفرنسيين ضد الإسلام وخليفته سنة 1916م»[1] و«نداء إلى الحق والعدالة سنة 1918م».[2]

PDF Compressor Free Version

كما أصدر الشيخ محمد عبد السلام التيجاني الجزائري في سنة 1915م ، مؤلف "فرنسا في نظر المسلمين" وفيه دافَع عن الخلافة العثمانية وطلب من المغاربة تلبية نداء الجهاد، ويجب أن نذكّر في هذا الباب مساهمة الملازم الأول الجزائري "رابح بوكابوية"، الذي أصدر عدة نشريات منها "الإسلام في الجيش الفرنسي" والجهاد ومسلمو إفريقيا الشمالية (1917م).[3]

وهكذا وبهذا النشاط المهجري المكثّف صارت الطبقة المثقفة في فرنسا تعترف بوجود مبدأ القومية والاتحاد المغاربي بعد أن كانت تُنكره بين أهالي الشمال الإفريقي بصفة عامة وبين الجزائريين بصفة خاصة، ولا شك أنّ نشاط الجزائريين الفارّين من الخدمة العسكرية الفرنسية كان أمرًا مثيرًا لقلق الفرنسيين ودافعا لغبطة الألمان، وقد عبّر عن ذلك في الكتيّبات التي أصدرها أحد هؤلاء الفارّين من الجيش الفرنسي تحت عنوان "L'Islam dans L'Armé Française" ذكر فيها «أن مسلمي الشمال

1- الساحلي، " الوطنيون التونسيون "، م.ت.م، ع(33-34)، ص. ص. 186-187
يراجع : الهادي الحسني، "صالح الشريف " الشعب، ع 7023.

2 - Goldstein , Op.Cit, P.P. 226-267

3 - نفسه، ص. 266

PDF Compressor Free Version

الإفريقي قدّموا زهرة شبابهم في ميدان القتال للعمل في صفوف الفرنسيين وذلك في اليوم التالي لإعلان الحرب، وأنّهم تقبّلوا الأمر باهتمام بالغ وتوحّدت صفوفهم بعد استدعائهم للخدمة العسكرية» وأضاف « هناك صغار الفلاحين الذين أُجْبروا على تقديم أبنائهم، وهناك أيضا الأَسَر الكبيرة التي قدّمت أبناءها ثمّ نقلتهم السلطات الفرنسية إلى الحدود الفرنسية وإلى خطوط القتال الأمامية».[1]

وبعد الحرب العالمية الأولى وجد أعضاء هذه الحركة أنفسهم مُعرقلين إلى أبعد الحدود فلم يعُد بإمكانهم التعويل على مساعدة ألمانيا والإمبراطورية العثمانية المادية والأدبية، لذلك توقّفت جريدتها الوحيدة «مجلة المغرب» عن الصدور في أواخر 1918م، عندما توقّفت المساعدة التركية، وقد كانت تركيا تموّلها منذ تأسيسها سنة 1916م.

زيادةً على ذلك ونظرًا إلى توّرطهم مع إمبراطوريات الوسط التي أمدوها طيلة الحرب بكامل مؤازرتهم، وجد الشبان الجزائريون والتونسيون أنفسهم في صف المهزومين عندما انتهت الحرب، وفي هذه الظروف لم تلقى المبادرات التي يتخذونها أي صدى لدى القوى الحليفة، وربما أضرّت في نهاية الأمر حتى بالقضايا التي يدافعون عنها، وذلك ما

1- Abdellah (EL HADJ), Lieutenant, L'isalm dans L'Armée Française constantinople:1915, P .166

PDF Compressor Free Version

سيكون محور مذكرة قدمتها "هيئة جزائرية تونسية" لمؤتمر باريس الذي التأم في شهر جانفي 1919م، وهذه المذكرة تحمل إمضاء زعماء الشبان الجزائريين والتونسيين في المنفى، إلى جانب التنديد بنظام الاستبداد والعنف والسلْب الذي تفرضُه فرنسا على الشعب (الجزائري-التونسي-) وقعت المطالبة "باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها" بتحرير شعوب شمال إفريقيا من "الهيمنة التي لم تؤسّسها ولم تبق عليها إلا القوة الوحشية وحدها" وقد جاء في خاتمتها «إن الشّعب الجزائري-التونسي- يطالب باستقلاله التام، ويهيب بالضمير العالمي ليعترف له بحق تقرير مصيره بحرّية ويرفعُ مطالبَه الشرعية إلى مؤتمر الصلح الذي سيجتمع بعد أيام للنظر في خريطة العالم وإصدار مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان والشعوب».[1]

وقد بقي هذا النداء الذي وجّهته اللجنة الجزائرية –التونسية إلى مؤتمر باريس حبراً على ورق وكذلك شأن البرقية المرسلة في 02 جانفي 1919 م إلى الرئيس ويلسن وفيها يعيد أعضاء اللجنة الكرّة ويندون مرة أخرى باسم الشّعب (الجزائري –التونسي) بالسياسة الفرنسية في الجزائر وتونس ويطالبون لمواطنيهم في البلدين «بحق إيفاد مفوضين شرعيين لمؤتمر الصلح للدفاع عن قضيتهم والإحراز على نظام جديد يخوّل لهم

1 – Mahdjoubi ,OP.Cit .P 217

PDF Compressor Free Version

ممارسة كامل حقوقهم» ولم يكن هذا النشاط للنخبة المهاجرة عديم الجدوى فحسب بل كان حتى معرضًا القضية الجزائرية-التونسية للخطر، فلم يصعُب على حكومة فرنسا رفض مطالب صادرة عن أشخاص يعدّون عملاً لاسطنبول وبرلين، ولم ينفك يعملون طيلة الحرب متواطئين مع إمبراطورية الوسط، ثم أن أهم الشخصيات البارزة من هؤلاء الشبان لم تُعمّر طويلاً بعد الحرب العالمية الأولي، فعلي باش حامبه وإسماعيل الصفايحي كانا قد توفي في اسطنبول سنة 1918م، كما توفي محمد باش حامبه وصالح الشريف سنة 1920م ببرلين.[1]

وخلال تلك الفترة تقريبا (1919م) تأسّس في برلين "النادي الشرقي" واشترك في تأسيسه من تونس محمد القابسي وعدد من الطلبة الجزائريين الذين كانوا يعتقدون أن الرقي المادي هو سبب قوة وهيبة الأمم الغربية، وأجالوا النظر في الأمم الشرقية وأدركوا ضُعفها على الرغم من الرقي المادي وكثيراً ما كان يخطُب الجزائريون والتونسيون بذلك في النادي الشرقي.. حيث كانوا يلتقون فيه باللجنة التونسية الجزائرية فحدثت بينهما صداقة وعملاً عبّرت عنهما صحيفة "المغرب"[2]. ومهما كان الأمر فإن نشاط هذه النخبة في المنفي في سويسرا وألمانيا لم يتم دون

---

1 – Ibid , P. 218

2– عبد الغفار، الحركة الوطنية التونسية، ص. 427.

PDF Compressor Free Version

إقلاق السلطات الفرنسية التي كانت تتابع ذلك النشاط بكل عفوية بواسطة بعثاتها الدبلوماسية القنصلية، فقد تمّ حجز كل المكاسب المنقولة والعقارات التي كان يملكها أفراد هذه النخبة المهاجرة.

لما رأى الاستعمار أن نفي القيادات الوطنية إلى الخارج لم يفلح في إخماد لهيب المقاومة أولم يمنع من مشاركة هؤلاء الآخرين فيها وتوجيهها وتغذيتها، عاد الاستعمار مرة أخرى إلى تطبيق الحصار على المغرب العربي بفرض المراقبة الدقيقة على الحدود، ومنع إعطاء الرّخص والجوازات وقطْع كل اتصال بين أبناء المغرب العربي والعالم الخارجي منتهجًا في كل ذلك سياسة الكبت والتعسف والاضطهاد، ولم يبق أمام زعماء المغرب العربي الباقين، وقد رأوْا أن السلطات الفرنسية ستشلّ نشاطهم نهائيًا، سوى الانتقال إلى مكان يستطيعون فيه العمل بحرية بعيدين عن قيود الاستعمار الثقيلة.

وهكذا غادرت المغرب العربي أفواج عديدة بدءًا بفوج صالح الشريف والمكي بن عزوز وأمزيان التلمساني والخضر حسين..، الذين عاشوا متنقلين بين المشرق العربي وتركيا وألمانيا وكان شعارهم في ذلك "إما النّصر أو الشهادة "، وقد تعالت أصواتهم جريئة تهزّ آفاق المغرب العربي كله لم تخمد ثورتهم بنادق المستعمرين الفرنسيين، فقد عاهدوا

PDF Compressor Free Version

الوطن على الموت مادام في أرضه موطأ لقدم مستعمر[1]، ثم تتالت من بعدهم خلال فترة ما بين الحربين أفواج الطلبة الوطنيين المهاجرين والمهجّرين سرعان ما أكملت ملحمة النضال الطويلة، وبدأت اتصالاتها خصوصا مع طلاب المغرب العربي في أوروبا، فكان من نتائج عملهم أن تأسّست في باريس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي راحت تُصدر النشرات الوحدوية وتعقد المؤتمرات والاجتماعات الدورية، وتقوم باتصالات واسعة لتُطلع الرأي العام الفرنسي- على قساوة الاستعمار الفرنسي وتبثّ الوعي وروح الثورة بين كافة صفوف الطلبة المغاربة.

ومما تجدر ملاحظته أن الطلاب الجزائريين في نضالهم المستديم ضدّ الاستعمار لم يفصلوا بين الأقطار المغاربية الثلاثة، وذلك منذ تأسيسهم لأول منظمة طلابية بالجزائر العاصمة في شهر مارس من سنة 1919م، والتي عُرفت في مرحلتها الأولى تحت اسم "ودا دية الطلاب المسلمين لشمال إفريقيا " Amicale des Etudiant Muslmans Nord-Africaine"وبعد سنتين أو ثلاثة حدث تغيير تسميتها بحيث استبدلت كلمة "ودا دية" بكلمة "جمعية" [2]، ومنذ تأسيسها حدّدت هذه المنظمة الطلابية كهدف لها « جمْع شمل طلاب شمال إفريقيا وتسهيل الاحتكاك

1- الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص. 25

2- عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين، ص. 133

PDF Compressor Free Version

والتقارب بينهم وبذْل كل ما في وسعها لمساعدتهم ماديًا وأدبيًا لمواصلة دراستهم...»، وكان بإمكان الطلبة الجزائريين أن يجدوا لأنفسهم منظمة طلابية تقتصر على إيواء الجزائريين، دون غيرهم من الطلاب الآخرين، ولكنهم لم يفعلوا لسبب بسيط هو أنّ اتجاههم كان محلي ضيق؛ وإذا علمنا أن تأسيس هذه المنظمة الطلابية قد كان بمبادرة من الطلاب الجزائريين ولم يشارك فيه ولا طالب واحد من الأقطار المغربية الأخرى، ندرك مدى ميولهم إلى "فكرة المغرب العربي الموحد".

ولئن كانت هذه الفكرة قد ظهرت قبل تأسيس هذه المنظمة الطلابية المغربية في الجزائر، بشهور قليلة – فربما نلمسُها عند الطلاب الجزائريين قبل غيرهم من طلاب أقطار المغرب الأخرى، وقد وُجدَت بذور الفكرة الوحدوية عند الطلاب الجزائريين كما هو واضح من تأسيس هذه الجمعية الطلابية المغربية في الجزائر في سنة 1919م، لإحساس هؤلاء الطلاب وشعورهم العميق بالروابط والأواصر المتينة التي وجدت على مرّ العصور والأزمان بين أقطار المغرب العربي[1]، وليس هناك من مجال آخر للبحث عن " فكرة المغرب العربي الموحد" سوى أننا نجدها كامنة في طيّات تاريخه العريق وقد تكون دوافعها بالنسبة للأقطار المغربية كثيرة لكن قيام الدولة الموحدية (1147- 1269)م، التي استطاعت بنجاح أن

1- عمار هلال، نشاط الطلبة، ص. 134

PDF Compressor Free Version

تجمع شمل هذه الأقطار، وتوحّدها تحت نظام إداري وسياسي واحد، لفترة زمنية معيّنة يبقى المرجع الأساسي للبحث عن جذور فكرة المغرب العربي الموحد، والتي قد نلمسُها في كل خطوة خَطاها حزب "نجم شمال إفريقيا" منذ تأسيسه في باريس سنة 1926م كما لمسناها قبل ذلك عند المهاجرين المغاربة في أوروبا والمشرق الغربي إبّان الحرب العالمية الأولى ونشاط اللجنة التونسية-الجزائرية.

غير أنّ هناك تجمّع مغربي آخر قدّر له أن يلعب أيضا دوراً هامًا في بعث فكرة المغرب العربي الموّحد، ليس في فرنسا فحسب ولكن أيضا في جميع أقطار المغرب العربي الموحّد، وهو "جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا"[1]، التي تأسّست في مطلع السنة الدراسية (1927-1928)م بباريس، وقد عقدت هذه المنظمة الطلابية المغربية عدّة مؤتمرات ثقافية وسياسية... وحضارية بقيت خالدة في تاريخ نشاطها، حيث يذكر الشيخ السعيد الزاهري أنه «اطلع على قانون هذه الجمعية فإذا هو يحتفظ بما في الجزائر من قومية ودين...».[2]

1 – الجامعة التونسية، بناء المغرب، ص. 18

2– الزاهري (محمد السعيد)، الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير، ط2، دمشق: مطبعة الاعتدال، 1934 م، ص. 29

PDF Compressor Free Version

ولقد اتخذت هذه الجمعية منذ تأسيسها انطلاقا من مبادئها[1] عدّة مواقف من التجنيس واللغة والتعليم والمرأة، وكانت تعقد مؤتمراتها دورياً في إحدى مدن المغرب العربي، ويبدو أنّ جمعية العلماء قد رحّبت بهذه الجمعية واعتبرتها انتصاراً لمبادئها [2]، فالجمعية ابتدأت قطرية وبفضل وعي مؤسسيها أصبحت مغاربية، وما يُثبت الدور السياسي والإيديولوجي الذي لعبته هذه المنظمة الطلابية المغربية ومحاولات تجسيدها لفكرة المغرب العربي الموحّد أنها استطاعت بتاريخ 22 فيفري 1937م، أن تجمع في مقرها الرئيسي بباريس بحضور الأمير شكيب أرسلان الزعماء المغاربة: الحبيب بورقيبة ممثلاً لتونس ومصالي الحاج ممثلاً للجزائر والسيد خلطي ممثلا للمغرب، ولم يكن هذا اللقاء التاريخي بمعزل عن النضال السياسي التضامني الذي خاضه الوطنيون المغاربة ضد عدوّهم المشترك (الاستعمار الفرنسي) خلال الفترات السابقة.[3]

وفي الوقت الذي عزم فيه الطلبة الجزائريون بتونس على تجديد منظمتهم ا لطلابية (جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين) وإعطائها نفسًا جديدًا يتلاءم مع التطورات الخطيرة التي شاهدتها الساحة السياسية في الجزائر طرحت فكرة "توحيد الشبيبة المغربية" بكل معانيها: السياسية

1 – S.D.N, Série A.E.M.N.A., A4-44, doc n° 1 "le statut 1928 "

2 – Merad, Le Réformisme, P. 407

3- عمار هلال، نشاط الطلبة، ص. 136

PDF Compressor Free Version

والاجتماعية والثقافية، وقد طرح هـذه الفكـرة "محمـد العيـد الجـاري" وهو و أحد الطلبة المتخرجين من جامع الزيتونة، وتحمّس لها بقـوة حتـى نقلها من الميدان النظري البحت إلى ميدان الواقع الملموس، بحيث تمكّـن في شهر ديسمبر 1936م من إنشاء منظمة طلابية مغاربيـة جمعـت شـمل طلاب أقطار المغـرب الـثلاث وقـد عُرفـت المنظمـة في وقتهـا تحـت اسـم "شبيبة شمال إفريقيا الموحدة.."[1].

تبلوّرت فكرة تعاون الطلبـة مـن أبنـاء المغـرب العـربي أو شـمال إفريقيا كما كان يسميه الاستعمار الفرنسي- في أواخـر العشرـينات عنـدما أسّس جماعة من الطلبة بفرنسا باتفاق مـع بعـض أصـدقائهم في الأقطـار الثلاثـة "جمعيـة طلبـة شـمال إفريقيـا" المسـلمين بفرنسـا سـنة 1928م «لاستغلال الحرية الموجودة في فرنسا والمحرومة منهـا المحميتـان : تـونس والمغرب، والجزائر المستعمرة للمساهمة في إيقاظ الوعي لـدى المـواطنين بالشخصية المغربية المتميزة».[2]

---

1 – ISHMN , A.N.O.M, Bob ,A46 , C 25 H32 , Dossier 13 , F (1212-1213-1214-1215-1216-1217-1218)

وهذه الملفات هي عبارة عن تقارير أمنية صادرة من سلطات الاستعمار الفرنسي بخصوص نشاط لحساسنة محمد العيد الجباري (السياسي والمغاربي).

2- الكتاني (محمد إبراهيم)،"مؤتمرات جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين"، العالم السياسي، ع11، المغرب: ماي 1983م، ص. 13

PDF Compressor Free Version

وتعود فكرة جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في أصولها إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى أي إلى تلك المحاولات التي قام بها الشبان الجزائريون والتونسيون من أجل إنشاء جبهة تحرير شمال أفريقيا وكانوا يطمحون إلى تدعيم هذه الجبهة بمد حبال الوحدة إلى إخوانهم بالمغرب الأقصى.[1]

أما التأسيس الرسمي لجمعية الطلبة فكان بتاريخ 18مارس 1919م، بالجزائر العاصمة تحت اسم، "الجمعية الوداديـة للتلاميذ (كذا) المسلمين بإفريقيا الشمالية" -كما ذكرنا سابقا- وهي حسب ديباجة قانونها الأساسي الصادر في نفس التاريخ تأسّست سنة 1918م وأعلن عنها في الجريدة الرسمية(الفرنسية) الصادرة بتاريخ 15أفريل 1919م.[2]

وكان مقرها المركزي برقم 2 نهج المسبكة (le fondoie) بالجزائر ثم تحوّل إلى 09 نهج العين ثم إلى 65 نهج إيسلي، وكانت الجامعة تابعة للاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية بفرنسا، وأول مجلس إداري لها ترأسه السيد "بلقاسم بن حبيلس" وساعده الهادي بن سماية، والجمعية حسب قانونها الأساسي "تعاونية أساسا هدفها جمع الطلبة الأهالي(.....)

1- بلقاسم (محمد)، "طلاب الوحدة"، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين"، الرؤية، ع 3، الجزائر : 1997م، ص. 16

2 – Guy .Perville . Op.Cit , P.P. 90-91

PDF Compressor Free Version

ومساعدتهم ماديًا وأدبيًا ومناقشة أمورهم الدراسية وهي لا تناقش الأمور الدينية والسياسية.

لقد تحدّث عن ظروف نشأتها واحد من مؤسسيها وهو الأستاذ فرحات عباس في خطاب له أمام الحاضرين في إحدى المؤتمرات قائلا: «...أيها الطلبة الجزائريون اسمحوا لهذا الطالب القديم الذي أريد أن أظل عليه دائما أن يعود بكم أربعين سنة إلى الوراء خلال الآلام وأنواع العبودية التي عرفها أشقّاؤكم الكبار لكي تزدادوا إدراكًا للطريق الذي قطعناه، في تلك الفترة ، كان الفرنسي الأوربي هو وحدُه صاحب الحق في الجزائر، وكان الطلبة الأوروبيون فقط هم الذين يستطيعون أن يكوّنوا اتحادا عامًا للطلبة وليس الطالب الجزائري حق الاشتراك فيه... ومنذ 1920م فقط بعد مشاركة شعبنا في الحرب العالمية الأولى سُمح للطلبة الجزائريين المسلمين أن يكوّنوا ودا دية وإن كانت مثل هذه الخطوة تعتبر في الظرف الراهن شيئًا لا قيمة له، فإنها حينئذ كانت تعدّ انتصاراً كبيراً له أهمية كبرى بالنظر إلى القانون الاستثنائي البائد الذي كان يرزح تحته شعبنا... وقد تشرّفت برئاسة وداديتنا سنة1926م وبالمساهمة في تحويلها إلى جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس، وقد واجهْنا في

PDF Compressor Free Version

هذا المجال مشاكل عديدة مثل مشكلة المحافظة على الثقافة واللغة العربية ومشكلة توجيه الطلبة وتخصصهم الدراسي...».[1]

أما في تونس فقد أسّس الشيخ عبد العزيز الثعالبي لأول مرة جمعية الطلبة التونسيين الدارسين بباريس سنة 1920م، ثم بعد ذلك نسّق الطلبة فيما بينهم وصهروا جمعياتهم في جمعية واحدة سميت بجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا والفضل في ذلك إنما يعود إلى أحمد بلا فريج ومحمد الفاسي اللّذين أظهرا مقرَا للجمعية بالحي اللاتيني رقم 16 نهج رولان Rollin[2]، أما المصالح الفرنسية المختصة بالمستعمرات الفرنسية، فتقول: إن نجم شمال إفريقيا هو الذي أنشأ الجمعية الطلابية المغاربية في شهر نوفمبر أو ديسمبر عام 1927م وتمّ التصريح بها إلى محافظة الشرطة بتاريخ 28 ديسمبر.[3]

وكان من أهداف الجمعية حسب قانونها الأساسي سنة 1928م أنها ترمي إلى «تمتين روابط المودة والتضامن بين طلبة شمال إفريقيا،

1- حمادي (عبد الله)، المرجع السابق ، ص. 106

2 - S.D.N . AEMNA, A4-44 OP .cit

3 - Rezette(Robert), Les Partis poliques Marocains, Paris: Libairie Hamonde colin, 1955 , P.76

راجع أيضًا :

-SRAIEB. (NOUREDDINE), Politiques Nationales et Unité Maghrébine in ammuaire de L'Afrique de Nord .Paris1970. P.105

PDF Compressor Free Version

وذلك بإنشاء نادي ومكتبة، وإصدار مجلة باللسانَين العربي والفرنسي- والقيام باجتماعات منتظمة»، كما أنها ترمي إلى « تشجيع شبان بلاد (المغرب العربي) على استكمال معلوماتهم بفرنسا (...) وتسهيل إقامتهم هناك، بمنحهم إعانات وقروض شرف وتأسيس دار لسكناهم (...) والجمعية لا تشتغل بالسياسة».[1]

كانت الجمعية تعقد اجتماعات عامة سنوية لتقييم نشاطاتها وانتخاب مجلس إدارتها، فخلال سنة 1929م كان على رأسها السيد "الطاهر الزاوش" وساعده محمد الفاسي ومحمد الوزاني، أما خلال سنة 1929م فترأسها الدكتور "سالم الشاذلي" الذي أوضح في كلمة ألقاها في الجمعية العامة المنعقدة في جانفي 1929م عن أهداف الجمعية ونشاطاتها مدة رئاسته لها موضحًا أن الجمعية لا تشتغل بالأمور السياسية، ويبدو أن الجمعية وجدت نفسها مع توالي الأيام، مُرغمة على الخوض في الأمور السياسية مع بقائها أمينة لأهدافها، فبالإضافة إلى تمتين روابط المودة والتضامن بين أعضائها، كان لها نضال من أجل هدف مشترك واحد هو الاستقلال الاقتصادي والثقافي للمغرب العربي.[2]

1 – S.D.N. AEMNE .A4 –44, OP .cit

2 – SRAIEB, Op.Cit .p.p. 106-107

PDF Compressor Free Version

وكان من أعضاء الجمعية عدد من زعماء المغرب العربي في المستقبل، وقد اتخذت هذه الجمعية عدة مواقف من التجنيس واللغة والتعليم، وهي مواقف تُساير الإصلاح الديني في المغرب العربي.

فقد قرّرت الجمعية أثناء انعقاد جمعيتها العامة برئاسة "أحمد بلافريج" في 28 فيفري 1930م بباريس طرد وعدم قبول الطلبة المتجنسين من أبناء المغرب العربي في صفوفها، نظرًا لأنها جمعية تعاونية (أهلية) والمتجنسون فرنسيون ولأنها إسلامية وهم ليسو مسلمين.[1]

ونتيجة لذلك انشق الطلبة المتجنسون، وكوّنوا جمعية خاصة بهم في نفس السنة أسموها "جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين (AEMAF أو AEMNA)كان النائب الكاثوليكي "عمار نارون"، قبل أن يصبح رئيسا لها في السنة الموالية وكان رئيسها الشرفي هو "موريس فيوليت"، وقد دافعت هذه الجمعية عن حسني الأحمق الذي ألّف كتابًا عدائيا للإسلام وضد انتقادات علماء الجزائر، والكتاب ظهر بعنوان "رسائل جزائرية (بالفرنسية)" لصاحبه حسني الأحمق.[2]

ويبدو السلطات الفرنسية حاولت تدعيم جمعية المتجنسين التي فتحت ناديا ثقافيا للبحر المتوسط بباريس لاستقبال طلبة شمال إفريقيا

1 – Merad, Le Réformisme, P.409

2 – Guy , Op.Cit p. 92

PDF Compressor Free Version

بهدف تفكيك جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا وكانت الدعوة لفتح النادي من إيحاء" بيير قودان – "P.Godin وهو مؤسس شرطة الشمال أفارقة بنهج لوكونت بباريس، ورئيس لجنة الشؤون لشمال إفريقيا ببلدية باريس.

أما عن جمعية الطلبة المسلمين –موضوعنا- فقد عقدت عدة مؤتمرات سنوية بحواضر المغرب العربي من أجل العمل على ربط الصلات الطلابية ووحدة المغرب العربي، وكان أول مؤتمر تأسيسي- انعقد سنة 1930م بقاعة الموتياليتي Palais de la Mutualité بباريس ومن المشاركين في هذا المؤتمر صالح بن يوسف (تونس) وعلال الفاسي (المغرب) وفرحات عباس (الجزائر) وخلال هذه السنة احتفل الطلبة المغاربة – في إطار نشاطات الجمعية – بباريس بذكرى مرور ألف سنة على وفاة الطّبيب العربي أبي بكر الرازي، وهو الاحتفال الذي حضره جمع غفير من الطلبة المغاربة بنزل (قصر- أورسي) إلى جانب عدد من طلبة المشرق العربي، وتناول الكلمة فيه "محمد السقا" مشيدًا بإحياء مآثر الأجداد الكرام[1]، وقد اعترف بأهمية وقيمة هذه المؤتمرات الشّبه سنوية للجمعية الأستاذ علال الفاسي في حديثه عن دور الجمعية في الحفاظ على مقوّمات الشمال الإفريقي (العروبة والإسلام) قائلا : «إن اجتماعات مؤتمر شمال

1– بلقاسم (محمد)، "طلاب الوحدة "، الرؤية، ع03، ص. 18

PDF Compressor Free Version

إفريقيا المسلمين بفرنسا قد أتاحت لي الفرصة أن أدافع عن مبدأ الاستقلال الجزائري ضدا على الذين يدّعون للتجنيس وقد وقعت بيني وبين التونسيين محاورة شديدة في إحدى جلسات المؤتمر فكنت أدافع عن رفض قبول المتجنسين الجزائريين في مؤسّساتنا (المغربية) بفرنسا، أما السيد مصالي وإخوانه فقد كانوا كلّهم يؤيّدون الوجهة التي أدافع عنها وقد انتهى الأمر بانتصارها، حيث اتخذ الجميع قراراً حاسمًا بضرورة احتفاظ سائر أقطار الشمال الإفريقي بشخصيتها العربية الخاصة...».[1]

إن تأسيس جمعية طلبة شمال إفريقيا عام 1927م ارتبط بظرفية بروز مؤشرات انتقال الوعي الوطني من طور المقاومة المسلحة إلى مستوى العمل السياسي الحزبي المنظّم، المعطى الذي يفسّره ذلك السيل من التنظيمات المعبّرة والمؤطّرة لهذا الانتقال، كما أن ظهور جمعية الطلبة، لم يكن من السهل أن يتحقق لو لم تشهد دول المغرب العربي الموجات المكثفة الأولى من البعثات الطلابية نحو فرنسا والمشرق العربي.

لقد وجدت البعثات الطلابية في خصوبة الوضع السياسي الفرنسي والفوران الفكري والثقافي بالمشرق العربي ما ساعدها على تكثيف اتصالاتها ولحم روابطها ضمن إطارات جماعية مشتركة ستقوم بدور بارز

1- الفاسي: الحركات الاستقلالية، ص. 15

PDF Compressor Free Version

في تقريب الرؤى وتنسيقها بشأن صقل العمل الوطني وتطوير ديناميته السياسية.[1]

وقد قرّرت الجمعية عقد مؤتمر سنوي بالتناوب بين الأقطار الثلاثة لدراسة أوضاع التعليم في الأقطار الثلاثة، ولجأ التونسيون إلى الحيلة في عقد المؤتمر الأول يوم الخميس 20 أوت 1931م تحت إشراف الجمعية الخلدونية، ولم يعلن عن كونه مؤتمرا إلا بعد انتهاء أشغاله « وقد حضر من الجزائر وفدٌ من سبعة طلبة يرأسهم فرحات عبّاس رئيس جمعية اتحاد طلبة إفريقيا الشمالية المسلمين بالجزائر وهو يتمم تعليمه هاته السنة في الصيدلة، وأعضاء هذا الوفد هم السادة:- محي الدين الشرقي (حقوق) الشريف بن الحاج سعيد (حقوق)، عبد الرشيد مصطفاي (أدب)، أبوعلام علوا ش (أدب)، عباس القلي (حقوق)، الهادي مصطفاي (محامي بسطيف)"[2]، وهذا المؤتمر الذي سيكون سنوياً هو أول مؤتمر عقده أهالي المغرب، وتكمن أهميته في أنه مكّن أبناء المغرب الثلاثة من الالتقاء والتعارف وتبادل الآراء في مسائل حيوية كالحرص على اللغة العربية من التّلاشي في بلادها والبحث في طرق نشر التعليم العالي والصناعي، وتثقيف المرأة المسلمة بالشمال الإفريقي وقد أتى هذا المؤتمر

1- بلقزيز (عبد الإله)، الحركة الوطنية، ص. 295

2- نشرة ج ط ش إ م لفرنسا، نشرة خاصة، تونس : المطبعة الأهلية، 1931م.

PDF Compressor Free Version

بنتيجة أخرى ألا وهي ربط صلة التكاتف والتضامن بين عنصرين شقيقين، عنصر المعاهدة الإسلامية وعنصر المكاتب العصرية.[1]

«إن التكاتف بين تلامذة الأقطار الثلاثة الذين يزاولون تعليمهم بالمعاهد الفرنساوية قد حصل من قبل ومنذ سنين بفضل جمعية (اتحاد طلبة إفريقيا الشمالية المسلمين بالجزائر، وجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا)، فوجب حينئذ ربط الصلة بينهم وبين إخوانهم من تلامذة المعهدين العتيقين المعهد الزيتوني ومعهد القرويين...».[2]

ووقعت حفلة الافتتاح يوم الخميس 06 ربيع الثاني على الساعة التاسعة صباحا بقاعة مسامرات الخلدونية بين جم غفير من الأساتذة ورجال الصحافة التونسية العربية والفرنساوية والطلبة بين زيتوني ومدرسي، فجلس على منبر الرئاسة الأستاذ عبد الرحمان الكعاك رئيس الخلدونية وعن يمينه الأستاذ فرحات عباس وعن يساره السيد محمد بن عبد اللّه المغربي، وبعد افتتاح الجلسة، أحيلت الكلمة فيما بعد إلى الطالب فرحات عباس الذي خطب بالفرنسية قائلا في بدايته: «إني لآسف كثيراً بأن أتكلم اليوم بينكم بلُغة أجنبية عنّا ولا فائدة في الاعتذار عن عجزي في هذا، فكلكم على علم بالظروف التي جعلتني في هذا المقام

1- الكتاني(محمد إبراهيم)، "مؤتمرات ج.ط.ش.إ. م، كانت مهد الفكر المغرب العرب"، العالم السياسي، ع11، ص. 13.

2- نفسه، ص. 14.

PDF Compressor Free Version

أخطُب بلغة غير لغتي وأتكلّم بين إخواني كلامًا لا يفهمونه. ولم ما استحسنت عجزي هذا وحالتي هذه فإنها عبرة ودرس حي لمن أراد خدمة بلاده ووطنه...».[1]

ثم أعطيت الكلمة للطالب عبد الرشيد مصطفاي (الجزائري) فألقى قصيدة هذا مطلعها :

ألا فاهدوا إلى الخضراء دواما *** تحيات الجزائر والسلاما

تحيات الرياض إلى رياض *** تحمل نفحة الزهر النساما

وللأخت الشقيقة شوق أخت *** يكاد فؤادها يفنى غراما[2]

وبعد جلسة الافتتاح تشكلت أربع لجان هي: لجنة التعليم العالي، لجنة التعليم العربي، لجنة التعليم الصناعي، لجنة تعليم المرأة، فاجتمعت اللجان الأربعة بعد الزوال على الساعة الرابعة وأخذت كل لجنة في تلاوة التقارير التي تخصّها والمناقشة والمفاهمة في كل تقرير، ثم بعد أن توحّدت الآراء داخل كل لجنة حرّرت مختصرا لتقدمه إلى الجلسة العامة للموافقة أو الرفض. وفي الجلسة الثانية نوقشت لجنة التعليم العربي وكانت برئاسة فرحات عبّاس.. حيث تفضّل كل من الفاضل بن

1- الكتاني، مؤتمرات الجمعية، العالم السياسي، ع03، ص. 13

2- نشرة ج.ط.ش.أ.م، نشرة المؤتمر الأول، ص. 15

PDF Compressor Free Version

عاشور وعلاّل الفاسي (بالنيابة) وعبد الحق الناصري الجزائري (بالنيابة) بمداخلة حول حالة التعليم كل في قطر.[1]

والثابت بتقديرنا، أن الجمعية على مستوى تناولها موضوع التعليم، وما إثارة مضامينه وطرقه المنهجية والبيداغوجية من مشاكل وتحديات، قد ظلّت منشدة إلى الإطار المرجعي للتيار الأكثر هيمنة بمكوّنات الثقافة المغاربية، منه تستمد عناصر نقدها للذات وعبرة تصوغ المقترحات التي تقدّرها ضرورية للنهوض بهذا الحقل وإدماجه ضمن حركية النضال الوطني، لذا وبالعودة إلى مقرّرات المؤتمرات السبعة الأولى التي عقدتها الجمعية ما يؤكد رجاحة هذا الاعتقاد .

مؤتمرات جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين [2]

المؤتمر	التاريخ	المكان	ملاحظات
المؤتمر الأول	1931/8/23_20	تونس	.....
المؤتمر الثاني	1932/8/30_25	الجزائر	.....
المؤتمر الثالث	1933/12/29 -26	باريس	كان مقررا أن ينعقد في فاس ما بين 1933/9/22_19

1- نفسه، ص. ص.33- 76

2- سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص. 107. يراجع: خبرية، المرجع السابق، ص. 149

- الإبراهيمي، في مفترق الطرق ص. ص. 69 -70

PDF Compressor Free Version

			لكن منع من طرف السلطات الفرنسية.
المؤتمر الرابع	1934/10/2	تونس	لم يحضر- أي مؤتمر من المغرب الأقصى
المؤتمر الخامس	1935/9/5	تلمسان	.....
المؤتمر السادس	1936/10/21	تطوان	كان مقررا انعقاده في الرباط لكن لخلاف مع المقيم العام بيرتون نقل إلى تطوان وبالرغم من ذلك لم يلتئم المؤتمر كما كان مرغوبا في ذلك لغياب العديد من أعضائه.
المؤتمر السابع	شباط/ فبراير 1937	فاس	لم ينعقد المؤتمر لعدم توفر الشروط المطلوبة بتقدير المقيم العام نوجيس.

PDF Compressor Free Version

وما يهمنا من هذه المؤتمرات بالدرجة الأولى المؤتمر الثاني[1] الذي انعقد بالجزائر من 25 إلى29 أوت سنة 1932م بنادي الترقي، وكان رئيس اللجنة التحضيرية هو السيد قدور ساطور، وترأس المؤتمر عباس فرحات[2]، وعموما فإن المؤتمر احتضنه العلماء واعتبروه من أهدافهم، حيث كانت توصيات المؤتمر وقراراته تنسجم تماماً مع روح الجمعية ومع أهدافها.[3]

أما الاتجاه السياسي والفكري للمؤتمرين فقد عبر عنه الشاعر مفدي زكريا من خلال قصيدته التي ألقاها في المؤتمر، وقد كان للمؤتمر صداه في الصحافة الجزائرية حيث هلّلت كلها بهذا الحدث فنشرت بلاغات المؤتمر في أواخر أوت 1932م، ووصفت جريدة "النجاح" بداية أعمال المؤتمر «بيوم خالد في تاريخ النهضة العربية»[4]، أما الشهاب فقد

1- جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بفرنسا، نشرة محاضر جلسات مؤتمر طلبة شمال أفريقيا المسلمين بتونس المنعقد تحت إشراف الجمعية الخلدونية، تونس : المطبعة الأهلية، 1931 م، ص. ص. 7- 8

2- المصدر نفسه، ص. 12

3 - S.M.N. Dossier, A.E.M.N.A, A4.44. doc.n: °344

« نشرة أعمال المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بتلمسان 1932 م» (وهو باللغة العربية).

يراجع أيضا وهو مطبوع: - محاضر جلسات "جمعية ط ش أ م بفرنسا"، أعمال المؤتمر الثاني المنعقد بالجزائر، تونس: مطبعة الاتحاد، 1932م. - سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص. 108

4- المرجع نفسه.

PDF Compressor Free Version

أكّدت على ضرورة الوحدة بين أقطار المغرب العربي مبرزة وحدة الفكر واللغة والشعور القومي والديني.[1]

فقد أقيم للمؤتمرين التونسيين والمراكشيين بنادي الترقي حفلات ألقيت فيها المحاضرات وجمعت التبرعات أثناءها، حيث خطب الشيخ الطيب العقبي في المؤتمرين أكثر من مرة ووجّههم باعتبارهم يمثلون جيل المستقبل في أوطانهم، ولعب الأستاذ توفيق المدني في المؤتمر دوراً بارزاً باقتراحاته المتميزة كما خطب فيهم الشيخ ابن باديس في قسنطينة وودّعهم حتى محطة القطار، وكان قبلها قد أقام لهم نادي الاتحاد الإسلامي حفلاً كبيراً خطب فيه ابن جلول ومامي إسماعيل إضافة إلى الدور الكبير الذي لعبته شخصيات جزائرية أخرى أمثال فرحات عباس – محمد السعيد الزاهري، ونذكر أنّه جاء من تونس كل من المنجي سليم وصالح المهيري الجزائري وعلي البلهوان والحبيب ثامر،[2] والأكيد أن توصيات وفعاليات هذا المؤتمر كان له الأثر البليغ في هذا الوفد، وهو ما نعتبره مساهمة أخرى للجزائريين في الحياة التونسية، وخلال سنة 1933م انعقد المؤتمر الثالث في باريس بقاعة الموتيواليتي بعد منعه في المغرب الأقصى، وعُقد الرابع بتونس ومثّل الجزائر فيه السعيد الزاهري ومفدي

1- بوضرساية بوعزة، "بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديبارمي"، الثقافة، عدد 104، الجزائر: سبتمبر/ أكتوبر 1994م، ص. 116

2- سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص. ص. 108 – 109

PDF Compressor Free Version

زكريا،[1] وانعقد المؤتمر الخامس في تلمسان من 6 إلى 15 سبتمبر سنة 1935م، وافتتح المؤتمر الشيخ البشير الإبراهيمي، والمميز فيه أنّه كان هناك شبه اتفاق بين المؤتمرين على مبدأ الاستقلال الكامل لبلادهم واعتبار المغرب العربي أمة واحدة[2]، وفيما يتعلق بتونس فقد كان من توصياته رفع الحضر على "جمعية المحافظة على القرآن الكريم" التي يُشرف عليها عبد العزيز الباوندي، والاعتراف بحرّية إنشاء الجمعيات والنوادي والمجلات في تونس، مع توحيد الثقافة والتربية في شمال إفريقيا.

أما المؤتمر السادس فقد كان من المقرر أن ينعقد في الرباط لكن اعتراضات سلطات الحماية جعلت المنظّمين يعقدونه في تيطوان (بالمغرب ا لإسباني)، هذا القرار التعسفي من فرنسا أثار ضجّة في الصحافة المعاصرة وقد اشتركت البصائر في هذا الاحتجاج[3]، وانقطعت المعلومات عن مصير هذه المنظمة بعد المؤتمر السابع الذي عقد بتونس في 25 سبتمبر 1937م[4]، والذي كان تونسيًا في أغلبه ويبدو أن أفرادها قد توزعتهم الحياة

1- العياشي مختار، البيئة الزيتونية (1910- 1645) م، تح حمادي الساحلي، تونس: دار التركي للنشر 1990م، ص. 140

2 - S.M.N. DOSSIER A.E.M.N.A, A4.44. DOC. N: °500.

ينظر: الصواب، ع48، تونس، الجمعة 2/ 4 /926 م « نشرة أعمال المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بالجزائر» 1935 م». يراجع : سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص. ص. 111-112

3- سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص. 112

4- العياشي، المرجع السابق ، ص. 141

PDF Compressor Free Version

السياسية في بلدانهم، ما يلاحظ على نشاط هذه الجمعية أنها كانت تتفاعل مع القضايا الوطنية والمغاربية كما أنّها كانت تسلك سلوك المراضاة، رغبة منها في تحقيق فكرة العمل لتوحيد الصفوف على حد تعبير علال الفاسي[1]، فهي تؤيد كل الحركات الوطنية على اختلاف ميولها، نراها مثلاً تقف مؤيّدة إلى جانب النجم سنة 1934م، مستنكرة أعمال القمع والاعتقالات المسلّطة على قادة النجم، ونراها من ناحية أخرى تقيم حفل استقبال على شرف موريس فيوليت لتُعرب له عن امتنانها لنشاطه في صالح الجزائريين ولتشكره على تدخلاته في مجلس الشيوخ (السيناتو) دفاعًا عن مصالح الجزائريين، ونراها من ناحية ثالثة تبذُل المساعي للتوفيق بين العلماء والنّجميين، حين استدعت شكيب أرسلان وبورقيبة والخلطى للتوسط بين الطرفين.[2]

ويذكر مالك بن نبي أنّ حركة النجم قد أثرت كثيراً في الطلبة الذين انخرطوا فيها بعد ذلك ودعّموا نشاطها الصحفي المتمثل في جريدة الأمة أمثال، بوقادوم والمحامي بومنجل (الذي ترأس الجمعية الطلابية شرفيا عام 1935م) والذي تصدى للدفاع عن النجم في كثير من المناسبات، وقد كان هذا الأخير ضمن الوفد المتكوّن من نارون عمّار وموساوى رابح

1- الفاسي، الحركة الاستقلالية، ص. 16

2- زوزو، الهجرة، ص. 154

PDF Compressor Free Version

لحضور المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بالجزائر أيام 09/10/11/ جويلية 1937م[1]، وعلى كل فإن للنشريات الدورية لمؤتمرات طلبة شمال إفريقيا المسلمين تاريخ حافل بالوثائق عن هذه الحركة الطلابية فقد كانت نواة لتركيز الإيمان بالوحدة المغاربية التي ظلت تشق طريقها رويدًا رويدًا نحو استكمال أسباب نجاحها.[2]

لقد أبرزْنا سلفًا كيف كان إحساس النخب المغربية عميقًا بضرورة إصلاح نظم التعليم وتمتين دور اللغة العربية، رغبة في الحفاظ على الهوية وصيانة مقوّماتها كما أشرنا إلى المدارس الوطنية الحرّة التي وقع الإكثار من إحداثها خدمة لهذا الغرض وتحقيقًا له، لذا فجمعية الطلبة قامت بمحورة نشاطها حول القضيّة التعليمية، لم تشذ على السائد بخطاب الحركات الوطنية بالدول الثلاث، بل جدّدت الدعوة إلى ما فكرت فيه النخب ومارسته سياسيا، تلك جوانب من القراءة المختصرة في محاضر مؤتمرات الجمعية وهي إن لم تتسع لتشمل بالتفصيل كل أعمال المؤتمرات ومقرراتها، فقد اكتفت لضرورات منهجية بالإمساك بالموضوعات الأكثر دلالة والأعمق تعبيراً عن توجهات الجمعية وقناعات

1- شاهد القرن، ج2، ص. 67

2- مفدي زكريا، تقويم المغرب، ص. ص.5-6، وللتوسع طالع غير ما ذكرنا سلفا نشرات المؤتمرين (الرابع بتونس 1933م – الخامس بتلمسان 1935م).

PDF Compressor Free Version

نخبها القائدة والتي أهلّتها لأن تصبح على رأس تنظيمات العمل المشترك والتنسيق ما بين الحربين.[1]

فتأسيسًا على الإطار المرجعي الذي حكم نظرة الجمعية للظاهرة الاستعمارية وحدد مواقف نخبها، سيساهم هذا التنظيم في تطوير العمل الوطني القطري والمشترك معًا كما سيعمل على إخصاب وتمتين الانتماء القومي إلى الحركات الوطنية المغاربية، إذ علاوة على قيام الجمعية بدور المساعدة على تهييىء وتنوير الأطر الوطنية بالدول الثلاث ستعمل أيضا على صياغة مواقف سياسية مشتركة إزاء المشاريع التي استهدفت المسّ بهوية المغاربة ومقوّمات شخصيتهم، ومنها أساسًا سياسات الإدماج والتجنيس والتمييز العرقي(الظهير البربري)، وذلك عبر الدعوة إلى توحيد نظم التعليم وإصلاح مناهجها، والعمل على صيانة لغتها العربية، وأيضًا من خلال تعبئة الرأي العام الأوروبي والعربي الإسلامي بعدالة القضيّة المغربية ومشروعية نضال حركاتها الوطنية، هذا وفي قراءة مقاطع من نشيد المؤتمر السادس (1936م) المنعقد بتطوان المغربية[2]، ما يؤكد التوجه الوحدوي ل.ج.ط.ش.أ.م. وإنشدادها إلى ما هو مشترك في مسيرة النضال المغاربي:

---

1 – Juliette Bessis, "Chakib Arselane et les mouvements nationalistes au Maghreb", Revue historique, N°526, Avril – Jun 1978, P.480

2– الكتاني، "مؤتمرات الجمعية"، العالم السياسي، ع 03، ص. 14

PDF Compressor Free Version

حيّوا إفريقيا حيّو إفريقيا *** حيّوا إفريقيا يا عباد

شمالها يبغي الإتحاد *** شبابها يأبى الاضطهاد

صحيح أن الجمعية قد مثّلت نسبيا لحظة متقدمة في مضمار الدعوة إلى إحياء فكرة المغرب الغربي واستثمار حمولتها التاريخية والسياسية للتقريب بين الحركات الوطنية الثلاث والتنسيق بين نخبها وقادتها، وصحيح أيضا أنها قد مسّت حقلا (التعليم) على قدر بالغ من الأهمية سواء على مستوى رهانات الإستراتيجية الاستعمارية أو على صعيد منطلقات الوعي الوطني وأدواته النضالية، لكن الراجح أن الجيل من أجهزة التنسيق والعمل المشترك، قد ظلّ مرتبطًا بالعوامل المتحكمة في تشكل الوعي الوطني البنيوية منها والظرفية مرتهنا بمرجعيته النظرية والفكرية (السلفية أساسًا)، وذلك بالرغم من تعدد المشارب والتيارات التي تخللت تفكير نخبها ووجّهت خطاب حركاته الوطنية.

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

الفصل الخامس

النضال السياسي والجمعوي للوطنيين الجزائريين في المشرق العربي خلال الفترة "1940-1954"

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

1. نشاط المهاجرين الجزائريين خلال الفترة (1940م ـ 1954م):

مما لاشك فيه أن العلماء والطلبة الجزائريين الذين شدوا الرحال إلى المشرق العربي، كانت لهم أوضاعهم الخاصة بهم حتى اختلفت جذرياً عن أوضاع زملائهم في أوربا أو أمريكا، وقد تمثلت الأوضاع الخاصة للطلاب الجزائريين في المشرق العربي في الظروف المادية القاسية الشاذّة من نوعها التي عاشها الطلاب سواء خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها أو التي سبقتها، مما جعل الطّلاب الجزائريون يواجهون في كل مواقف حياتهم الدراسية صعاباً قاسية مؤلمة، وقد ساهمت الثورة الجزائرية حينما اندلعت في تفاقم هذه الصعاب والظروف التي كان يعيشها الطلاب الجزائريون في المشرق العربي[1].

لقد كان العلماء والطلبة الجزائريون بالمشرق عمومًا وبالقاهرة خصوصًا يشكّلون شريحة هامة في الجالية الجزائرية وكانوا على وعي سياسي كبير، لأن معظمهم عانوا من ظلم الاستعمار الفرنسي ـ قبل خروجهم من الجزائر، كانت معاناتهم سياسية وثقافية واقتصادية؛ وإذا كان زملائهم الدارسون في المدارس الفرنسية قد لا يحسّون بنفس المعاناة الثقافية، فإن طلبة القاهرة كانوا يحسّون بمعاناة مضاعفة لأنهم كانوا

1- هلال (عمار) نشاط الطلبة، ص. 68، للتوسع حول هذه الظروف يراجع: شاوش (حباسي) "محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع07، الجزائر: 1993م، ص. 145

PDF Compressor Free Version

مقتنعين أن الاستعمار الفرنسي هو الذي تسبب في غربتهم ضد ثقافتهم العربية الإسلامية وسرق هويتهم الوطنية، لذلك كانوا غير متسامحين مع الذين يتسامحون مع الاستعمار ولو ثقافيا[1].

كما أن كثرة عددهم ونفوذهم في دوائر الطلبة العرب قادهم إلى التفكير في تكوين منظمة تجمعُهم، فكانت رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي، ولم يكن من السهل عليهم الانضمام إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين لولا قناعتهم بوحدة النضال ومواجهة العدو صفًا وا حدًا، وكان بعض أعضاء الرابطة يعتقدون أنهم أحق بقيادة الحركة الطلابية المناضلة وتمثيل القضية الجزائرية من زملائهم في قادة الاتحاد العام، لأن القضية في نظرهم تعني تحقيق الهوية الثقافية للجزائر، بينما لا تمثل قيادة الاتحاد العام بتركيبتها البشرية وبآرائها تلك الهوية، وقد كان غالبية أعضاء الرابطة من الفئات الشعبية المحرومة، وهي نفس الفئات التي خرجت منها قيادة الثورة الأولى، ونتيجة لهذا الموقف الفكري الواضح أتهم عدد من طلبة الرابطة بالبعثية والناصرية ومضادّة مقرّرات الصومام، وبالتالي ذهبوا ضحية اتهام باطل واختفوا عن الأنظار[2]، وعن أعداد هؤلاء الطلبة، كان قد سأل في ربيع 1954م الطالب علي مراد

1- نفسه، ج1، ص. 30

2- نفسه، ص. 14

PDF Compressor Free Version

«ممثل فرع العاصمة لـ ج.ط.ش.أ.م» في رسالة بعث فيها إلى الطالب رابح تركي الناشط في الحركة الطلابية بالقاهرة عن أعدادهم وتوزيعهم حسب الكليات والمعاهد، وتضمّن ردّ هذا الأخير بتاريخ 23 افريل1954م المعلومات التالية: -كلية الآداب: حوالي 60 طالب من بينهم 14 طالبة. - كلية الحقوق: حوالي 60 طالب من بينهم طالبة واحدة. -كلية العلوم: 60 طالبا من بينهم 03 طالبات. -كلية الطب: 65 طالبا من بينهم 03 طالبات. - معهد الدراسات العليا: 30 طالبا. - مدرسة تكوين القابلات والممرضات: حوالي 20 طالبة. أي أن مجموع الطلبة والطالبات يومئذ لم يكن يزيد عن 330 من مجموع 4500 طالب بجامعة الجزائر.

وقد أرفق "علي مراد" ردّه عل رسالة تركي رابح بتكليف هذا الأخير بأن يمثّل جمعية الطلبة بالجزائر في مؤتمر طلبة الشرق مشترطًا عليه، أن يُراعي موقف الطالب الجزائري من المستعمر، وختم التكليف بالعبارات التالية: «وما ترجوه جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا هو أن تبلّغ تحياتها الودية لإخواننا طلبة المشرق العربي ويُترجم عن عواطفنا المخلصة نحوهم، وأملنا في استرجاع مجدنا وإحياء هويتنا فليحيا شباب المشرق وليحيا شباب الجزائر عربًا أحرارًا»[1].

1- عباس (محمد)، مثقفون في ركاب الثورة: ج2، الجزائر: دار هومة، 2004م، ص. ص. 60 -61

PDF Compressor Free Version

وعن نفس الظروف النضالية والمعاناة الاجتماعية ذكر مولود قاسم نايت بلقاسم عن أيام دراسته بالقاهرة (1950 -1953)م قوله «وكنت أنا مع قاسم رزيق على اتصال دائم بمكتب حزب الشعب الجزائري في القاهرة في إطار مكتب المغرب العربي الذي كان يضم الأحزاب المغاربية الثلاث وكان مقر المكتب دار واحدة، هي في الواقع شقة واسعة للمكاتب الثلاث... إلى أن انتقل المكتب المغاربي المشترك كل حزب بقسطه إلى شقة أوسع في 32 شارع عبد الخالق ثروت، وكنا دائمي الاتصال والتنسيق مع الإخوة هناك»[1]، كما ذكر سعد الله أبو القاسم شيئًا عن مشاركته في النضال الطلابي بمصر- «وخلال إقامتي في مصر- شاركت باسم الجزائر -بالإضافة إلى الدراسة- في بعض الأنشطة الطلابية كأسبوع شباب الجامعات بالإسكندرية وأسبوع جمع التبرعات للثورة الجزائرية والمقاومة الشعبية أثناء العدوان الثلاثي والتطوّع في جيش التحرير الجزائري، ونشاط الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وتنظيم مكتبة الحكومة المؤقتة ونشر المقالات والقصائد...»[2]، وللحديث عن مساهمات الطلبة الجزائريين ومشاركاتهم النضالية بمصر- والمشرق العربي فردًا فردًا سيأخذ ذلك الحديث إلى جرد مجلدات ضخمة لا خاتمة

1 – بن نعمان (محمد)، مولود قاسم نايت بلقاسم، ط2، الجزائر: دار الأمة، 1997م، ص. 20

2– سعد الله (أبو القاسم)، مسار قلم (يوميات)، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.، ص. 10

PDF Compressor Free Version

لها، فمثلاً من الشخصيات الطلابية التي لا نعرف عنها الكثير لكن بالنظر إلى حجم دورها الطلابي بمصر نكون قد هضمنا حقها التاريخي في التذكير بها على الأقل: سعد بزيان 1931م، البشير كعيسي[1]، دودو أبو العيد (1934-2002)، ركيبي عبد الله 1928م.

ولعلّ من أكبر الشخصيات الطلابية التي كان لها دور فعّال ومثمر في الحياة الطلابية بمصر- هي شخصية الزيتوني الشاذلي المكي (1912-1988م) أصيل خنقة سيدي ناجي (بسكرة) أين وُلد وتعلّم حيث انتقل بعدها رفقة عائلته إلى تبسة وهناك عكف على الدراسة والتحصيل، ليلتحق بعدها بجامعة الزيتونة أين تحصل على شهادة التطويع، وهناك كان له نشاط طلابي كبير -سنذكره في حينه- حيث كان من المؤسسين لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين، كما كانت له إسهامات ملحوظة في الأوساط السياسية والثقافية بتونس، وباندلاع الحرب العالمية الثانية ألقي عليه القبض واعتقل بمنفى جنين بورزق (عين الصفراء) وبعد إطلاق سراحه تفرّغ للنضال السياسي السري ليَتّهم في أحداث 08 ماي 1945م، مما اضطره إلى السفر إلى عنابة ومنها إلى تونس

1- ذكر الدكتور إبراهيم فخار في حديثه عن صالح الخرفي أن كعيسي كان رئيسًا للطلبة الجزائريين بالقاهرة باسم جمعية العلماء عام 1957م.

- راجع بلحاج (قاسم أحمد)، الشاعر صالح الخرفي، الجزائر: جمعية أنغام الحياة الثقافية، 2004م. ص. 68

PDF Compressor Free Version

ثم مصر، وكان الشيخ الفاضل بن عاشور هو الذي مكّنه من اجتياز الحدود التونسية الليبية، وفي مصر عمل ضمن نطاق الجامعة العربية ومنطقة شمال إفريقيا، وبعد اندلاع الثورة، وقَع له خلاف مع بن بلة، فقَبضت عليه السلطات المصرية مع أحمد مزغنة وأودعا السجن العسكري إلى غاية 1960م[1].

قال عنه الرشيد إدريس: «الأستاذ الشاذلي المكي هاجر إلى القاهرة في نفس المدة التي وصل فيها بورقيبة إلى القاهرة، وكنت أعرفه في تونس مسؤولاً عن الطلبة الجزائريين ومتّصلاً بجمعية العلماء، وتحصّل على نيابة من حزب الشعب الجزائري ورئيسه مصالي الحاج في مصر»[2]، وتحدّث عنه في موضوع آخر قائلا: « لقد لقيت الأخ الشاذلي المكي يبذُل وحِ دَه الجهود للتعريف بالقضية الجزائرية والمغاربية، وكان مجهوده والحقّ يُقال مجهوداً جبّاراً، لأن قضية الجزائر كانت قضية دقيقة وشائكة، وإن كانت لا تختلف في أصلها عن قضايا الأقطار المغربية الأخرى، أو الأقطار المنكوبة بالاستعمار، وبمناسبة الذكرى الثانية لحوادث

1- بوشارب (عبد السلام)، تبسة (معالم وآثار)، الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد، 1996م.، ص. ص. 37- 38

2 - S.D.N, B5-43, doc n1

- الصباح 17 جوان 1980م.

PDF Compressor Free Version

8 ماي 1945م نظّم الشاذلي المكي باسم حزب الشعب الجزائري احتفالاً منفردًا أحيا به ذكرى المجازر...»[1].

لقد تزامن نشاط مكتب المغرب العربي بالمشرق مع هيئة مغاربية أخرى ظهرت بالمشرق العربي هي جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية قال عنها كرو: « أنها تأسّست بعد الحرب العالمية الثانية من طرف الشيخ محمد الخضر حسين »[2]، هذا الأخير كان قد أسّس جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا سنة 1923م وتطوّرت نظرته إلى هذا الموضوع عبر السنين وأصبحت ذات صبغة سياسية برزت في تأسيس جمعية تدعى "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية" إثر الحرب العالمية الثانية، وفي ذلك يقول مواعدة « إنه لم يعثر على معلومات تبيّن ظروف تكوين هذه الجبهة»[3]، والملاحظ هنا أن أفكار الشيخ الخضر حسين السياسية الوحدوية المغاربية لم تتطوّر خلال الفترة التي ذكرها الدارس

---

1 – S.D.N, B5-43, doc n1

– الصباح 18 جوان 1980م .

2– كرو (محمد أبو القاسم)، محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي، 1973م، ص. 05

3– مواعدة (محمد)، محمد الخضر حسين، تونس: الدار التونسية لنشر، 1974م، ص. 119

لحياة الشيخ إنما كانت قبل ذلك كما سبق وبيّنا سلفًا في الحرب العالمية الأولى[1].

PDF Compressor Free Version

ويعود ظهور الجبهة إلى اجتماع القاهرة خلال مارس 1944م[2]، وهي بقيادة رجل يدعى الأمير المختار، ويُضيف أن أعضاء اللجنة كانوا من المهاجرين الجزائريين في المشرق، ولعلّ من بينهم مغاربة وتونسيون وستكون هي مقدمة لمكتب المغرب العربي أما عن ظروف نشأة الجبهة، فقد وَرَد في مقال للأمير مختار الجزائري بعنوان "كيف تكوّنت جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية؟" مفاده أن برقية أتتْهُ من "يافا" بفلسطين وهو في بيروت، في يوم من أيام ذي العقدة 1362هـ ونوفمبر 1943م، طلب صاحبه من الأمير الحضور إلى يافا، ولما قصدها وجد بها الشيخ الفضيل الورتيلاني في انتظاره، وجمعهما لقاء مع اثنين من الأصدقاء استعرضوا خلاله "أمجاد ماضي الجزائر والعرب والإسلام"، وبعد هذا اللقاء انتقل الأمير إلى القاهرة منفردًا ثم بعائلته حيث تم تأسيس « جمعية الجالية الجزائرية وكان في عضويتها شخصيات عربية وإسلامية، وكانت الهيئة على اتصال برجال من أبناء الجزائر أمثال الشيخ محمد الخضر ـ حسين

1 – للتوسع في نشاط الوطنيين التونسيين والجزائريين بالمشرق أثناء الحرب العالمية الثانية يراجع: – شاوش (حباسي) المرجع السابق، مجلة الدراسات التاريخية ، ع07، ص. ص. 145–147. – الآجري، المرجع السابق،ج1، ص. ص. 130–140، – داهش، المرجع السابق، ص. ص. 174–178. – الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص. ص. 407–408

2– سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص. 243

PDF Compressor Free Version

وإبراهيم أطفيش والفضيل الورتيلاني وغيرهم، وكانوا جميعًا يؤمنون بعدالة قضية المغرب العربي في وجه الاستعمار الفرنسي، ومن هنا تولّدت فكرة إيجاد هيئة جامعة تتناول قضية إفريقيا الشمالية الموحدة[1]، ومن ذلك أن رئاسة هذه الجبهة أسندت إلى الشيخ محمد الخضر حسين، وتولى الفضيل الورتيلاني منصب السكرتير العام ومن أعضائها البارزين الدكتور محمد عبد السلام العبادي، وأحمد نجيب برادة، والحاج أحمد بن قايد ومصطفى(بك) بيرم، والشيخ إبراهيم أطفيش والشيخ إسماعيل علي والشيخ السعدي عمار والحاج اليمين الناصري ومن الشباب أبو مدين الشافعي وأحمد بن المليح وحمود بن قايد وأحمد السعدي ومحسن بيرم[2].

ولقد كان العنصر الفعّال في تسييرها هو الشيخ الفضيل الورتيلاني الذي كان أمينها العام، حيث بذل جهودًا كبيرة في سبيل خدمة قضايا الجزائر والمغرب العربي[3]، ولقد سعى في إطار الجبهة بالتعريف بقضية

1- الورتيلاني (الفضيل)، الجزائر الثائرة، الجزائر: دار الهدى، 1992م، ص. ص. 284-286

2- عبد الباقي (علي محمد)،" أصداء الثورة الجزائرية في الشرق العربي من خلال جهود الورتيلاني"، مجلة سيرتا، ع 7/6 الجزائر: جويلية 1982م، ص. 45

3 - مرحوم (علي)، "مواقف من جهاد الفضيل الورتلاني" الثقافة، ع34، الجزائر: أوت/ سبتمبر 1976م، ص. ص. 56-58 للتوسع يراجع: - عبد الغفار : المرجع السابق، ص. ص. 145- 155، - بوصفصاف، جمعية العلماء، ص. 348

PDF Compressor Free Version

الأقطار المغاربة، فندّد بالاستعمار الفرنسي وقدّم مذكرات احتجاج إلى الهيئات الرسمية وعقد ندوات ومؤتمرات عدّة في هذا السياق، ومن الواضح أن الجبهة تأسّست بهدف تحقيق استقلال المغرب العربي ووحدته، ومن الذين انظموا إلى الجبهة من تونس الشيخ محي الدين القليبي من الدستور القديم، والحبيب بورقيبة من الدستور الجديد[1]، ومن الجزائر الصديق السعدي ومحي الدين القلي[2]، وقد استمر العمل المتحد بين أعضاء الجبهة إلى غاية سنة انعقاد مؤتمر المغرب العربي عام 1947م وكانت الجبهة على اتصال بمنطقة المغرب العربي بواسطة الحجاج المغاربة وعن طريق الصحافة[3].

وانحصرت أعمال الجبهة في الأمور الآتية، إطلاع الرأي العام في المشرق بأوضاع إخوانهم في المغرب العربي ولفْت انتباه قادة العرب من ملوك ورؤساء وشخصيات سياسية بقضايا المغرب العربي وغالبًا ما انتهزت الجبهة فرصة المناسبات الدينية والوطنية لتهنئتهم والاتصال بهم والتحدّث إليهم عن أحوال المنطقة وتوجيه المذكرات والبرقيات إلى الدول العظمى، حاولت الجبهة كذلك الاتصال بالشعوب العربية في المشرق العربي، إذ أوفدت أمينها العام الشيخ الورتيلاني في جويلية 1946م إلى

1- مواعدة، المرجع السابق، ص. 120

2- محمد فضلاء (حسن)، من أعلام الإصلاح، ج3، ص. 75

3- الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص. 270

PDF Compressor Free Version

سوريا ولبنان «لإثارة الرأي العام فيها عن قضية المغرب العربي بواسطة المحاضرات والصحافة والاتصال برجال الحكم والنوّاب والزعماء والهيئات»[1] ، وكان يعينُه في ذلك عدد من المهاجرين الجزائريين أمثال: زين العابدين بن حسين و(أخ الخضر حسين)، والأمير مختار الجزائري، والأمير سعيد الجزائري...[2] ويبدو أن الجبهة قد انحلّت خلال سنة 1948م، فآخر بيان لها صدر في 1948/04/24م موقّع من طرف الرئيس الشرفي للجبهة "عبد الكريم الخطابي" والرئيس "محمد الخضر- حسين" يدعو النداء الأهالي إلى الاتحاد في مكافحة الاستعمار وإلى نبذ الخلافات الحزبية.[3]

ومن الجمعيات المغاربية الأخرى التي ناضل تحت لوائها العلماء والطلبة الجزائريون قبل تأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة نذكر مثلاً:

أ. **جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية:** جاء في جريدة الوزير[4] التونسية عن ظروف تأسيسها ومبادئها وأهدافها ، ومن بين أعضائها الجزائريين الأستاذ محمد الرزقي والدكتور عبد السلام العبادي ، ولما

1- الفضيل الورتيلاني، المصدر السابق، ص. 287

2 – الرويسي (يوسف)، "نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق"، م.ت.م، ع12، تونس 1978م، ص. 209

3- بن العقون، مذكرات، ج3، ص. ص. 60 – 61

4- الوزير، ع 175، تونس: 23 سبتمبر 1924م.

PDF Compressor Free Version

« عقد مجلس الإدارة اجتماعًا لانتخاب الرئيس، انجلى الانتخاب عن اختيار حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد الخضر حسين»[1].

ب. **جمعية مجاهدي أفريقية الشمالية:** هي مثلها مثل جمعية مهاجري إفريقيا وربما هي امتداد لها حيث جاء في جريدة الدفاع ليوم الأربعاء 1949/01/03م ، نداءَ صادرًا عن فرقة الأمير عبد القادر الجزائري، بخصوص عقد مؤتمر عام لتحرير إفريقيا والتي يقصد بها في أدبيات المهاجرين الجزائريين (بلدان المغرب العربي)، ومن المعروف أن فرقة الأمير عبد القادر التي منه كتيبة المغاربة لتحرير فلسطين وقد انبثقت عن جمعية مجاهدي إفريقيا الشمالية التي أصدر رئيسها الأمير سعيد في 1948/01/12م يحثّ فيه على الجهاد ضد الصهيونيين[2].

ت. **جمعية الدفاع عن أفريقية العربية:** تأسّست هذه الجمعية في دمشق إثر اجتماع عُقد في منزل مفتي المذهب المالكي في سورية الشيخ محمد مكي الكتاني أحد علماء المسلمين المهاجرين من المغرب الأقصى- وجرى الاجتماع في جوان 1946م ، وقد نصّت المادة الثانية من القانون الأساسي لهذه الجمعية « غايتها هي جمع كلمة المهاجرين وتقوية الروح الوطنية والروابط القومية والتعريف بقضية البلاد الإفريقية العربية، وقد

1- نفسه.

2- الخالدي (سهيل)، المرجع السابق ، ص. ص. 166 – 167

PDF Compressor Free Version

كان من مؤسسي الجمعية شخصيات جزائرية ومغاربية مهاجرة أمثال: أحمد جودت الهاشمي، كامل عيادة، عبد الغني البجقني، هادي النيس، كامل التونسي، على الجزائري، عمر فرحات، حسن فرحات، محمد المبارك مطيع المرابط وغيرهم من الشخصيات المغاربية»[1].

ث. جمعيات تحرير المغرب العربي في دمشق وبيروت:

يبدو أن جمعية تحرير المغرب العربي هي اسم آخر قد يكون وارثًا لجمعية الدفاع عن إفريقيا العربية حيث أقيمت في لبنان جمعية في نفس الفترة تحمل نفس الاسم مركزها الرئيسي- في بيروت ويرأسها السيد عبد السلام بوعزة الجزائري، التاجر المعروف بتجارة الترانزيت حيث اشتهرت بأنشطتها المتنوعة والمكثفة لصالح استقلال دول المغرب العربي بالتنسيق مع لجنة التحرير المغرب العربي في القاهرة، وضمت في عضويتها من الجزائريين، محمد علي الحسيني الجزائري، عمر فرحات، حسين فرحات، محمد المبارك[2]، فقد ورد في تقرير قدّمته هذه اللجنة عام 1948م إلى مؤتمر اليونيسكو في بيروت يحمل عنوان "حالة التعلّم بالمغرب العربي في ظل الاستعمار العالي الفرنسي" وهو عبارة عن كتيب يحتوي ثلاثة تقارير ومقدمتين إحداهما لرئيس الجمعية في لبنان (عبد السلام

1- نفسه، ص. 169

2- بشيري (أحمد)، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، الجزائر: منشورات تالة،2005م، ص. ص. 54 – 57

بوعزة)، أما التقرير الأول فعن الحالة التعليمية والثقافية في الجزائر وقّعة الشاذلي المكي، موفَد حزب الشعب الجزائري إلى المشرق العربي[1].

PDF Compressor Free Version

وقد كان الشيخ الورتيلاني قد أسّس بالقاهرة مكتبًا لجمعية العلماء في سنة 1949م كما انخرط في القاهرة في العديد من المنظمات الإسلامية، وساهم في نشاطها الدعوي وكتب في أغلب الصحف والمجلات المشرقية، كما كان على صلات وثيقة بكثير من أعلام الفكر والإصلاح في المشرق أمثال: شكيب أرسلان الإمام حسن البنا، محي الدين الخطيب، رشيد رضا، محمود عباس العقاد، كما ساهم في تأسيس العديد من الهيئات السياسية منها، اللجنة العليا للدفاع عن الجزائر 1942م وجمعية الجالية الجزائرية 1942م...[2]

وكان لانعقاد مؤتمر المغرب العربي في (1947/02/16م) أثره العميق في حركة بلدان شمال إفريقيا بالمشرق وفي الحركات الوطنية داخل الأقطار الثلاثة خاصة وأن المؤتمر رُوعي فيه أن يكون الممثلين من الحركات القائمة في شمال إفريقيا حتى يكتسب صفة الإجماعية التي تعطي لقراراته قوة تأييد الأحزاب برمّتها، وبفضل هذا المكتب أصبحت القاهرة مطمح الذين يهتمون بالشؤون المغاربية ومحجّ الوافدين من

1- الخالدي، المرجع السابق، ص. ص. 172- 173

2- بورنان (سعيد)، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر، ط2، الجزائر: دار الأمل، 2004م، ص. ص. 186-187

PDF Compressor Free Version

شمال إفريقيا إلى درجة توصلت معها الحكومة المصرية لتلقي احتجاج من السفارة الفرنسية التي اعتبر المكتب قضية توزيع أوراق التعريف والجوازات الخاصة في إطار تسهيله عملية التعليم للطلبة الوافدين[1].

لقد ساهم مكتب المغرب العربي في إخراج القضية المغاربية من دائرتها الضيقة إلى المحيط الدولي بوجه عام، والمحيط العربي أصبح بوجه خاص، وقد صرحت مجلة فرانسFRANCE : « أن مكتب المغرب العربي أصبح نوعيًا امتدادًا من امتدادات الجامعة العربية أو قسمًا مكملاً لها»[2] ومن الأنشطة التي قام بها الجزائريون بالمشرق أنهم شكّلوا كتيبة داخل فيلق الطلبة العرب وشاركوا في معركة قناة السويس[3] وكان الاتجاه الراديكالي الداعي إلى العمل المسلح يتزايد داخل مكتب المغرب العربي فبعد سنة واحدة من تشكيل المكتب، تكوّنت في جانفي 1948م لجنة تحرير المغرب العربي برئاسة عبد الكريم الخطابي، وأصبحت المسألة الرئيسية هي التنسيق بين مختلف الأحزاب الوطنية المغاربية لإعلان

1- جربال (دحو)، جيش التحرير المغاربي، الجزائر: مؤسسة محمد بوضياف، 2004م ، ص. 150، يراجع السروجي (محمد محمود)، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال، القاهرة: مطبعة المصري،ب.ت ، ص. ص. 225- 226

2- مكتب المغرب العربي، مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من (15 إلى 22 فيفري 1947)، مصر : مطبعة المكتب الثقافي الدولي ب.ت، ص. ص. 225-226. يراجع:

- الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص. 380

3- جربال، جيش التحرير، ص. 157

PDF Compressor Free Version

الكفاح المسلح في كل شمال إفريقيا ووقّع في تاريخ 29 ماي 1954م بالقاهرة على ميثاق لاتحاد كومندو شمال إفريقيا، وقد سبقه اتفاق سري أبرم في 1951م، ما بين ممثلي كل من حزب الاستقلال وحزب الدستور الجديد وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بحيث وجهوا حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وخاصة المنظمة الخاصة عن دعم للتموين وشبكات لتمرير الأسلحة في بداية الخمسينات ووجدوا مبتغاهم بالقرب من ثوار جنوب تونس، وليس من الصدفة أن يلقّب أوائل رجال المقاومة الجزائرية من طرف الفرنسيين "بالفلاقة"، لقد لعب مكتب المغرب العربي بالقاهرة دوراً طلائعيًا في إنجاز الوحدة السياسية والمغاربية بصفته مؤسسة انبثقت عن الحركة الوطنية المغاربية بالذات، كما كان امتداداً دولياً للكفاح الوطني داخل بلدان المغرب العربي.

إن النشاط الطلابي المهجري بما فيه نشاط مكتب المغرب العربي بالقاهرة قدّم مساهمة تكميلية في مناهضة الاستعمار الفرنسي- لا يمكن إغفالها، ولعل الهدف الرئيسي- من هذا المبحث يتجلى في إبراز الدور الطلائعي الذي امتاز به الطلبة الجزائريون بالمهجر، حيث جاء تأسيس مكتب المغرب العربي في دمشق سنة 1946م، قبل تأسيس مكتب القاهرة، إلا أن التنسيق بين المكتبين كان محكمًا، سواء على مستوى التصوّر والخطة السياسية أو على المستوى العملي التطبيقي، ثم تأسس مكتب

PDF Compressor Free Version

المغرب العربي بنيويورك سنة 1947م إلا أنه لم ينجح في إدماج عناصر المغرب العربي حيث اقتصر على مناضلي المغرب الأقصى، بينما قام التونسيون والجزائريون بأنشطتهم على انفراد، قامت جماعات وجمعيات أخرى في برلين وباريس وجنيف بالدعاية لقضية المغرب العربي منذ الثلاثينات لحصوله على الاستقلال.

2. دور المهاجرين إلى المشرق في الثورة الجزائرية(1954-1962).

مما تجدر ملاحظته عن النشاط الطلابي للجزائريين بصفة عامة أنه كان تقريباً متوازياً متماشياً مع أحداث الثورة وتطوراتها، ففي نفس الوقت الذي كان فيه النشاط الطالبي في الجزائر وفي فرنسا حثيثًا يبحث عن طريقة يجمع بها شمل الطلبة حيثما كانوا، وفي وسائل تعبئتهم والتفافهم حول الثورة تأسّست رابطة الطلبة الجزائريين في مصر في صيف سنة 1956م[1]، أما في سوريا فقد تأسّست قبل ذلك بسنة لجنة الطلبة الجزائريين، وبالضبط في مارس 1955م[2].

1. **مصر:** وعلى غرار إخوانهم في كل من دمشق وبيروت والقاهرة أسّس الطلاب الجزائريون في سنة 1956م رابطة في العراق وأخرى في

1- عمار (هلال)، نشاط الطلبة، ص. 74

2- نشرة الاتحاد العام للطلبة الجزائريين – فرع دمشق – ع01، دمشق: 1960/01/1م، ص. 17

PDF Compressor Free Version

الكويت[1]، وقد كان الغرض الأساسي من تأسيس هذه الروابط في المشرق العربي هو التعريف بالثورة الجزائرية، ونضال شعبها ومساندتها بكل الطرق والوسائل ومن خلال رابطتهم بالقاهرة أدرك الطلاب الجزائريون المسؤولية الوطنية الملقاة على عاتقهم، ومن ثم لم تقتصر مهمتهم على الدراسة فحسب بل تعدّت ذلك لتشمل ميادين أوسع، ذلك لأن الطالب الجزائري قد أدرك بسهولة أن رسالته في المشرق العربي رسالة تبشيرية قبل أن تكون رسالة ثقافية « فهو يبشّر بأهداف الثورة ويمثّل البطولة ونضال جيش التحرير وعدالة القضية الوطنية، وهي مهمة دقيقة خطيرة مضافًا إليها مشقة الدرس وعناء البحث»[2].

ورغم الصعوبات المادية التي واجهت الطلاب الجزائريين في مصر لتأسيس رابطتهم، لم يثنيهم ذلك عن عزمهم الشديد في الوحدة والالتحام، بحيث وضعوا اللبنة الأولى لرابطتهم هذه في نادي الطلبة الفلسطينيين لتتخذ فيما بعد "نادي طلاب المغرب العربي "كمقر رسمي لها، ومن الطلاب الذين تولوا مسؤوليات هامة في رابطة الطلاب الجزائريين في القاهرة، ولعبوا دوراً في تنشيطها فيما بين سنتي (1956 – 1960)م من السادة: عيسى بوضياف (رئيسًا) محمد بلعيد (أمين عام)،

1- نفسه، ص. 18

2- نفسه.

PDF Compressor Free Version

عبود عليوش (أمين المال) محمد طالب(نائب أمين المال)، أحمد فرقاق (مسؤول الشؤون الاجتماعية) وأبو القاسم سعد الله (مسؤول الشؤون الثقافية)[1]، وقد استمر نشاط هذه الرابطة حثيثًا فيما بين السنتين المذكورتين سابقًا حتى أدمجت في سنة 1959م رسميًا في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وأصبحت فرعًا من فروعه في المشرق العربي، وكان للطلاب الجزائريين في القاهرة نشاطًا ثقافيًا حيث دار كلّه حول التعريف بالقضية الوطنية ونشرها بين الأوساط الطلابية العربية والشعبية على مستوى لا بأس به لا يمكننا تفصيله هنا إنما نستطيع أن نشير إليه فقط.

- ✓ عملت اللجنة الثقافية على تكوين نشرة ثقافية ساهم في تحريرها الطلبة الجزائريون (ثلاثة أعداد)
- ✓ اهتموا بالجانب الإعلامي الصحفي لما له من دور فعال في نقل أخبار الثورة وتطوراتها، حيث خصّصت إذاعة صوت العرب منذ الشهور الأولى لاندلاع الثورة حصة إذاعية عُرفت ضمن برامجها الإذاعية بـ"كلمة الجزائر" «كانت مدتها قبل 1960م عشر دقائق ثم أصبحت فيها بعد ساعة كاملة) كما ساهم في تحريرها عدد من الطلبة منهم: محمد فضوري - تركي رابح- عبد القادر بن قاسي- يحي بوعزيز- عبود عليوش-

1- هلال (عمار)، نشاط الطلبة، ص. 75

PDF Compressor Free Version

محمد مفتاحي- نورالدين عبد القادر، إضافة الى نشاطهم التطوعي في توزيع جريدة المجاهد على جميع الروابط والنوادي المحلية في القاهرة.

✓ تنشيط مواسم ثقافية أسبوعية تلقى فيها المحاضرات والندوات وبخاصة في السنوات الأخيرة من عمر الثورة الجزائرية، وكانت اللجنة الثقافية في القاهرة تستضيف من حين إلى آخر أساتذة بارزين في ميدان العلم والثقافة من مصر ومن غيرها من الأقطار العربية الأخرى[1].

2. **سوريا:** وبالرغم من قلة الطلبة الجزائريين في سوريا والتنظيم الطلابي الذي كان متعمدًا قبل 1954م، فقد شعر بعضهم في بداية الثورة بغياب هيئة طلابية تجمع شملهم وتوحّد أفكارهم وجهودهم خصوصًا وأن إخوانهم طلبة الكويت قد أسسوا رغم قلتهم رابطة تجمعهم في فترة مبكرة (مطلع 1955م) وبالفعل استطاع الطلاب الجزائريون في سوريا تأسيس أول منظمة طلابية لهم في مارس من سنة 1955م عُرفت تحت اسم "لجنة الطلبة الجزائريين" لتتوج لقاءات الطلبة بسوريا سنة 1955م، بتأسيس رابطة الطلاب الجزائريين في المشرق العربي، ومن الطلاب الذين ترأسوا المكتب الإداري: الشريف سيسبان- عبد العزيز سعد- العربي

1- نفسه، ص. 77

PDF Compressor Free Version

طرقان - علي رياحي- بلقاسم نعيمي- وعبد الرحمان شطيطح-عبد القادر بن صلاح- أبو القاسم خمار- محمد مهري[1].

ومن العوامل التي ساعدت على تكاثف النشاط السياسي للطلاب الجزائريين أن أعدادهم قد تضاعفت بين سنتي (1957- 1958)م، وذلك بقدوم عدة بعثات طلابية من الجزائر وتونس، ولذلك كان لمكتب المغرب العربي في دمشق الذي كان يرأسه آنذاك يوسف الرويسي، دور في النشاط السياسي الذي لعبه الطلبة الجزائريون في سوريا، ومما يُلفت الانتباه أن الطلبة الجزائريين في سوريا كانوا مهيكلين بطريقة أو بأخرى في أربع منظمات محلية هامة هي(لجنة الطلبة الجزائريين) "1955- 1958"م، التي تحوّلت فيما بين 01 سبتمبر و06 سبتمبر 1958م إلى رابطة الطلبة الجزائريين في المشرق العربي، ورابطة طلاب المغرب العربي التي تأسّست في سوريا في سنة 1956م، ثم التف الطلاب حولها، منذ تأسيس مكتبها في سوريا سنة 1956م[2].

وكان صيف عام 1959م الخطوة الحاسمة التي بلغ فيها طلابنا في المشرق العربي غايتهم في التنظيم والتلاؤم بحيث انضوى جميعهم تحت لواء الاتحاد العام للطلبة الجزائريين، لقد تعدّدت أنشطة الطلبة

1- نفسه، ص. ص. 85- 86

2- نفسه، ص. 87

PDF Compressor Free Version

الجزائـريين في سـوريا وشـمل مجـالات واسـعة يصـعُب علينـا تحديـدها وضبطها في هذا المجال، ومما يلاحظ على هذا النشاط أنـه ارتـبط ارتباطًـا وثـيقًا بالقضية الوطنية والتعريف بآفاقها وتطوّر أحداثها داخليًـا وخارجيًـا لذلك أنشأوا مجلتين الأولى هي مجلة "كفاح المغرب العـربي"(05 أعـداد)، والثانية "نشرة ثقافية" (أعداد غير معروفة).

فمَع انـدلاع الثـورة الجزائريـة (نـوفمبر 1954م)، اجتمـع الطلبـة الجزائريون في القاهرة، وقرّروا إصدار نداءً لمساندة الثورة ودعوة الشعب إلى حمل السلاح من أجل التحـرر الـوطني، وأذيـع هـذا النـداء في إذاعـة صوت العرب بالقاهرة، وتوالت نداءات وبيانات الطلبـة سـواءً في الإذاعـة أو في الصحافة المصرية والمشرقية عمومًا، وفي شـهادته عـن هـذه المرحلـة الحاسمة من إسهامات الطلبة المهاجرين في المشرق العـربي ذكـر الطالـب منور مروش مايلي: «كنا على اتصال نحن الطلبة بأعضـاء مكتـب المغـرب العربي من المناضلين الجزائريين كالشـاذلي المـكي، ومحمـد خيضر- وحسـين آيت أحمد...، وبعد إعلان الثورة تركّز اتصالنا بأحمد بن بلـة الـذي سـاند إرسال وفد من الطلبة الجزائريين بالقـاهرة إلى مهرجـان الشـبيبة العـالمي المنعقد في وارسو (صيف 1955م)، وكذلك بالاتصال معه، حيـث شـاركنا في تحضير وتنظيم مهرجان الشباب العربي المنعقـد في القـاهرة والإسـكندرية في جويلية 1956م ... وهذا العمل الإعلامي كـان موازيًـا للعمـل التدريسي-

PDF Compressor Free Version

والتوعوي قصد كسب متطوعين جدد للالتحاق بجيش التحرير، وكان أول شهيد الثورة من طلبة القاهرة هو المناضل "بلقاسم زيدور"... وقد تم تدريب متطوعين من الطلبة الجزائريين الأوائل في إطار مبادرات كان يشرف عليها الأمير عبد الكريم الخطابي، وتلتها أفواج نظّمت بإشراف أحمد بن بلة، وكان أول المتطوعين بالقاهرة الشهيدين "عرعار وبوعزة"، وبعدهم كان الفوج الذي أبحر في باخرة دينا في شهر مارس 1955م وكان يتكوّن من سبعة أشخاص من بينهم الطالب "محمد بوخروبة"، وكان أكبر عدد من طلبة المشرق العربي الذين التحقوا بالثورة هم دفعة 1956م، وهم جميعًا من مؤيدي الاتجاه المغاربي الوحدوى الجذري، حيث كانوا من المتحمسين للمقاومة المسلحة في المغرب أو في تونس، وهم الذين شكّلوا في الناظور المغربية في 1955/07/15م "لجنة التنسيق لجيش تحرير المغرب العربي" حيث كان أمينها العام هو محمد بوضياف»، وبالتنسيق بين رابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة وجمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة تشكل« نادي طلبة المغرب العربي» في سنة 1956م، وكان النادي محور النشاط التضامني مع الكفاح التحرري في أقطار المغرب العربي، ومركزًا ثقافيًا تُقام فيه المحاضرات والندوات والاجتماعات وتنظّم فيه حملات التضامن الشعبي مع الثورة الجزائرية، ومن الذين كان لهم نشاط كبير في هذا المجال الطلبة: عبد القادر بن قاسي- يوسف فتح الله

PDF Compressor Free Version

- بشير كسيس...، وكان مقر الرابطة في النادي أين كان على اتصال بروابط الطلبة الجزائريين في المشرق العربي...[1]

وعن موقف الطالب الجزائري في المهجر من الثورة الجزائرية ومن القضية الجزائرية عموما تحدث الطالب سعد الله أبو القاسم قائلا: «إن الطالب الجزائري... في الوطن العربي قد ساهم مساهمة إيجابية في سبيل دفع الثورة إلى القمة وفي سبيل بناء الجزائر بناءَ ثوريًا منتجًا، والطالب الجزائري اليوم أحد الرجلين فهو إما يخوض المعركة الوطنية والسياسية والعسكرية، وإما جندي احتياطي ينتظر الإشارة بين الحين والآخر، ولذلك فنحن الطلبة نعلن بكل تواضع وتقدير لمسؤولينا أننا نعتبر أنفسنا تحت السلاح، وإننا لن نتخلى عن أداء رسالتنا المقدسة التي يطلبها منا وطننا المناضل...»[2]، وختامًا لقد كان نشاط الطلبة الجزائريين في الخارج مكثفًا وعلى مستويات مختلفة[3].

وارتفع عدد الطلبة الجزائريين في العالم خلال هذه الفترة حوالي 1200 طالب موزعين كالتالي: 560 طالب في تونس، 100 طالب في مراكش و100 طالب في مصر و65 طالب في سوريا و65 طالب في بغداد، و30 طالب في الكويت، إلى جانب أعداد أخرى في الأردن وروسيا وبلدان

1- جربال، جيش التحرير، ص. 163

2- نفسه، ص. 232

3- المجاهد، ع 54، الجزائر: 1959/11/1 م.

PDF Compressor Free Version

أوروبا الشرقية[1] ولكي يبرز الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين تمسكه بالوحدة المغاربية عقد الاتحادين الطلابيين: التونسي- والمغربي مؤتمرا ثلاثيا خلال الفترة من يوم(20 إلى 23 أوت 1958م)، انبثق عن ميلاد اتحاد مشترك دعا إلى التعجيل بوحدة شعوب المغرب العربي الثلاثة[2].

لقد خطا الطلبة الجزائريون خطوة عملاقة في ميدان الكفاح والنضال داخل الجزائر وخارجها وشقّوا طريقهم إلى الأمام وسط صعوبات ومشاكل لا تحصى استلزمتها ظروف بلادهم وثورة شعبهم وتمكّن الاتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين من أن يفرض شخصيته ومركزه على كل الاتحادات الطلابية العالمية الشرقية والغربية والعربية وقدّم خدمات جليلة للثورة الجزائرية.

3. النشاط المهجري الطلابي خلال الفترة 1940-1962

عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية تأسّس في فرنسا وتحت رعاية عضوين من حزب الشعب الجزائري وهما (سي الجيلاني[3]- عمار خيذر)، "اتحاد عمال شمال إفريقيا" وقد ضمّ الاتحاد حوالي 3000 منخرط من التونسيين والجزائريين والمراكشيين، وعلى ما يبدو أنه كان استمرارا

1- المجاهد، ع 53، الجزائر: 12/8/ 1958م.

2- بوعزيز (يحي)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر: د.م.ج، 1999م، ص. 263

3- قالت عنه الشرطة الفرنسية سنة 1943م بأنه كان يلعب ورقة ألمانيا لانتصار طروحات نجم شمال إفريقيا.

PDF Compressor Free Version

للاتحاد الوطني لمسلمي شمال إفريقيا، والأكيد أنه ضمّ الكثير من المناضلين السابقين بحزب الشعب الجزائري ومنهم عبد الرحمان ياسين (تونس)[1]، والملاحظة أن الاتحاد ربط صلته بهيئة أخرى مغاربية ظهرت بإيطاليا وباريس وبرلين هي مكتب المغرب العربي.

وهناك شخصية جزائرية مغمورة عملت على خلق التواصل القومي والوحدوي الذي انشلّ جزئيًا بسبب سياسة التسلط والقمع الفرنسيين عشية الحرب هي شخصية "محمد الماضي الجزائري" الذي استقال من الجيش الفرنسي سنة 1936م بتهمة الانتماء إلى منظمة سرية يمينية متطرفة حيث حُكم عليه بالسجن لمدة ثمانية أشهر ونصف، ذلك أنه كان يبحث عن تأييد الألمان، لتضغط هذه الأخيرة على فرنسا حتى تتنازل عن مستعمراتها وتمنح الاستقلال لسكان المغرب العربي، ونشط محمد الماضي أولا في اللجنة السرية للعمل الثوري "la cagoule" في 10 أفريل 1941م، ثم أسّس الماضي "لجنة إفريقيا الشمالية"، التي كانت بداية لإنشاء حزب إشتراكي لشمال إفريقيا، بعدها أصبح يسيّر لجنة التجمّع الوطنية الخاصة بالشمال أفارقة، المتفرعة عن الحركة الاشتراكية الثورية

1- Ageron(Ch.R),"Contribution à l'étude de la propagande Allemande au Maghreb Pendant la Deuxième Guerre Mondiale", R.H.M, n°(7-8), Tunis, Mois Janvier 1977, P .24

PDF Compressor Free Version

(M. S.R) حيث كان للجنة المذكورة فروع بتونس يشترك في تسييرها تونسيون وجزائريون.[1]

وبعد جوان 1941م أسّس حركة باسم "اللجنة الإسلامية لشمال إفريقيا" والتي أظهرت ميولا نحو ألمانيا الوطنية الاشتراكية وكان من أعضائها بعض الجزائريين منهم: الآغا سي حمو السعيد وفضيل سي العربي وحسني الأحمق وعمار نارون وأصدر الماضي إلى غاية 1944م جريدة حملت اسم "الرشيد" وكانت ذات اتجاه مغاربي مع ميول ألمانية، وكانت الجريدة تُصدر في (30000) نسخة(جانفي1941م) وتوزّع في تونس والجزائر أيضا كما أسّس ناديا للدراسات الشمال إفريقية[2]، ومع نهاية سنة 1938م أنشئت جمعية ببنغازي سميت لجنة الدفاع عن أهالي إفريقيا الشمالية بـ"ليبيا"، كان على رأسها السيد"محمد الويشي" [يبدو أنه ليبي]، وضمّت نخبة من المواطنين من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى.[3]

وخلال الحرب العالمية الثانية تشكّل ببرلين مكتب المغرب العربي وكان أول من انظم إليه من الطلبة الجزائريين "إسماعيل الخضراوي"، تحدّث عنه يوسف الرويسي قائلا: «تعرّفنا عليه بواسطة المفتي الحاج أمين الحسيني الذي كانت له معه قصة طريفة حكاها لنا شخصيًا قال:

1- سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص. 208

2 - Ageron , "Contriubtion à l'étude, R.H.M, N°(7 -8), P .26

3- بلقاسم (محمد)، الاتجاه الوحدوي، ص. 269

PDF Compressor Free Version

ذات يـوم أعلَمنـي مصـطفى الوكيـل سـكرتيري الخـاص أن شـابًا جزائريًـا يطلب مقابلته فظن أنه في حاجة إلى مساعدة مالية فأمر له بـ 400 مـارك مع الاعتذار بعدم إمكانيـة المقابلـة في الوقـت الحـاضر بسـبب مشـاغله فاعتذر الشاب الجزائري عن قبولها، فظنّ المفتي أن المقدار قليـل فرفعـه إلى 600 مارك، فاعتذر مرة ثانية عن قبول الإعانة وقال الوكيل أنا ما أتيت لطلب الإعانة، أنا جئت لمقابلة المفتي شخصـيًا لأقـدّم لـه مـا جمعتـه أنـا وبعض إخواني من العمال، واقتصدناه من أجورنا مسـاهمة منـا في قضـية فلسطين، قال المفتي: فتأثّرت بالغ التـأثّر واسـتقبلته للحـين واعتـذرت لـه عن قبول الإعانة وأن يدّخروها لأنفسهم، فهم إليها أحوَجْ، فـألح قـائلاً: لا تحرمْنا من شرف المساهمة في قضية فلسطين، قال: فقبلتها منه وفي أثنـاء الحديث معه سألته أين تعلّـم العربيـة ؟ قـال ففهـم مـرادي واغرورقـت عينـاه بالـدموع، وقـال لي يـا صـاحب السـماحة نحـن الجزائـريين الـذين عنَاهم شوقي بقوله :

بلابل الله لم تخرس ولا ولدت *** خرس ولكن بوم الشؤم رباها

قال: ومنذ ذلك الحين يأتي إسماعيل الخضراوي لمقابلتي كل أسبوع وعلمت منه أشياء كثيرة خصوصًا ما يتعلق بتربية أبناء الجزائريين في فرنسا قال: فبادرتُ بإرسال إعانات مالية لمندوب جمعية العلماء في

باريس لنتفق على تعليم الجزائريين في فرنسا اللغة العربية والمبادئ الإسلامية.[1]

PDF Compressor Free Version

وبعد الحرب الثانية استمر النضال الطلابي المغاربي في أوروبا متضامنًا ففي سنة 1947م، سافر محمد المصمودي بصحبة الدكتور شوقي مصطفاي إلى إيطاليا للاتصال بالطلبة العرب هناك وقد وجدوا تجاوبًا من الطلبة الليبيين الذين يزاولون دراستهم بإيطاليا واجتمعوا هنالك بعبد اللطيف الكخيا الذي أسّس جمعية في روما للتعريف بقضايا المغرب العربي وحقيقة الاستعمار الفرنسي، واستمرّ هذا العمل في الخارج إلى غاية 1956م.[2]

وكانت الجمعيات الطلابية الإطار الوحيد الذي انصبّت فيه الحياة الطلابية اجتماعيًا وسياسيًا وقد تجاوزَت الإطار المحلي بالنسبة للطلبة الجزائريين لتشتمل أقطار المغرب العربي الثلاث ولكن بصفة سطحية تكاد التشكيلات أن تتغلب عليها، لأن الطلبة الجزائريين كانوا يؤسسون تقريبًا في كل جامعة من الجامعات الفرنسية، جمعية خاصة بهم مستقلة عن (جمعية ط.ش.أ.م) التي كان مقرها باريس، أو جمعيات تابعة لهذه

1- الرويسي يوسف، "نشاط مكتب المغرب العربي ببرلين" أكتوبر 1943- مارس1945"، م.ت.م، ع (7- 8) تونس: جانفي1977م، ص. ص. 23-24

2- الطاهر عبد الله، المرجع السابق ، ص. 216

PDF Compressor Free Version

الجمعية الأخيرة تعتبر فروعا لها، وفي هذا الإطار انحصرت الحياة الطلابية الجزائرية اجتماعيًا وسياسيًا حوالي أربع عقود من الزمن.

وفي الخمسينات من القرن الماضي سعى الطلاب المغاربة (جزائريون- تونسيون- مغاربة) لإيجاد إطار وحدوي لعملهم السياسي والاجتماعي وذلك بتأسيس منظمة طلابية مغربية واحدة، تجمع شمل طلاب أقطار المغرب الثلاثة، ولكن باءت هذه المحاولة بالفشل في سنة 1953م بسبب ابتعاد الطلبة التونسيين «ومن هنا انبثقت لدي الطلاب الجزائريين فكرة تأسيس منظمتهم الطلابية الخاصة بهم، بحيث ظهرت إلى الوجود بعد سنة واحدة من هذا التاريخ الأخير منظمة طلابية عرفت باسم "اتحاد الطلبة الجزائريين بمدينة باريس (UEAP)، وقد أشرف على تأسيس هذه المنظمة وسيرها الحزب الشيوعي الفرنسي».[1]

لكن بعد فترة وجيزة بادرت (ج.ط.ش.م.أ) وأعضائها المقيمين في الجزائر العاصمة وبوحي من جبهة التحرير الوطنية عقد اجتماع تحضيري في باريس بين (4-7 أفريل1955م) للنظر في كيفية إنشاء منظمة طلابية جزائرية وانتهى المجتمعون إلى إعلان قيام "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين" وذلك رغم المعارضة الشديدة التي أبداها الطلبة

1- عمار هلال، نشاط الطلبة، ص. 23.

PDF Compressor Free Version

الشيوعيون في باريس وتولوز الذين رفضوا أن يشمل اسم المنظمة كلمة "مسلمون"[1]-سنتحدث عن ذلك لاحقا.

ولهذه الجهود النضالية المكثفة التي قام بها الطلبة الجزائريون بالمهجر (أوروبا) كتب الزعيم مصالي الحاج بنشرية الثمرة الثانية[2] مقالاً بعنوان: «دور الشبيبة المثقفة في تكوين الحركة الوطنية بمغربنا»[3] نوّه فيه بالدور العظيم الذي أدوّه بالمهجر في سبيل وحدة المغرب العربي وخصّ بالذكر الطلبة الجزائريون والتونسيون «وعلى ذكر الشباب المغربي (المغاربى) يجمل بي أن أعرّج على أسماء الدكتور بن سليمان، والمحامي الهادي نويرة والأستاذ البلهوان والدكتور الحبيب ثامر... الذين جاءونا يومئذ مبكرين وقاموا هم بدورهم بقيادة الحركة الوطنية بعدما ألقي على القبض في باريس...» إن هؤلاء الشبان الذين أصبحوا اليوم من أحسن قادة الحركة الوطنية التونسية كانوا قد ساهموا في ذلك الحين إلى سنة 1937م، بقسط وافر في الحركة الوطنية الجزائرية، وإني مازلت أذكر تلك الحجرة الصغيرة التي كان يقطنها الهادي نويرة والتي وضعنا فيها سويا الخطط الرئيسية للبرنامج السياسي لحزب الشعب الجزائري إن هذه

1- نفسه، ص. 24

2- نشرية أصدرتها جمعية الطلبة الجزائريون الزيتونيون بتونس.

3- الثمرة الثانية، إصدار جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيون بتونس(1947- 1948)، تونس: مطبعة التليلي، بلا تاريخ، ص.د

PDF Compressor Free Version

الذكريات المقتطفة من هنا وهناك تثبت بجلاء كم كان دور الشبيبة المغربية عظيما في تكوين حركات شمال إفريقيا الوطنية، لاسيما حينما كانت تسعى وتدأب في ظروف أقل ما يقال فيها أنها حرجة، وبفضل هذا النشاط الذي كانت عناية الله تكلؤه استطعنا أن نهدم ذلك الجدار الذي كان يحول بيننا وبين العامل في مصانع "دينو" والطالب في الجامعات.

أمّا فيما يتعلق بنشاط (ج.ط.ش.أ.م)، فقد عاد الطلاب إلى تشكيل جمعيتهم التي كانت منظمة قبل سنة 1940م، وعادوا إلى شعارهم المفضل، الوطنية المغاربية، ففي الجزائر أنتخب شوقي مصطفاي رئيسا (ج.ش.أ.م) خلال سنة 1945م، ولاحظ تقرير الجنرال الفرنسي توباد عنهم بعد حوادث 08 ماي 1945م، «أن شباب الكليات انساق في أغلبيته نحو الأفكار الوطنية، وفي أدنى الأحوال أصبح مستقلا، وذكرت تقارير فرنسية أخرى عن الطلبة في باريس خلال سنتي (1946-1947)م أن طلبة شمال إفريقيا تبنوا الوطنية الأكثر راديكالية..." وأن جميع هؤلاء الطلبة كانوا يتحدثون عن المغرب العربي كوطن واحد ويتمنون استقلاله أو ينادون بشبه اتحاد لبلدانه الثلاثة».[1]

وكان مركز الطلبة لا يزال بعد الحرب العالمية الثانية بشارع سان ميشال رقم 115 بباريس وكانت الألوان الوطنية لأقطار المغرب العربي

1- بلقاسم (محمد)، الاتجاه الوحدوي، ص. 354

PDF Compressor Free Version

تزينـه، وخـلال سـنتي(1945م-1946م) أقامـت الجمعيـة عـدة نشـاطات ثقافية واجتماعية، وشارك الطلبة في مـؤتمرات طلابيـة عالميـة أو فرنسـية، كما كان مقر الجمعية مسرحا لالتقاء طلبة المغرب العربي بإخوانهم طلبـة المشرق، حيث كان يدور الحديث على الحالة السياسـية بالمشرق العـربي وعن الجامعة العربية، كما تم الاعـتراف بالجمعيـة كمنظمـة وحيـدة لهـا "الحق في تمثيل طلبة شمال إفريقيا في مؤتمر مدينة "غرو نوبل" الفرنسية وهو المؤتمر التحضيري للمؤتمر العالمي للطلبة.[1]

وفي نفس السياق أرسلت الجمعية ممثلين رسميين عنها إلى مؤتمر "براغ" العالمي للطلبة، وبالمناسبة نفسها أسّست بـنفس المدينـة "جمعيـة أحباء طلبة شمال إفريقيـا"، وخـلال سـنة1946م حاولـت الجمعيـة إحيـاء سنتها القديمة وذلك بالعودة إلى مؤتمراتها السنوية، فكلّفت السيد محمـد يزيد (1923-2003)م والسيد بن اعميرة (؟) وجمال (؟) من تـونس للقيـام بالتحضير للمؤتمر الذي سيعقد بمدينة فـاس في 15 سـبتمبر1946م، غـير أن سلطات الحماية الفرنسية منعت إقامته بـالمغرب الأقصى فـأقيم المـؤتمر بمدينة باريس (مارس-أفريل) 1947م، حضره 60 طالبا مغاربيا بفرنسا و09 طلبة من المغرب العربي منهم طلبة مثّلوا جامع الزيتونة لأول مرة، واهتم

1- رمضان عبد المجيد، ثوار الجزائر، الجزائر: دار نزهة الألباب، 2004 م، ص. 58

المؤتمر بدراسة مشاكل الشبيبة الشمال إفريقية، والتنظيم المستمر للجمعية مع ربط الصلات بالعالم العربي.[1]

PDF Compressor Free Version

وبمناسبة منع عقد مؤتمر طلبة شمال إفريقيا بالمغرب احتجت جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية عن هذا التصرف وأرسل نائب رئيسها الفضيل الورتيلاني برقية تنديد إلى رئيس الحكومة الفرنسية (جورج بيدو)، أذاعت شركة "لوتر" يوم 15 أكتوبر1946م البرقية الآتية : «كانت (ج.ط.ش.ا.م) قد عقدت النية على أن تقيم مؤتمرها السنوي في هذا العام بمدينة رباط الفتح وهيأت له كل العدة، وفي آخر لحظة أبلغها المقيم العام الفرنسي بمراكش "بلاغ منع" يحظر عليها عقد هذا المؤتمر، دون أن يوضح لها الأسباب، وجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية بمصر، تستنكر هذا العمل التعسفي وتحتج عليه أشد الاحتجاج وتعده مخالفا لمقتضيات الديمقراطية الأولية التي تنادون بها.[2]

وليست لدينا الآن معلومات كافية عن قرارات مؤتمر ربيع 1947م ونشاطات جمعية الطلبة في المغرب العربي ككل إلى غاية سنة 1950م، اللهم إلا شذرات عن جمعية الجزائر التي لوحظ عن طلابها أنهم دخلوا الحملات الانتخابية للأحزاب فيما بين سنتي (1946-1949)م، ويبدو أن

1- بلقاسم (محمد)، الاتجاه الوحدوي، ص. ص. 355 – 356

2- الورتيلاني، المصدر السابق، ص. 365

PDF Compressor Free Version

الطلبة المغاربة قد تعرضوا إلى القمع والمتابعة من قبل السلطات الفرنسية إضافة إلى أن الجمعية قد دخلت في منافسات مع جمعيات طلابية فرنسية كانت هذه الأخيرة خاضعة لعدّة إيديولجيات، وكانت تريد السيطرة والنفوذ على الطلبة المغاربة وعلى الجمعية، كما أن الطلبة كانوا خلال نفس الفترة ينتمون إلى أحزاب أقطارهم، فقد ذكر محمد حربي أن طلبة الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية وكانوا يحتكرون جمعية الطلبة نتيجة تحالف الشبيبة الجزائرية وحركة الانتصار، مع حزب الدستور الجديد وحزب الاستقلال.[1]

لقد أرادت (ج.ط.ش.أ.م) بعْث نشاطها المغاربي خلال سنة 1950م، فقد أسّست فرعا لها بمدينة بوردو الفرنسية (جانفي 1950م)، وهو الفرع الذي نظّم اجتماعا عامًا له يوم 25 جانفي لإحياء ذكرى مرور أربعين يومًا على وفاة شهداء المغرب العربي الثلاثة: علي الحمامي، الحبيب ثامر، امحمد بن عبود، كما أجرت الجمعية تحضيرات تمهيدية لعقد مؤتمر الطلبة بتونس الذي جرت أشغاله من 15 إلى 22 سبتمبر 1950م وهو من أهم المؤتمرات بالنظر إلى ما تضمّنه من تقارير نهائية عن أهداف الحياة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وآفاق مستقبل

1 – HARBI (M), Aux Origines du Front de Liberation Notional: le scission du P.P.A – M.T.L.D, Paris: Christian Bourgeois , 1975. P .175

PDF Compressor Free Version

المغرب العربي، ولقد نصّت تقاريرها على عدّة مطالب حول الثقافة الشعبية وأخرى خاصّة بكل قطر، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية لكل بلدان المغرب العربي إضافة إلى توحيد مناهج وبرامج التعليم في كل المنطقة مع إجباريته ومجانيته[1]، ورغم أننا لا نملك الآن معلومات كافية عن الطلبة الذين شاركوا في المؤتمر ولا عن إيديولوجيتهم إلاّ أنّه يبدو من الواضح من خلال قراراتهم أنهم كانوا مؤمنين بوحدة المغرب العربي ومقتنعين بأفكار القومية العربية والجامعة العربية ومن ثمّ فإن المؤتمر لم يكن مؤتمرا طلابيا بل كان مؤتمرا ذا أبعاد سياسية، لقد أختُتم في جو جماهيري "منقطع النظير"، بملعب"جو أندري"(Geo.Andre') في تونس بحضور10000 مواطن تحت إشراف باي تونس (محمد الأمين باشا)، وخلال هذا الحفل تحمّس الشباب ونادوا بوجوب السعي للاستقلال التام الناجز الذي لا تشوبه شائبة للمغرب العربي.

وذكر برفيبى عن مؤتمر تونس أنه أنتخب بناءَ على توصيات مؤتمر 1947م أمانة دائمة مكلفة بتحضير مؤتمر استشاري للاتحاد المغاربي للطلبة المسلمين U.M.E.M، على أن يكون هذا الاتحاد مقسّما إلى ثلاث فيدراليات وطنية غير أن الأمانة لم تتمكن من الاجتماع في تونس سنة

1- بلقاسم محمد، الاتجاه الوحدوي، ص. 358

PDF Compressor Free Version

1952م[1] فعقدت ندوة في الجزائر العاصمة أشرف عليها حزب الشعب الجزائري، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في 07/23/ 1952م حرّر خلالها الحاضرون "دستور الاتحاد"، وبموجبه انصهرت جميع الجمعيات الطلابية المغاربية بما في ذلك جمعية مدينة تولوز، وجمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة والقرويين وتلاميذ الثانويات والمدارس الجزائرية في ا لاتحاد، وأصبح رئيسًا له السيد محمد أمير من الجزائر، كان الهدف من المؤتمر الاستشاري-الذي عوّض بالندوة- هو إنشاء اتحاديات وطنية في الجزائر والمغرب الأقصى وتونس على أمل تكوين اتحاد يضم الاتحاديات الثلاث على مستوى المغرب العربي، لكن الطلاب التونسيون عندما رأوا أن بلادهم قد دخلت منذ بداية جانفي 1952م في مرحلة نضالها من أجل الاستقلال تكتّلوا فيما بينهم وأسّسوا في جويلية 1953م الاتحاد العام للطلبة التونسيين وعقدوا مؤتمرًا خاصًا بهم بمركز جمعية طلبة إفريقيا المسلمين بباريس، وهو الأمر الذي دفع بالطالب "بلعيد عبد السلام"*، إلى الدعوة في شهر ديسمبر 1953م إلى تأسيس اتحاد طلابي خاص بالمسلمين الجزائريين أيضًا وكان قد سبقه إلى هذه الدعوة السيد عبد الحميد مهري خلال ندوة 1952م، بحجّة أنّ الطلبة الدستوريين (تونس) والاستقلاليين(المغرب) لا يريدون النضال الموحّد، غير أنّ دعوة مهري

1- نفسه، ص. 361

PDF Compressor Free Version

رُفضت[1] واستطاع بلعيد عبد السلام أن يكسب أنصاراً من الطلاب لدعوته، منهم أحمد طالب الإبراهيمي (جمعية العلماء) والعياشي ياكر(حزب البيان)، وهؤلاء وغيرهم هم الذين أسّسوا الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين والذي ظهر خلال الثورة[2]، إنّ هذه الجمعية المغاربية الطلابية التي تأسّست بفرنسا سنة 1927م في الوسط الطلابي المغاربي بفرنسا تبنّت مبدأ توزيع المسؤولية التسييرية بالتساوي بين طلبة البلدان الثلاثة؛ حيث أصبح يمثّل كل بلد في مجلسها الإداري ثلاثة طلبة وتكون الرئاسة بالتداول وحتّى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بقي الطلبة الجزائريون لما لهم من أهمية من حيث النشاط والحركية

---

1 – HARBI , Aux Origines. P. 90

* **بلعيد عبد السلام** 1928: ولد بعين الكبيرة سطيف، درس بمسقط رأسه، وعقب أحداث 8 ماي 1945 ألقي عليه القبض، وحكم عليه بأربع سنوات قضى منها سنة واحدة فقط ثم التحق بكلية الطب ثم الاقتصاد بجامعة الجزائر عام 1950م وهناك انخرط في صفوف الحركة الطلابية الوطنية، التي أصبح من قادتها، حيث ترأس (ج.ط.ش.أ.م) خلال 1951–152 م ولعب دورا رئيسيا في تأسيس الاتحاد العام للطلبة الجزائريين في جويلية 1955م، وفي عام 1954 م التحق بجامعة باريس ومن هذا الموقع ساهم في تأسيس الاتحاد وفي شن إضراب 19 ماي 1956م، عاد إلى الجزائر والتحق بالولاية الخامسة ليفر منها إلى المغرب ويعمل مذيعا في إذاعة الثورة في ضواحي وجدة، بعد مؤتمر طنجة أفريل 1958م التحق بالقاهرة مساعدا لعبد الحميد مهري، مكلفا بملف تكوين الطلبة بالخارج، وبعد الاستقلال شغل عدة مناصب وزارية كانت آخرها رئيسا للحكومة 1992 – 1993 م، أنظر، عباس : نداء الحق، ص. ص. 75–76

2 – Ibid.

يتحكمـــون في تســـيير الجمعيـــة وفي انتخـــاب ممـــثلي المجلـــس الإداري للجمعية.[1]

PDF Compressor Free Version

من جهة أخرى كان محور الخطاب الطلابي لهـذه الجمعيـة يتركـز حول التعلـيم سـواء منـه العصري أو التقليـدي، ويكفـي في هـذا الإطـار العودة إلى جدول أعمال المؤتمر الذي انعقد في باريس فيما بين 31 مـارس و03 أفريل 1947م إذ درس ما يتعلّق في مختلف مراحل التعليم من ابتدائي وثانوي وعال وصناعي، كـما درس مسـألة تعلـيم البنـات وتـدريس اللغـة العربية بالإضافة إلى دراسة الحالة المادية للطلبة[2] وبنفس السـياق جـاءت أعمال المؤتمر الحادي عشر الذي انعقد في تونس فيما بين 15 و22 سـبتمبر 1950م.

والحقيقة أنّ الجمعية لم تنقطع عـن التقاليـد التـي سـارت عليهـا خلال الثلاثينات حيث كانت تنظّم الندوات السياسـية وتسـتقبل الـزعماء الوطنيين للبلدان المغاربية، وكانت منذ ظهورهـا سـنة 1927م وإلى مطلـع الخمسـينات أهـم جمعيـة طلابيـة تتجـه إلى عمـوم الطلبـة المغـاربيين الدارسين بفرنسا، ولم ينجح تأسيس بعض الجمعيات الطلابية الأخرى التي بدت وكأنّها منافسة لها في الحدّ من تأثيرها وإشعاعها والحقيقة أنّه خلال

---

1 – Harbi(M), Une Vie Debout, Mémoires Politiques, T1, 1945–1962, Alger: 1ère Ed, CASBAH, 2001, P .100

2 – للتوسع طالع:" مؤتمر شمال إفريقيا المسلمين"، المباحث، ع26، مارس 1947م.

PDF Compressor Free Version

الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية لم تبلغ الجمعية من حيث إشعاعها ما بلغته طيلة الثلاثينات، بل أن الأمر وصل إلى الدعوة إلى بعث جمعيات وطنية وهو ما قد يدل على الرغبة في إيجاد هيكلة جديدة لتأطير الساحة الطلابية.

فقد دعا مؤتمر (ج.ط.ش.أ.م)، نفسه المنعقد في سبتمبر 1950م بتونس إلى تأسيس الاتحاد المغاربي للطلبة المسلمين، يتكوّن من ثلاث جمعيات طلابية وطنية، وقد سبق هذه الدعوة في باريس محاولات طلبة الحزب الشيوعي الجزائري،[1] حيث ظهر منذ سنة 1950م اتحاد الطلاب المغاربة بفرنسا وبالتالي فإن العمل المغاربي المشترك على المستوى الطلابي يبدو أنه تراجع مع مطلع الخمسينات لصالح العمل في إطار وطني دون أن يعني ذلك تجاوز جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين التي استمر وجودها إلى ما بعد الأزمة الهيكلية التي تردّى فيها الاتحاد.

وفي افتتاح مؤتمر الاتحاد العام للطلبة التونسيين في صائفة 1955م ألقى الجزائري محمد أمير عيسى-*، رئيس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين خطاباً ذكّر فيه بالدور الذي لعبته جمعيته في توحيد طلبة شمال إفريقيا «..لا تجهلون (كذا) ما لجمعية طلبة شمال إفريقيا من فضل في ربط وتمتين العلاقات بين طلاب تونس والجزائر ومراكش»

1 – Guy , Op.Cit , P.P. 111-112

PDF Compressor Free Version

وأضاف في نفس السياق « إن (ج.ط.ش.أم) التي تضم غالبية طلبة المغرب العربي، الذين يزاولون تعليمهم بفرنسا شاعرة بواجبها في توحيد هؤلاء الطلبة، لما لهم من إحساس قومي وروابط دينية وتاريخية ولغوية، وهو ما يعني أنه يدافع عن وجودها حتى بعد أن بعثت اتحادات طلابية وطنية، فأي دور يمكن أن تقوم به الجمعية المغاربية بعد ذلك ؟». وقد تساءل أمير نفسه « هل أنّ تكوين هذه الاتحادات سيعطّل نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين ؟»، غير أنه اكتفى في إجابته بالقول أن الاتحاد العام للطلبة التونسيين كان في الأفكار سنة 1918م، عام تكوين اتحاد طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالجزائر وهو ما يعني أن ذلك لم يمنع من تأسيس (ج.ط.ش.أ.م) سنة 1927م كما لم يحلْ دون الدور الهام الذي قامت به طيلة الثلاثينات وما بعدها في تأطير طلبة البلدان الثلاثة الدارسين بفرنسا.[1]

فالجمعية خلال هذه الفترة ووفاءَ منها لخطها النضالي كانت منشغلة بمسألة استقلال المغرب العربي، فقد طالبت في مؤتمرها (11) المنعقد بتونس في سبتمبر 1950م بالاستقلال التام، وبقي هذا المطلب على رأس أولوياتها، إلى أن حصلت كل من تونس والمغرب على استقلالهما، ثم

1- الاتحاد العام لطلبة تونس، المؤتمر القومي الثالث 1955م تونس: مطبعة نشريات حسان مزالي، د.ت، ص. ص. 46-47

PDF Compressor Free Version

تركّز اهتمامهما على متابعة مضاعفات حرب التحرير الجزائرية على الطلبة الجزائريين، حيث تكثّفت عمليات المطاردة والاعتقال ضدهم في النصف الثاني من الخمسينات إلى سنة 1961م [1]، كل ذلك شغل الجمعية عن طرح مسألة مستقبلها في ظل ظهور اتحادات وطنية، وكذا عن التعامل مع الواقع الجديد الذي شهد اتساعًا متزايدًا في القاعدة الطلابية من جهة وبعث مؤسسات جامعية وطنية تستوعب أعدادًا متنامية من الدفعات الجديدة من الطلبة من جهة ثانية[2]، ومن خلال تتبعنا لمسار وتطور(ج.ط.ش.أ.م)خلال مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية لفتت

1- من ذلك مثلا أنه خلال شهري ديسمبر 1958م وجانفي 1959م وقع إلقاء القبض على ثلاثين طالبا جزائريا يدرس بفرنسا ثلاثة عشر منهم بباريس .

2- ضيف الله (محمد)، المدرج والكرسي، تونس: مكتبة علاء الدين، 2003م، ص. 117

* - **محمد أمير بن عيسى**«1926 .1990»: ولد بسيدي بلعباس في 10/8/ 1926م ونشأ نشأة وطنية تأثرا بمحيطه العائلي. انخرط في سلك الكشافة سنة1940م، كما شارك في تأسيس نادي الشبيبة الأدبية الإسلامية، تحصل على البكالوريا عام 1947م، وحاول الالتحاق بمدرسة عسكرية تقنية فرفض طلبه لاشتراط التجنس، التحق بالحركة الوطنية سنة1947م ولعب دورا رياديا في الوسط الطلابي المغاربي بباريس حيث ترأس الفرع الجامعي للطلبة الوطنيين وكذلك (ج.ط. ش. أ. م) بفرنسا، ساهم في تأسيس مجلة "مغرب الطالب" عام 1955م، عيّن عضوا في أول اتحادية لجبهة التحرير بفرنسا... في ماي 1956م كلفته الجبهة بدعوة الحاج مصالي إلى الالتحاق بها في القاهرة، وبعد حادثة اختطاف الطائرة فضّل الهروب إلى= =المغرب تجنبا لاعتقاله وحبسه بفرنسا، التحق عام 1958م بجيش التحرير حيث تقلد مسؤوليات في القطاع الصحي بصفته طبيبا مختصا في أمراض القلب، وبعد الاستقلال تقلّد عدة مناصب سامية توفي في 1990/12/25م.

- للتوسع راجع، عباس محمد، نداء الحق، ص. ص. 54 -55

PDF Compressor Free Version

انتباهنا شخصية الطالب الجزائري محمد أمير بن عيسى الذي أعطى بحيويته واتساع علاقاته دفعة قوية لحركة الجمعية.

استهل الطالب محمد أمير الدراسة والنضال الطلابي بباريس بدون منحة وكان والده هو الذي ينفق عليه مبلغ خمسة آلاف فرنك شهريا، يدفع خمسها في الإيجار، وبعد السنة التحضيرية التي كانت سنة تأقْلم مع الحياة الجامعية وأجواء باريس السوداء دخل الطالب الجديد ميدان النضال الطلابي من بابه الواسع فقد أنتخب خلال الموسم (1948-1949)م في الهيئة التنفيذية لجمعية الطلبة المسلمين بفرنسا، هذه الجمعية التي ترأسها أربع مرات وكان محل إجماع الطلبة الأشقاء من تونس والمغرب بالإضافة إلى الجمعية ترأس محمد أمير الفرع الجامعي للطلبة الوطنيين وذلك إلى غاية 1955م.[1]

في أواخر سنة 1951م شهدت باريس تجمعات ومظاهرات عربية بمناسبة استقلال ليبيا واجتماع الجامعة العربية بالعاصمة الفرنسية على هامش دور الجمعية العامة للامم المتحدة، وفي هذا الجو الحماسي أوصى حزب الشعب الطلبة الجزائريين المتخرجين بالذهاب إلى ليبيا لمساعدة هذا البلد الشقيق في بناء نفسه ودعم استقلاله.

1- عباس (محمد)، نداء الحق، ص. 59

PDF Compressor Free Version

وشهدت تونس في تلك الأثناء اصطدامات عنيفة ذهب ضحيتها أكثر من 10 طلبة من جامع الزيتونة وتضامنا مع هؤلاء الضحايا نظمت (ج.ط.ش.أ.م) يوم احتجاج مشفوع بإضراب عن الدروس والطعام وتخللته تجمعات ومسيرات، وقد احتضن مقر الجمعية بـ (115 شارع سان ميشال) تجمعًا هامًا حضرته وفود من الطلبة العرب والأفارقة والأسيويين، وكان من الطبيعي أن يثير هذا النجاح حفيظة الشرطة الفرنسية فأوعزت إلى القضاء بتلفيق حوالي 14 تهمة ألصقت كلّها بالطالب محمد أمير باعتباره رئيس الجمعية، ومن هذه التهم المشاركة في مؤامرة الزيتونة بتحريض الطلبة في تونس والمشاركة في مؤامرة تيزي وزو، ولحسن حظ المتهم أنه لم يسبق له أن زار المدينتين وجاءت الوزارة بمنشور وزّع عند مدخل الجمعية يتضمن تصريحات محظورة في رأيها نقلاً عن كلمة رئيس الجمعية في التجمع المذكور فاعترف الطالب أمير بأنّ ما في المنشور من كلامه فعلاً وهذا الكلام سبق أن عُلق داخل الحرم الجامعي لكنه لم يكتبه ولم ينشره ولا يستبعد أن يكون كلامه قد وَجد أناس طيبين اجتهدوا في طبعه وتوزيعه[1]، وبفضل هذه الحجّة التي أشار بها عليه محاموا حزب الشعب نجا رئيس الجمعية من قبضة الشرطة والسجون.

1- نفسه، ص. 60

PDF Compressor Free Version

وفي جويليـة 1952م عقـدت بـالجزائر نـدوة للطلبـة المناضـلين لدراسات الوضع على ضوء نزوع الطلبة التونسيين والمراكشيين إلى تأسيس تنظيمات قطرية مستقلة وصادف النـدوة إقـدام حركـة الضـباط الأحـرار بمصر على الإطاحة بالملك فاروق ويقول الدكتور أمير:« أن الندوة خرجـت بفكرة منظمة جديدة باسم الاتحـاد الإسـلامي للطلبـة المغاربـة والسر ـ في تكوينه أن الطلبة التونسيين والمراكشيين مقبلون على المشاركة في أحـداث جسام ببلديهما، وليس مستبعدًا أن تلجـأ إدارة الاحـتلال هنـا وهنـاك إلى حلّ وحضْر التنظـيم الطـلابي، وفي هـذه الحـال يمكـن أن يجـد في الاتحـاد الإسلامي برئاسة الطالب محمد أمير ملجأً ووسيلةً لمواصلة النضال، ولكـنّ التنظيم المغربي الجديد لم يجدْ التجاوب من الطلبـة التونسـيين والمغاربـة الذين كانوا مشغولين بأوضاعهم الخاصة،الأمر الذي أغضب رئيس الإتحاد بعـض الشيـء لأنـه وجـد مـن أجلـه»، وفي نفـس الوقـت أخـذ الطلبـة الجزائريون يفكرون بأنـه حـان الوقـت لـدمج جمعيـة الطلبـة المسـلمين المغاربة بالجزائر وفرنسا في تنظيم واحد ونظـرًا لعوامـل كثـيرة لم تتجسّـد هذه الفكرة إلا في جويلية 1955م لتأسيس "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين".

ظل الطالب محمد أمير بن عيسى يناضـل عـلى جبهـات مختلفـة عندما بادر الحزب الشيوعي الفرنسي بمحاولة تنظيم الطلبة الجزائريين في

PDF Compressor Free Version

"اتحاد الطلبة الجزائريين بباريس" سنة 1954م، كان أمير من الطلبة الوطنيين المتسللين في صفوفه وقيادييه إلى جانب أنه لم يتوقف عن النضال في صفوف الاتحاد الإسلامي للطلبة المغاربة، وفي هذا الإطار أسّس الطالب محمد أمير مجلة "مغرب الطالب" التي صدر منها عددا (أفريل-ماي-جوان 1955م)، وقد نُشر في العدد الثاني من المجلة مقال كتبه صديقه الأديب فرنسوا مورياك عضو الأكاديمية الفرنسية بعنوان: "آخر رمضان" وكان المناضل محمد أمير قد وجّه دعوة إلى مورياك وماسينيون وروبيربارا لتناول فطور عشية عيد الفطر يوم 22ماي 1955م معه وبعض زملائه واستغلال ذلك الظرف الإنساني ومحاولة تحسيس هذه الشخصيات الكبيرة المتواضعة بالقضية الجزائرية وخلفياتها [1]، هذا النشاط السياسي العلني بحكم منصبه كرئيس لـ(ج.ط.ش.أ.م) كان يواكبه نشاط سري نظرًا لانتماء الدكتور محمد أمير إلى أول قيادة لاتحاد اتحادية الجبهة الفرنسية، وكان هذا النشاط يتمثل في إرسال التقارير بانتظام إلى جماعة القاهرة.

1- نفسه، ص. ص. 63- 64

PDF Compressor Free Version

الخـــاتمـــة:

إن التواصل بين المشرق والمغرب الإسلاميين لم ينقطع عبر مختلف عصور التاريخ فالوحدة الجغرافية واللغة والصلات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية الأخرى إضافة إلى عمق الصلات الفكرية الموغلة في أعماق التاريخ كلها عوامل ساعدت على تقارب الشعبين إلى بعضهما، وفي العديد من الفترات التاريخية يشكل الجناحان وحدة تارة في شكلها الكلي وتارة في شكلها الجزئي، بيد أن الهجرة المكثفة التي تمت خلال القرنين (19م–20م) بينهما شكّلت حدثًا بارزًا ومُهمًا في تاريخ المنطقة، ونتج عن هذا التمازج التاريخي وعن ذلك التجانس الجغرافي وحدة ثقافية أصيلة طبعت المجتمعين من أقدم عصورهما، فتقاربت ألسنتها ولهجاتهما وتوحّدت معتقداتهما وتناسقت بينهما أساليب العيش ومظاهر السعي وخصائص الذوق.

لقد كان الشرق كما جسَده المثقف الجزائري في أذهان المواطنين مهد الحضارة وحرم العروبة ومهبط الوحي ومن ثمة فهو حلم الخلاص، وطريق الوحدة الشاملة، وكان التقاء المشاعر العربية على قضية واحدة في العصور التي ساد فيها الجمود واستولى فيها الأجانب على مقاليد الأمة العربية هو المظهر البارز للعروبة التي عاشت في كيان أمتنا جذوة وهاجة رغم المكائد والاستعمار والحواجز، وقد وقف كثير من الكتاب

PDF Compressor Free Version

والأدباء الجزائريين يدعون الشعب، ويوجهون الشباب إلى الشرق لينهل من عمقه ويقتدي بزعمائه ويحفظ تراثه، وهم إذ يرسمون هذا الاتجاه لا يعنون بالشرق مصطلحه الجغرافي أو السياسي، وإنما كانوا يقصدون الشرق في مفهومه العربي أو القومي، وذلك في مقابل اتجاه آخر حاول الاستعمار أن يعزى به طبقة من شباب الجزائر المثقفين... اتجاه غربي يؤمن بالغرب في حضارته وماديته، ويعمل للغرب في يومه وغده، وبالتالي كان هذا الاتجاه يرمي إلى فصل الجزائر عن كيان الأمة العربية، وقد تصدى له أكثر من شاعر وأديب جزائري- كما رأينا- يُحذرون الشباب أن يقع في الأحبولة، أو يغتر بما في أسلوب هذا الاتجاه من بريق وخداع.

كما حاولنا بمناسبة الحديث عن هذه الشخصية الجزائرية الفذة استحضار بعض الأسباب الظاهرة والخفية لتبلور الهوية الجزائرية الإسلامية العربية الأمازيغية، وكذا محاولة الخروج بجملة النتائج والتأثيرات التي انعكست بها على الوسط الجزائري، وإن نحن لم نصل إلى استيفاء جميع المعلومات عن هذا الموضوع فلعله من الممكن أن يكون عملنا المتواضع منيراً سبيل من سيأتي بعدنا لمعالجته بشكل أعمق.

ومن القضايا التي عالجناها في الفصل الأول هو الإجابة والتفكير فيما عسى أن تكون عليه العلاقة بين القطري والقومي أي العلاقة بين الإنسية الجزائرية والشخصية الجزائرية، وبين الانتماء القومي العربي

PDF Compressor Free Version

متخذين من ذلك مدخلا تساؤليا هو: هل هناك أمة جزائرية؟ ومنصرفين إلى تحديد معنى تلك الإنسية الجزائرية، وأخيرا فقد حاولنا أن نحدد ما هو المدلول الذي يعطيه الجزائريون لعروبتهم، أي كيف يفهمونها؟ هل تتعارض مع هويتهم الوطنية؟ هل تتكامل معها؟ هل تتجاوزها؟، فاستنتجنا بعد الاستشهاد والتحليل من أنه ليس من السهل تصور فرد جزائري ينمو ويتطور في محيط ثقافي غير محيطه الأصلي، إذ كان واعيا تمام الوعي بأصالته وبجذوره العميقة الضاربة أطنابها في تاريخه العميق فقد كان يشعر دوما بأن له كيان مستقل خاص به بإيجابياته وسلبياته ففي هذا الإطار نما وتطور الجزائري إلى درجة الاعتزاز بأصوله حيث كان يروق للكثير منهم الذين تنقلوا غربا وشرقا أن يميَزوا أنفسهم في سكان البلد المضيف بتصدير أسمائهم الحقيقية بعبارة (جزائري)، زيادة في التأكيد على الانتماء والتجذّر وهي صفة قد ينفرد بها الجزائري بالنسبة لغيره من سكان المغرب العربي في العصر الحالي فكان يؤكد أصوله من خلال اسمه بعد أن يؤكده بكفاءته وقدرته الفكرية والسياسية.

أما في موضوع الهجرة، فقد كانت تونس في مقدمة الأقطار التي استقطبت جموع المهاجرين الجزائريين الفارين من الضغوطات والممارسات القهرية التي سلكها الاستعمار الفرنسي، وكان اندماجهم في المجتمع التونسي تلقائيا ودونما حواجز تذكر، ساعدهم في ذلك وحدة

PDF Compressor Free Version

الـدين واللغـة والمصـير المشـترك، مـما خلـق شريحـة جديـدة في النسـيج الاجتماعي التونسي كانت لها أدوارهـا المـؤثرة في شـتى المنـاحي الفكريـة والحضـارية...، ومـن العلامـات البـارزة في الهجـرة الجزائريـة إلى المشرـق العـربي أنهـا لم تقتصر عـلى شريحـة معينـة مـن المجتمـع لكنهـا تميـزت بالتنوع، وإن شـكّل العـمال العـاديون والفلاحـون النصـيب الأكـبر، إلا أن الهجرة شملت كذلك رجل السياسـة والفنـان والأديـب والطالـب والتـاجر والفقيه وإن اختلف هـؤلاء في مجـالات أنشـطتهم الحياتيـة والمهنيـة، إلا أنهم كانوا وحدة لا تتجـزأ أمـام قمـع السـلطات الفرنسـية، وفي الحـروب والأزمات عادة ما تنتفي الفوارق الاجتماعيـة والوظيفيـة ويصـبح الـدفاع عن الوطن هو القاسم المشترك بين أبناء الشـعب الواحـد، وتميـز النشـاط المهني والحرفي للمهاجرين الجزائريين بالتنوع، من حيـث نوعيـة النشـاط والمكان وكانت الفلاحة تمثل الصدارة بالنسبة لأنشـطتهم يليهـا العمـل في الشركات والمناجم، ثم التجارة فالصناعة فالتعليم وبعض الأعـمال الأخـرى العادية، أما من حيث الاستقرار الجغـرافي فـإن الوجـود غطـى في الأغلـب جميع الأقطار العربية مع تركز قوي في منـاطق الحجـاز والشـام ومنطقـة شمال إفريقيا، لنخلص في الأخير أن هـذه الهجـرة النوعيـة كانـت خسـارة مضاعفة، وعامل تشتت وتفرق في كيان المجتمع الجزائري والـذي لا تـزال أثاره قائمة إلى يومنا هذا.

PDF Compressor Free Version

وعموما فقد تميّز النشاط الذي قام به الجزائريون منذ مطلع القرن العشرين حتى منتصف الخمسينيات منه في جلّ مراحله بالحيوية والاندفاع والعمل الدائب، كما كان هذا النشاط متلاحقا توارثته الأقلام كما الأجيال وتفرّد كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها ومثلما ساهم في توسيع دائرة هذا النشاط نخبة من المهاجرين بأفكارهم وآرائهم فقد ساهم في تزكيته ومتابعته بحرص فلول من المهاجرين الجزائريين بأنفسهم وأموالهم وأقلامهم، وإجمالا فإن النشاط الوطني الذي بذله الجزائريون في المهجر كان أوضح مواجهة وأشد على الاستعمار من ذلك النشاط الذي بذله الأسلاف في المرحلة السابقة، كما لاحظنا أن المشاركة الجزائرية في الأجهزة العليا للهيئات والجمعيات والأحزاب والنوادي قد قلت نوعا ما في أعقاب الحرب العالمية الثانية بسبب:

- اشتغال الجزائريين بأحزابهم الوطنية مع ظهور نوع من الحرية النسبية والممارسة الشرعية في الجزائر خصوصا بعد صدور دستور 1947م.
- نشاط السلطات الفرنسية في التفريق بين تيارات المنطقة ورجالها، وفي تأكيد الهوية الجهوية والقطرية من أجل تشتيت القوى الموحدة.

وإذا كانت الجماعة الجزائرية بالمهجر أيضا ممثلة في قياداتها في الواقع بنضال مغاربي من أجل استقلال كل الشعوب المنطقة هذا النضال

PDF Compressor Free Version

المشترك وإن تجسد في مواقع مختلفة إلا أنه بقي محصورا في النخبة الوطنية المتشبعة بثقافة قومية إسلامية، ولم يتعد تأثيره إلا إلى النزر القليل من الطبقات الشعبية الدنيا، لكنه دور كنا مجبرين رغم قلة تأثيره على طرقه، وتعود أسباب ضآلة تأثير هذا النضال المشترك في الواقع – وهو المقصود- إلى أنه كان يدخل في إطار الدعاية الخارجية للدول المتصارعة، التي لم تكن تطمح إلى إقامة ثورات حقيقية في المنطقة بقدر ما كانت تطمح في أكثر من التشويش على الحلفاء وشغل جزء من جيوشهم في جبهات متسعة يفتحونها لمناوشة أعدائهم، ودون الخوض في مسألة من استفاد أكثر من الآخر، فإن مما لا شك فيه أن تحركات الوطنيين الجزائريين خصوصا والمغاربة عموما ونضالاتهم في إطار الجامعة الإسلامية لم يكن فقط بالدرجة الأولى خدمة لمصالح الدولة العثمانية وقضاياها تبعا لوطنيتهم العثمانية، وإنما كانت في إطار خدمة قضايا بلدانهم في إطار استراتيجية قوامها المراهنة على معاني الأخوة والتضامن الإسلامي الذي يحتّم نجدة المسلمين لبعضهم في تصوّر –رغم عدم واقعيته- يجعلهم متماسكين متآلفين ومدعوين إلى المسارعة بنصرة بعضهم بعضا، وهي كلها معاني جاءت الجامعة الإسلامية لتجسيدها.

إن السطور المختصرة عن طور الرحلة العلمية في اتجاه المشرق ترسم لنا الصورة الأولى من صور تطلع الجزائري منذ بداية تأسيس أولى

PDF Compressor Free Version

المراكـز العلميـة في المشرـق، إلى التفقـه في الـدين والاسـتزادة من علـوم العربية لتعميق صلاتهم بالحضارة والدين، كما ترسم لنا كـذلك مـدى مـا كان العلماء يكابـدون مـن المشـاق في سـبيل المعرفـة ومـا يواجهـون مـن الصعوبات في ظروف كانت الرحلـة العلميـة فيهـا كثـيرة المخـاطر بدائيـة الوسائل على أن هذه الظروف الصعبة والوسـائل البسـيطة قـادت هـؤلاء العلماء إلى تحقيق شتى رغباتهم وتطلعاتهم ومكنتهم بنبـوغهم وجـدهم من تأسيس عدة مراكز كانت على مرّ الفترات التاريخيـة محطـات لرجـال العلـم، الأمر الذي مكّن من ازدهار الحركة العلميـة والإصـلاحية في ربـوع الجزائر وأبقـي عـلى الوشـيجة الحضـارية التـي كانـت تشـدّ بـين الجزائـر والمشرق.

ولا شك أن طور الرحلة العلمية هو الذي ساهم في الحفـاظ عـلى ما للجزائر اليوم من تراث زاخر بأسماء الأعلام والمؤلفات وهو الذي أبقى الجذوة متقدة في نفوس الأجيال الصاعدة الذين ترسموا خطـى الآبـاء في اتجاه مـدارس ومعاهـد المشرـق. إن هـذه الهجـرات العلميـة مـا هـي في حقيقتها إلا مظهرا من مظاهر الهجرة العامة التـي شـهدتها الجزائـر منـذ احتلالها من قبل الفرنسيين سنة 1830م، ويعتبر هذا النوع مـن الهجـرات من أهمها من حيث الكيف:

DjVu Compressor Free Version

- هذه الهجرات لم تقتصر على منطقة معينة من مناطق الوطن بل شملت كل مناطقه وأنحائه بدون استثناء.

- لولا المشاكل العويصة التي اعترضت طريق المهاجرين والتي حالت بدون شك دون هجرة كثير من الطلبة الجزائريين إلى تونس وغيرها من مراكز العلم في الأقطار الإسلامية لعرفت هذه الهجرة تطورات أخطر وأهم من التطورات التي عرفتها وقد استغلت فرنسا هذه المشاكل.

- إذا كان الشعور الديني والوطني وظلم وإجحاف الاستعمار الفرنسي من العلامات المميزة لهذه الهجرة فهناك كثير من العوامل التي نفاها مؤرخو وكتاب الغرب عن هذه الهجرة خاصة منها العامل الثقافي والتعليمي اللذين كانا في نظر الجزائريين لا ينفصلان عن بقية العوامل والأسباب الأخرى التي دفعتهم إلى الهجرة.

- من النتائج المهمة لهذه الهجرة أنها في مرحلة أولى قد مكنت الجزائريين في ديار الغربة أن يتعرفوا فيما بينهم وأن يحتكوا احتكاكا مباشرا بالآخرين، وفي مرحلة ثانية برزت من بين هؤلاء نخبة مثقفة هامة استطاعت أن تجلب الأنظار إليها وأن تساهم مساهمة فعالة في الحركة العلمية والثقافية والسياسية التي عمّت تونس.

PDF Compressor Free Version

– وعلى الصعيد السياسي الذي عرفته الجزائر في العشريات من القرن العشرين، فقد ساعدت هجرة الطلبة الجزائريين وعودة الكثير، منهم إلى أرض الوطن على استعاب الكثير من الأفكار التحررية والقومية، والوطنية وغيرها من الشعارات والمبادئ التي انطلقت منها الحركة الوطنية الجزائرية.

وفيما يتعلق بالنشاط الطلابي المهجري فقد تجاوز في أغلب الأحيان واقعه الطلابي ليكتسح الساحة السياسية العامة، وذلك أن تعرضهم لضغوط الأنظمة الحاكمة ومضايقاتها كانت تدفعهم إلى توخي الطرق النقابية واتبعا أساليب الأحزاب السياسية فكانت طرق عملهم تكتسي في الغالب صبغة شبه سرية وهذا عن طريق المناشير والمعلقات والمقالات والاجتماعات والمظاهرات.

إن هذا النشاط الفيّاض كان يعكس من جهة الحالة الواقعية لنضجهم السياسي، ومن جهة أخرى نوعية وحقيقة التحوّلات التي سيشهدها المجتمع الجزائري، فالمكانة التي كان يحتلها العنصر الجزائري ضمن تلك الحركية الجماعية هي التي كانت من أهم أسباب انبعاث النهضة في كثير من أقطار الشرق، إن أنشطة المهاجرين الجزائريين السياسية والجمعوية والصحفية والنقابية والفكرية والأدبية... تحيلنا إلى تبني بعض النتائج المهمة:

PDF Compressor Free Version

▪ لقد لاحظنا حيوية الفكر الجزائري في غرب الكومولث الذي كان يصيب العالم الإسلامي والعربي حينها بسبب الهجمة الاستعمارية الأوروبية عليه، إلا أن بعض الجزائريين كانوا يتفاعلون مع أحوال عصرهم ويهتمون بأحوال إخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى وأحيانا كثيرة كانوا يسبقون ذلك العصر ببعض الأفكار المتقدة في ميداني الفكر والسياسة خصوصا.

▪ نلاحظ أن منطلقات الجزائريين كانت منطلقات ثقافية مضمرة في شخصيتهم من غير تكلف وموارية والتي هي في الأخير وعي مدرك بقضية الوحدة وإيمان يقيني بضرورة التوّحد، بل أن المنطلقات نفسها شكلت في فترة زمنية سابقة رهانا حقيقيا في مصير الجزائر، ذلك أن تصفحنا لبرامج وأهداف ومطالب التيارات الوطنية الجزائرية ينتهي بنا إلى خلاصة واحدة وهي اقتران المطلب الوطني القطري بالمطلب القومي الملي من غير تناقض بينهما.

▪ نلاحظ أن التجربة الجزائرية هذه رائدة من حيث منطلقاتها في العالمين العربي الإسلامي وهي تجربة لم يتح أن تعطى حقها من العناية والدرس، ووضعها في مكانها من نضال كل العرب والمسلمين السياسي والفكري من أجل النهوض والتحرر.

PDF Compressor Free Version

▪ رغم الوجود الاستعماري المتميز في الجزائر وطبيعته الاستيطانية وسياسته الرهيبة التي دمرت أو بالكاد جلّ مقومات الشخصية الجزائرية، إلا أننا نلاحظ كيف أن الجزائريين قد قبلوا التحدي ولعبوا دورهم وزيادة.

▪ إن الوعي السياسي الذي كان سائدا بين المهاجرين الجزائريين في المشرق كان يتلخص في كون الفكرة الرئيسية هي أن وحدة الأقطار العربية يجب أن تتحقق أولا في وحدة الكفاح المسلح ومواصلة هذا الكفاح على أن يتحقق التحرير التام للبلدان العربية، وكذلك ربط هذا الكفاح بما يجري في المشرق من نضال من أجل التحرر والوحدة، وهذا الفكر السائد ينظر إليه البعض بأن هؤلاء الطلبة كانوا من القوميين البعثيين أو الناصريين فيما بعد، والحقيقة أن كثيرا من الطلبة كانوا يشتركون في أفكار عامة ومشاعر وأهداف كانت تلتقي في ذلك الوقت مع الأفكار والأهداف التي تناضل من أجلها تنظيمات وتيارات تختلف في التفاصيل وتلتقي في التصور العام،

ولا أخال أن هناك علاقة فكرية أخرى بلغت هذا الشأو وهذه المكانة بين الجزائر والمشرق العربي فقد تمازجوا منذ القرون السحيقة ليشكلوا ملامح ومظاهر فكرية وثقافية موحدة استطاعت رغم جحافل

PDF Compressor Free Version

الغزاة والمستعمرين الذين وطأت أقدامهم هذه الربوع من الحفاظ على الجذور العربية الإسلامية الضاربة في أعماق التاريخ.

وقد خرجنا من هذه الدراسة بالنتائج وبالتوصيات التالية:

- أهمية البحث في الرجال الأعلام ودراسة مجهوداتهم الإصلاحية وتأثيراتها في تاريخ الأمة.
- أهمية إعادة قراءة حقائق التاريخ ودراستها بموضوعية واستخلاص المناهج والتجارب منها.
- أهمية إحداث التواصل الروحي والعاطفي والحضاري بين أجيال الأمة الإسلامية.
- أهمية الإطلاع على الطروحات النظرية والتجارب العلمية لرجال الإصلاح الديني في الجزائر إبّان الفترة الاستعمارية القاسية.
- وفاء الأمة في الاعترافات بحق رجالها وأعلامها المصلحين، وذلك بالتعريف بمجهوداتهم الدعوية والرسالية التي اضطلعوا بها خير اضطلاع للنهوض بأمتهم وإيقاظها من غفلتها.
- أهمية معرفة عملية البعث الحضارية ومعرفة أدواتها وآلياتها ومنطلقاتها ووسائلها وغاياتها كما اضطلع بها رجال الإصلاح الديني في الجزائر.

PDF Compressor Free Version

- بلورة فكر ومنهج وممارسات وأساليب ووسائل الإصلاح الديني في الجزائر ضمن خلاصات علمية وعملية بغية الاستفادة منها في عملية التطور السنني.

- أهمية تقديم تجربتنا كجزائريين في المنهج الدعوي والإصلاحي والديني إلى تجارب إخواننا العرب والمسلمين الذين يفخرون بتقديم تجاربهم الإصلاحية والدينية ويعملون على تصديرها للعالم الإسلامي بكونها الفهم والحلّ الأمثل.

- قراءة تاريخنا الجزائري الحديث والمعاصر ولا سيما إبان الفترة الاستعمارية من منظور الدراسات الدعوية والإصلاحية والإحيائية والخروج من دائرة القراءة المظاهرية والشكلية للتاريخ والأحداث التي إرتهن فيها غالبية دراسي التاريخ الجزائري الحديث والمعاصر.

بعد سعينا إلى أبعد الحدود إلى الإجابة عن الإشكاليات التي طرحناها على أنفسنا في بداية البحث ولئن لم يكن جوابنا عنها بنفس القدر والتفاصيل، فإن ذلك يعزى أساسا إلى تقديمنا للجوانب الهامة على المهمة التي يمكن أن نجد الإجابة عنها في مواقع أخرى، كما أننا أثرنا عديد الأسئلة الإشكالية التي طرحها العمل نفسه وتتطلب بدورها الإجابة والتمحيص، وقد هيمنة الطابع الإخباري والتاريخي على جزء هام من البحث وعدم التركيز على الجانب التحليلي، فإن ذلك يعود إلى التأثير

PDF Compressor Free Version

"تدفق المادة الأولية وغزارتها" من جهة، وما تتطلبه عملية التحليل من ربط بجوانب أخرى قد تخرج أحيانا عن الموضوع الرئيسي لبحث وتحدث "قطيعة" في تسلسل الدارسة وبنائها، ولذلك فإن الحاجة متأكدة لاستغلال هذه المادة في التحليل والبحث حول مسائل أخرى متصلة بموضوع البحث.

أخيرا أملنا أن نكون قد وفقنا في الجواب عن بعض الإشكاليات بتوضيح ما غمض وتحليل ما استعصى منها، ومن ثم يمكن اعتبار هذه الدراسة المتواضعة قابلة للنقد والإثراء والتجاوز بحكم ما يتولد من جدل ونقاش من قبل الباحثين.

PDF Compressor Free Version

قائمة

المصادر والمراجع

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

I- المصادر

1- الوثائق الأرشيفية:

1-1- تونس:

أ- الأرشيف الوطني التونسي Archives Nationales Tunisiens (A.N.T)

الصندوق	الملف	الوثيقة	الأغراض
35	28	09	شهادة مستخرجة من السكرتارية العامة للحكومة التونسية بتاريخ 1942/12/07م من أجل تسهيل انتقال الطالب محمد بن الصالح الزموري الجزائري.
35	28	19	نسخة من مكتوب وزيري لجمعية الأوقاف في 1943 /01/20م مرسل من طرف الوزارة الكبرى بخصوص تكليف جمعية الأوقاف بإعانة تلامذة الجامع مالياً أثناء الحرب من صندوق خاص.
		24 -23	مراسلتين من الحكومة التونسية بخصوص ظروف الطلبة الجزائريين المادية خلال فترة الحرب بتاريخ: 1943/01/25م
		-27 -26 -25 -30 -29 -28	جريدة بأسماء التلامذة الذين يرغبون في إحالتهم على الخيرية لتباشر تموينهم سنتي

PDF Compressor Free Version

(1942- 1943)م. وتضم أزيد من (100) طالب جزائري.	52- 53- 54- 55- 56		
تقرير يضم قوائم الطلبة الذين لم يتمكنوا من مغادرة العاصمة التونسية على إثر الحرب بتاريخ 11/ 1942م.	91- 92- 93- 94- 106- 107- 108		
رسالة موجهة من طرف محمد الغطاس رئيس جمعية الأوقاف إلى وزير الأوقاف بتاريخ 1944/03/27م، عدد 3330 بخصوص جرد الطلبة الذين وقع عليهم الإنفاق خلال الحرب.	74		
مكتوب وزيري بتاريخ 1944/02/29م، بخصوص إعانة مالية لتلامذة الجامع الأعظم المتضررين من الحرب	75	28	35
مراسلة من الأميرال "أستيفا" المقيم العام بتونس إلى السكرتير العام للحكومة التونسية تحت رقم (6593CH) بتاريخ 1942/12/19 بخصوص الطلبة الآفاقيين الموجودين بالعاصمة خلال الحرب.	82		
شهادات مستخرجة من السكرتارية العامة للحكومة التونسية من أجل تسهيل انتقال الطالب (مباركي عمار) خلال عام (1942م).	83- 84		

PDF Compressor Free Version

قائمة بأسماء تلامذة الجامع الراغبين في البقاء بالحاضرة (1942)م.	94		
مراسلة من طرف الطلبة الجزائريين بالزيتونة إلى الوزير الأول التونسي يلتمسون فيها زيادة مخصصات الإعانة المالية بتاريخ 1943/01/22م.	104		
شروط الانتساب لجامع الزيتونة	12		36
مصطفى صفر، تقرير حول إصلاح التعليم بالجامع (09/ 1929م).	13		
Statistiques de l'effectif scolaire de la grande Mosquée de Tunis depuis 1911, en date de 1931.	23-22-21	01	
رسالة الطاهر بن عاشور إلى الوزير الأول فيما يتعلق بنقابة المدرسين الزيتونيين.	46		
تقرير اللجنة المنوطة بعهدتها أحوال تلامذة الجامع الأعظم وفروعه واختباراتهم، (بدون تاريخ).	(80 إلى 87)	1/7	
مراسلة إدارية بتاريخ (1933 /07/03).	01	03	
مراسلة إدارية بتاريخ (1937/10/30)	03		

PDF Compressor Free Version

مراسلات، مواسم، زيارات، تنقلات، تتعلق بالروابط الروحية والصوفية بين القطرين	/	13	156
	/	02	163
	/	01	167
	/	01	168
	/	01	172
مطالب سفر من بعض الشخصيات الدينية من الجزائر باتجاه تونس خلال الفترة (1893-1942).	N:P (141)	03	182
مراسلة موجهة إلى المقيم العام من طرف برنارد روا بتاريخ 1907/03/25م	24	136	509

السلسلة "E":

الأغراض	الوثيقة	الملف	الصندوق
صورة للجزائري خوالدية صالح	74	30 /12	
تقارير عن صالح بن عمار خوالدية وعلاقاته بحركة الجامعة الإسلامية 1906.	(78- 79- 80- 81)		
تقارير أمنية متبادلة بخصوص جمعية الاتحاد المغاربي 1912، ونشاط بعض الجزائريين فيها.	28	30 /14	
نشاط الجمعية الخيرية الإسلامية ودور الألماني تادي أرتو قزتوفت فيها	(1 إلى 21)	30/15	550

Note Emmenant de Clapir commissaire de police le (15/03/1915)	06	سلسلة المشتبه فيهم Gents suspects	
رسالة الجزيري حسين إلى الكاتب العام للحكومة التونسية	15		
رسالة من المدعو محمد بن عبد الله بن صالح الطرابلسي إلى الكاتب العام للحكومة تضمنت قصيدة تحريضية ليشي بها على توفيق المدني	26		
ملف خاص بحسين الجزيري، يتضمن(1965)وثيقة خلال الفترة(1912- 1915)م	58		
ملف خاص بالشيخ عبد العزيز جاويش، يتضمن (117) وثيقة خلال الفترة (1914-1925)م	336		
ملف خاص بأحمد توفيق المدني، يتضمن(86)وثيقة خلال الفترة(1914- 1925)م.	836		
ملف خاص بابن عزوز المكي،يتضمن(120)وثيقة خلال الفترة(1886-1916)م	886		
ملف خاص بالأمير عبد القادر، يتضمن (120) وثيقة خلال الفترة (1885- 1924)م.	951		
ملف خاص بالشيخ الخضر بن الحسين، ويتضمن (03 وثائق) خلال الفترة (1917- 1920)م.	1367		

PDF Compressor Free Version

PDF Compressor Free Version

		881	ملف خاص بالشيخ إسماعيل الصفايحي ويتضمن (125) وثيقة خلال الفترة (1895-1924)م.
	30/23	06	عن نشاط محمد المكي بن عزوز في إطار الجامعة الإسلامية بتاريخ (1913/11/06)م.
555	30/ 15	46	قرار الجنرال أليكس القاضي بإبقاء توفيق المدني رهن الإيقاف الإداري طيلة الحرب العالمية الأولى.
	30/ 15	74	Raoul Chailly au Général Commandant la occupation de Tunis, le (15/03/1916)'Division d

السلسلة "A"

الصندوق	الملف	الوثيقة	الأغراض
02	1/15	(1 -2 -3)	مراسلات من طرف المراقب المدني إلى المقيم العام الفرنسي تتعلق بتنقل سكان تونس مجاناً إلى الجزائر.
24	06	(1 إلى 12)	نصوص تتعلق بكيفية تعيين المشائخ.
104	1/6	(1 إلى 10)	مراسلات تتعلق بعبور عدد كبير من أولاد سيدي عبيد عبر الحدود الجزائرية إلى تونس خلال الفتة (1884 -1886)م.

PDF Compressor Free Version

204	01	(1 إلى 18)	نسخ من مذكرات وتقارير أعدها كل من الملازم "لوأورو" والملازم "كاميزولي" والملازم "بادي" تتعلق بضبط الحدود التونسية الجزائرية ونماذج من بطاقات التعريف ومطبوعات المحاضر والمخالفات خلال الفترة (1923- 1956)م.	
	02	N°P (81)	مراسلات وتقارير ومحاضر جلسات وخرائط تتعلق بالنزاعات القائمة بين العروش على الحدود التونسية- الجزائرية، واتفاقيات تضبط هذه الحدود.	(1903-1883)
	03	N°P (86)		(1903-1883)
	04	N°P (57)		(1901-1891)
	05	N°P (123)		(1904-1890)
	06	N°P (78)		(1934-1894)
212	23/7	(1 إلى 57)	مذكرات وتقارير ومحاضر جلسات تتعلق بالملتقى الثالث لبلدان شمال أفريقيا المنعقد بتونس 1926.	
276 BIS	4/2	N°P 285	مراسلات تتعلق بإعادة الحجيج الفقراء من التونسيين والجزائريين إلى أوطانهم وكذلك المسافرين خلسة.	

PDF Compressor Free Version

مراسلات وتقارير حول إعادة الحجيج الجزائريين إلى وطنهم	N°.P (342)	4/3	276 BIS
مراسلات تتعلق بتسليم جوازات سفر للتونسيين والجزائريين الهجرة إلى سوريا	N°.P (324)	13/1	
مراسلات وتقارير وأوامر حول الإجراءات المشتركة لحرية التنقل بين القطرين	N°.P (103)	01	277
	N°.P (89)	02	
	N°.P (69)	03	
	N°.P (18)	04	
مراسلات تتعلق بمنع الطلبة الجزائريين من الدخول إلى التراب التونسي- دون ترخيص خلال الفترة (1899- 1900)م.	(3 إلى 7)	06	
مراسلات تتعلق بجزائريين مقيمين بتونس يطالبون بإثبات جنسيتهم الجزائرية خلال الفترة (1899- 1916)م.	(1 إلى 48)	03	278
مراسلات تتعلق بدخول قبيلة أولاد سوف إلى البلاد التونسية والاستقرار بها بصفة غير قانونية خلال الفترة (1898- 1923)م.	(1 إلى 19)	07	
مراسلات تتعلق بالضرائب المفروضة على الجزائريين المقيمين بتونس خلال الفترة (1902- 1903)م.	(1 إلى 14)	13	

PDF Compressor Free Version

مراسلات تتعلق بإحصاء الجزائريين المقيمين بتونس والمطلوبين لأداء الخدمة العسكرية خلال الفترة (1912- 1916)م.	N°.P (314)	16	
تقرير للإدارة العامة لشؤون التجمعات المحلية بتاريخ (1939/08/10م) موجه إلى المقيم العام الفرنسي بتونس حول الإحصاء الدولي لسكان الأيالة	01	01	280
مراسلات حول الوضعية القانونية للتونسيين المقيمين بالجزائر خلال عام 1930م.	(3 إلى 1)	9/7	
مراسلات حول ترحيل مغاربة إلى بلدهم والترخيص لبعضهم دخول الجزائر خلال الفترة (1906- 1914)م.	N°.P (42)	1/5	282
تقارير عن الإجراءات المشتركة لحرية التنقل بين الجزائر وتونس	(25 إلى 1)	01	290

PDF Compressor Free Version

وتخص القضاء الشرعي وقد استعملنا ملفات قليلة من هذه السلسلة نظراً لضآلة ما تفيد به موضوعنا المدروس منها ملف خاص بالقضاة الشرعيين من ضمنهم الشيخ إدريس بن محفوظ الشريف (الصندوق 05) ونشاط الشيخ المكي بن عزوز بتونس (الصندوق 184) ورسالة الشيخ بن شهرة إلى الباي محمد باشا باي تونس (الصندوق 212).

الصندوق	الملف	الوثيقة	الأغراض
05	7/1	/	إدريس بن محفوظ الشريف الدلسي.
184	19	1029	حجة عادلة مثّلها كافة القبائل عام 1864م بمحضر الشيخ مصطفى بن عزوز المكي وهي تضبط المطالب (13) المقدمة للباي.
		1033	تضم (37) رسالة لمصطفى بن عزوز إلى الوزير الأكبر في موضوع ثورة علي بن غذاهم (1864).
		1049	رسالة من مصطفى بن عزوز إلى الباي محمد الصادق
212	237	04	رسالة بن ناصر بن شهرة إلى الباي تونس محمد باشا

PDF Compressor Free Version

الصندوق	الملف	الوثيقة	الأغراض
01	05	127	مذكرة أمنية بدون توقيع بتاريخ 1922/06/10م
04	01	184	تقرير أمني سري بدون توقيع بتاريخ 1920/10/13م.
10	**5/1**	06	رسالة سرية بشأن العلاقات بين مثيري الاضطرابات التونسيين والجزائريين بتاريخ 1920/12/17م.
		14	رسالة أمنية من الحاكم العام بالجزائر إلى المقيم العام بتونس بتاريخ 1921/02/16م.
10	5/1	21	مذكرة أمنية مذكرة أمنية من الجنرال كلابيي المحافظ المكلف بالاستخبارات إلى الكاتب العام للحكومة بتاريخ 04/04 /1921م.
		36	مذكرة من المقيم العام في تونس إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 1921/06/14م.
		116 و 117	مذكرتان شخصيتان بدون توقيع وبلا تاريخ من محافظ الاستخبارات في تونس بتاريخ 1922/09/25م.
15	03	N°.P 78	Listes des Etudiants Zitouniens Sympathisant de la turque à surveiller par contrôleurs civils Pendant les Vacances d'été
	02	110	مذكرة استخبارية تتضمن معلومات حل اجتماع انعقد في شهر ماي 1930م بنادي الحزب الدستوري تناول مئوية احتلال الجزائر والنشاط الصهيوني لتونس ونصب تمثال لافيجري
16	01	55- 56 -57	ملصقة حائطية علقت بالجامع الأعظم يوم 1915/02/15.
		58	ملصقة تحريضية علقت بالجامع الأعظم خلال الحرب العالمية الأولى
19	02	N°.P 182	نشاط الطلبة الإباظيين الميزابيين الجزائريين داخل الحركة الوطنية التونسية خلال الفترة (1920- 1923)م.

PDF Compressor Free Version

وقد استفدنا من هذه السلسلة خصوصاً فيما يتعلق بالعلاقات السياسية والعسكرية بين الشعبين الجزائري والتونسي قبيل وبعد فرض الحماية عام 1881م.

الصندوق	الملف	الوثيقة	الأغراض
68	929	N°.P 94	مراسلات صادرة عن الأمير عبد القادر المقيم بالشام خاصة بتقديم تهاني وشكر ومدح لوزراء وقضاء تونسيين ومطالب تتعلق بتوسيم وإقامة البلاد التونسية خلال الفترة (1841- 1878)م.
204	57/2	N°.P103	مراسلات ومطالب موجهة إلى السلط التونسية متعلقة باحتماء بعض الجزائريين بها أو بالدولة الفرنسية خلال الفترة (1886- 1924)م.
211	223/2	N°.P 61	مراسلات تتعلق بدخول جزائريين يدعون النسب الشريف إلى المناطق الحدودية وقيامهم بتحريض الأهالي على المقاومة (1844- 1879)م
212	228	/	مراسلات وتقارير ومحاضر جلسات وخرائط تتعلق بالنزاعات بين العروش على الحدود التونسية والجزائرية.
	229	/	
	230	/	
215	299	1) إلى (16	تقارير ومراسلات حول انتصاب الحماية

			الفرنسية على تونس ومقامة عروش حدود الجزائر لها خلال الفترة (1880- 1888)م.

PDF Compressor Free Version

ب/ مركز التوثيق القومي Centre Documentation Nationale « **C.D.N** »

- **قسم الحركة الوطنية:**

الملف	محتويات الملف	رقم الملف
الشخصيات التونسية قبل الاستقلال	- بن الحسين محمد لخضر	B- 2- 81
	- بن عزوز مكي	B- 2- 61
	- بن عيسى الطيب	B- 2- 66
	- بن مكي هاشمي محمد	A- 3- 53
	- بوشوشة علي	B- 1- 41
	- عبد العزيز الثعالبي	A- 5- 14
	- حسين الجزيري	A- 3- 39
	- الخنقي بشير	B- 2- 25
	- الزاوش عبد الجليل	B- 4- 13
	- الزمرلي الصادق	B- 2- 13
	- الصنادلي عبد الرحمان	B- 2- 6
	-قلاتي حسين	A- 5- 21
	- المدني توفيق	B- 2- 46
	- ميهوب حمودة	B- 2- 75
	- النوري حسن	B- 1- 17

PDF Compressor Free Version

	- محمد باش حامبة	B- 1- 28
	- صالح الشريف التونسي	B- 2- 84
	- علي باش حامبة	B- 3- 11
	- سليمان بن سليمان	B- 2- 21
الصحافة التونسية قبل الاستقلال	- التقدم (1901)	B- 5- 8
	- التونسي (1934- 1937)	A- 4- 43
	- الزهرة (1889- 1909)	B- 5- 6
	- الصواب (1904)	B-7- 17
	- العمل التونسية (1932- 1936)	B- 3- 30
	- النديم (1910)	B- 5- 15
	- المشير والوزير (1910)	B- 5- 11
	- حبيب الأمة (1906)	B- 5- 14
	- مرشد الأمة	A- 4- 45
القضايا الاجتماعية والسياسية	- الجامعة الإسلامية في تونس	B- 3- 16
القضية التونسية والرأي العام القومي والعالمي	- نشاط مكتب المغرب العربي	B- 5- 43
	- وثائق تتعلق بالوفد التونسي الأول والثاني	B- 2- 52
	- مؤتمر أفريقيا الشمالية (10/ 1908)	B- 2- 51
المقاومة الوطنية	- حوادث الجلاز (1911)	B- 3- 27
	- قضية مقاطعة الترامواي (1912)	B- 1- 37
	- قرار اتهام ضد(16) طالب خلال الفترة (1938/05/25)	A- 5- 18
كتب وبيبليوغرافيا حول	- تونس الشهيدة (1920)	A- 5- 11

PDF Compressor Free Version

تاريخ الحركة الوطنية	- كتب قديمة حول الحركة الوطنية	A- 5- 20
مظاهر حضور الاستعمار الفرنسي في تونس	- التجنيس في تونس	B- 3- 37
	- المؤتمر الأفخارستي	A- 5- 4
	- حوادث التجنيس (1909- 1939) بقلم عمر بن قفصية	A- 4- 3
الجمعيات والأحزاب	- نجم شمال أفريقيا E.N.A Statue du 20/06/1926 par Chedly Khairallah	B- 3- 33
	- جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين (A.E.M.N.A)	A- 4- 44

جـ/ المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية Istitut Supérieur d'Histoire du Mouvement National (I.S.H.M.N)

* الأرشيف الوطني لما وراء البحار L'Archive National D'Outre- Mer (A.N.O.M)

Dossier	doc	Thème	Période	Cartons	Bobines
03 N.F (195)	01	Epuration à la grand mosquée Zitouna Grèves d'étudiants	(1925-1936)		
03	287	مذكرة استخباراتية صادرة عن الحاكم العام بالجزائر	1936/11/14		
04	(355 إلى 359)	تقرير حول المؤتمر الخامس لـ AEMNA	1935		

PDF Compressor Free Version

06	(560 إلى 565)	تقرير حول الوضع العام بتونس (الأحزاب السياسية-الدعاية الايطالية)	1939/12/18	25 H 32	A 45
	567	تقرير أمني عن الطالب الشاذلي المكي	1937/10		
	(578 إلى 584)	تقرير حول الوضع العام بتونس	1939/12/18		
09		Mémoire sur la gestion de Tunisie rédigée par: Toufik El Madani à Alger n°104.40.POLC3.	15/05/1943		
	121	Association des étudiants de Tunis a Alger	(1936-1944)		
	837	Mémoire de Ahmed Toufik El Madani sur la question de Tunis	05/05/1943		
10	825	تقارير أمنية بخصوص نشاطات الطلبة الزيتونيين	1937/02/15		
	826	مذكرة حول جمعية الزيتونيين الشبان	1937/02		
11	874	Association de Etudiants Algériens de la Zitouna	(1936-1944)		
13	203	Ses Relations avec l'association d'Ulemas Algériens	(1936-1944)		

PDF Compressor Free Version

03	(485 -486)	مراسلة المقيم العام بتونس إل الوالي العام بالجزائر	1938/02/12	25 H 33	
09	71	Manifestation dons la salle de Cinéma le mondial, N.ST6.3.027.6	26/07/1937		
	124	مراسلة تتعلق بظروف ونشاط جمعية خاصة بالطلبة التونسيين بجامعة الجزائر	1944/06/27		
11	874	تقرير من مركز الإعلام والدراسات التابع للإقامة العامة حول نشرة الثمرة الأولى التي أصدرتها جمعية الطلبة الزيتونيين	1937/12/19	25 H 32	A 46
13	10	Nationaliste Relation Avec l'Algérie N : 26.942	1944/08/24		
	15	Relation entre le parti du peuple Algérien et le Méo Desteur	(1934-1946)		
	21	Surveillance des Nationalistes tunisiens se rendant en Algérie	**N.D**		

PDF Compressor Free Version

	1136	Relation de Habib Bourguiba de Messali Hadj de l'Etoile Nord Africaine	1936		
	(1212 إلى 1218)	تقارير عن لحساسنة محمد العيد الجباري ونشاطه السياسي المغاربي	1937		
	1312	Tomini Mohmed Ben Hadj Sallah Ben Yahia dit Mohmed Tomini Algérien	1923		
	1323	Note : des élèves de la Zitouna du Tunis	24/08/1944		
03	NF 91	**PPA et Méo - Des tour**	(1937-1939)	25 H 32	**A 47**
01	NF 167	Surveillance des Relation Entre Nationalistes Tunisiens et Nationalistes Algériens particulier Mozabites IBadites	(1920-1923)	25 H 33	
03	561	Note : des élèves de la Zitouna du Tunis	**N.D**	74 H 14	**A 48**
04	/	Etudiants Algériens de la Zitouna	1939-1945	25 H 33	

PDF Compressor Free Version

02	/	Analyse de la presse tunisienne guerre d'Algérie à Travers la presse tunisienne	/	26 H 8	**A 57**
02	199	Extraite de la presse tunisienne de langue Arabe, guerre d'Algérie	10/1957 et 12/1957	26 H 9	**A 58**
02	71	Affaire de Saguiet Sidi Youssef Relations avec la France .	2/1958	26 H 10	**A 59**

- **Les Archives du Quai أرشـيف وزارة الخارجيـة الفرنسـية Dorsey**

Dossier	doc	Intitulés	Période	Cartons	Bobines
1	N.F 271 (65-68)	Affaire musulmanes II Dossier unique panislamisme, guerre européenne Attitude des confrères et des notables d'Afrique du nord a l'égard de la France	2/1914-3/1915	1651	75

PDF Compressor Free Version

* أرشيف الإقامة العامة (أرشيف نانت)

Les Archives de l'ancienne Residence Française à Tunis ou Fonds de Nantes

Dossier	doc	Thème	Période	Cartons	Bobines
1	(367 369)	مـــذكرة اســـتخبارات سريـــة موجهة رفقة رسالة من الجنرال ماست المقيم العام بتـونس إلى كـــل مـــن إدارة الأمـــن وقايـــد الجهة وقسم الدراسـات وهـي تتضمن معلومـات بشـأن لقـاء الشيخ عبـد العزيـز الثعـالبي بشخصـــيات مـــن مصـــالح الاستخبارات الانجليزية	19/5/1919	1866	191 R
1	(213 214)	Guerre (1914-1918), affaire musulman, Panislamisme guerre Ste la turque dans la guerre européenne	7/8/1915	1654	P 76

PDF Compressor Free Version

1-2/ الجزائر:

أ/ الأرشيف الوطني الجزائري (بئر خادم) "ANA"

لم يكن تركيزنا عليه كبيراً لعدة اعتبارات لعل أهمها الإجراءات الإدارية المنظمة لعملية الإعارة والنسخ.. ورغم ذلك فقد اعتمدنا على عدد معتبر من الدوريات المصدرية

العنوان	لصاحبه	الرقم
الوثائق الفرنسية والهجرة الجزائرية إلى الديار الإسلامية	وحدة بحث برئاسة عمار هلال	91046
جريدة الأمة (1934- 1937)م	لأبو اليقظان	J.A.005 1934/01
جريدة البصائر I (1935- 1937)م ع01 ع50	البشير الإبراهيمي	J.A 65
جريدة البصائر II(1952- 1956)م	البشير الإبراهيمي	J.A 007.206
المغرب العربي (1947- 1949)م	للسعيد الزاهري	J.A004

PDF Compressor Free Version

➢ **التقارير و النشرات:**

*** باللغة العربية:**

- الثمرة الأولى، (إصدار ج.ط.ز.ج)، تونس: مطبعة الشباب، 1937م.

- الثمرة الثانية، (إصدار ج.ط.ز.ج)، تونس مطبعة التليلي، (1947-1948)

- حزب الاستقلال المغربي، المغرب: مراكش، مكتب المستندات والأخبار (النشرة العربية).

- مكتب المغرب العربي، مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من (15 إلى 22 فيفري 1947)، مصر : مطبعة المكتب الثقافي الدولي ،ب.ت.

- نشرة الاتحاد العام للطلبة الجزائريين (فرع دمشق)، عدد 01، دمشق : 1960/1/1، 17ص.

- نشرة الجمعية الخلدونية 1930م، تونس : المطبعة الأهلية، نهج الديوان، عدد5.

- ابن باديس في ذاكره الخامسة عشر نشرة جمعية الطلبة الجزائريين بتونس، تونس: مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، 1955م.

- نشرية جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية، (تقرير قدماء تلامذة المدرسة الصادقية لسنة 1924م ولموفى ماي 1925م).

PDF Compressor Free Version

- نشرة جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بفرنسا: (نشرة أعمال المؤتمر الأول بتونس (1931) تونس: المطبعة الأهلية، 1931م.

*** باللغة الأجنبية:**

- La conférence de l'Unité (TANGER : 27.30/ AVRIL / 1958), Tunis Imp, Bibliothèque secrétariat d'état à l'information République Tunisienne.

- Congrès de l'Afrique du Nord, Compte rendu des travaux (congrès Tenu à Paris du 6 au 10 octobre 1908), Paris 1909, 2 Volumes, 802 et 903

➢ التقاويم:

- التعبوري (محمد) وآخرون، التقويم الذهبي التونسي، تونس: المطبعة التونسية (1938- 1939)م.

- العابد (الجلالي)، تقويم الأخلاق، قسنطينة: المطبعة الإسلامية، جانفي 1927م.

PDF Compressor Free Version

➢ المذكرات الشخصية:

*** باللغة العربية**

- الإبراهيمي (أحمد طالب)، مذكرات جزائري، ج1، الجزائـر: دار القصـبة للنشر، 2006م.

- الأمير (محمد سعيد)، مـذكراتي عـن القضـايا العربيـة والعـالم الإسـلامي، ج1، ط2، الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية، 1968م.

- بودوح (السبتي)، مذكرات مجاهد، الجزائر: مطبعة عمار قرفي، 2002م.

- حمدان (خوجة بن عثمان)، مذكرات، تق، ابن عبد الكريم محمد، بيروت: بلا ناشر، 1972م.

- خير الدين (محمد)، مذكرات، ج1، الجزائر: مؤسسة الضحى، 2000م.

- الزهار (أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشـريف الزهـار نقيـب أشراف الجزائر، تح، أحمد توفيق المدني الجزائر: ش. و. ن. ت، 1975م.

- أبو القاسم (سـعد اللـه)، مسـار قلـم (يوميـات)، ج1، ج2، بـيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

- سعيداني (الطاهر)، القاعدة الشرقية قلـب الثـورة النـابض، الجزائـر: دار الأمة، 2001م.

PDF Compressor Free Version

- بن عتيق (محمد الصالح)، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، الجزائر: مطبعة دحلب، 1990م.

- بن العقون (عبد الرحمان)، الكفاح القومي والسياسي، ج1، ج2، الجزائر: م. و. ك، 1984م.

- بن العقون (عبد الرحمان)، مذكراتي، الجزائر: منشورات دحلب، 2000م.

- قنانش (محمد)، ذكرياتي مع مشاهير الكفاح، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2005م.

- القناوي بلقاسم، مذكرات نقابي وطني، تح، فريد بن سليمان، تونس: منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1998م.

- كافي (علي)، مذكرات، الجزائر: دار القصبة للنشر، 1999م.

- مالك (بن نبي)، مذكرات شاهد القرن، ج1، تر: مروان القنواتي، بيروت: دار الفكر، 1969م.

- المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح (مذكرات)، ج1، ج2، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1976م*.

- المشيرقي (الهادي إبراهيم)، قصتي مع ثورة المليون شهيد، الجزائر: دار الأمة، 2000م.

PDF Compressor Free Version

- الجباري (محمد العيد)، اللهيب، تق محمد المرزوقي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1974م.

- حمود رمضان، بذور الحياة، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983م.

- الخرفي (صالح)، أنت ليلاي، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1974م.

- خريف (مصطفى)، شوق وذوق، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، 1965م.

- ركيبي (عبد الله)، مصرع الطغاة (رواية تمثيلية)، تونس: دار النشر بوسلامة، 1959م.

- سعيد (أبي بكر)، السعيديات، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1981م.

- محمد العيد (آل الخليفة)، ديوان محمد العيد، قسنطينة: مطبعة البعث، 1967م.

- المدني (الهادي)، الديوان، ج1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968م.

- مفدي (زكريا)، اللهب المقدس، الجزائر: ش. و.ن. ت، 1983م.

PDF Compressor Free Version

- أبي اليقظان (إبراهيم بن عيسى)، ديوان أبي اليقظان، الجزائر: المطبعة العربية، 1350هـ.

➢ الكتب المصدرية:

* باللغة العربية:

- الإبراهيمي (محمد البشير)، عيون البصائر، ج1، ج2، ط2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1971م.

- الإبراهيمي (محمد البشير)، آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ج3، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1978م.

- الإبراهيمي (محمد البشير)، سجل (ج.ع.م.ج)، الجزائر: دار الكتب، 1982م.

- ابن أبي ضياف (أحمد)، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، تع أحمد الطويلي، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1979م.

- ابن آجروم (أبي عبد الله)، متن الآجرومية، تع: أحمد المهدي النيفر، تونس: دار الهدى، 1955م.

- ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج6، بيروت: دار الكتاب، 1958م.

PDF Compressor Free Version

- ابن عليوة (أحمد بن مصطف)، لباب العلم في سورة النجم، صححه، علي بن الصادق الصحراوي والطاهر بن الحاج العربي، تونس: المطبعة الأهلية، 1916م.

- أبو سرور (الصادق)، كتاب جغرافية الإقليم التونسي- لتلاميذ الجامع الأعظم والمدارس القرآنية، تونس: المطبعة التونسية 1935م.

- إحسان (حقي)، تونس العربية، بيروت: دار الثقافة ب، ت.

- أمين (شاكر)، سعيد (العريان)، مصطفى (أمين)، شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل، القاهرة: دار المعارف 1954م.

- أندري (بريتان)، أندري(نوشي)، إيف (لاكوست)، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر رابح اسطنبولي وآخرون، باريس: المطبوعات الجامعية، 1960م.

- أوزيغان (عمار)، الجهاد الأفضل، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1962م.

- بحري (يونس)، دماء في المغرب العربي، بيروت: دار النشر- للجامعيين، ب.ت.

- برج (عبد الرحمان محمد)، من السويس إلى بنزرت، القاهرة: مطبوعات دار الشعب، ب، ت.

PDF Compressor Free Version

- البكري (أبو عبيد الله)، المغرب في وصف بلاد أفريقيا والمغرب، ط2، الجزائر: بلا ناشر، 1911م.

- البلهوان (علي)، تونس الثائرة، القاهرة: المطبعة العالمية، 1954ن.

- بن خدة (بن يوسف)، اتفاقيات إيفيان، تع: لحسن زغدار ومحل العين جبائلي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1987م.

- بن خدة (بن يوسف)، شهادات ومواقف، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر، 2004م.

- بن الخوجة (محمد)، طريق معالم التوحيد في القديم والجديد، تونس: المطبعة التونسية، 1939م.

- بن الخوجة (محمد)، صفحات من تاريخ تونس، تق حمادي (الساحلي) والجيلالي (بن الحاج)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م.

- بن عاشور (الطاهر)، أليس الصبح بقريب، تونس: الشركة القومية للنشر، 1967م.

- بيرم (الخامس)، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، مصر: المطبعة الإعلامية، 1311هـ.

- الثعالبي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، بيروت: دار القدس، 1975م.

PDF Compressor Free Version

- الثعالبي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.

- الثعالبي (عبد العزيز)، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م.

- الثعالبي (عبد العزيز)، الكلمة الحاسمة، تح حسن أحمد جغام، تونس: منشورات دار المعارف، 1989م.

- جان (دولف)، يقظة العالم العربي، بيروت: دار الكشاف، 1960م.

- الجنيدي (خليفة)، من وحي الثورة الجزائرية، بيروت: دار الحياة، 1962م.

- جيرمين (تيليون)، حقائق عن الجزائر، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1959م.

- الحبيب (ثامر)، هذه تونس، القاهرة: مطبعة الرسالة، 1948م.

- حسن (حسني عبد الوهاب)، بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها بن رشيق، تونس: المطبعة التونسية 1330هـ.

- حسن (حسني عبد الوهاب)، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ج1، تونس: مطبعة المنار 1972م.

PDF Compressor Free Version

- حسن (حسني عبد الوهاب)، خلاصة تاريخ تونس، تق، تح، حمادي الساحلي، تونس: دار الجنوب للنشر 2001م.

- حسن (محمد جوهر)، محمد مرسي (أبو الليل)، الجزائر، مصر: دار المعارف، 1965م.

- الحشائشي (محمد بن عثمان)، تاريخ جامع الزيتونة، تح الجيلاني بن الحاج يحي، تونس: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1973م.

- الحشائشي (محمد بن عثمان)، العادات والتقاليد التونسية، تح الجيلاني بن الحاج يحي، تونس: مطبعة سراس 1996م.

- حمدي (حافظ)، الشرقاوي (محمد)، الجزائر كفاح شعب ومستقبل أمة، مصر: الدار القومية للنشر: ب.ت.

- الخضر (حسين)، تونس وجامع الزيتونة، دمشق: المطبعة التعاونية، 1971م.

- الخضر (حسين)، تونس 67 عاماً تحت الإحتلال الفرنساوي، تح كمال العريف، تونس: منشورات الحرية 1989م.

- خير الدين (التونسي)، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تح المنصف الشنوفي، تونس: المكتبة العتيقة ب.ت.

PDF Compressor Free Version

- الدباغ (عبد الرحمان)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج1، تح محمد ماضور، تونس: المكتبة العتيقة ب.ت.

- دي طرازي (فيليب)، تاريخ الصحافة العربية، ج3، ج4، بيروت: المطبعة الأدبية، 1913م.

- الزاهري (محمد السعيد)، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، ط2، دمشق: مطبعة الاعتدال، 1934م.

- الزاهري (محمد الهادي)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، تونس: المطبعة التونسية، 1926م.

- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح محمد ماضور، تونس: بلا ناشر، 1966م.

- زكريا (محسن)، الروض الزاهر في إسناد الحبس للإسلام الباهر، تونس: المطبعة الرسمية، 1930م.

- زيتون (محمد محمود)، كفاح الجزائر، مصر: الوكالة العربية للدعاية والنشر.

- السرّاج (محمد)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، مخطوط 01، تونس: المكتبة الوطنية، ب.ت.

PDF Compressor Free Version

- السمّان (محمد عبد الله)، يا أربعمائة مليون مسلم تحركوا، صرخة من أجل الجزائر، القاهرة: مطبعة دار التأليف، 1956م.

- سمير (أمين)، المغرب العربي الحديث، ط2، تر كمي، ق، داغر، الجزائر: د.م. ج، 1981م.

- سمير (أمين)، المجتمع والدولة في الوطن العربي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1998م.

- السنوسي (محمد بن عثمان)، خلاصة النازلة التونسية، تح محمد الصادق بسيس، تونس: الدار التونسية للنشر 1976م.

- الطاهر (الحداد)، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة، تح، محمد أنور بوسنينة، تونس: الدار التونسية للنشر، 1981م.

- عباس (فرحات)، ليل الاستعمار (حرب الجزائر وثورتها)، تر أبو بكر رحال، الجزائر: منشورات أناب 2005م.

- عبد الحميد (مسعود الجزائري)، حقيقة الجزائر، مصر: دار الكتاب العربي، ب.ت.

- العدواني (محمد بن محمد بن عمر)، منشور الهداية في كشف حال ممن إدعى العلم والولاية، تح. أبو القاسم سعد الله، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

PDF Compressor Free Version

- العقاد (صلاح)، المغرب العربي من الاستعمار إلى التحرر، ج2، مصر: مكتبة الأنجلو مصرية، 1958م.

- العقاد (صلاح)، تكوين الامبراطورية الفرنسية، القاهرة: دار المعارف، 1959م.

- العقاد (صلاح)، الجزائر المعاصرة، مصر: مطبعة الرسالة، 1964م.

- العقاد (صلاح)، السياسة والمجتمع في المغرب العربي، مصر: المطبعة الحديثة، 1971م.

- الغبريني (أبو العباس)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: رابح بونار، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1971م.

- الغزي (الهادي حمودة)، الأدب التونسي في العهد الحسيني، تونس: د. ت. ن، 1972م.

- الفاسي (علال)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المغرب: دار الطباعة المغربية، 1948م.

- الفاسي (علال)، نداء القاهرة، الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1959م.

- الفاسي (علال)، المغرب العربي منذ ح ع I، مصر: المطبعة الفنية الحديثة، 1971م.

PDF Compressor Free Version

- فيكس (ليون)، الجزائر حتف الاستعمار، تر محمد عتباني، بيروت: مكتبة المعارف، ب. ت.

- فيليب (رفله)، الجزائر، مصر: مكتبة النجاح، 1957م.

- القصاب (أحمد)، تاريخ تونس المعاصر، تح حمادى الساحلي، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1986م.

- لوثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، ج2، تح شكيب أرسلان، سوريا: الفكر العربي، 1351هـ.

- مالك (بن نبي)، آفاق جزائرية، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 1991م.

- مجاهد (مسعود)، أضواء على الاستعمار الفرنسي للجزائر، مصر: دار المعارف، ب. ت.

- محمد (عوض محمد)، الاستعمار و المذاهب الاستعمارية، ط3، مصر: دار المعارف، 1957م.

- محمد (الهادي الشريف)، ماذا يجب أن تعرف عن تونس، تونس: دار سراس، 1980م

- محمد (الهادي الشريف)، تاريخ تونس: تونس: دار سراس للنشر، 1980م

PDF Compressor Free Version

- المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، (ط1، 1931)، الجزائر، دار الكتاب، 1963م.

- المدني (أحمد توفيق)، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامي، تونس: مطبعة الشريف، 1948م.

- المدني (أحمد توفيق، هذه هي الجزائر، مصر: المكتبة الأنجلو مصرية، ب. ت.

- مرتضى (محمود ع المنعم)، الجزائر المنتصرة، مصر الدار القومية للطباعة والنشر، ب. ت.

- مفدي (زكريا)، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، تح أحمد حمدي، الجزائر: مؤسسة مفدي زكريا، 2003م.

- مهساس (أحمد)، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر، تر الحاج مسعود مسعود، محمد عباس، الجزائر: منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، 2002م.

- النيال (محمد البهلي)، الأدب التونسي في القرن الرابع عشر، ج1، تونس: الدار التونسية للنشر: 1979م.

- النيفر (عبد الله محمد)، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تونس: دار بوسلامة، 1983م.

PDF Compressor Free Version

- هنري كلود، أندري برينان، الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي تر محمد عيتاني، بيروت: منشورات مكتبة المعارف، ب. ت.

- الورتتاني (محمد المقداد)، البرنس في باريس، ج1، تونس: المطبعة الرسمية العربية، 1914م.

- الورتيلاني (الفضيل)، الجزائر الثائرة، الجزائر: دار الهدى، 1992م

- وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام ع الحميد بن باديس، ج3، الجزائر: دار البعث، 1984م.

*** باللغة الأجنبية:**

- Abbas (Farhat), de la colonie à la province le jeune Algérien, Paris : 1931.

- Abbas (Farhat), l'intellectuel Musulman en Alger, Alger: recueil, 1920.

- Abdellah (Elhadj), Lieutenant, l'islam dans l'Armée Française, constantin, 1915.

127/ Andre, (Duran – Anglirrel), ceque la tunisie demande a la France, preface de Marius Moitet et d'Ahmed Essafi, Paris : 1921.

PDF Compressor Free Version

- Augustin (Bernard), Histoire des colonies Françaises, Paris: 1920.

- Augustin (Bernard), Géographie Universelle, Tom XI, Paris : 1937.

- Bach- Hmba(A), le peuple Algero- Tunisien et la France, Tunis: Fondation National, 1991.

- Bernard (A), L'Alerie, Paris ; 1930.

- Brunshvig (R), deux récits de voyage inédits en Afrique du nord au XI, Abdelbasit, B.Habib et Adorne, Paris: 1936.

- Cherif (benhabyles), l'Algeria Francaise vue par un indigene, Alger: 1914

- Favrod (charles), la Révolution Algérienne, Paris: plon, 1959.

- Garas (Felix), Bourguiba et la Naissance d'une Nation, Paris : 1956.

- Garrôt (H), Histoire général de l'Agerie cressenzo, Alger : 1910.

PDF Compressor Free Version

- Guenanche (A), le Mouvement d'independence en Algérie entre les deux guerres, Alger: E. N. L, 1990.

- Henri (Cambo), Histoire de la Rgence du Tunis, Paris, 1948

- Hardy (Geurges), Histoire sociale de la colonisation Francaise, Paris : 1953.

- Islamiel (Hamet), les Musulmans Français dans le Nord de l'Afrique, Paris : 1906.

- Julien (A. CH), l'Afrique du Nord en marche, Paris: Julliarde, 1952.

- Kairallah (chedly), Essai d'histoire et de synthése des mouvements Nationalistes tunisiens «le mouvement Jeune- Tunis : Etab, Bonici, s.d.

- Lebjaoui (M), Vérité sur la Revolution en Algerie, Paris: Ed. : Gallimard, 1970.

PDF Compressor Free Version

- Lebjaoui (M), l'Algérie et le pluralisme actes de la conférence pur une poliique linguistique mondiale, Tlemcen, 2002.

- Machuel (L), l'Enseignement public en Tunisie (1883-1906), Tunis: Imprimerie Rapid, 1906.

- Mahsas (A), le mouvemen revoluionnaire en Algérie, Paris: Ed., l'Harmattan, 1979.

- Messali (H), le probléme Algérien Appelaux Nations Unies, Paris: Imprimerie du château d'eau, S.D.

- Mazouni (Abdellah), culture et Ensiegnement en Algerie et en Mayhreb et Maspero, 1969.

- Rager (j-j), les Musulmans Algeriene en France et dans les pays Islamique, Paris : Les belles lettres, 1950.

- Rezette (R), les parties Politiques Maroc airs, Paris: librairie Armand colin, 1955.

- Rinn (louis), Hisoire de l'insurction en Algérie de 1871, Alger : 1891.

PDF Compressor Free Version

- Robert (Aron), les Origines de la Guerre d'Algérie, Paris : Fayard, 1962.

- Roger (casemajor), l'action nationaliste en Tunisie : Cheam, 1948.

- Servier 'A), le péril de l'Avenir le Naionalism (en Egypte- en Tunisie- en Algerie), 2ed, Constantine, 1913.

- Sicard (Jules), le monde Musulmandans les possessions Françaises, Paris : 1928.

- Pierre (Boyer), Evolution de l'Algérie (Mediane, Maisonneuve), Paris : 1960.

➢ الدوريات المصدرية:

* باللغة العربية:

- الإرادة، تونس: 24/ 09/ 1934م من.... إلى .... الإرادة، تونس: 30/ 10/ 1951

- الأسبوع، تونس: 08/ 08/ 1949م من.....إلى .... الأسبوع، تونس: 15/ 08/ 19

- أفريقيا الشمالية، الجزائر: 05/ 1949م

- الأفكار، ع03، تونس:1937/01/01 من... إلى... الأفكار، ع5، تونس: 1937/01/17

PDF Compressor Free Version

- الأمة، من 09/25/ 1934م ..... إلى الأمة11/ 03/ 1938م

- البصائر، ع1، الجزائر: 03/20/ 1936م .....إلى.....البصائر، ع 326، الجزائر: 08 /73/ 1955م

- التقدم، تونس: 02/12/ 1908م..... التقدم، تونس: 07/23/ 1908م

- التقدم، تونس: 26/ 12/ 1908م

- الحاضرة، ، تونس: 15/ 06/ 1897م.... إلى... الحاضرة، ، تونس: 15/ 08/ 1897م

-الزمان، ،تونس: 06/ 07/ 1837م ..../ الزمان، ، تونس: 15/ 02/ 1938م

-الزمان، ، تونس: 06/ 06/ 1932م .../ الزهرة، ،تونس: 04/ 05/ 1930م

- الزهرة، ،تونس: 04/ 12/ 1931م ..../ الزهرة، ، تونس: 01/ 05/ 1935

- الزهرة، ، تونس: 03/ 01/ 1937م ..../ الزهرة، ،تونس: 03/ 02/ 1937م

-الزهرة، ، تونس: 13/ 05/ 1937م ..../ الزهرة، ،تونس: 24/ 03/ 194

- الزيتونية، ، تونس: 11/ 1936م..... الزيتونية، ، تونس: 10/ 1945م

- السعادة العظمى، ، تونس: /1904م ...../ الشباب، ،تونس: 05/ 03/ 1937م

- الشباب، ، تونس: 04/05/ 1937م ...../ الشباب، ،تونس: 09/08/ 1960م

-/ الشعب، ع1، الجزائر: 1937/08/27م...../ الشعب، ع2، الجزائر: 1937/10/15م

- الشعب، ع4، الجزائر: 1937/10/28م .....

- الشهاب، ع9، الجزائر: 1925/12/07....إلى..... الشهاب، ج5، مج15، الجزائر: 1939/07م

PDF Compressor Free Version

- الصادقية، ع1، تونس: 04/ 1920م .....

-/ الصباح، ، تونس: 1953/11/03م ....إلى ..... الصباح، .تونس: 1963/04/18م

-/ صبرة، ع34، تونس: 02/25/ 1938م ..../ صبرة، ع37، تونس: 1938/04/10م

- صدى الصحراء، ع13/ تونس: 1926/03/26...../ الصريح، ع50، تونس: 04/14/ 1950

-/ الصريح، ع53، تونس: 1957/02/17 ...../ الصواب، ، تونس: 07/08/ 1904م

-/ الصواب، ، تونس: 07/16/ 1904م ...../ الصواب، ، تونس: 07/22/ 1904

/ الصواب، ، تونس: 11/18/ 1904م ...../ الصواب، ، تونس: 12/22/ 1905م

/ الصواب، ، تونس: 01/31/ 1908م ..../ صوت الطالب، تونس: 1950/09/01

/ العمل الشعبي، تونس: 1937/01/11م ...../ العمل، ، تونس: 1934/06/05م

/ العمل، ، تونس: 1937/06/10م ...../ العمل، ، تونس: 1938/02/17م

/ العمل، ، تونس: 1938/03/07م

/ الفاروق/ ع1، الجزائر: 28/ 1913/02م ..... إلى ..... الفاروق/ ع72، الجزائر: 03/ 1914/08م

/ لسان الدين، ع12، تونس: 1923/03/02م

/ لسان الشعب، ع125، تونس: 1923/12/05م ..... - لسان الشعب، ع183، تونس: 1925/02/24م

/ اللواء، ع1945، مصر: 1906/02/07م - / المباحث، ع03، تونس: 1946/04/25م

-/ المباحث، ع26، تونس: 1947/03/20 - / المبشر، ، تونس: 1924/02/05م.

PDF Compressor Free Version

- المجاهد، ع12، الجزائر: 1957/11/15م -/ المجاهد، ع23، الجزائر: 1958/05/07م

-/ المجاهد، ع24، الجزائر: 1958/05/14م - / المجاهد، ع53، الجزائر: 1958/12/08م

-/ المجاهد، ع54، الجزائر: 1959/11/01م - / المجاهد، ع73، الجزائر: 1960/07/25م

-/ المجاهد، ع74، الجزائر: 1960/08/08م -/ المجاهد، ع101، الجزائر: 1961/07/31م

-/ مرشد الأمة، ع14، تونس: 1909/12/05م / المشير، ع02، تونس: 1911/03/26م

-/ المشير، ع08، تونس: 1911/08/06م - المشير، ع12، تونس: 1911/11/08م

-/ المشير، ع26، تونس: 1912/02/16م - / المغرب، ع25، الجزائر: 1930/11/18م

-/ المغرب، ع27، الجزائر: 1930/12/02 -/ المقاومة، ع03، الجزائر: 1956/12/13م

-/ المقاومة، ع04، الجزائر: 1956/12/24م -/ المقاومة، ع07، الجزائر: 1957/02/16م

-/ المقاومة، ع08، الجزائر: 1957/03/11م -/ المقاومة، ع10، الجزائر: 1957/03/25م

-/ المنير، ، الجزائر: 1921/02/11م -/ المنير، ، الجزائر: 1921/06/05م

-/ النجاح، ع1668، الجزائر: 1928/08/17م -/ النجاح، ع2289، الجزائر: 1939/06/14م

PDF Compressor Free Version

-/ النهضة، ، تونس: 1923/09/01م -/ النهضة، ، تونس: 1924/01/07م

-/ النهضة، ، تونس: 1924/02/18م -/ النهضة، ، تونس: 1924/01/19م

-/ النهضة، ، تونس: 1924/12/09م -/ النهضة، ، تونس: 1925/05/03م

-/ النهضة، ، تونس: 1925/05/22م -/ النهضة، ، تونس: 1929/06/25م

- النهضة، ، تونس: 1929/08/04م -/ النهضة، ، تونس: 1930/01/24م

-/ النهضة، ، تونس: 1931/11/01م -/ النهضة، ، تونس: 1931/11/13م

-/ النهضة، ، تونس: 1932/04/15م -/ النهضة، ، تونس: 1934/10/27م

-/ النهضة، ، تونس: 1936/02/23م -/ وادي ميزاب، ع57، الجزائر: 1927/11/17م

-/ وادي ميزاب، ع70، الجزائر: 1928/02/17م -/ وادي ميزاب، ع76، الجزائر: 1928/03/30م

-/ وادي ميزاب، ع80، الجزائر: 1928/04/27م -/ وادي ميزاب، ع83، الجزائر: 1928/05/06م

-/ وادي ميزاب، ع88، الجزائر: 1928 /06/22م -/ وادي ميزاب، ع107، الجزائر: 1929 /11/02م

-/ وادي ميزاب، ع111، الجزائر: 1929/12/07م

- الوزير، ع25، تونس: 1920/10/11م ....إلى .../ الوزير، ع ، تونس: 1939/06/29م

- الوطن، ، تونس: 1937/08/05م.إلى..... ..... / الوطن، ، تونس: 1937/08/22م

PDF Compressor Free Version

-Revue Africaine, n°811, 1862. 271/ Revue Africaine, n°879, 1879.

- Revue Africaine, n°881, 1883. 273/ Revue Africaine, n°882, 1884.

- Revue Africaine, n°892, 1899. 275/ Revue Africaine, n°899, 1900.

- Revue Africaine, n°79, 1936. 277/ El Moudjahid, n° 62, Alger : 1960.

- El Ouma, n° 36, Alger : 12/1935. 279/ El Ouma, n° 45, Alger : 29/01/1937.

- El Ouma, n° 58, Alger : 04/12/1937. 281/ El Ouma, n° 61, Alger : 11/03/1938.

- Le petit Matin, Tunis : 29/05/1937. 283/La Tunisie Française,Tunis:27/11/1912.

PDF Compressor Free Version

II- المراجع الحديثة:

1/ الكتب

باللغة العربيــة:

- الإبراهيمي (عبد الحميد)، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، بيروت: م.د.و.ع. 1996م.

- أبو خلدون (ساطع الحصري)، ما هي القومية، بيروت: م.د.و.ع. 1985م.

- أبو طالب (صوفي)، دروس في المجتمع العربي، القاهرة، دار النهضة العربية، 1966م.

- أبو القاسم (إبراهيم)، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية، تونس: مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله، 1992م.

- الآجري (محمد صالح)، تطور الحركة التونسية، ج1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1974م

- أجيرون (شارل روبير)، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، بيروت: منشورات عويدات، 1982م.

- أجيرون (شارل روبير)، المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجيا الكولونيالية، الجزائر: مطبعة تالة، 2002.

PDF Compressor Free Version

- إحدادن (الزهير)، الصحافة الإسلامية في الجزائر من بدايتها الى عام 1930م، الجزائر: م.و.ك، 1986م.

- أحمد (خالد)، أضواء من البيئة التونسية على الطاهر الحداد، ط2، تونس: الدار التونسية للنشر، 1979م.

- الأرقش (دلندة) وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، تونس: مركز النشر الجامعي، 2003م.

- أزغيدي (محمد لحسن)، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، الجزائر: م.و.ك، 1989م.

- **الأزهر (علال)، المسألة القومية والنزعة الأمازيغية، الرباط: دار الخطابي للطباعة، 1988م.**

- الأشرف (مصطفى)، الجزائر الأمة والمجتمع، تر: حنفي بن عيسى، الجزائر: م.و.ك، 1983م.

- أعوشت (بكير سعيد)، وادي ميزاب في الحضارة الإسلامية، الجزائر: المطبعة العربية، 1991م.

- أعوشت (بكير سعيد)، ميزاب يتكلم، الجزائر: المطبعة العربية، 1993م.

- أكاديمية العلوم في الإتحاد السوفياتي، تاريخ الأقطار العربية المعاصرة، موسكو: دار التقدم، 1976م.

PDF Compressor Free Version

- ألفرد(بل)، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي،ط3،تر: عبد الرحمان البدوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1987م.

- بركات (أنيسة)، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، الجزائر: منشورات المتحف الوطني، 1995م.

- برنشفيك (روبار)، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،ج1، تر: حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1988م.

- برهان (غليون): محتمع النخبة، ط2، تونس: دار البراق، 1994م.

- بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي، بيروت: دار النفائس، 1984م.

- بلاسي (نبيل أحمد)، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990م.

- بلحسن (عمار)، المشروعية والتوترات الثقافية، بيروت: م.د.و.ع، 1982م.

- بلغيث (محمد الأمين)، تاريخ الجزائر المعاصر، الجزائر: دار البلاغ، 2001م.

- بلقريز (عبد الإله) وآخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، بيروت: م.د.و.ع، 1992م.

- بناسي (أحمد)، فلسفة الثورة الجزائرية (أسس ومبادئ)، الجزائر: دار سمر، 2005م.

PDF Compressor Free Version

- بنبلغيث (الشيباني)، فصول في تاريخ الأوقاف في تونس، تونس: مكتبة علاء الدين، 2003م.

- بنيس (محمد)، مداخلة في ندوة إشكالية بناء المغرب العربي، المغرب: ب.ن، 1985م.

- بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997م.

- بوشارب (عبد السلام)، تبسة (معالم وآثار)، الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد، 1996م.

32- بوصفصاف (عبد الكريم)، ج.ع.م.ج ودروها في الحركة الوطنية، الجزائر: دار البعث، 1981م.

- بوصفصاف (عبد الكريم)، ج.ع.م.ج وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، الجزائر: المتحف الوطني المجاهد، 1983م.

- بوعزيز (يحي)، ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحداد، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م.

- بوعزيز (يحي)، ثورات في القرنين (19-20)م، الجزائر: دار البعث، 1980م

- بوعزيز (يحي)، كفاح الجزائر من خلال الوثائق، الجزائر: م.و.ك، 1986م.

PDF Compressor Free Version

- بوعزيز (يحي)، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر: د.م.ج، 1986م

- بوعزيز (يحي)، السياسية الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، الجزائر: د.م.ج، 1995م.

- بوعزيز (يحي)، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، الجزائر: د.م.ج، 1999م.

- بوقرة (عبد الجليل)، حركة آفاق من تاريخ اليسار التونسي، تونس: سراس للنشر، 1993م.

- بوقرورة (عمر أحمد)، بناء النسق الفكري عند محمد البشير الإبراهيمي، الجزائر: دار الهدى، 2004م.

- بوقصة (كمال)، مصادر الوطنية الجزائرية، تر: ميشيل سطوف، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2005م.

- بن تاويت (محمد) والعفيفي (محمد)، الأدب المغربي، ط2، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1969م.

- تركي (رابح)، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981م.

- تركي (رابح)، ج ع م ج التاريخية ورؤسائها الثلاث، الجزائر: موفم للنشر، 2004م.

PDF Compressor Free Version

- تشايجي (عبد الرحمان)، المسألة التونسية والسياسية العثمانية، تونس: دار الكتب الشرقية، 1973م.

- التلاتلي (صلاح الدين)، تونس الجديدة، تونس: دار النشر بوسلامة، 1959م.

- بنت (محمد البسام)، الحياة العلمية في أفريقيا في عصر بني زيري، الرياض: مكتبة الملك عبر العزيز، 2001م.

- التميمي (عبد الملك)، الخليج العربي والمغرب العربي، الكويت: المؤسسة الجامعية للدراسات، 1986م.

- التيمومي (الهادي)، تاريخ تونس الاجتماعي، ط2، تونس: در محمد علي الحامي، 2001م.

- الجابري (محمد الصالح)، ديوان الشعر التونسي الحديث، تونس: الشركة التونسية للنشر، 1976م.

- الجابري (محمد الصالح)، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، تونس: الدار العربية للكتاب 1983م.

- الجابري (محمد الصالح)، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990م.

- الجابري (محمد الصالح)، الأدب الجزائري في تونس، ج1،ج2، تونس: بيت الحكمة، 1991م.

PDF Compressor Free Version

- الجابري (محمد الصالح)، رحلات جزائرية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2001م.

- الجابري (محمد عابد)، يقظة الوعي العروبي في المغرب، بيروت: م.د.و.ع، 1986م.

- الجابري (محمد عابد)، فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال، بيروت: م.د.و.ع، 1987م.

- جاسم العدول وآخرون، تاريخ الوطن العربي المعاصر، العراق: جامعة الموصل، ب.ت.

- جاك (توبي)، الإمبريالية الفرنسية والولايات العربية في السلطنة العثمانية، بيروت، النفائس، 1990م.

- الجامعة التونسية، بناء المغرب العربي، تونس: المطبعة العصرية، 1983م.

- جربال (دحو)، جيش التحرير المغاربي، الجزائر: مؤسسة محمد بوضياف، 2004م.

- الجريبي (جلول)، دور البرامج التعليمية في التأسيس لأدب الاختلاف، الرباط: الايسيسكو، 2000م.

- الجزايرلي (يوسف)، الجزائر أرض البطولة، مصر: الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب، ب.ت.

PDF Compressor Free Version

- جغلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث، تر: فيصل عباس، بيروت: دار الحداثة، 1983م.

- جغلول (عبد القادر)، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، بيروت: دار الحداثة، 1984م.

- جلال (يحي)، السياسة الفرنسية في الجزائر، مصر: دار المعرفة، 1959م.

- جلال (يحي)، الثورة العربية، بيروت: دار المعرفة، 1959م.

- جلال (يحي)، المغرب العربي(العصور الحديثة)،ج 3،ج4، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م.

- جلال (يحي)، العالم العربي الحديث والمعاصر، ج2، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1998م.

- الجمالي (محمد فاضل)، صفحات من الكفاح العربي في سبيل التحرير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1980م.

- الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية، 1965م.

- جوليان (ش،أ)، المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي، تونس: الشركة التونسية لتوزيع، 1967م.

- جوليان (ش،أ)، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج1،ج2، تونس: الدار التونسية لنشر، 1969م.

PDF Compressor Free Version

- جوليان (ش،أ)، أفريقيا الشمالية تسير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1976م.

- الجوهري (يسرى)، شمال أفريقيا (دراسة في الجغرافية التارخية)، مصر: دار المعارف، 1978م.

- الجوهري (يسرى)، الوطن العربي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1995م.

- الجيلاني (بن الحاج) والمرزوقي (محمد)، معركة الجلاز، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1974م.

- بن الحاج (عثمان الشريف)، أضواء على تاريخ تونس، تونس دار سلامة للنشر، 1981م.

- حاطوم (نور الدين)، محاضرات من المراحل التاريخية للقومية العربية، مصر: دار المعارف، 1963م.*

- حاطوم (نور الدين)، قضايا عصرنا منذ 1945م، دمشق: دار الفكر، 1985م.

- حجاج (السعيد رزق)، العالم الإسلامي في (ح ع I)، مصر: مطبعة الأمانة، 1989م.

- الحداد (سالم)، صراع الهوية بين الأنا والآخر، تونس: الأطلسية للنشر، 2000م.

PDF Compressor Free Version

- حرب (أديب)، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.

- حربي (محمد)، جبهة التحرير الوطني (الواقع والأسطورة)، تر: كميل قيصر داغر، بيروت: دار الكلمة، 1983م.

- حربي (محمد)، الثورة الجزائرية (سنوات المخاض)، تر: نجيب عياد وصالح المثلوثي، الزائر: موفم للنشر، 1994م.

- حسن (علي حسن)، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، القاهرة" مكتبة الخانجي، 1980م.

- الحصري (أبو خلدون)، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ط2، بيروت: م.د.و.ع، 1985م.

- حقي (إحسان)، الجزائر الثائرة، بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1961م.

- حلمي (محروس)، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، مصر: مؤسسة شباب الجامعة، 2004م.

- حمادي (ابن حماد)، بنزرت عبر العصور، تونس: مطبعة شركة فنون الرسم والنشر،1979م.

- حمادي (الساحلي)، فصول في التاريخ والحضارة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م.

PDF Compressor Free Version

- حمادي (الساحلي)، الصحافة الهزلية في تونس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996م.

- حمادي (عبد الله)، الحركة الطلابية الجزائرية، ط2، الجزائر: منشورات المتحف الوطني، 1995م.

- حمدي (أحمد)، الثورة الجزائرية والإعلام، الجزائر: د.م.ج، 1990م.

- حمو (محمد عيسى النوري)، نبذة من حياة الميزابيين، ج1، باريس: دار الكروان، 1984م.*

- بن حميدة (عبد السلام)، تاريخ الحركة النقابية للشغيلة بتونس، تونس: دار علي الحامي، 1984م.

- حوراني (ألبرت)، الفكر في عصر النهضة، ط3، بيروت: دار النهار للنشر، 1977م.

- الخالدي (سهيل)، الإشعاع المغربي في المشرق ودور الجالية الجزائرية في الشام، الجزائر: دار الأمة، 1997م.*

- الخالدي (مصطفى)، فروخ (عمر)، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، بيروت: بلا نشر، 1957م.

- الخرفي (صالح)، شعراء من الجزائر، ج1، مصر: معهد البحوث والدراسات العربية، 1969م.

PDF Compressor Free Version

- الخرفي (صالح)، في رحاب المغرب العربي، بيروت: دار المغرب الإسلامي، ب.ت.

- الخرفي (صالح)، شعراء المقاومة الجزائرية، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981م.

- الخرفي (صالح)، الشعر الجزائري، الجزائر: ش.و.ن.ت، ب.ت.

- الخرفي (صالح)، عمر بن قدور الجزائري، الجزائر: م.و.ك، 1984م.

- الخرفي (صالح)، من أعماق الصحراء، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991م.

- الخرفي (صالح)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر ش.و.ن.ت، 1977م.

- الخطيب (أحمد)، الثورة الجزائرية (دراسة وتاريخ)، بيروت دار العلم للملايين، 1958م.

- الخطيب (أحمد)، ج.ع.م.ج وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر: م.و.ك، 1985م.

- الخطيب (أحمد)، حزب الشعب الجزائري، ج1، الجزائر: م.و.ك، 1986م.

- الخوني (الصادق)، من ملامح شخصية المغرب العربي، تونس: بال نشر، 1983.

- خير فارس (محمد)، تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب، دمشق: جامعة دمشق، 1972م.

PDF Compressor Free Version

- خيرية (عبد الصاحب وادي)، الفكر القومي العربي في المغرب العربي، بغداد: دار الرشيد للنشر، 1982.

-داهش (محمد علي)، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2004م.

- دبش (إسماعيل)، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية، الجزائر: دار هومة، 2003م.

-دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، الجزائر: المطبعة العربية، 1971م.

- دبوز (محمد علي)، المغرب العربي الكبير، ج1،ج2،ج3، الجزائر: المطبعة العربية، ب.ت.

- درمونة (يونس)، المغرب العربي في خطر، مصر: دار الطباعة الحديثة، 1956م.

- دروزة (محمد عزة)، مشاكل العالم العربي، القاهرة: دار اليقظة العربية، ب.ت.

- دروزة (محمد عزة)، الوحدة العربية، بيروت: منشورات المكتب التجاري، 1975م.

- الدقي (نور الدين)، المغرب العربي والاستعمار الفرنسي، تونس: مطبعة سراس، 1997م.

PDF Compressor Free Version

- ديبو (ج)، تونس، تر: الصادق مازيغ، تونس: الدار التونسية للنشر، 1969م.

- الذوادي (رشيد)، هذه بنزرت، ونس: منشورات جمعية صيانة مدينة بنزرت، 1980م.

- راشد (أحمد)، تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي، بيروت: دار النهضة العربية، 2004م.

- الرفاعي (محمد علي)، الجامعة العربية وقضايا التحرر، مصر: بال نشر، 1971م.

- رفعت (محمد)، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، القاهرة : مكتبة الأنجلو مصرية، 1971م.

- ركيبي (عبد الله)، الشعر الديني الجزائري الحديث، الجزائر: م.و.ك، 1981م.

- ركيبي (عبد الله)، الأوراس في الشعر العربي، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.

- ركيبي (عبد الله)، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، الجزائر: م.و.ك، 1983م.

- الزبير (سيف الله)، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج2،ج3،ج4، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.

PDF Compressor Free Version

- الزبير (سيف الله)، سجل تاريخ الاستعمار في الجزائر، الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1988م.

- الزبيري (محمد العربي)، الثورة الجزائرية في عامها الأول، الجزائر: دار البعث،1984م.

-الزبيري (الهادي)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، الجزائر: دار هومة، 2000م.

- الزريبي(الهادي)، ثورة (1915-1918)م ودورها في تحريرها المغرب العربي، تونس مطبعة الخدمات السريعة، 2002م.

- زغينة (محمد)، المقالة الوجدانية في نثر أدباء (ج.ع.م.ج)، الجزائر: دار الهدى، 2005م.

- الزمرلي (الصادق)، تونس في عهد المنصف باي، تح: حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1989م.

- زوزو (عبد الحميد)، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية، الجزائر: م، و، ك، 1985م

- زيادة (نيقولا)، تونس في عهد الحماية، القاهرة: معهد الدراسات العربية العليا، 1964م.

- الزيدي (علي)، تاريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية، تونس: بلا نشر، 1986م.

PDF Compressor Free Version

- الزيدي (علي)، الزيتونيون ودورهم في الحركة الوطنية التونسية، تونس: دار نهى، 2007م.

- السروجي (محمد محمود)، العلاقات التونسية الفرنسية من الحماية إلى الاستقلال، القاهرة: مطبعة المصري،ب.ت.

- سعد الله (أبو القاسم)، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2، القاهرة: دار الآداب، 1970م

- سعد الله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1977م.

- سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1،ج2،ج4، الجزائر: م.و.ك، 1986م.

- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ط4،ج2،ج3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م-.

- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،ج4،ج5،ج6،ج7،ج8، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م.

- سعد الله (أبو القاسم)، في الجدل الثقافي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

- سعد الله (أبو القاسم)، خارج السراب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م

PDF Compressor Free Version

- سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامحة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

- سعد الله (أبو القاسم)، تجارب في الأدب والرحلة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

- سعد الله (أبو القاسم)، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.*

- سعد الله (أبو القاسم)، هموم حضارية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

- سعد الله (أبو القاسم)، منطلقات فكرية، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2007م.

- سعد الله (إبراهيم)، اتجاهات الرأي العام العربي حول مسألة الوحدة، ط3، بيروت: م.د.و.ع، 1985م.

- سعد (زغلول)، تاريخ المغرب العربي، مصر: دار المعارف، 1965م.

- سعدي (عثمان)، عروبة الجزائر عبر التاريخ، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982م.

- سعيد (أمين)، تاريخ الاستعمار الفرنساوي والإيطالي في بلاد المغرب، ج2، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ب.ت.

PDF Compressor Free Version

- سعيدوني (نصر الدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج2، الجزائر: م.و.ك، 1988م.

- سعيدوني (نصر الدين)، الجزائر منطلقات وآفاق، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000م.

- سلامة عبد الرحمان)، التعريب في الجزائر، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1976م.

- سليم (محمد السيد)، العلاقات بين الدول الإسلامية، السعودية: مطابع جامعة الملك سعود، 1991م.

- بن سمينة (محمد)، في الأدب الجزائري الحديث، الجزائر: مطبعة الكاهنة، 2003م.

- السنوسي (زين العابدين)، الأدب التونسي في القرن (14هـ)، ج1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1971م.

- السيد (رضوان)، مفاهيم الجماعات في الإسلام، بيروت: دار المنتخب العربي، 1993م.

- سيد (قطب)، في التاريخ فكرة ومناهج، ط4، القاهرة: دار الشروق، 1980م.

- السيد (يسين)، تحليل مضمون الفكر القومي العربي، بيروت: م.د.و.ع، 1980م.

PDF Compressor Free Version

- الشامي (علي)، الصحراء الغربية، بيروت: دار الكلمة للنشر، 1980م.
- شعيب (بن علي)، قسنطينة أم الحواضر في الماضي والحاضر، الجزائر: مطبعة البعث، 1980م.
- شكري (محمد فؤاد)، السنوسية دين ودولة، دمشق: دار الفكر العربي، 1948م.
- الشوابكة (أحمد فهد)، حركة الجامعة الإسلامية، سوريا:مكتبة المنار، 1984م.
- شوقي (أبو الجليل)، الإسلام وحركات التحرير العربية، دمشق: دار الفكر، 1991م
- شوقي (عطا الله الجمل)، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية، 1977م.
- شيبان (عبد الرحمان)، مقدمة مجلة الشهاب ، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000م.
- بن صالح (أحمد)، تونس والتنمية والمجتمع والسياسة، تونس: دار الكلمة للنشر، 1980م.
- ضيف الله (محمد)، الحركة الطالبية التونسية، تونس: منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 1999م.

PDF Compressor Free Version

- ضيف الله (محمد)، المدرج والكرسي، تونس: مكتبة علاء الدين، 2003م.

- الطاهر (عبد الله)، الحركة الوطنية التونسية، ط2، تونس: دار المعارف للطباعة، 1990م-.

- طلاس (مصطفى)، الثورة الجزائرية، دمشق: دار طلاس، 1984م.

- الطمّار (مصطفى)، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر: م.و.ن.ت، 1983م.

- الطويلي (أحمد)، دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس، تونس: مؤسسة سعيدان، 1992م.

- الطويلي (أحمد)، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي، تونس: 2000م.

- بن عاشور (محمد العربي)، جامع الزيتونة (المعلم ورجاله)، تونس: دار سراس للنشر، 1991م.

- العامري (محمد البدوي)، صوت من الغيب، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ب.ت.

- عايدة (أديب)، تطور الأدب القصصي الجزائري، تر: محمد صقر، الجزائر: د.م.ج، 1982م.

PDF Compressor Free Version

- عبد السلام (أحمد)، المدرسة الصادقية والصادقيون، تونس: بيت الحكمة، 1994م.

- عبد العظيم (رمضان)، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، القاهرة: دار المعارف، 1985م.

- عبد الغفار (محمد حسين)، صفحات من تاريخ العرب المعاصر، القاهرة: الدار القومية للطباعة، ب.ت.

- عبيد (عبد الرحمان)، تطور التيار التحرري الشعبي بتونس، تونس: المطبعة الوراقية المركزية، 1986م.

- العجيلي (التليلي)، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب، تونس: دار الجنوب للنشر، 2005م.

- العربي (إسماعيل)، حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر: م.و.ك، 1984م.

- العروى (عبد الله)، مجمل تاريخ المغرب، ج3،بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999م.

- العروى (عبد الله)، في النهضة والتراكم، المغرب: دار توبقال، 1986م.

- عز الدين (أحمد)،النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرنينة (5-6)، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1985م.

PDF Compressor Free Version

- عشراتي (سليمان)، العالم الإسلامي خلال القرنين (18-19)م، الجزائر: دار الغرب للنشر، 2004م.

- العلوي (محمد الطيب)، مظاهر المقاومة الجزائرية، الجزائر: دار البعث، 1985م.

- العلي (صالح أحمد) وآخرون، تطور الفكر القومي العربي، بيروت: م.د.و.ع، 1986م.

- عمارة (محمد)، العروبة في العصر الحديث، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة، 1976م.

- عمارة (محمد)، الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968م.

- عمارة (محمد)، الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل، بيروت: دار قتيبية، 1989م.

- عمايرة (حفناوي)، الصحافة وتجديد الثقافة بتونس في القرن 19م، تونس: الدار التونسية للنشر، 1994م.

- عمراني (عبد المجيد)، النخبة الفرنسية المثقفة والثورة الجزائرية، الجزائر: دار شهاب، ب.ت.

- عمر (عبد العزيز عمر)، جوانب من تاريخ المغرب العربي في العصر الحديث، مصر: دار المعرفة الجامعية، 1998م.

PDF Compressor Free Version

- عميراوي (أحميدة)، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، قسنطينة: دار البعث، 1987م.

- عميراوي (أحميدة)، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني، قسنطينة: دار البعث، 2002م.

- عميراوي (أحميدة)، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، الجزائر: دار الهدى، 2003م.

- عميراوي (أحميدة) وآخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، الجزائر: دار الهدى، 2004م.

- عواطف (عبد الرحمان)، الصحافة العربية في الجزائر، الجزائر: م.و.ك، 1985م.

- عودة (عبد الملك)، قضية الجزائر في الأمم المتحدة، القاهرة، الدار القومية للنشر، 1964م.

- عوض (صالح)، معركة الاسلام والصليبية في الجزائر، ج2، ط2، الجزائر: دار دحلب، 1992م.

- العياشي (مختار)، البيئة الزيتونية (1910- 1945)م، تر: حمادى الساحلي، تونس: دار التركي للنشر، 1990م

- العياشي (مختار)، الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر، تونس: مركز النشر الجامعي، 2003م.

PDF Compressor Free Version

- غالي (شكري)، الثقافة العربية في تونس، تونس: الدار التونسية للنشر، 1986م.

- غراب (سعد)، المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب الإسلامي، تونس: الجامعة التونسية، 1987م.

-غليسبي (جوان)، الجزائر الثائرة، تر: خيري حماد، بيروت: دار الطليعة، 1961م.

- فضلاء (محمد الحسن)، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج1، ج2، ج3، الجزائر: دار الأمة، 1999م

- فضلاء (محمد الطاهر)، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح، الجزائر: دار البعث، 1982م

- فضلاء (محمد الطاهر)، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية، الجزائر: دار البعث، 1984م

- الفيلالي (مصطفى)، المغرب العربي الكبير، ط2، بيروت: م، د، و، ع، 1989م

- بن القبي (صالح)، الدبلوماسية الجزائرية بين الأمس واليوم، الجزائر: مطبعة النشر والإشهار، 1994م.

- قداش (محفوظ)، جيلالي (صاري)، الجزائر في التاريخ، ج4، الجزائر: م، و، ك، 1984م.

PDF Compressor Free Version

- القسنطيني (الكراي)، الاحتياج والمحتاجون بتونس العاصمة في فترة الاستعمار، تونس: مركز النشر الجامعي، 1999م.

- بن قفصية (عمر)، أضواء على الصحافة التونسية، تونس: دار بوسلامة للطباعة والنشر، 1972م.

- قليل (عمار)، ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، قسنطينة: دار البعث، 1991م

- قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، الجزائر: منشورات المتحف الوطني، 1994م.

- قنانش (محمد)، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية، الجزائر: ش، و، ن، ت، ب، ت.

- قنانش (محمد)، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين، الجزائر: س، و، ن، ت، 1982م.

- قنانش (محمد)، المسيرة الوطنية وأحداث 08 ماي 1945م، الجزائر: منشورات دحلب: 1991م.

- قنانش (محمد) و قداش (محفوظ)، نجم الشمال الإفريقي (1926-1937)م، الجزائر: د، م، ج، 1984م.

- قنانش (محمد) و قداش (محفوظ)، حزب الشعب الجزائري، (1937-1939)م، الجزائر: د، م، ج، 1985م.

PDF Compressor Free Version

- بن قينة (عمر)، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر: د، م، ج، 1993م.

- بن قينة (عمر)، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، الجزائر: د، م، ج، 1995م.

- الكثيري (مصطفى)، الخصوصية التاريخية والحضارة لبلدان المغرب العربي، عمان: شركة الشرق الأوسط، 1986م.

- الكعاك (عثمان)، بلاغة العرب في الجزائر، تونس: مكتبة العرب، 1344هـ.

- لاندا، (ج)، تاريخ الثورة الجزائرية (1954- 1962)م، موسكو: دار العلم للنشر، 1983م

- لطفي (عيسى)، مدخل لدراسة الذهنية المغاربية خلال القرن 19م، تونس: دار سراس، 1994م.

- المالكي (محمد)، حول مشروع وحدة المغرب العربي الكبير (ندوة)، ج1، ليبيا: منشورات جامعة قاريونس 1991م.

- المالكي (محمد)، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط2، بيروت: م، د، و، ع، 1994م.

- مجموعة من المؤلفين، وحدة المغرب العربي، بيروت: م، د، و، ع، 1994م.

PDF Compressor Free Version

- المحافظة (علي)، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983م.

- المحجوبي (علي)، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، تونس: دار سراس للنشر، 1993م.

- المحجوبي (علي)، جذور الحركة الوطنية التونسية، قرطاج: بيت الحكمة، 1999م.

- المدني (عز الدين)، تحت السور، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983م.

- مرتاض (عبد المالك)، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، الجزائر: د، م، ج، 1982م

- مرتاض (عبد المالك)، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الجزائر: ش، و، ن، ت، 1983م.

- م.د.و.ع، القومية العربية والإسلام، بيروت: م، د، و، ع، 1981م.

- م.د.و.ع ، وحدة المغرب العربي، بيروت: م، د، و، ع، 1987م.

- المركز الوطني لتأهيل ورسكلة الإطارات الجهوية، تاريخ الحركة الوطنية، تونس: المطبعة الرسمية، 1999م.

- مصايف (محمد)، في الثورة والتعريب، ط2، الجزائر: ش، و، ن، ت، 1981م.

- معمر (علي يحي)، الإباضية في الجزائر، القاهرة: مكتبة وهبة، ب، ت.

PDF Compressor Free Version

- المعموري(الطاهر)،جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي،تونس: الدار العربية للكتاب، 1980م.

- ملتقى علي بن غذاهم، الانتفاضات الشعبية والحركات التحريرية في تونس، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983م.

- مناصرية (يوسف)، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين، الجزائر: م، و، ك، 1988م.

- مناصرية (يوسف)، الحزب الحر الدستوري، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م.

- مناصرية (يوسف)، الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية، تونس: دار المعارف، 2002م.

- المناعي (الطاهر)، المثقفون التونسيون والحضارة الغربية، تونس: دار المعارف، ب.ت.

- المنصف (بن فرج)، ملحمة النضال التونسي-الجزائري، تونس: مطبعة مغرب للنشر، 2006م.

- منير (شيق)، في الوحدة والتجزئة، بيروت: دار الطليعة، 1979م.

- موريس (كروزيه)، تاريخ الحضارات العام، تر: أسعد داغر- فريد داغر، بيروت: منشورات عويدات، 1970م.

PDF Compressor Free Version

- مؤنس (حسين)، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة: دار مطابع المستقبل، 1980م.

- مؤنس (حسين)، تاريخ المغرب وحضارته، ج1، بيروت: العصر الحديث لنشر، 1992م.

- الميرالاي (إسماعيل سرهنك)، تاريخ دول المغرب، بيروت: دار الفكر، ب.ت.

- ميشال (عاصي)، الفن والأدب، ط3، بيروت: مؤسسة نوفل، ب.ت.

- ناصر (محمد)، المقالة الصحفية، مج1، مج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م.

- ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1980م.

- ناصر (محمد)، الشعر الجزائري الحديث، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.

- هاتش (جون)، تاريخ أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية، تر: عبد العليم السيد، القاهرة: دار الكاتب العربي، 1976م.

- الهرماسي (محمد عبد الباقي)، المجتمع والدولة في المغرب العربي، بيروت: م.د.و.ع، 1989م.

-هلال (عمار)، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، الجزائر: لافوميك، 1986م.

PDF Compressor Free Version

- هلال (عمار)، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر: بلا نشر، 1988م.

- هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزائر: د.م.ج، 1995م.

- هلال (عمار)، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1954م، الجزائر: دار هومة، 2004م-.

- الهلالي (عبد الرزاق)، قصة الأرض والفلاح والإصلاح الزراعي في الوطن العربي، بيروت: دار الكشاف، 1967م.

- الهندي (إحسان)، تاريخ المؤسسات الجزائرية، بيروت: دار المدني لطباعة والنشر، 1998م

- ولد خليفة (محمد العربي)، الثورة الجزائرية (معطيات وتحديات)، الجزائر: م.و.ك، 1991م.

- ولد خليفة (محمد العربي)، الاحتلال الاستيطاني للجزائر، الجزائر: منشورات تالة، 2005م.

- الولي (طه)، جامع الزيتونة، بيروت: دار العلم للملايين، 1988م.

- يحي (الشيخ صالح)، شعر الثورة عند مفدي زكريا، الجزائر: دار البعث، 1987م.

PDF Compressor Free Version

- بن يوسف (عادل)، النخبة العصرية التونسية (طلبة الجامعات الفرنسية)، تونس: دار الميزان، 2006م.

باللغــة الأجنبــية:

- Ablellah (Mazouni), culture et enseignement en Algérie, Paris : Ed.. Maspero, 1969.
- Ablellah (Mazouni), L'université Zitounienne et la société tunisienne: Tunis : publication du C.N.R.S.T, 1971.
- Abdelmoula (Mohamed), Jihad et colonialisme la Tunisie et la tripolitaire, Tunis : éd Tiers monde, 1987.
- Abdelrahmane (Taleb Ben Diab), chronologie des faits et Mouvement sociaux et politique en Algérie, Alger : Imp. du centre, 1983.
- Abdessalem (Ahmed), Sadiki et les Sadikiens, Tunis : Sérés productions, 1975.
- Ageron (ch-R), les Algériens musulmans et la France, Paris : P.U.F, 1968.
- Ageron (ch-R), Histoire de l'algérie contemporaine (que-sais-je), Paris : P.U.F, 1977.

PDF Compressor Free Version

- Ageron (ch-R), L'Algérie Algérienne de Napoleon III à degaulle, Paris : Sinbad 1980.

- Ageron (ch-R), Les classes Moyennes dans L'Algérie coloniale, Paris: Ed.Cresm 1980.

-Ageron (ch-R) et autre, La guerre d'algérien et les algériens,Paris:Ed.Armand Colin 1997

-Albert (Memmi), Portrait du colonisé, précédé du portrait du colonisation, Paris : Ed.Bochet Chastel corrée, 1957.

- AL DIB(F), Abdel Nasser et la révolution Algérienne, Paris : L'Harmattan, 1985.

-Amar (Ouzegane), le meilleur combat, Paris : Ed. René Juithard ; 1962.

- Amïra (A.S) les Tunisiens et la Révolution Algérienne, in actes du colloque méthodologie de l'histoire des mouvements nationaux au Maghreb Pub de la F.T.F.R.S, Zaghouan, 1998.

-André (Noushi), La naissance du nationalisme Algérien, Paris : Ed. de minuit, 1962.

PDF Compressor Free Version

- Azzouz (A), L'histoire ne pardonne pas Tunisie, Paris : L'Harmattan, 1988.
- Ayadi (T), Mouvement réformiste et mouvement populaire à Tunis, Tunis : 1986.
- Bardin (pierre), Algériens et Tunisiens dans l'empire ottoman de (1948-1914), Paris Ed.du C.N.R.S , 1979.
- Belkadoja (T), Les trois décennies, Bourguiba (témoignage), Tunis : Ed.Arcanteres : publi sud, 1998.
- Benjamin (stora), Messali hadj, Paris : Le sycamore, 1982.
- Benjamin (stora), Dictionnaire biographique des militants nationalistes Algériens, Paris : Ed., L'Harmattan, 1985.
- Benjamin (stora), Ils venaient d'Algérie l'Immigration Algérienne en France, Paris : Fayard, 1992.
- Bensalem (J), Voyer nos armes, Voyer nos Médecins, Alger : E.N.A.L ? 1985.
- Bernard (Doz) et Evelyne (lever), Histoire de l'Algérie, Paris : seuil, 1982.

PDF Compressor Free Version

- Bruno (Etienne), les étudiants algériens en lutte, Tunis : U.G.E.M.A,1960.

- Bontens (Claude), Manuel des institution Algérienne, T2, Paris : Ed. Cejas, 1976.

-collot (c) et Henry (J.R), Le mouvement national algérien, Paris : Ed. L'Harmattan, 1978.

- Daho (Dj), Alliances et massalianisme algéro-Tunisien, une perspective de moyenne durée, in actes colloque , de la fondation Mohamed Boudiaf, Alger 11-12 mai 2001.

- DERRAS (o), Le mouvement associatif au Maghreb, Alger : Ed. Crasco, 2002.

- Derouche (M), Le scoutisme école du patrisme, Alger : E.N.A.L , 1985.

- Goldstein(D), libération ou Annexion, Aux chemins croisés de l'histoire Tunisienne, Tunis : M.T.E, 1978.

- Gramsci (Antonio), La formation des Intellectuels, Paris : Ed. Sociales, 1977.

PDF Compressor Free Version

- Guentari (M), Organisation politico- Administrative et Militaire de la Révolution Algérienne, (1954-1962), Alger : O.P.U, 2000.

- Guy (Perville), les étudiants Algériens de Université française(1880-1962), Paris: Ed. du C.N.R.S, 1984.

- Gilbert (Meynier), L'Algérie réveille, Genève : librairie Droz, 1981.

- Hamamy (Aly), Idriss, Ed2, Alger: E.N.A.L, 1988.

- Harbi (M), Origines du front de libération national, (la cession du P.PA-M.T.L.D), Paris : Christian Bourgois, 1975.

- Harbi (M), Le F.L.N Mirage réalité des origines à la prise du pouvoir, Paris : les Ed. du J.A, 1985.

- Harbi (M), Une vie debout, mémoires politique, T1, Alger : Ed. casbah, 2001.

- Haroun (Ali), Ma 7ème Wilaya la guerre du F.L.N en France, Paris: le seuil , 1986.

-Hassani (A), Guérilla sans visage, Alger : O.P.U, 1988.

PDF Compressor Free Version

- Jaafar (Majed), La presse littéraire en Tunisie de 1904 à 1955, Tunis : 1979.

- Kaddache (M), Histoire du nationalisme Algérien question nationale et politique Algérienne, T1, Alger : S.N.E.D, 1980.

- Kaddache (M), L'émir Khaled Algérien, Alger : O.P.U, 1987.

- Kaddache (M) et Genaneche (M), L'étoile nord-Africain, Alger : O.P.U, 1984.

- Kassab (A), Histoire de la Tunisie l'époque contemporain, Tunis : S.T.D, 1976.

-Kraim (M), La classe ouvrière Tunisienne et la lutte de libération, national, Tunis : Imp. UGTT, 1980.

- Kraim (M), Le mouvement social en Tunisie dans les Années Trente,Tunis: Sérés, 1984.

- Kiouane (A), Mouvements du nationalisme Algérien, Alger: O.P.U, 2004.

PDF Compressor Free Version

- L'achraf (M), L'Algérie nation société, Alger : S.N.E.D, 1978.
- Mahdjoubi (Ali), Les origines du mouvement national Tunisie, Tunis :P.U.T, 1982.
- Merad (Ali), Le Réformisme musulman Algérie, Paris : 1967.
- Merad (Ali), Ibn Badis, commentateur du coran, Alger : S.N.E.D, 1971.
- Rey (G.Z), Le royaume Arabe, Alger : S.N.E.D , 1977.
- Sallah Essedik (M), Opération Oiseau bleu, Alger: Ed, Dar el Oumma, 2002.
- Sayadi (Mongi), Al-Jamiyya Al-khaldouniya, Tunis: M.T.E, 1974.
- Sliman (Shikh), L'Algérie en armé au Temps des certitudes, Alger: O.P.U, 1981.
- Sraieb (N), Le collège Sadiki de Tunis, Tunis : Ed., ALIF, S.D.

PDF Compressor Free Version

- Sraieb (N), Politique culturelles nationales et Unité Maghrébine in Annuaire de L'Afrique de Nord, Paris : 1971.
- Téguia (M), L'Algérie en guerre 40. Alger Office des Publications Universitaires, S.D.
- Téguia (M), L'armée de libération national en Wilaya IV, Alger: Casbah, 2002.
- Tlili (B), Etudes d'histoire sociale Tunisienne au XIX, Tunis : publication de l'Université de Tunis, 1974.
- Tlili (B), Crises et Mutation dans le Monde Islamo méditerranéen contemporain, T1,Tunis : P.U.T, 1978.
- Philippe (Tripier), Autopsie de la guerre d'Algérie, Paris : France Empire, S.D.
- Pierre (M), La guerre d'Algérie genèse et engrenage d'une Tragédie, Paris : Ed. Pymalion,1984.
- Yves (c), Les fils de la Toussaint, Paris : Fayard, 1968.
- Yves (c), La guerre d'Algérie (le temps de léopards), Paris : Fayard, 1969

PDF Compressor Free Version

- Yves (c), le syndicalisme Etudiant et la guerre d'Algérie, Paris : l'harmattan, 1995.

2/ كتب التراجم

- إحدادن (زهير)، شخصيات ومواقف تاريخية، الجزائر: دار التراث لنشر، 2002.

- أمين (أحمد)، زعماء الاصلاح في العصر الحديث، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1971م.

- آيت علجت (محمد)، الشيخ المولود الحافظي، الجزائر: منشورات دار الكتاب، 1998م.

- بلحاج (قاسم أحمد)، الشاعر صالح الخرفي، الجزائر: جمعية أنغام الحياة الثقافية، 2004م.

-بورنان (سعيد)، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر: ط2، الجزائر: دار الأمل، 2004م.

- بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995م

- البيومي (محمد)، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، بيروت: المكتبة العصرية، 1980م

PDF Compressor Free Version

-تركي (رابح)، عبد الحميد ابن باديس، الجزائر: ش، و، ن، ت، 1984م

- تشرشل (هنري)، حياة الأمير عبد القادر، ط2، تح: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ش، و، ن، ت، 1982م

- جعفر (ماجد)، الطاهر الحداد، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1979م.

- جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية، الجزائر: نشر جمعية التراث، 1999م.

-الجنحاني (الحبيب)، محمد باش حامبة، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968م.

- الجندي (أنور)، الرسائل الإسلامية (أعلام الإسلام)، مصر: دار الاعتصام، ب، ت.

- الجندي (أنور)، عبد العزيز الثعالبي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1984م.

- الحفناوي (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ج2، الجزائر: مطبعة بيير فونتانة، 1907م

- حمادي (بن حماد)، رجالات من زمن الكفاح، تونس: منشورات المتوسط، 2004م.

PDF Compressor Free Version

- حمادي (الساحلي)، تراجم وقضايا معاصرة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

- حماني (أحمد)، شهداء علماء معهد بن باديس، الجزائر: قصر الكتاب، 2004م.

- حميد (عبد القادر)، فرحات عباس (رجل الجمهورية)، الجزائر: دار المعرفة، 2001م.

- حوش (مصطفى بن بكير)، بذور الحياة لرمضان حمود، غرداية: المطبعة العربية، 2004م.

- حوش (مصطفى بن بكير)، رمضان حمود (الفتى)، غرداية: المطبعة العربية، 2004م.

- خدوسي (رابح)، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، الجزائر: دار الحضارة، 2003م.

- الخرفي (صالح)، شهيد الثورة الجزائرية أحمد رضا حوحو في الحجاز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م

- الخرفي (صالح)، حمود رمضان، الجزائر: م. و. ك، 1985م.

- الخرفي (صالح)، محمد السعيد الزاهري، الجزائر: م، و، ك، 1986م.

- الخرفي (صالح)، عبد العزيز الثعالبي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995م*

PDF Compressor Free Version

- بن خيرة (نجيب)، شاهد القرن الأديب موسى الأحمدي نوبوات، الجزائر: دار هومة، 2003م.

- دبوز (محمد عي)، أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ج2، ج3، الجزائر: مطبعة دار البعث: 1976م.

- الدرعي (أحمد)، حياة الطاهر الحداد، تونس: الدار العربية للكتاب، 1975م.

- دوغان (أحمد)، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، الجزائر: م، و، ك، 1989م.

- الذوادي (رشيد)، أعلام بنزرت، تونس: دار المغرب العربي، 1971م.

- الذوادي (رشيد)، حسن النوري، تونس: منشورات محمد بودينة، 1997م.

- رمضان (عبد المجيد)، ثوار الجزائر، الجزائر: دار نزهة الألباب، 2004م.

- زكي (مجاهد)، الأعلام الشرقية في المئة (14م)، ج2، مصر: بلا ناشر، 1974م.

- الزمرلي (الصادق)، أعلام تونسيون، تح حمادي الساحلي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986م

- السائحي (محمد الأخضر)، محمد الأمين العمودي، الجزائر: م، و، ك، 1988م

PDF Compressor Free Version

- سعد الله (أبو القاسم)، المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الجزائري، الجزائر: م، و، ك، 1977م.

- سعد الله (أبو القاسم)، الطبيب الرحالة ابن حمادوش الجزائري، الجزائر: د، م، ج، 1982م.

- سعد الله (أبو القاسم)، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م.

-سعيدوني (نصر الدين)،دراسات وشهادات مهداة إلى الأستاذ أبو القاسم سعد الله،بيروت:دار الغرب الإسلامي 2000م.

- بن سمينة (محمد)، محمد العيد آل الخليفة، الجزائر: م، و، ك، 1989م

- الشابي (علي) وآخرون، الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي، تونس: المطبعة لرسمية، 1993م.

- الشابي (المنصف)، صالح بن يوسف –حياة كفاح-، تونس: دار الأقواس، 1990م

- شمام (محمد)، أعلام من الزيتونة، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، 1996م

- الصديق (محمد الصالح)، أدباء التحصيل، ج1، تونس: دار الكتب العربية، ب، ت

PDF Compressor Free Version

- الصديق (محمد الصالح)، العقيد عميروش، ط3، الجزائر: دار الأمة، 1999م

- الصديق (محمد الصالح)، مولود قاسم نايت بلقاسم، ط2، الجزائر: دار الأمل، 2004م

- الصديق (محمد الصالح)، من أعلام منطقة القبائل، (غير منشورة)، 2006م.

- الصياح (محمد)، الحبيب بورقيبة يؤسس الدولة الجديدة، ج1، تونس: دار العمل، 1986م.

- طالبي (عمار)، ابن باديس حياته وآثاره، ج1، ج2، ج3، ج4، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ب، ت.

- الطويلي (أحمد)، شخصيات تونسية، تونس: الشركة التونسية للنشر، 2004م.

- بن عاشور (محمد الفاضل)، أركان النهضة الأدبية بتونس، تونس: مكتبة النجاح، 1381هـ

- بن عاشور (محمد الفاضل)، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، ط3، تونس: الدار التونسية للنشر، 1983م

- بن عاشور (محمد الفاضل)، أعلام الفكر وأركان النهضة بالمغرب العربي، تونس: مركز النشر الجامعي، 2000م

PDF Compressor Free Version

- عباس (محمد)، البشير الإبراهيمي (أديبا)، الجزائر: د.م.ج، ب.ت.

- عباس (محمد)، رواد الوطنية، ج2، الجزائر: مطبعة دحلب، 1992م.

- عباس (محمد)، الإندماجيون الجدد، الجزائر: مطبعة دحلب، 1993م

- عباس (محمد)، فرسان الحرية، الجزائر: دار هومة، 2003م.

- عباس (محمد)، نداء الحق، الجزائر: دار هومة، 2003م.

- عباس (محمد)، رواد الوطنية، ج1، الجزائر: دار هومة، 2004م.

- عباس (محمد)، مثقفون في ركاب الثورة، ج2، الجزائر: دار هومة، 2004م.

- العباسي (أحمد)، الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودفاعه عن القضية التونسية: بلا ناشر، 1987م

- الأمير عبد القادر الثاني، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، بيروت: دار اليقظة العربية، 1964م.

- عبد الكريم (شوقي)، دور العقيد عميروش في الثورة الجزائرية، الجزائر: دار هومة، 2003م

- العسلي (بسام)، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط2، بيروت: دار النفائس، 1984م.

- علي الرضا (الحسيني)، صالح بن الفضيل التونسي، تونس: الدار الحسينية كتاب، 1990م.

PDF Compressor Free Version

- علي الرضا (الحسيني)، محمد المكي بن الحسين، تونس: الدار الحسينية للكتاب، 1991م.

- علي الرضا (الحسيني)، كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين، تونس: الدار الحسينية للنشر، 1998م.

- عمارة (محمد)، مسلمون ثوار، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م.

- عيساوي (أحمد)، الحياة العلمية والدعوية للشيخ سيدي محمد الطيب بن مبروك، الجزائر: مطبعة الفنون الخطية 2005م.

- الغالي (بلقاسم)، شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، بيروت: دار ابن حزم، 1996م

- فرحات (عبد الوهاب)، سيدي أبو الحسن الشاذلي، القاهرة: مكتبة مدبولي، 2003م.

- فضلاء (محمد الحسن)، من أعلام الإصلاح في الجزائر، ج1، ج2، ج3، الجزائر: دار هومة، 2000م.

- فضلاء (محمد الطاهر)، الطيب العقبي، الجزائر: مطبعة الرغاية، 1986م.

- فضلاء (محمد الطاهر)، الشيخ محمد خير الدين، آثار ومآثر، الجزائر: مؤسسة الضحى، 2005م

PDF Compressor Free Version

- فضيل (عبد القادر) ورمضان (محمد الصالح)، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، الجزائر: دار الأمة، 1998م

- فيلالي (مختار الطاهر)، رحلة الورتيلاني، الجزائر: دار الشهاب، 1978م.

- قاسم (حمود)، ابن باديس (الزعيم الروحي لحرب التحرير)، مصر: دار المعارف، 1968م.

- قداش (محفوظ)، الأمير خالد (وثائق)، الجزائر: د، م، ج، 1985م.

- قرين (أرنولد)، العلماء التونسيون، تر حفناوي عمايرة- أسماء معلي، تونس: بيت الحكمة، 1995م.

- بن قينة (عمر)، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الجزائر: ، و، ن، ت، 1974م.

- الكاملي (أبي راس عبد اله)، أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، الجزائر: مطبعة الشهاب، 1965م

- كرو (محمد أبو القاسم)، محمد الخضر حسين، تونس: دار المغرب العربي، 1973م.

- كرو (محمد أبو القاسم)، الشابي حياته وشعره، تونس: الدار العربية كتاب، 1984م.

- مجموعة من الأساتذة: محمد اليعلاوي بين الجامعة والمجتمع، تونس: دار الخدمات العامة، 1998م

PDF Compressor Free Version

- محفوظ (محمد)، تراجم المؤلفين التونسيين، ج2، ج3، ج4، دار الغرب الإسلامي، 1982م

- محمد (حسن)، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، بيروت: م، د، و، ع، 1986م

- محمد (مسعود إدريس)، دراسات في تاريخ المسرح التونسي، تونس: دار سحر للنشر، 1993م.

- مطبقاني (مازن)، عبد الحميد بن باديس، دمشق: دار القلم، 1999م.

- المنجي (الشملي)، خير الدين باشا، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968م.

- المنصف (شرف الدين)، من رواد المسرح التونسي وأعلامه، تونس: المكتبة العتيقة، 1997م.

- مهداوي (محمد)، البشير الإبراهيمي، سوريا: دار الفكر، 1986م.

- مواعدة (محمد)، محمد الخضر حسين، تونس: الدار التونسية لنشر، 1974م.

- بن ميلاد (أحمد)، الشيخ عبد العزيز الثعالبي، تونس: بلا نشر، 1991م.

- الميلي (محمد)، ابن باديس وعروبة الجزائر، بيروت: دار الثقافة، 1973م.

PDF Compressor Free Version

- ناصر (محمد)، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، الجزائر: ش، و، ن، ت، 1980م.

- ناصر (محمد)، عمر راسم (المصلح الثائر)، الجزائر: مطبعة لافوميك، 1984م.

- ناصر (محمد)، مفدي زكريا (شاعر النضال والثورة)، الجزائر: المطبعة العربية، 1984م.

- ناصر (محمد)، رمضان حمود (حياته وآثاره)، الجزائر: م، و، ك، 1985م.

- ناصر (محمد)، الشيخ القراري (حياته وآثاره)، الجزائر: المطبعة العربية، 1990م.

- نجار (عمار)، مصالي الحاج (الزعيم المفترى عليه)، الجزائر: دار الحكمة، 2000م.

- نجم (حمد يوسف)، المسرحية في الأدب العربي الحديث، بيروت: دار بيروت للطباعة، 1956م

- بن نعمان (أحمد)، مولود قاسم نايت بقاسم، ط2، الجزائر: در الأمة، 1997م.

- نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1983م.

PDF Compressor Free Version

- هلال (عمار)، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، الجزائر: د، م، ج، 1995م.

- بن يامين (سطورا)، مصالي الحاج (رائد الوطنية الجزائرية)، الجزائر: دار القصبة، 1998م.

- أبي اليقظان (الحاج إبراهيم)، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1، ج2، الجزائر: المطبعة العربية، 1956م

3/ الدراسات والرسائل الجامعية: (غير منشورة)

*** باللغة العربية**

- بلقاسم (محمد)، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي (1910- 1954)م، ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر: (1993- 1994)م.

- ابن حلمي (عبد الله)، القصة العربية الحديثة في الشمال الإفريقي، ماجيستير في الأدب العربي الحديث، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة: 1976م.

- خير الدين (شترة)، إسهامات جزائرية في الحياة السياسية الفكرية التونسية (1900- 1939)م، ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر: (2002- 2003)م.

PDF Compressor Free Version

- الرديفي (حسين)، الزيتونة والزيتونيون والظاهرة الاستعمارية وقضايا التحديث (1881- 1914)، شهادة الكفاءة في البحث، جامعة الآداب والفنون، جامعة تونس، تونس: 1992م.

- شحاتة (رضا أحمد)، تطور الحركة الوطنية في تونس منذ الاحتلال الفرنسي وفرض الحماية (1881- 1956)م ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر: 1974م.

- الشوكي (عبد الرحمان السيد)، مصر والحركة الوطنية في الجزائر منذ ح ع I، حتى الاستقلال، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مصر: 1991م.

- ضيف الله (محمد)، في البحث عن نشؤ النخبة، الحركة الطالبية التونسية (1927- 1939)م، شهادة التعمق في البحث، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس: (1993- 1994)م.

- طرشون (نادية)، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام (1911- 1947)م، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، كلية الآداب، قسم التاريخ، سوريا: (1984- 1985)م.

- عبد الغفار (محمد حسين)، الحركة الوطنية في تونس (1881- 1929)م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر: 1980م.

PDF Compressor Free Version

- عكاش (محمد حسن محمد)، حرب التحرير الجزائرية أهميتها السياسية وتأثيرها على سياسة فرنسا تجاه الدول الإفريقية الناطقة بالفرنسية، ماجستير في الدراسات الإفريقية جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات أفريقية، جامعة القاهرة، مصر: 1977م.

- قرقب (عيسى)، الإمام إبراهيم بيوض رائد الحركة الإصلاحية في الجنوب الجزائري (1920- 1981)م، دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، معهد التاريخ، الجزائر: (1995- 1996)م.

- الماجري (عبد الكريم)، دور ومساهمة المغاربة في الحركات الاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي قبل ح ع I شهادة الكفاءة في البحث، كلية الآداب، جامعة تونس، تونس: 1977م.

- مناصرية (يوسف)، الحزب الحر الدستوري التونسي، ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، الجزائر: (1985- 1986)م.

*** باللغة الفرنسية**

- Ayachi (M), Ecoles et sociétés en Tunisie, thèse pour le doctorat d'état en histoire Faculté des sciences Humaines et sociales de Tunis, Tunis : 1997.

PDF Compressor Free Version

4/ المعاجم والقواميس

- ابن منظور، لسان العرب، ج11، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، ب،ت.

- الزركلي (خير الدين)، الأعلام (قاموس التراجم)، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.

- عطية الله (أحمد)، القاموس السياسي، ط3، القاهرة: دار النهضة العربية، 1968م.

- الكيالي (عبد الوهاب) وآخرون، موسوعة السياسة، ط3، بيروت: المؤسسة العربية لدراسات، 1999م.

- المنجد في اللغة والإعلام، ط35، بيروت: دار المشرق، ب.ت.

- موسوعة أعمال الموسوعة للنشر، الموسوعة العربية الميسرة، السعودية: الموسوعة للنشر والتوزيع، 1987م.

5/ المقالات

*** باللغة العربية**

- الإبراهيمي (محمد البشير)، "رسالة إلى الطلبة الجزائريين بالزيتونة"، الموافقات، ع04، الجزائر: المعهد الوطني العالي لأصول الدين، جوان 1995م.

PDF Compressor Free Version

- بن أبي شنب (سعد الدين)، "النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن (14هـ)"، مجلة كلية الآداب، ع1 الجزائر: 1968م.

- أحمد (عبد السلام)، "جمعية قدماء تلامذة الصادقية تأسيسها وبرنامج نشاطها"، المجلة الصادقية، ع02 تونس: أفريل 1996م.

- ادريس (محمد) وبن ميلاد (أحمد)، "الخلافة ومؤتمر القاهرة والحزب الدستوري"، م.ت.م، ع1، تونس: 1974م.

- أنّا بوزو، "لعلاقات بين قسنطينة وتونس في القرن 19م"، م.ت.م، ع (10/09)، تونس: أوت 1974م.

- أوغلي (حسن)، "صفحات مجهولة من حياة المغفور له أحمد توفيق المدني"، التاريخ، ع18، الجزائر: 1985م.

- بابا عمي (محمد موسى)، "أبو اليقظان ومصادر ترجمته من معجم أعلام الإباضية"، الموافقات، ع05 الجزائر: جوان 1996م.

- بسيس (محمد)، "ج ع م ج شمس أشرقت في سماء الجزائر فأحيتها بعد مئة عام"، مجلة الهداية، ع154 تونس: 2003م.

- بعيو (عبد الله)، "دور الشمال الإفريقي في الحضارة والفكر الإسلاميين"، الأصالة، ع24، الجزائر: 4/3 1975م.

PDF Compressor Free Version

- البكوش (سمير)،"النضال الزيتوني في الخمسينات من خلال أحداث 15 مارس 1954م"، أعمال الندوة الدولية (11) حول الزيتونة 6/5 ماي 2002م، تونس: جامعة منوبة، 2003م.

- بكوشة (حمزة)، "الشيخ الهادي السنوسي"، الثقافة، ع24، الجزائر: 1975/01/12م.

- بلعيد (عبد السلام)،"تفاصيل معركة الميم"، الوحدة، ع464، الجزائر: ماي 1990م.

- بلقاسم (محمد)، "طلاب الوحدة (ج، ط، ش، ا، م)"، الرؤية، ع03، الجزائر: 1997م.

- بوجيدة (أحمد)، "أبو اليقظان عميد النضال الصحفي بالجزائر"، الجيش، ع405، الجزائر: أفريل 1997م.

- بوحوش (عمار)، "أسباب الهجرة إلى فرنسا"، الثقافة، ع14، الجزائر: أفريل/ ماي 1973م.

- بوحوش (عمار)، "ردود فعل السلطات الفرنسية في عهد الجمهورية الرابعة"، مجلة العلوم السياسية، ع1 ب، ت.

- بوضرساية (بوعزة)، "بعض جوانب الحركة الوطنية في منظور ديبارمي"، الثقافة ع104، الجزائر: سبتمبر/ أكتوبر 1994م.

PDF Compressor Free Version

- بوعزيز (يحي)، "موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر"، الأصالة، ع23، الجزائر: جانفي/ فيفري، 1975م.

- بوعزيز (يحي)، "وثائق جديدة عن دور محي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة 1971م"، الأصالة، ع38، الجزائر: أكتوبر 1976م.

- بوعزيز (يحي)، "نماذج من مقاومات سكان الواحات"، الأصالة، الجزائر: جانفي 1977م.

- بوعزيز(يحي)، "جهود الأمير عبد القادر وخلفائه في تدعيم الجبهة الشرقية القسنطينية"، الأصالة، ع48 الجزائر: أوت 1977م.

- بوعزيز (يحي)، "موقف الرسميين التونسيين الصبايحية والكبلوتي في منطقة الحدود الشرقية عام 1871م" الأصالة ع(60- 61)، الجزائر: 1978/09م.

- بوعزيز (يحي)، "وثائق جديدة عن ثورة بن ناصر بن شهرة"، الثقافة،ع31، الجزائر: 1976/03/02م.

- بوعزيز (يحي)، "أضواء على انتفاضة سكان واحة الزعاطشة والشيخ بوزيان عام 1949م"، الثقافة ع32، الجزائر: أبريل/ ماي 1976م.

- بوعزيز (يحي)،"وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله"، الثقافة، ع33، الجزائر: جوان/ جويلية 1976م.

PDF Compressor Free Version

- بوعزيز (يحي)، "أضواء على كفاح الشريف بوشوشة"، الثقافة، ع34، الجزائر: أوت/ سبتمبر 1976م.

- بوعزيز (يحي)، "وثائق جديدة عن موقف الأمير عبد القادر والدولة العثمانية من الثوار المقرانيين عام 1971م، الثقافة ع39، الجزائر: جوان/ جويلية 1977م.

- بوعزيز (يحي)، "ثورات سكان الزواغة وفرجيوة والبابور ضد الاستعمار الفرنسي وقضية الحاج بن عز الدين"، الثقافة ع40، الجزائر: أوت/ سبتمبر 1977م.

- بوعزيز (يحي)،"دور تونس في دعم حركات التحرير الجزائرية وموقف الجزائريين من احتلالها عام 1881م"، الثقافة ع70، الجزائر: 1982م.

- بوعزيز (يحي)، "عودة إلى مراسلات الأمير عبد القادر ومواقفه من رفقاء السلاح بالجزائر"، م.ت.م ع(41-42) تونس: 1986م.

- بوعزيز (يحي)، "أفضال الزيتونة على المسيرة الثقافية والعلمية بالجزائر"، مجلة الهداية، ع152، تونس: 2002م.

- بوعزيز (يحي)، "الكفاح المشترك بين الشعبين الجزائري والتونسي ودماء الساقية"، مجلة الهداية، ع158 تونس: ديسمبر 2003م.

- بوعزيز (يحي)، "أوضاع التعليم في الجزائر خلال الثورة"، مجلة الهداية، ع160، تونس: أفريل 2004م.

PDF Compressor Free Version

- بوعزيز (يحي)، "الواقع التربوي والتعليمي بتونس في النصف الثاني من القرن 19م"، مجلة الهداية، ع03 تونس: ديسمبر 1994م.

- بوكوشة (حمزة)، "الأمين العمودي"، الثقافة، ع06، الجزائر: 1972/01م.

- بيتر (هاين)، "قومي من شمال أفريقيا في برلين أثناء ح ع I (صالح الشريف)"، مجلة الدراسات التاريخية ع1، الجزائر: 1984م.

- بيتر (هاين)، "صالح الشريف التونسي"، حوليات الجامعة التونسية، ع24، تونس: 1985م.

- تركي (رابح)، "ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية"، الأصالة، ع(14-15)، الجزائر: 1973م.

- تركي (رابح)، "التعليم القومي والشخصية الجزائرية"، الثقافة، ع32، الجزائر: أفريل/ماي 1976م.

- تركي (رابح)، "الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر"، الثقافة، ع81، الجزائر 6/5 1984م.

- تركي (رابح)، "الصراع بين ج ع م ج و إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر"، الثقافة، ع85، الجزائر: جانفي/ فيفري 1985م.

- التليلي (العجيلي)، "أضواء على حياة الشريف التيجاني"، م.ت.م، ع(55-56)، تونس: 1989/12م.

PDF Compressor Free Version

- التميمي (ع الجليل)، "محاضر جلسات إصلاح التعليم الزيتوني"، م.ت.م، ع(22/21)، تونس: 1981م.

- التميمي (ع الجليل)،"من أعلامنا البارزين المنسيين الشيخ صالح الشريف"، م.ت.م،ع(23/ 24) تونس:1981/11م.

- الجابري (محمد الصالح)، "تونس في نظر الشعراء الجزائريين"، الفكر، ع07، تونس: أفريل 1884م.

- الجابري (محمد الصالح)، "احتفالات تونس بذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس"، الثقافة، ع98 الجزائر: مارس/ أفريل 1987م.

- الجابري (محمد الصالح)، "المؤرخ الجزائري مبارك الميلي في الصحافة التونسية"، الثقافة، ع102 الجزائر: أفريل 1994م.

- الجابري (محمد الصالح)، "التواصل الثقافي والفكري بين تونس والجزائر"، دائرة المعارف التونسية، الكراس 03، تونس: بيت الحكمة، 1992م.

- الجابري (محمد عابد)، "تطور فكرة المغرب العربي"، دراسات عربية، ع07، بيروت: ماي 1983م.

51- الجابري (محمد عابد)،"يقظة الوعي العروبي في المغرب"، المستقبل العربي، ع85، بيروت: 1986م.

PDF Compressor Free Version

- جغلول (عبد القادر)، "محمد بن رحال وقضية تعليم الجزائريين"، مجلة التاريخ، ع6، الجزائر" 1977م.

- الجمالي (محمد فاضل)،"الشيخ البشير الإبراهيمي ورسالته التربوية"، م.ت.م، ع05، تونس: جانفي/ فيفري 1976م.

- الجيلالي (عبد الرحمان)، " من وحي ذكرى مرور أربعة عقود على وفاة الشيخ مبارك الميلي"، الثقافة ع80، الجزائر: مارس/ أفريل 1984م.

- حداد (مصطفى)،"خوالدية صالح أفراد الرعيل الأول لحركة الشبان الجزائريين نساه المؤرخون"، م.ت.م ع(61- 62)، تونس: جويلية 1991م.

- حكيمي (محمود)، "تيسير الرئيس فرحات عباس"، البصائر، ع268، الجزائر: 2006/01/02م.

- حمادى (الساحلي)، "نشاط الوطنيين التونسيين في المهجر أثناء ح. ع. I، م.ت.م، ع (33- 34) تونس: جوان 1984م.

- حمادى (الساحلي)،"جمعية قدماء تلامذة الصادقية"، الصادقية، ع2، تونس: أفريل 1996م.

- بن حمدة (وسيلة)، "الزاوية ودورها التربوي والاجتماعي"، الهداية، ع04، تونس: جانفي 1995م.

- بن حميدة (عبد السلام)، "النقابات والوعي القومي مثال تونس"، المستقبل العربي، ع83، بيروت: جانفي 1985م.

PDF Compressor Free Version

- الخرفي (صالح)، "أبو اليقظان في الخالدين"، الثقافة، ع14، الجزائر: أفريل/ ماي 1973م.

- الخرفي (صالح)، "مسرحيات حنين إلى الجبل"، الثقافة، ع23، الجزائر: أكتوبر/ نوفمبر 1974م.

- الخرفي (صالح)، "الزيتونة في قلوب أبناء الجزائر"، الحياة الثقافية، تونس: 1997م.

- خير الدين (شترة)، "الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1919- 1939)، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع20، الجزائر: أفريل 2006م.

- بن ذياب (أحمد)، "ابن باديس في ذكرى وفاته (36)"، الأصالة، ع32، الجزائر: أفريل 1976م

- بن ذياب (أحمد)، "فرحات بن الدراجي الأديب العالم"، الثقافة، ع35، الجزائر: أكتوبر/ نوفمبر 1976م.

- رابح جاية (جابر) ومحمد الصغير رزاق لبزة"، الحركة الكشفية أثناء الثورة التحريرية"، الكشافة الإسلامية الجزائرية الجزائر: دار هومة، 1999م.

- رخيلة (عامر)، "الثورة الجزائرية والمغرب العربي"، المصادر، ع01، الجزائر: 1999م.

PDF Compressor Free Version

- رمضاني (علي)، "أضواء على المسرح الجزائري"، الثقافة، ع79، الجزائر: جانفي/ فيفري 1984م.

- الرويسي- (يوسف)،"نشاط مكتب المغرب ببرلين"، م.ت.م، ع(7-8)، تونس: 1977/1م.

- الرويسي- (يوسف)،"نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق"، م.ت.م، ع(12)، تونس: 1978م.

- زاغر (حفناوي)، "الأمام الشيخ العربي التبسي-"، الثقافة، ع94، الجزائر: جويلية/ أوت 1986م.

- الزبير (سيف الإسلام)،"التاريخ النضالي للصحافة الوطنية"، الأصالة، ع24،الجزائر: ¾-1975م.

- زغيدي (محمد لحسن)، "الثورة الجزائرية والبعد المغاربي"، الثقافة، ع104، الجزائر: 10/9- 1994م.

- زنيير (محمد)، "المثقف المغاربي بين الفاعلية والسلبية"، الأصالة، ع24ن الجزائر: ¾-1975م

- زنيير(محمد)،" دورة الثقافة في بناء المغرب العربي"، المستقبل العربي، ع79، بيروت: 1985/09م.

- زوزو (عبد الحميد)،"دور الهجرة في الحركة الوطنية العربية"، م.ت.م، ع05، توني:2/1-1976م.

PDF Compressor Free Version

- الزيدي (علي)،" بين الصادقية والزيتونية" م.ت.م، ع1، تونس: 1974م.

- الزيدي (علي)،"حركة إصلاح التعليم بجامع الزيتونة"، م.ت.م، ع(35-36)، تونس: 1984م.

- الزيدي (علي)،"جامع الزيتونة أهم ميدان للتحركات السياسية بتونس ح ع I "، م.ت.م، ع 104 تونس: 2001م

- سامعي (إسماعيل)،" البعد الثقافي لثورة التحرير"، مجلة دراسات أدبية وإنسانية، ع1، الجزائر: أفريل 2004م.

- سعد الله (أبو القاسم)،" الاتجاه في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين"، الثقافة،ع31، الجزائر: فيفري/مارس 1976م.

- سعد الله (أبو القاسم)،" مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي"، الثقافة، ع79، الجزائر: جانفي/فيفري 1984م.

- سعد الله (أبو القاسم)،" حركة الأمير خالد"، الجيش، ع03، الجزائر: جوان 1973م

- سعد الله (أبو القاسم)،" ابن باديس والقومية العربية"، الثقافة، ع31، الجزائر: فيفري/مارس 1976م

- سليمان (إسماعيل)،"صفحة من نضال التيار الإصلاحي في الشمال الإفريقي"،الفيصل،ع284 السعودية: جويلية 2000م

PDF Compressor Free Version

- السنوسي (زين العابدين)، "من ضحايا النبوغ الباكر محمد العربي"، الندوة، ع03، تونس: مارس 1953م.

- الشابي (أنس)،" زملاء بن باديس"، الهداية، ع154، تونس: 2003م.

- الشابي (أنس)،" ذكرى ابن باديس للشيخ محمد الحنفاوي الصديق"، الهداية، ع154، تونس: 2003م.

- الشابي (علي)،" صلة النخبة التونسية بجمال الدين الأفغاني"، م.ت.م، ع(10-11)، تونس: جانفي/فيفري 1978م.

- الشابي (علي)،" مصادر جديدة لدراسة تاريخ الشابية"، م.ت.م، ع(13-14)، تونس: جانفي 1979م.

- شاوش (حباسي)،"محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية"، الدراسات التاريخية، ع07، الجزائر: 1993م.

- شتوح (إبراهيم)، "إشارات وهوامش حول جامع الزيتونة"، الحياة الثقافية، ع82، الجزائر: 1997م ص.ص(4-10).

- شريط (عبد الله)، الأدب العربي الحديث"، الأصالة، ع13، الجزائر 1973م.

- شلبي (محمد الحبيب)، "موقف الحزب الدستوري التونسي من المحور والحلفاء، م.ت.م،ع (21-22) تونس: أفريل 1981م.

PDF Compressor Free Version

- شيبان (عبد الرحمان)، "الذكرى الأربعينية لوفاة الشاذلي بن القاضي، الأصالة، الجزائر: ماي 1978م.

- بن صالح (محمد الهادي)،" محمد العريبي"، دائرة المعارف التونسية، الكراس03، تونس: 1992م.

- الصغير (نور الدين)،" المدرسة الخلدونية وإشكالية المعاصرة"، الهداية، ع04، تونس: جانفي 1995م.

- صفوت (محمد مصطفى)،" علاقات فرنسا بشمال إفريقيا"، مجلة كلية الأدب، مج7، مصر: (1952-1953).

- ضيف الله (محمد) "الحركة الطلابية الزيتونية في الخمسينات"، م.ت.م، ع1، تونس: 1974م.

- ضيف الله (محمد) "بين التجاذب والتنافر والزيتونة والاتحاد العام التونسي للشغل"، أعمال الندوة الدولية (11) حول الزيتونة (6/5 ماي 2002)، تونس: جامعة منوبة، 2003م.

- الطبابي (حفيظ)،" صراع الهوية الزيتونة والزيتونيون في معترك النضال الوطني"، أعمال الندوة الدولية (11) حول الزيتونة (6/5 ماي 2002)، تونس: جامعة منوبة، 2003م.

103- طرشون (نادية)،" الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام"، الرؤية، ع03، الجزائر: 1997م.

PDF Compressor Free Version

- بن عاشور (محمد الفاضل)،" الشيخ صالح الشريف"، المجلة التونسية، مج8، تونس: 1954/04م.

- بن عاشور (محمد الفاضل)،" نشاط الجمعية من 1920م إلى 1930م"، المجلة الصادقية، ع2، تونس: أفريل 1996.

- عباس (محمد)،"حوار مع بن يوسف بن خدة"، الشعب، الجزائر: 1988/09/19م.

- عباس (محمد)،"في كواليس التاريخ مع الأستاذ محمد الميلي"، الشروق اليومي، ع1416، الجزائر: 2005/06/27م.

- عباس (محمد)،" العلماء يسايرون ولا يتقدمون"، الخبر، الجزائر: الخميس 2007/06/7م.

- عبد الباقي (علي محمد)، "أصداء الثورة الجزائرية في الشرق العربي"، سيرتا، ع(6-7)، الجزائر: 1982/07م.

- عبد العاطي (محمد أحمد)، "الإسلام والعروبة في المغرب العربي"، قضايا عربية، ع2، جويلية 1979م.

- بن عبود (أمحمد)، "مكتب المغرب العربي في القاهرة"، م.ت.م، ع(41-42)، تونس: 1986/06م.

- العريبي (علي)، "أصداء جزائرية في جريدة الحاضرة"، الحياة الثقافية، ع32، تونس: 1984م.

PDF Compressor Free Version

- العقاد (صلاح)،" الصراع الثقافي في المغرب العربي"، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، ع2 مصر: 1971م.

- العلاقي (عبد الكريم)،" النخبة الزيتونية وأهل الكتاب في عهد الحماية"، أعمال الندوة الدولية (11) حول الزيتونة، (6/5 ماي 2002م)، تونس: جامعة منوبة، 2003م.

- على الدين (هلال)،" إشكالية التوحيد العربي"، شؤون عربية، ع 43، تونس: 185/09م.

- عليان (الجالودي)،" الشيخ إسماعيل الصفائحي"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع10، الجزائر: سبتمبر 2001م.

- عمرى (الطاهر)،" مراكز الثقافة العربية بالجزائر بين المقاومة والتكيف"، مجلة الدراسات الأدبية والإنسانية، ع1، الجزائر: أفريل 2004م.

- بن عودة (مصطفى)،" دعم الجزائريين للمقاومة التونسية"، مجلة البحث، ع2، الجزائر: 1984/11م.

- العيد (مسعود)،" العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق"، سيرتا، ع1، قسنطينة: 1979م.

- فضلاء (محمد الطاهر)،" من جوامع الكلم لحكيم العلماء وعالم الكيمياء"، الثقافة، ع87، الجزائر: ماي 1985م.

PDF Compressor Free Version

- فنظر (محمد حسن)،" الزيتونة"، الإتحاد، ع86، تونس: 1998م.

- الفيلالي (مصطفى)، "مفهوم المغرب العربي (تطورا، تصورا، ممارسة)"، المستقبل العربي، ع77، بيروت: جويلية 1985م.

- قاسم (الشيخ بلحاج)،" الشيخ أبو اليقظان ومعالم في جهادي الإسلامي"، الموافقات، ع9، الجزائر: المعهد الوطني العالي لأصول الدين، جوان 1996م.

- قداش (محفوظ)، "الأمير خالد ونشاطه السياسي"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع4، الجزائر: 1986/01م.

- قداش (محفوظ)، "الأمير خالد في شبابه"، مجلة الجيش، ع3، الجزائر: جوان 1973م.

- الكتاني(محمد إبراهيم)،"مؤتمر (ج.ط.ش.إ.م)كانت لفكرة المغرب العربي"، العلم السياسي، ع11 المغرب :ماي 1983م.

- كريستلو (ألان)، "حول بداية النهضة الجزائرية"، الثقافة، ع46، الجزائر (8-9)/978م.

- لبزة (محمد الصغير رزاق)،" الكشافة وجيش التحرير "، الكشافة الإسلامية الجزائرية، الجزائر: دار هومة، 1999م.

- مالكي (أمحمد)،" إشكالية وحدة المغرب العربي"، م.ت.م، ع (45-46)، تونس: جوان 1986م.

PDF Compressor Free Version

- ابن مامي (محمد)،" التعليم بجامع الزيتونة بمدارس العلم في العهد الحفصي"، التاريخ العربي، ع10، 2000م.

- ابن مامي (محمد)،" التعليم بجامع الزيتونة بمدارس العلم في العهد الحفصي"، التاريخ العربي، ع17، 2001م.

- محمد مسعود (إدريس)، "المساهمة الثقافية للزيتونيين من خلال نشاط الجمعيات"، أعمال الندوة الدولية (11) حول الزيتونة (يومي 6/5 ماي 2002م)، تونس: جامعة منوبة، 2003م.

- محمد (ميلاد مبارك)،" المجاهد مصطفى الجزائر"، الشهيد، ع(9/8)، طرابلس: مركز الجهاد الليبي 1986/10م.

- محي الدين (باش تارزي)،" المسرح الحديث في الجزائر"، الأصالة، ع24، الجزائر: 1975م.

- المدني (أحمد توفيق المدني)،" الأخوة الجزائرية التونسية أواخر أيام الأمير عبد القادر"، الثقافة، ع75 الجزائر: ماي/جوان 1983م.

- المدني (أحمد توفيق المدني)،" صفحة مطوية من النضال الوطني- حسين الجزيري رفيقي في السجن"، الهداية، ع3 تونس: 2003م.

- مرتاض (عبد المالك)، "نشأة الصحافة وتطورها بالجزائر"، الثقافة، ع33، الجزائر: جوان/جويلية 1976م.

PDF Compressor Free Version

- مرتاض (عبد المالك)، "نضال الصحافة العربية في الجزائر قبل الثورة"، الثقافة، ع39، الجزائر: جوان/جويلية 76م.

- مرحوم (علي)، "لمحات من حياة الشيخ ابن باديس"، الأصالة، ع24، الجزائر: مارس/أفريل 1975.

- مرحوم (علي)، "موقف من جهاد الشيخ الفضيل الورتيلاني"، الثقافة، ع34، الجزائر: أوت/سبتمبر 1976م.

- مرحوم (علي)، "نظرة من تاريخ الصحافة العربية الجزائرية"، الثقافة، ع46، الجزائر: ديسمبر/جانفي(1977-1978)م.

- مرسي (مصطفى)،" إتحاد المغرب العربي"، التعاون، ع14، جوان 1989م.

- م.د.و.ع، "ندوة المستقبل العربي حول الوعي القومي في المغرب العربي"، المستقبل العربي، ع76 بيروت: جوان 1985م.

- مسعود (كواتي)، "الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجبل الأحمر بتونس"، الكشافة الإسلامية الجزائرية الجزائر: دار هومة، 1999م.

- معريش (محمد العربي)، "مالك بين نبي والإتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بن الحربين"، الثقافة ع85، الجزائر: جانفي/ فيفري 1985م.

PDF Compressor Free Version

- مغربي (علي)، "الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والصلات العلمية بين تونس والجزائر"، ملتقى حول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تونس: الكلية الزيتونية، 1985م.

- المكي (عبد الوهاب)، "خريجو الزيتونة والحراك الإجتماعي"، أعمال الندوة الدولية (11) حول الزيتونة 6/5 ماي 2002م، تونس: جامعة منوبة، 2003م.

- المكي (الناصري)، "وحدة المغرب العربي في ظل الإسلام"، الثقافة، ع15، الجزائر: جوان/جويلية 1973م.

- مناصرية (يوسف)، "النشاط الوطني والوحدوي العربي الإسلامي لج.ع.م.ج"، الموافقات، ع6 الجزائر: 1997م.

- المنصوري(البشير)، "الجمعية الخلدونية بين شموخ الماضي والتواصل مع الحاضر"، الهداية، ع160 تونس: أفريل 2004م.

- مهري (عبد الحميد)، أحداث مهمة لثورة أول نوفمبر"، الأصالة، ع22، الجزائر: 1974م.

- المهيدي (محمد الصالح)، "نشاط الجمعية من 1934م إلى 1954م"، المجلة الصادقية، ع2، تونس: أفريل 1996م.

- المهيدي (محمد الصالح)،"العلامة ابن باديس يزور العاصمة التونسية"،الهداية،ع 154،تونس: 2003م.

PDF Compressor Free Version

- مياسي (إبراهيم)، "جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف"، الثقافة، ع109، الجزائر: 1995م.

- الميزوري (العروسي)، "القطر التونسي- وحجيج الشمال الأفريقي"، الهداية، ع6، تونس: 1976م.

- الميلي (محمد)، "مذكرات"، الشروق اليومي، ع1465، الجزائر: الأربعاء 2005/8/24م.

- ناصر (محمد)، "أبو اليقظان والقضايا الإسلامية والعربية"، الثقافة، ع27، الجزائر: أوت/سبتمبر 1974م.

- ناصر (محمد)، "الثورة والتجدد بين الشابي وحمود"، الثقافة، ع24، الجزائر: جانفي 1975م.

- ناصر (محمد)، "عمر راسم، المصلح الثائر"، الثقافة، ع34، الجزائر: أوث/سبتمبر 1976م.

- الناصري (محمد المكي)، "وحدة المغرب العربي في ظل الإصلاح"، الثقافة، ع15، الجزائر: جوان/جويلية 1973م.

- النخلي (محمد)،"انطلاق نشاط جمعية قدماء الصادقية"،المجلة الصادقية، ع2، تونس: أفريل 1996م.

- النيفر (محمد الشاذلي)، "الزيتونة في التاريخ"، الصادقية، ع5، تونس: 1997م.

PDF Compressor Free Version

- الهادي (الحسيني)، "الشيخ صالح الشريف الجزائري المجهول"، الشعب، ع7023، الجزائر: 1986/03/17م.

- الهرماسي (عبد الباقي)، "المغرب العربي المعاصر"، المستقبل العربي، ع84، بيروت: فيفري 1986م.

- هلال (عمار)، "الطلبة الجزائريون في الأزهر عام 1916م"، الثقافة، ع79، الجزائر: جانفي/فيفري 1984م.

- هلال (عمار)، "الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية"، الثقافة، ع82، الجزائر: جويلية/أوت 1984م.

- هلال (عمار)، "دور الطلاب الجزائريين في ثورة أول نوفمبر"، الشعب، الجزائر: 1985/11/16م.

- هلال (عمار)، "أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق العربي"، الثقافة، ع88، الجزائر: جويلية/أوت 1985م.

- هلال (عمار)، "مساهمة الخالدي صالح بن عمار في التعريف بالقضية الجزائرية مغربيا وعربيا وإسلاميا"، الثقافة ع99 الجزائر: 1987م.

- الهيلة (محمد الحبيب)، "الشيخ الفاضل بن عاشور ومكانته في الإتحاد العام التونسي للشغل"، أعمال الندوة الدولية (11) حول الزيتونة 6/5 ماي 2002م، تونس: جامعة منوبة، 2003م.

PDF Compressor Free Version

- Adrron (V)," L'étoile nord Africain et le modèle communiste éléments d'une antiquité comparative", in C.T, T28, n(117-118), pp(199-235).
- Ageron (Ch-R), "L'Immigration des musulmans Algérie et l'exode de Tlemcen", Annales économiques sociales civilisations, vol 22, novembre 5, 9/10-1967.
- Ageron (ch-R), "Contribution à l'étude de la propagande allemande -Maghreb pendant la deuxième guerre mondiale", R.H.M , n°7-8, Tunis : jan 1977, PP(16-33).
- Alain (M), " Être Algérien en Tunisie", revue correspondance, N°54, Tunis : jan/fév 1999, PP(10-15).
- Aleya (S.A), "le Téderation Republication Radicale Socialiste de Tunisie entre (1925 et 1945)", R.H.M , n°74, Tunis : 1989, pp (21-99).
- Annabi (H), Réorganisation du notariat musulman de Tunisie et mouvement Zitounien au sortir des Années 1920" in C.T,n°(143-144), Tunis : 1988, PP(85-99).

PDF Compressor Free Version

- Anonyme, " Le clivage entre les Zitouniens et les étudiants de l'université Française", L'Action Tunisienne , Tunis 8/11/1932.
- Armoulet (F), "Les problèmes de l'enseignement au début du protectorat Français en Tunisie, in I.B.L.A , T54, n°167, Tunis : 1991.
- Augustin (B), "L'Allemagne et l'ISLAM", in A.T, jan/fév 1915.
- Ayachi (M) " Le projet machuel de l'Université musulmane de Tunisie ses incidences", in C.T, T34, n°(135-136), Tunis : 1986.
- Benkobi (S), "Adhésion des étudiants Algériens à la révolution, l'Horizon, Alger : 19-05-2005.
- Bergui (S),"Distribution des notaires dans la régence du Tunis en 1874", ARABICA , Tunis : 1996, pp(422-436).
- CAGNE (J), " Sur les relation du Maroc et de la Turquie au début du XX siècle, une nouvelle Approche de mouvement, in R.H.M, n°(39-40) Tunis : déc. 1985.

PDF Compressor Free Version

- Callens (M),"Condition de vie matérielle et sociale de la jeunesse étudiants" I.B.L.A, n°74, Tunis :1956.
- Chatelet (F), "Après la guerre des étudiants de la grande mosquée Zitouna" M.T.C.A , Alger : fév/mars 1951.
- Demeer sman (A), "La formation de l'idée de patrie en Tunis (1837-1872)", I.B.L.A, n°(114-115), Tunis : 1966.
- Desparmet (J), "Contribution à l'histoire contemporaine de l'Algérie, la politique des Oulamas Algériens, in A.F, n°7, jui 1937.
- Emirit (M) ; "L'état intellectuel et moral de l'Algérie en 1830" ; revue d'histoire moderne et contemporaine, Jui./Sep 1954.
- Habib (Belaid)," La vie associative autour de la zitouna pendant le période coloniale", actes du XI colloque international sur autour de la Zitouna religion, société et mouvements nationaux au Maghreb, Univ.de la Manouba,Tunis:2003.

PDF Compressor Free Version

- Jean (L), "La Jeunesse et l'insuffisance démocrate", notre tempes, n°(201), 2002.
- Julien (Ch.A) "Colons Français et jeunes Tunisiens in actes (1881-1912)", in Française d'histoire d'outre-mer, Paris :1967.
- Juliette (B), "Chekib Arselane et les mouvement nationalistes au Maghreb", histoire, n°526, Avril/Juin 1978.
- Kraiem (M), "Le parti réformiste Tunisien" R.H.M, n°4 ; Tunis : juillet 1975.
- Kraiem (M), "L'université de la zitouna dans les année 30", in revue Tunisienne des science sociales, Tunis :1987, pp(45-104).
- Latifa (L), "Les discours zitouniens (1904-1932) entre la « Reproduction quasi-parfaite » et la « Reproduction réinterprétatrice » Univ.de la Manouba, Tunis , 2003.
- Louis (A), "La jeunesse Tunisienne et les études d'enseignement Zitounien", I.B.L.A , 1953.

PDF Compressor Free Version

- Massoudi (A), " Les Algériens en Tunisie", Revue correspondance, n°54, Tunis : jan/fév.1999.
- Mellz Marty (G), "Les Algériens à Tunis", in I.B.L.A, 1984.
- Merad (A), " Conformation du presse Islamique à Alger", I.B.L.A, n°2, Tunis :1964.
- Merad (A), "La formation de la presse musulmane en Algérie", I.B.L.A, 1964.
- Sammut (C), " La jeunesse du nationalisme Tunisien (le mouvement jeune Tunisien)", R.H.M, n°01, Tunis : jan 1974, pp(151-168).
- Sammut (C), " La jeunesse du nationalisme Tunisien le mouvement jeune Tunisien(1881-1914)", R.H.M, n°02, Tunis: Juil. 1974, pp(151-168).
- Sammut (C), "L'Expression des symboles nationalistes par les premiers nationalistes Tunisiens dans le contexte coloniale", R.H.M, n°7-8, Tunis : jan 1977, PP(201-220).
- Samia (El Mechat), "La guerre de deux Destours", R.H.M, n°(25-26), Tunis : juin 1982.

PDF Compressor Free Version

208- TLILI (B), "La grande guerre et les questions Tunisiennes « les groupements de la revue du Maghreb (1916-1918) »", in S.H, T26, n°(101-102), Tunis : 1978.

209- Yacono (X), "Le premiers prisonniers Algériens de l'île sainte Marguerite" in R.H.M, n°1, Tunis : 1974.

PDF Compressor Free Version

الفهرس

مقدمة 11

الفصل الأول: الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي للجزائر «1900 – 1954» 31

تمهيد 33

1. الوضع السياسي للجزائر«1898 – 1971»م 34
2. الوضع الثقافي للجزائر خلال الفترة «1900 – 1954»م 85

أ- واقع التعليم والمؤسسات الدينية والثقافية بالجزائر 85

ب- النوادي والجمعيات والعمل الصحفي 120

ج- الحركة التأليفية والفنية والدعوة إلى إحياء التراث 147

3. الوضع الاجتماعي للجزائر«1900 – 1954»م 160
4. دلالات الفعل الاستعماري الفرنسي في الجزائر وآثاره 193

❖ مدخل 193

❖ سياسة تعليمية تقوم على إلغاء مقومات الهوية السياسية الجزائرية 199

الفصل الثاني: حركة الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي وخلفياتها 209

1. مفهوم الهجرة عند الجزائريين 211
2. خصوصية العلاقة بين الجزائر وبين المشرق العربي 239
3. بواعث الصلة بين المشرق والجزائر 253
4. طبيعة وظروف العملية الاستعمارية بالمنطقة 293

PDF Compressor Free Version

الفصل الثالث: تطور الهجرة الجزائرية وموقف السلطات الاستعمارية من الهجرة والمهاجرين 345

مدخل 347

1. تطور الهجرة الجزائرية مشرقاً ومغرباً 351

2. مظاهر الهجرة الجزائرية في الوسط المشرقي 409

3. آثار وانعكاسات أدوار النخبة المهاجرة في الحياة الجزائرية 423

3-1- صراع من أجل الهوية 423

أ- في مفهوم الهوية 424

ب- مظاهر دفاع النخبة المهاجرة عن مبدأ الهوية 429

3-2- انعكاسات النشاط العلمي والسياسي والاجتماعي والصحفي للمهاجرين 433

4. موقف السلطات الاستعمارية من الهجرة والمهاجرين 442

4-1 طبيعة وظروف الاستعمار الفرنسي في الجزائر 442

4-2- موقف فرنسا من مقوّمات الشخصية الجزائرية 448

4-3 موقف فرنسا من الهجرة والمهجرين إلى المشرق والمغرب 460

أ- الهجرة عموماً 460

ب- من الهجرة العلمية 466

ج- من النضال الصحفي والجمعوي الطلابي في المهجر 469

د- صراع النخبة المهاجرة مع الإدارة الاستعمارية في الجزائر: 487

هـ - العمل النقابي والاجتماعي..... 499

PDF Compressor Free Version

الفصل الرابع: النضال السياسي والجمعوي للوطنيين الجزائريين في المشرق العربي خلال الفترة(1900-1939) 507

1. نشاط المهاجرين الجزائريين خلال الفترة (1900– 1919) 509
2. نشاط المهاجرين الجزائريين خلال الفترة (1920م ـ 1939م) ... 530
3. النشاط المهجري الطلابي خلال الفترة 1900-1939 537

الفصل الخامس: النضال السياسي والجمعوي للوطنيين الجزائريين في المشرق العربي خلال الفترة (1940-1954) 583

1. نشاط المهاجرين الجزائريين خلال الفترة (1940م ـ 1954م) ... 585
2. دور المهاجرين إلى المشرق في الثورة الجزائرية(1954-1962) ... 601
3. النشاط المهجري الطلابي خلال الفترة 1940-1962 609

الخاتمة 631

قائمة المصادر والمراجع 645

الفهرس 772